

إميا، علوم الدين

(المجلد الثالث)

المؤلف

الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى

إحياء علوم الدين

للإمام الغزالي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمعلم

الدكتور زيدوني طيبانة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزى القدرسي

From the Library of
Muhammad T. Hozien

الجزء الثالث

مكتبة ورسالة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)

وهو الأول من ربيع للهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحدقة الذي تحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدعش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر ، اللطع على خفيات السرائر ، العالم بمكونات الضمائر ، المستغنى في تدبير مملكته عن المشاور والموازر ، مقلب القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة على سيد المرسلين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر الملحدين ، وطى آله الطيبين الطاهرين ، وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكاله وغره وفي الآخرة عدته وذخره وإنما استعداده معرفة بقلبه لا بمجرد جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو التقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو الكاشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو القبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستغنيا بغير الله وهو الطالب وهو الخاطب وهو العاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الذي يحيب ويشقى إذا دنسه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وإنما السارى إلى الأعضاء من الفواحش آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهل الانسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فان الله يحول بين الرء وقلبه وجيولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية قلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقى إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويرصد لما يلوح من خزائن المكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه - نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - لمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . وإذ فرغنا

(كتاب عجائب القلب)

[الباب الثلاثون في

تفاصيل أخلاق

الصوفية]

من أحسن أخلاق

الصوفية التواضع ولا

يلبس العبدلية أفضل

من التواضع ومن ظفر

بكنز التواضع والحكمة

يقيم نفسه عند كل

أحد مفدارا يعلم أنه

يقيمه ويقيم كل أحد

على ما عنده من نفسه

ومن رزق هذا فقد

استراح وأراح وما

يعلمها إلا العالمون .

أخبرنا أبو زرعة عن

أبيه الحافظ القديسي

قال أنا عثمان بن عبد الله

قال أنا عبد الرحمن

ابن إبراهيم قال ثنا

عبد الرحمن بن حمدان

قال ثنا أبو حاتم الرازي

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجرى على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووجدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجرى على القلب من الصفات المهلكات والنجيات وهو العلم الباطن فلا بد أن تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم اللسكوت مما يكمل عن دركه أكثر الأفهام .

(بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو المراد بهذه الأسماء)

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقال في حق المصاعف من يحيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأفعال منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسماء واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرضا . اللفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الضویری الشكل للودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه نجوم وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين .

والعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو الخاطب والمعانيب والمغائب والطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات أو تعلق الاستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالممكن وشرح ذلك مما سبقه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بالعلم السكشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة .

والثاني أن تحقيقه يستدعى إفتاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغیره أن يتكلم فيه ، والقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقةها في ذاتها وعلم المعاملة يقتصر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقةها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضواری إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهى فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستدير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محرکه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجت حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين اللعالمين لا تهاب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . المعنى الثاني هو اللطيفة المعاملة المدركة من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح منفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنم أرنب ويكافئ عليها ويأكلها

شرحناه في أحدهما القلب وهو الذى أراد الله تعالى بقوله - قل الروح من أمر ربي - وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأنفام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك بين معان ويتعلق بضرئانه مضيان : أحدها أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ماسياتي شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الاشارة بقوله عليه السلام « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك (١) » . المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها فاذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى في مثلها - يأتيتها النفس المطمئنة ارجى إلى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور رجوعها إلى الله تعالى فانها مبعدة عن الله وهي حزب الشيطان وإذا لم يتم سكنونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعرضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه قال الله تعالى - ولا أقسم بالنفس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فاذا النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم والمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الانسان أى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم ، والمتعلق بضرئانه من جملتها معنيان : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذى عمله القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعنى تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك أعنى المدرك وهو المراد بقوله ﷺ « أول ما خلق الله العقل (٢) » فان العلم عرض لا يتصور أن يكون أول مخلوق بل لا بد وأن يكون المحل مخلوقا قبله أو معه ولأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قاله تعالى أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر الحديث فاذا قد استكشفنا أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية . والعلوم فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس : وهي اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والألفاظ الأربعة بحملتها تتوارد عليها فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردتها فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسماء وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب المراد به المعنى الذى يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكفى عنه بالقلب الذى في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطبخها ولذلك شبه سهل التسترى القلب بالعرش والصدر بالكبرى فقال القلب هو العرش

(١) حديث أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

ولا يستكبر عن إجابة لامة والسكين وأخبرنا أبو زرعة إجازة عن ابن خلف إجازة عن السلي قال أنا أحمد بن علي القرني قال أنا محمد ابن النهال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر الجبائي عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من آتيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالهدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر » وورد أيضا عنه عليه السلام « طوبى لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله كرسبه فان ذلك محال بل أراد به أنه مملكته
والجبري الأول لتديره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم
هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرضا فلنجاوزه .

(بيان جنود القلب)

قال الله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فمسيبجانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجتدة
لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بفرضا
وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم
والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر
الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو للتصرف فيها وللرد لها وقد
خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا أمر العين بالافتتاح اهتضت وإذا أمر
الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الأعضاء وتسخير الأعضاء
والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون
له خلافا بل لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم
السلام عالمه بطاعتها وامتثالها والأجناف تطيع القلب في الافتتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر
لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزراد
لسفزه الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع للنازل إلى لقائه فلا جله خلقت القلوب قال
الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - وإنما مركبه البدن وزاده العلم وإنما الأسباب
التي توصله إلى الزاد وتمسكه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه
مالم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى فالدنيا
مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلين فاضطر إلى أن
يتزود من هذا العالم فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما
يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافق من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك
فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق
في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلق الأعضاء التي هي آلات الشهوات فافتقر لأجل دفع
المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو اليد
والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بأمر خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها
ثم المحتاج إلى الغذاء مالم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإنما فافتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو
إدراك السمع والبصر والشم واللمس والتذوق وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه
الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في
كتاب السكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى
جلب النافع للوافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار النافي كالغضب وقد جبر عن هذا الباعث بالارادة
والثاني هو المهرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة
في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو المدرك للتعرف للأشياء كالحواسيس وهي
قوة البصر والسمع والشم والتذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة وجبر عن هذا العالم والأدراك
ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والصب

منقصة وذلك في نفسه
من غير مسكنة مثل
الجند عن التواضع
قال خض الجناح
ولين الجانب . مثل
الفضيل عن التواضع
قال تخضع للحق
وتقاد له وتقبله بمن
قاله وتسمع منه . وقال
أيضا من رأى لنفسه
قيمة فليس له في
التواضع نصيب وقال
وهب من منبه مكتوب
في كتب الله إنى
أخرجت الدر من
صلب آدم فلم أجد قلبا
أشد تواضعا إلى من
قلب موسى عليه
السلام فلذلك اصطفته
وكلمته ، وقيل من
عرف كوامن نفسه
لم يطمع في العلو

والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكذا سائر القوى ولنا تسكلم في الجنود الظاهرة أعنى الأعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وإنما تسكلم الآن فيما أبدت به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو للدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعنى السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاوير الدماغ وهي أيضا خمسة فان الانسان بحدروية الشيء ينمض عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجنود الحافظين يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخييل وتفكر ونذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتفكير والتخييل لكان الدماغ غلوعه كما غلوع الديدان والرجل عنه تلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كتبها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضمفاء بضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأنبياء والفقهاء من العلماء ولكننا نجهد في تفهيم الضمفاء بضرب الأمثلة ليقترب ذلك من أفهامهم .

(بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة)

اعلم أن جندي النضب والشهوة قد يتقادان للقلب اتقادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مراقبتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستصيان عليه استصاء بنى وتمرد حتى يملكاه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد وللقلب جنود آخر وهو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتى شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستغانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفكر العقل إليه ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثله . المثال الأول : أن تقول مثل نفس الانسان في بدنه أعنى بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام واليرة إلى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر المائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتديراته حتى إنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالى في مملكته إذا كان مستغنيا في تديراته بوزيره ومستشير الهومر ضاعن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن الصواب في تقيض رأيه أدبه صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤمرا له مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوسا لاسائسا ومأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استعانت بالعقل وأدبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحدهما على الأخرى تارة بأن تنقل مرتبة الغضب ولوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتبحيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلله الله على علم - وقال تعالى سواتبع هواه فذله كمثل الكاب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى

والعرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من ينميه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حنيفة من أحب أن يتواضع قلبه فليصحب الصالحين ويلتزم بحرماتهم فمن شدة تواضعهم في أنفسهم يقتدى بهم ولا يتكبر . وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع . وقال النورى خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وقيه صوفي وغنى متواضع وقبير هاكرو وشريف سنى . وقال الجلال لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطو وقال يوسف بن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال أن تخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . المثال الثاني : اعلم أن البدن كالمدينة والعقل أعني للدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه الدركة من الحواس الظاهرة والباطنة بجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيتة والنفس الأمانة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كمدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كقمم فيه مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وظهره على ما يحب حمد أمره إذا نادى إلى الحضرة كما قال الله تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة - وإن ضيع ثمره وأهمل رعيته ذم أمره فاتمم منه عند الله تعالى يقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أتتقمنك (١) كما ورد في الخبر وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (٢)» للمثال الثالث : مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فحق كان الفارس حادقا وفرسه مبروصا وكلبه مؤدبا مملعا كان جديرا بالجراح ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلأفرسه يبعث تحته متقادا ولاكلبه يسترسل بإشارته مطيعا فهو خليق بأن ينطرب فضلا عن أن يقال ما طلب وإنما أخرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بلطفه .

(بيان خاصة قلب الامتنان)

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى آدمي إذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضا حتى إن الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخرية والحقائق العقلية فان هذه أمور وزاه المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم السكية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فكيف على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبثت من ذاته شوق إلى جهة للصحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريد بها ويطلبها ويسذل المال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله العقل للمرف بمواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المهرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضارفا على التحقيق فاذن قلب الانسان اختص بعلم وإرادة يتفك عنها سائر الحيوان بل يتفك عنها الصبي في أول الفطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حق الصبي ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان : إحداهما أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الخبر لم أجد له أصلا (٢) حديث رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من بيتك فلا تلق
أحدا إلا رأيت خيرا
منك ورأيت شيخنا
ضياء الدين أبا النجيب
وصكنت مقفه في
سفره إلى الشام وقد
بث بعض أبناء الدنيا
له طعاما على روس
الأسارى من الأفرنج
وم في قيودم فلا
مدت السفارة والأسارى
يقتظرون الأوانى حتى
تفرغ قال للخادم
أحضر الأسارى حتى
يقعدوا على السفرة مع
الفقراء فجاء بهم
وأهدم على السفرة
صفا واحدا وقام الشيخ
من سجاده ومضى
إليهم وقصد بينهم
كالواحد منهم فأكل
وأكلوا وظهر لنا على
وجهه ما نازل بطنه

على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعالم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قرينة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد . الثانية أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمهزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب وإن لم يكن مباشراً للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكترة للعلوم وقلتها وبصرف المعلومات وخسنتها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي على سبيل البداة والكاشفة ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيئ الحصول وفي هذا المقام تباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لانهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والسافة ومراق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بانته في سلوكه فيعرفه ويعرف ماخلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة والنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية واللا محيز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبياؤه من مزايا لطفه ورحمته - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يحسب لها - وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم « إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا تتعرضوا لها (١) » والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيتة من الحث والسكودرة الحاصلة من الأخلاق الممومة كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجب له » ويقول عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال شوق الأبرار إلى لقاءي وأنا إلى لقاءهم أشد شوقاً (٢) » ويقول تعالى « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً (٣) » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تمنع عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم ، تعالى عن البخل والنعم علواً كبيراً ولكن حجب الحث وكدورة وغفل من جهة القلوب فإن القلوب كالأواني لمادامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها العرفة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يهومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٤) » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلوه وعمله. أخبرنا أبو زرعة إجازة عن أبي بكر بن خلف إجازة عن السلي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول صح عند أهل العرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في الإنسان وسخاوة في الملك وتواضع في الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا إباء. وأما اللواتي في الباطن فحجب وجود سيده خوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى سيده

(١) حديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال شوق الأبرار إلى لقاءي الحديث لم أجده أصلاً إلا أن صاحب الفردوس خرج من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولله في مسند الفردوس إسناداً (٣) حديث يقول الله من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في الصيام .

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعاده وصلاحه لجوار
 حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته
 التي لأجله خلق وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والفر
 وحسن الهيشة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار
 وكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته وتلك الخاصية من
 صفات الملائكة القريبين من رب العالمين والانسان طي رتبة بين الهائم والملائكة فان الانسان من
 حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار حيوان ومن حيث صورته وقامته
 فكما الصورة للنقوشة على الحائط وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضائه وقواه
 على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجد رباً يسمى
 ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحيب يوسف عليه السلام بقوله - ما هذا بشراً إن هذا
 إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد أعطى إلى
 حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرهاً تكثيراً وإما ضرباً ككلب أو سنوراً أو حقوداً
 كجمل أو متكبراً كعمر أو ذا روغان كعثاب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من
 الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي
 بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة
 السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه
 والأعضاء خدمه فيستقر هو أعنى المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجرى
 القوة الخيالية الودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريد إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده ويجرى
 القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه ويجرى اللسان مجرى ترجمانه ويجرى الأعضاء
 المتحركة مجرى كتابه ويجرى الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد منها بأخبار تقع من
 الأصقاع فيوكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات والشم بعالم الروائح وكذلك سائرها فانها
 أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد
 ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها
 ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع
 قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة
 أو استعملها لسكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة أو في عمارة طريقه
 دون عزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان محذولاً شقياً كافراً بنعمة
 الله تعالى مضيقاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق القتل والابعاد في المنقلب
 والعاد تعود بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأخبار حيث قال دخلت على عائشة
 رضی الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويده جناحان ورجلاه بريد
 والقلب منه ملك (١) فإذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول . وقال على رضى الله عنه في تمثيل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

والنسم على فصله
 والحياء من ربه وقال
 يحيى بن معاذ التواضع
 في الخلق حسن ولكن
 في الأغنياء أحسن
 والتكبر مريح في الخلق
 ولكن في الفقراء
 أجمع . وقال ذو النون
 ثلاثة من علامات
 التواضع تصغير النفس
 معرفة بالعب و تعظيم
 الناس حرمة للتوحيد
 وقبول الحق والصيحة
 من كل واحد . وقيل
 لأبي يزيد متى يكون
 الرجل متواضعاً قال إذا
 لم يرى لنفسه حقاً ولا
 حالاً من علمه بشراً
 وازدرائها ولا يرى أن
 في الخلق شراً منه .
 قال بعض الحكماء
 وجدنا التواضع مع
 الجهل والبخل أحمد

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي
 والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وله ولأحمد من حديث
 أبي ذر أما الأذن قمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب ولا يصح مها شىء .

إليه تعالى وأرقها وأصفاها وأصلها ثم قدره فقل أصلها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الاخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه مناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كظلمات في بحر لجي - مثل قلب المنافق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فهذه أمثلة القلب .

(بيان مجامع أوصاف القلب وأمثله)

اعلم أن الانسان قد اصطبغ في خلقته وركبه أربع شوائب فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أهوال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والقتل ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أهوال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فانه يدعى لنفسه الربوية ويحب الاستلاء والاستلاء والتخصص والاستعداد بالأموار كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بمخاتق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالظهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشيطانية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير منسوما لونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبما باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السعية الضراوة والعدوان والعقور في باطن الانسان ضراوة السبع وغبضه وحرص الخنزير وشبهه فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير ويغيب السبع ويضري أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها مما يحبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى السكل على الصراط السقيم وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشتبع الخنزير ويرضى الكلب فيكون دائما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومناقمة الأعداء والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف القطاء عنه كوشف بحقيقة حاله ومثله حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة لرأى نفسه مائلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراء كما أخرى ومنتظرا لإشارته وأمره فلهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته أنهث على الفور في خدمته وإحسان شهوته أو رأى نفسه مائلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا - اما ما لا يقضيه ويلتمسه مدقا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فتواضع وأما البلاء فالكبر . والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعفة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعفة وضع الانسان نفسه مكانا يترى به ويغضى إلى تصحيح حقه وقد اتهم من كثير من إشارات اشايخ في شرح التواضع أشياء إلى حد أنهم اتوا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه المساوى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويشير الكلب ويحثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعيا طول النهار في عبادة هؤلاء وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومجيتاله أمانعة لخنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والحيت والتبذير والتقتير والرياء والمهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والبلذلة والبذخ والصلف والاستشاطعة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذلة والبذخ والصلف والاستشاطعة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة الكبر والخذاع والحيلة والدهاء والجرأة والتليس والتضريب والفتن والحب والحنا وأمثالها ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بمقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولا تنتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهو والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتياط والعمو والنبات والنبيل والشهامة والويزر وغيرها فالقلب في حكم امرأة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التواصل واصله إلى القلب أما الآثار المضمومة التي ذكرناها فانها تزيد امرأة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتى يتلأأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا التلب الإشارة بقوله ﷺ «إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه (١)» وبقوله صلى الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ (٢)» وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى - ألبذكر الله تطمئن القلوب - وأما الآثار اللدومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى امرأة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى - كلابران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال عز وجل - أن لو نشاء أصبنهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالقوى فقال تعالى - واتقوا الله واصموا - واتقوا الله ويسلمكم الله - ومهما تراكت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعنى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستبين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصورا على ما فيها فاذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك الذين - يسموا من الآخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور - وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

الافراط إلى حضيض
التفريط ويوم
أعراقا عن حد
الاعتدال ويكون
قصد في ذلك البالغة
في قمع نفوس المرئيين
خوفا عليهم من العجب
والكبر قسلا أن
ينفك مرئيد في مبادئ
ظهور سلطان الجلال
من العجب حتى لقد
نقل عن جمع من
الكبار كلمات مؤذنة
بالعجاب وكل ما نقل
من ذلك القليل من
الشايخ لبقايا المكر
عندم وانحصارهم في
مضيق سكر الحال
وعدم الخروج إلى
فضاء الصحو في ابتداء
أمرهم وذلك إذا حرق
صاحب البصيرة نظره
يعلم أنه من استراق

(١) حديث إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ لم أجده له أصلا .

فإذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى يملو قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو وقلب الكافر أسود من كوس» (١) فطاعة الله سبحانه بخالفة السموات مصفحة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل على المعاصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحاً أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تفسح ثم تفسح فأنها لا تغلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود من كوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق» (٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة بمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بمدها التبيح والصيد فأى للادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهب به قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بقاء الله تعالى .

(بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة)

اعلم أن محل العلم هو القلب أعنى اللطيفة الدبيرة لجميع الجوارح وهي الطاعة المخدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق العلوم كالمرآة بالاضافة إلى صور التلونات فكما أن التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتنضح فيها وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذا هي ثلاثا أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأشياء والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعى قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بينة في اليد والمعلوم بينة لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثله بالمرآة أولى لأن عين الانسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لحمسة أمور : أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل : والثاني خبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل . والثالث لسكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة . والرابع لخبث مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطاوعة حتى يتعذر بسببه أن يهادى بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالمعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء منلى وقول بعضهم قدى على رقبة جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرحت وألحت وطفنت في أقطار الأرض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى تفرد في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بعض الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدرى وقد تقدم .

لكدورة للعاصي والحبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاله فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا» (١) أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثرها إذ غابته أن يتبعه بحسنة يحويه بها فلو جاء بالحسنة ولم تقدم السيئة لآزداد لاحتالة إسراق القلب فما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها نورا فهذا خسران مبين وتقصان لاحيلة له فليست للمرأة التي تتدنس ثم تمسح بالمسقلة كالتي تمسح بالمسقلة لزيادة جلالها من غير دنس سابق فالاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يحلو القلب ويصفه ولذلك قال الله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة الطلوبة فان قلب الطبع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محادا بغير آتمه شطر المطلوب بل ربما يكون مستوجب المم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبينة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان تقييد المم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف المم إلى الشهوات الدنيوية ولذاتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي. الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته التجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قبل لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر التكلمين والتعصين للمذاهب بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية حمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها الشور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورثها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فتد ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين بألتقان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج الفحل والأنثى ثم كما أن من أراد أن يستنج مكم لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الحيل الذي كرو الأنثى وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو السانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلا بالمرآة فانه إذا رفع المرآة بأزواجه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وإن رصها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى للمرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تطبع صورة القفا في المرآة الهاذية لتتطبع صورة

(١) حديث من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا لم أر له أصلا (٢) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

استراق النفس السمع
فليرن ذلك بيزان
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبواضهم
واجتنابهم أمثال هذه
الكلمات واستبادهم
أن يجوز لعبد التظاهر
بشيء من ذلك ولكن
يجعل للكلام الصادقين
وجه في الصحة ويقال
إن ذلك طمع عليهم
في سكر الحال وكلام
السكراني يحمل فالشايخ
أرباب التمكن لما علوا
في النفوس هذا العلماء
الذوقين بالقوا في شرح
التواضع إلى حد الحقوه
بالضعة ندا وبالمريدين
والاعتدال في التواضع
أن يرضى الإنسان
عزلة دون ما يستحقه
ولو أمن الشخص
جروح النفس لأوقها

هذه للآرة في للآرة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق هجينة فيها ازوورات وعمرجات أعجب مما ذكرناه في للآرة يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحيلة في تلك الازوورات فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور والافكل قلب فهو بالقطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارقي سائر جواهر العالم بهذه الخاصة والشرف وإليه الاشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - إشارة إلى أن له خاصة تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار منطقاً لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يثبطه عن الهوض بأعبائها والوصول إلى عمقها الأسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه (١) » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (٢) » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الاشارة بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله أين الله في الأرض أوفى السماء ؟ قال في قلوب عباده المؤمنين (٣) » وفي الخبر « قال الله تعالى : لم يسنعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوداع (٤) » وفي الخبر « أنه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن محموم القلب فقيل وما محموم القلب فقال هو التقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا حسد (٥) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه رأى قلبى ربى إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فبرى جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكتاف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بادرالك البصائر فلانهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة إلى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية محيطية بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله ومملكته وعباده من أفعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيتة وجلالته قد أفلح من زكاهها ومراد تزكيتة حصول أنوار الايمان فيه أعنى إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقوله - أفمن شرح الله

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجرح في جبهة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستملاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتدوى بالتواضع وإيقافها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من الخلوقين يكون كاذباً والكبر يتولد من الإعجاب والإعجاب من الجهل بحقيقة الماسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أين الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله آتية من أهل الأرض وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوداع لم أره أصلاً وفي حديث أبي عتبة قبله عند الطبراني بعد قوله وآتية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أليها وأرقها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن محموم القلب الحديث هـ من حديث عبد الله بن عمر بإسناد صحيح .

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجل وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد الهض . والثانية : إيمان التكلمين وهو مزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنين لك هذه للراتب بمثل وهو أن تصديقك يكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن يخبرك من جريته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبثثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبلوه واثبتوا عليه واطمأنوا إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بأبائهم وأمهاتهم ومعلميهم وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من القربين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانسراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيسمع من الأحاديث من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات تقبل اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آبائهم وأمهاتهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقى إليهم الخطأ والسلمون اعتقدوا الحق للاطلاعهم عليه ولكن ألقى إليهم كلمة الحق . الرتبة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدادت به يقينا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحك قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزوج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الرتبة الثالثة . أن تدخل الدار فنظر إليه بينك وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية والشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة القربين والصدّيقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوى في إيمانهم إيمان العوام والتكلمين ويتميزون بجزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ نعم وهم أيضا يتفاوتون بمقادير العلوم ودرجات الكشف ، أما درجات العلوم فمثلا أن يصير زيد في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمله إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوفى وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والحفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت للشاهدة للأمر الإلهية وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لاحالة فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

(بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية)

اعلم أن القلب بغير رتبه مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تجل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنحنها ما تقتضى بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والثشي الواحد لا يكون خادنا قديما موجودا ومدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبا مفظورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له أعني أنه لا يدري له - سيبا قريبا وإلا فليس معنى عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه وإلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا التسمين قديسي عقلا قال على رض الله عنه :

عظم الله تعالى شأن
الكبر به قوله تعالى - إنه
لا يجب للتكبرين -
وقال تعالى - ليس في
جهنم مشوى للتكبرين -
وقد ورد في قوله الله
تعالى : الكبرياء ردائي
والعظمة إزاري فمن
نازعى واحدا منهما
قصمته وفي رواية فذقته
في نار جهنم . وقال عز
وجل ردا للإنسان في
طغيانه إلى حده :
- ولا تعش في الأرض
مرحا إنك لن تحرق
الأرض ولن تبلغ
الجبال طولاً - وقال
تعالى - فليظن الانسان
م خلق خلق من ماء
دافق - وأبلغ من هذا
قوله تعالى - قتل الانسان
ما أكفره من أي شيء
خلق من نطفة خلقه

رأيت العقل عقلين فطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع كالاتفتح الشمس وضوء العين ممنوع

والأول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم ي «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» (١) والثاني هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لم يرضى الله عنه «إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك» (٢) إذ لا يمكن التقرب بالفرية الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل على رضى الله عنه هو الذى يقدر على التقرب باستعمال العقل فى اقتناس العلوم التى بها ينال التقرب من رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر فى العين وقوة الإبصار لطيفة تفقد فى العمى وتوجد فى البصر وإن كان قد غمض عينه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه فى القلب جار مجرى قوة إدراك البصر فى العين ورؤيته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل فى مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهاى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وضيان نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب يجرى مجرى قرص الشمس وإنما لم يحصل العلم فى قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتبأً بصدق تقبول نفس العلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نفس العلوم فى قلوب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما فى الشرف فان البصيرة الباطنة هى عين النفس التى هى اللطيفة المدركة وهى كالفارس والبدن كالفارس وعمى الفارس أضرب على الفارس من عمى الفرس بل لانسبة لأحد الضريرين إلى الآخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال - ما كذب الفؤاد ما رأى - عمى إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يمرض فى معرض الامتنان ولذلك عمى ضد إدراكه عمى فقال تعالى - فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم العقلى . أما العلوم الدينية فهى المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن العقل غير كاف فى استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يمتدى إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل فلاغنى بالعقل عن السماع ولاغنى بالسماع عن العقل فالداعى إلى محض التقليد مع عزله العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور فلماذا أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين فان العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والشخص المريض يستضرر بالعداء متى فاته الدواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفاد من الشريعة وهى وظائف العبادات والأعمال التى ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه

قد مرسوق قد قال بعضهم
لبعض للتكبرين أو لك
نطفة مذرة وآخرك
جيفة قدرة وأنت فيها
بين ذلك حامل المذرة
وقد نظم الشاعر هذا
للمنى :

كيف يزهو من رجيته
أبد الدهر ضجيته
وإذا ارتحل التواضع
من القلب وسكن
السكبر انتشر أثره فى
بعض الجوارح وترشح
الاناء بما فيه فتارة
يظهر أثره فى العنق
بالتمایل وتارة فى الحد
بالتمصير قال الله تعالى
- ولا تصمخ صدك
للناس - وتارة يظهر
فى الرأس عند استصماء
النفس قال الله تعالى
- لو اتوا ره ووسمهم
ورأيتهم يصدون وهم

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل فى نواذر الأصول باسناد ضعيف
وقد تقدم فى العلم (٢) حديث إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم من
حديث على باسناد ضعيف .

لرئيس بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى المريض بالغذاء ووطن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو وطن صادر عن عجمي في عين البصيرة نفوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به فينسل من الدين انسالال الشعرة من العجين وإنما ذلك لأن مجزئه في نفسه خيل إليه تقضا في الدين وهيات وإعسا مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتمتر فيها بأواني الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لمآلآرد إلى مواضعها فقالوا له تلك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعمالك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عمالك وإنما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كإفصلناه في كتاب العلم وهما علمان متفانيان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال لها ككفى للبران وكالمشرق والمغرب وكالضربتين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهلا في أمور الآخرة والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهلا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعا في الغالب فيكون أحدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة البله (١) » أى الله في أمور الدنيا . وقال الحسن في بعض مواضعه لقد أدر كتنا أقواما لو رأيتهم لم نعلمهم مجانين ولو أدر كوكم قالوا شياطين فهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحدته أهل الكياسة في سائر العلوم فلا يفرنك جحدوم عن قبوله إذ من الهال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب فكذلك مجرى أمر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأننوا بها - الآية وقال تعالى - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقال عز وجل - فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم - فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء للؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فانها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها .

(بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار)

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقى فيه من حيث لا يدري وتارة تسكتب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من المبد يتقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك للثق في القلب والأول يسمى إلهاما ونشا في الروح . والثاني يسمى وحيًا ويختص به الأنبياء والأول يختص به الأولياء والأصفياء والذي قبله الكسب وهو بطريق الاستدلال يختص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله ، البراز من حديث أنس وضعفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدى إنه منكر .

مستكبرون - وكان أن
الكبر له انقسام على
الجوارح والأعضاء
تنشعب منه شعب
فكذلك بعضها كسفت
من البعض كالتيه
والزهو والعزة وغير
ذلك إلا أن العزة تشبه
بالكبر من حيث
الصورة وتختلف من
حيث الحقيقة كاشتباه
التواضع بالضعفة
والتواضع محمود والضعفة
مذمومة والكبر
مذموم والعزة محمود
قال الله تعالى - وثقه
العزة ولرسوله
وللمؤمنين - والعزة
غير الكبر ولا يهل
لمؤمن أن يذل نفسه
فالعزة معرفة الانسان
بحقيقة نفسه وإكرامها
أن لا يضعها لأغراض

العلماء وحققة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإسماعيل بينه وبينها بالأسباب الحمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهى انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه وكذلك قد تهب رياح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء وينكشف أيضا في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستار الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب فان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلم إسماعيل يحصل في قلوبنا بواسطة اللاتكليف إليه الإشارة بقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحى بأذنه ما يشاء - فاذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنعه المصنفون والبحث عن الآوائل والأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقب عبه والتكفل له بتدويره بأنوار العلم وإذ اتولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر المكوت واتسع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلاآت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بانصافية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتح الله تعالى من الرحمة فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفرغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفرغ القلب منها وبقطع الهمة عن الأهل والنساء والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع المهمل ولا يفرق فكره بقرأة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بعد جلوسه في الخلوقة قائلاً بلسانه الله على الدوام مع حضور القاب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكفاة جارية على لسانه ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكفاة مجرداً في قلبه حاضر فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بموافقه صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بهلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتأخرون إن عاد قد يثبت وقد يكون عتظماً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنازل أولياء الله تعالى

حاجة دينية كما أن
الكبر جهل الانسان
بنفسه وإزالتها فوق
مزلتها . قال بعضهم
لحسن ما أعظمك في
تصك قال لست بعظيم
ولكني عزيز ولما
كانت العزة غير
مذمومة وفيها مشاكلة
بالكبر قال الله تعالى
- تستكبرون في
الأرض بغير الحق -
فيه إشارة خفية لإثبات
العزة بالحق فالوقوف
على حد التواضع من
غير انحراف إلى الضعة
وقوف على صراط العزة
للتصوب على متن نار
الكبر ولا يؤيد في
ذلك ولا يثبت عليه
إلا أقدام العلماء
الراسخين والسادة
للقرين ورؤساء
الابدال والصدقيين .

فيه لا يحصر كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار فقط ، وأما النظار وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضائه إلى هذا المقصد على الدور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤوا ثمرته واستبدوا استجماع شروطه وزعموا أن نحو الملائق إلى ذلك الحد كالمتمذر وإن حصل في حال قبائمه أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها (١) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويعرض البدن وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بمقائيق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها فكيف من صوفى ذلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد وعشرين سنة ولو كان قد أتقن العلم من قبل لانتفع له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فلا اشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض ، وزعموا أن ذلك يضاها ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قهيبًا بالوحي والألهام من غير تكرير وتعليق وأنا أيضًا ربما انتهت في الرياضة والواظبة إليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكدور فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولًا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فضاء ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة .

(بيان الفرق بين القامين بمثال محسوس)

قال بعضهم من تكبر قد أخبر عن ندالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه . وقال الترمذي التواضع على ضربين : الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونبيه فإن النفس لطلب الراحة تلهي عن أمره والشهوة التي فيها تهوى في نبيه فإذا وضع نفسه لأمره ونبيه فهو تواضع . والثاني أن يضع نفسه لعظمة الله فإن انتهت نفسه شيئًا مما أطلق له من كل نوع من الأنواع منمها ذلك وجهه ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى . واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور للشاهدة في قلبه فعند ذلك تدوب

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الأفهام عن دركها إلا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين : أحدهما أنه لو فرضنا حوضا محفورًا في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أعزر وأكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلئ علما ويمكن أن تساق هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويصعد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله . فإن قلت فكيف تنفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمع بذكرة في علم العامة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملائكة المقربين ، فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يفض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غليانها ، أحمد وك وصححه من حديث للقناد بن الأسود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الوجودية في اللوح المحفوظ فكأن للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أعني وجود صورته في الخيال وبعث صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي أعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا اللطف من الحكمة الإلهية، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلوم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك فصبحتك من دبر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوباً أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها. ولترجع إلى الغرض المقصود فنقول: القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويعكس صورتها فهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتراب من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض، ومهما أقبل على الخيلات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يعكس صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس، فاذن للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم اللائكة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة وعالم الشهادة والملك أيضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتراب من الحواس فلا يخفى عليك وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينيا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ماسيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتراب من جهة الحواس وإنما يفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى وقال ﷺ «سبق للمفردون قيل ومن هم المفردون يا رسول الله؟ قال المتزهون بذكر الله تعالى وضع الله عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء؟ أريد أن أعطيه ثم قال تعالى أول ما أعطيتهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم^(١)» ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستغنى في علم العاملة فهذا مثال بملك الفرق بين مدخل العالمين.

النفس وفي ذواتها صفاؤها من غش الكبير والمعجب تليين وتطبيع للحق والخلق لحوادثها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لتبيننا عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت «وقدت رسول صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا منى أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ماجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك

(١) حديث سبق المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصر على أول الحديث وقال فيه وما المفردون قال التذاكرون الله كثيرا والتذاكرات ورواه ك بلفظ قال الدين يستهترون بذكر الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم اثمهم ويأتون يوم القيامة خفافا ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامها ضعيف.

المثال الثاني يفرق الفرق بين العاملين : أعنى عمل العلماء وعمل الأولياء فان العلماء يعملون في اكتساب تنص العلوم واجتلابها إلى القلب وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصقلها فقط . وقد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهاوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش وانصوبوا فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ورخى بينهما حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فصبب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ قليل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه حجاب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقل فازداد احسن جانبهم بمزيد التصقل ؛ فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جليلة الحق بنهاية الاشراق كفضل أهل الصين وعناية الحكماء والعلماء بالاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقشها في القلب كفضل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحي وصفائه لا يتسكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يابأ كل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى ، وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمسال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزان المترعة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تفاوتت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته فالعارف أنوار ولا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم قال الله تعالى - يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم - وقد روى في الخبر « إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوراً على إبهام قدميه فيضيه مرة وينظفئه أخرى فإذا أضاء قدم قدميه فمشى وإذا أطفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كاقضاض الكواكب ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه ، والذي أعطى نوراً على إبهام قدميه محبوبوا على وجهه وبديه ورجليه يمر يداً ويلقى أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص (١) » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح ، فهذا أيضاً يضحى قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور السراج كلها لرجح ، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت اشراق الصدر بالعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ، ولذلك جاء في الخبر « أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال ورابع مثقال وشعيرة وذرة (٢) » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه القادير من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بعضهم يعطى نوراً مثل الجبل حتى يكون أصغرهم رجل يعطى نوراً على إبهام قدميه الحديث الطبراني وك من حديث ابن مسعود قال ك صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه ربيع مثقال من إيمان الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله ربيع مثقال

نوراً وأقربك لسان
وها أنا ذا بين يديك
باعظيم يا ظفر القنب
العظيم « وقوله عليه
السلام « سجد لك
سوادى وخيالى »
استقصاء في التواضع
بمحو آثار الوجود حيث
لم يتخلف ذرة منه عن
السجود ظاهره وباطنه
ومتى لم يكن للصوفى
حظ من التواضع
الخاص على بساط
القرب لا يتوفر حظه في
التواضع للخلق وهذه
سعادات إن أقيمت
جاءت بكليتها والتواضع
من أشرف أخلاق
الصوفية . ومن أخلاق
الصوفية : للدارة
واحتمال الأذى من
الخلق وبلغ من مداراة

مفهومه أن من إيمانه يزيد على متقل فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أولا وأن من قلبه متقل ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان للؤمن»^(١) إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى للوثن فإنه خير من ألف قلب من العوام وقد قال تعالى - وأتم الأعلون إن كنتم مؤمنين - تفضيلا للمؤمنين على المسلمين وللراد به للؤمن العارف دون المتقلد . وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - فأراد ههنا بالذين آمنوا القدين صدقوا من غير علم وميزم عن القدين أتوا العلم ويدل ذلك على أن اسم للؤمن يقع على المتقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف . وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أتوا العلم درجات - فقال يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الألباب»^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي»^(٣) وفي رواية «كفضل التمر لينة البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم ، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المحروم من رحمة الله عظيم التبن والحسران والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر النقي الذي يملك عشرة دراهم إلى النقي الذي يملك الأرض من الشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني ولكنه ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التبن على من يخسر حظه من ذلك - وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في كتاب

المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق المتباد)

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات : أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام ، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار»^(٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويوزقه من حيث لا يحتسب - يعلمه علما من غير تعلم ويغفنه من غير تجربة وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا - قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ، ولذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أعطني نورا وزدني نورا واجعل لي في قلبي نورا وفي قبري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا حتى قال في شعري وفي بشرى وفي لحمي ودمي وعظامي»^(٥) و«مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قبلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على صر الحق بل وذاهمائة ناقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى بصير واحد يتقون به . وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ، الطبراني من حديث سلمان بلفظ الإنسان ولأحمد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسنادهما حسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة بله وعليون لدوى الألباب تقدم دون هذه الزيادة ولم أجد لهذه الزيادة أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الزاوية الثانية (٤) حديث من عمل بما علم الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقفه فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا وزدني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى - فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ما هذا الشرح فقال هو التوسعة إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح (١) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس « اللهم قفه في الدين وعلمه التأويل (٢) » وقال على رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي صلى الله عليه وسلم إلينا إلا أن يؤتى الله تعالى عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم (٣) وقيل في تفسير قوله تعالى - يؤتى الحكمة من يشاء - إنه الفهم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - ففهمناها سليمان - خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول للؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويخبره على ألسنتهم ، وقال بعض السلف ظن المؤمن كهانة ، وقال صلى الله عليه وسلم « أخوا فراسة للؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى (٤) » وإليه يشير قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للتوسمين - وقوله تعالى - قدينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلم علان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع (٥) » وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ماهو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكا ولا جبرا وقد قال ﷺ « إن من أمي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم (٦) » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث - يعني الصديقين والمحدث هو اللهم واللهم هو الذي انكشف له من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصها بهم وقال تعالى - هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين - وكان أبو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس ، وهذا هو العلم الرباني وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل اللدني الذي يفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما نشأه رضي الله عنها عند موته : إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته بإسارية الجبل الجبل ، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفة ذلك ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فنظرت إليها شزرا وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينه أما علمت أن زنا العينين

(١) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن شرح الله صدره للإسلام - الحديث وفي الاستدراك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث اللهم قفه في الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل فأخرجه بهذه الزيادة أحمد وحسب وك وصححه وقد تقدم في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤتى الله عبدا فهما في كتابه تقدم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث اتقوا فراسة المؤمن الحديث ت من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة لقد كان فيما قبلكم من الأم محدثون فان بك في أمي أحد فانه عمر رواه م من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين لما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم تركته ولا لشيء تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألبين من كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ضمنت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمدارة مع كل أحد من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق حكاية من أخلاق الصوفية وباحتمال الأذى يظهر جوهر النفس وقد قيل

لكل شيء جوهر
وجوهر الانسان العقل
وجوهر العقل الصبر .
أخبرنا أبو زرعة
ظاهر عن أبيه الحافظ
للقدسي قال أنا أبو محمد
الصريفي قال أنا
أبو القاسم عبيد الله
ابن حنبل قال أنا
أبو القاسم عبد الله بن
محمد بن عبد العزيز قال
حدثنا علي بن الجهم قال
أنا شعبة عن الأعمش
عن يحيى بن وثاب
عن شيخ من أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلت من
هو قال ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال لا يؤمن
الذي يباشر الناس
ويصبر على أذى خير
من الذي لا يخالطهم

النظر لتوبن أول أعزرتك فقلت أوحى بدائي ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وقراسة صادقة . وعن
أبي سعيد الخزاز قال دخلت للمسجد الحرام فرأيت قبرا عليه خرقتان قلت في نفسي هذا وأشابه كل على
الناس فناداني وقال - والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه - فاستغفرت الله في سرى فناداني وقال - وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده - ثم غاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن مسروق على أبي
الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذاعبال ولم يعرف له سبب يميش به قال فلما قلت قلت في نفسي من
أين يأكل هذا الرجل قال فصاح بي يا أبا العباس رده هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى أطا فاحفية . وقال
أحمد النقيب دخلت على الشبل قال مفتونا يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جفري غاطري
أنك غيل قلت ما أنا غيل فناد مني غاطري وقال بل أنت غيل قلت ما فتح اليوم على بشي ؟ لإدافته
إلى أول قعير يلقي قال لما استم الحاطر حتى دخل على صاحب المؤنس الخادم ومعه خمسون دينار
قال اجعلها في مصالحك قال ولت فأخذتها وخرجت وإذا بقعير مكفوف بين يدي مزين يخلق رأسه
فتمتد إليه وناولته الله ناير قال أعطها للزبن قلت إن جعلتها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك
إنك غيل قال فناولتها للزبن قال للزبن قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا تأخذ عليه
أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي
دخلت على أبي الحير التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره فلما خرجت من
عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا فتى كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الحير
التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصدته مسلما عليه فحضرت صلاة للغير فلم يكذب
يقرا الفاعحة مستويا فقلت في نفسي ضاعت سفرتي فلما سلم خرجت إلى الطهارة قصدني سبع فعدت إلى أبي
الحير وقلت قصدني سبع فخرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تعرض لضيفان فتنتهي الأسد فتظهرت فلما
رجعت قال لي اشتغلتم بتقويم الظاهر غفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن غفنا الأسد . وما حكى من
تفرض الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضأرهم يخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة
الحضرة عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر
والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشهد ذلك من نفسه ومن أنكر لأصل أنكر التفصيل . والدليل القاطع الذي
لا يقدر أحد على جحده أمران : أحدهما عجائب الرؤيا الصادقة فانه ينكشف بها القيب وإذا جاز ذلك في النوم
فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالهوسات فكم
من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لا اشتغاله بنفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة
عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف
بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا
الصحيحة لزمه لا محالة أن يقرب إلى القلب بابان باب إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكوت من داخل
القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحى فإذا أقربهما جميعا لم يمكنه أن يحصر العلوم في التلم
ومباشرة الأسباب المألوفة بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلا إليه فهذا ما ينبغي على حقيقة ما ذكرناه من
عيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المهورج
إلى التعبير وكذلك تمثل اللاشكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة فذلك أيضا من أسرار هجاب القلب ولا
يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحاث على المجاهدة وطلب الكشف
منها فقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئا من ذكرى الحقي عن مشاهدتي

من التوحيد وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصدقك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا
تكتبان القرائض قالاً بل قلت فيكفيك ذلك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار
القلب وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شياه فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم
أطرق إلى صدره وقال ما تقول رحمك الله ؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسأله عن التفاته فقال لم يكن
عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال لا أدري فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه
فقال لا أدري فنظرت إلى قلبي وسأته فحدثني بما أجبتهك لاذهاو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه
السلام « إن في أمي محدثين وإن عمر منهم » وفي الأثر: إن الله تعالى يقول أيا عبد اطلمت على قلبه فرأيت
القلب عليه التمسك بذكرى تولى سياسة وكت جلسه وعادته وأنيسه . وقال أبو سليمان الداراني
رحمة الله عليه القلب بمنزلة القبة الضرورية حولها أبواب مغلقة فأى باب فتح له عمل فيه قد ظهر
افتتاح باب من أبواب القلب إلى جهة للكوت وللأطى ويفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع
والامراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد اخطوا ما سمعون
من اللطيعين فاتهم ينجل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا
بما هيا الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت لقلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .
(بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها)

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضرورية لها أبواب تصب إليه الأحوال من كل باب ومثاله أيضاً
مثال هدف تصب إليه سهام من الجوانب أو هو مثال امرأة منصوبة تحتاز عليها أصناف الصور المختلفة
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تصب فيه مياه مختلفة فمن أنهار مفتوحة
إليه وإنما مداخل هذه الأنهار المتجددة في القلب في كل حال أمان الظاهر فالحواس الخمس وأمان
الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل وبسبب قوة الزواج
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال
من شيء إلى شيء وبسبب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر والقصود أن القلب
في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الحواطر وأعنى بالحواطر
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعنى به إدراكه علوماً إما على سبيل التجرد وإما على
سبيل التذكر فاتها تسمى حواطر من حيث إنها تخطر ببدن كان القلب غافلاً عنها والحواطر هي الحركات
للارادات فان النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور النوى بالبال لامحالة فبدأ الأفعال
الحواطر ثم الحاطر يهرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يهرك النية والنية تحرك الأعضاء
والحواطر الحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعنى إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى
الخير أعنى إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود
يسمى إلهاماً والحواطر للذموم أعنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً ثم إنك تعلم أن هذه الحواطر حادثة
ثم إن كل حدث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب السبب على الأسباب فهما استتارت حيطان البيت بنور النار
وأظلم سقفه واسود بالبخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذلك لأنوار القلب وظلمته
سببان مختلفان فسبب الحاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً وسبب الحاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً

ولا يصبر على أذامه
وفي الخبر « أيسر أحدكم
أن يكون ككأبي
ضمضم قيل ماذا كان
يصنع أبو ضمضم قال
كان إذا أصبح قال
اللهم إني تصدقت
اليوم برضى على من
ظلمني فمن ضريرى
لا أضربه ومن شتمنى
لا أشتمه ومن ظلمنى
لا أظلمه » . وأخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
قال أنا أبو القتح
المروى قال حدثنا
الرياقى قال أنا الجراحى
قال أنا الهبونى قاله
أنا أبو عيسى الترمذى
قال ثنا ابن أبي عمر
قال ثنا سفيان عن
محمد بن المنكدر عن
عروة عن عائشة
رضى الله عنها قالت

واللطف الذي ينهياً به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذى به يتربأ لقبول وسوس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فان للعانى المختلفة فتفر إلى أسامى مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير وإفاضة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره فذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الإشارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فان للوجودات كلها مقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فانه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب لثان لمة من الملك إيهاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولة من العدو إيهاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستمد باقه من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء - (١) الآية وقال الحسن إنما هما هتان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عنده فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهدهم ولتجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فانه تعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبغ سرعة القلب والقدرة على التحريك والتخير فانك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقلب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يغفل باستسغار للملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثالا والقلب بأصل القطرة صالح لقبول آثار الملك لقبول آثار الشيطان صلاحمتساو واليس يرجع أحدهما على الآخر وإنما يرجع أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عس الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتمه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومبیطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للتشعبة عن الهوى لاجرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان التدرع بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل للملك وألمم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن يفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا وأكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وتملكتها فامتلات بالسوس الداعية إلى إثارة العاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخيلة القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بش ابن العشرة أو أخو العشرة ثم أذن له فالأن له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء غشه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتق الله حيثما كنت واتبع السنة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن » فاشىء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن السدرة ، والنفس

(١) حديث في القلب لثان لمة من الملك إيهاد بالخير الحديث ت وحسنه ون في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث المؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود

والشهوات وعمارتها بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملايكة . وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء طالجوه وإلا مضوا وتركوه . يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلب الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من أخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص [١] للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرأتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (١) » وفي الخبر « إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهان فاستعينوا بالله منه (٢) » ولا يعجز وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء العدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا اللاتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفترات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الدين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسواس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان واضع خرطوميه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه (٣) » وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجهه من لا يفلح (٤) وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (٥) » وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقعدن لهم صراطك المستقيم

(١) حديث ابن أبي العاص إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي العاص (٢) حديث إن اللوضوء شيطانا يقال له الوهان الحديث م ت من حديث أبي بن كعب وقال غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الموصلي وابن عدي في الكامل وضعفه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بأبي وجهه من لا يفلح لم أجد له أصلا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم تقدم

[١] قوله عمرو بن العاص كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي العاص، وفي العراق ما يشبه لذلك . هـ .

لا تزال تشمخ عن
يكس مرادها
ويستفزها الغيظ
والغضب وبالمدارة قطع
حمة النفس ورد طيشها
وتفورها . وقد ورد
« من كظم غيظا وهو
يستطيع أن ينفذه
دعاه الله يوم القيامة على
رءوس الخلائق حتى
يخسره في أي الحول
شاء » . وروى جابر
رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « ألا أخبركم
على من تحرم النار ؟ على
كل حين لين سهل
قريب » . وروى
أبو مسعود الأنصاري
رضي الله عنه قال أتى
النبي عليه السلام برجل
فكلمه فأرعد فقال
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن شمائلهم - وقال صلى الله عليه وسلم
 « إن الشيطان قد لابن آدم بطرق. فقدم له بطريق الإسلام فقال أنسلم وتترك دينك ودين آباك
 فصاه وأسلم ثم قدم له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماك فصاه وهاجر ثم قدم له
 بطريق الجهاد فقال آتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل تقتل فتسبح نساؤك ويقسم مالك
 فصاه وجاهد (١) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن
 يدخله الجنة » فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر
 للجهاد أنه يقتل وتسبح نساؤه وغير ذلك مما بصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويقترب إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور
 أن ينفك عنه آدمي وإنما يختفون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله
 شيطان (٢) » قد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان
 والتوفيق والحذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن
 كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان ماهو جسم فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل
 مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل لمصادمة الخواطر الباعثة على الشر
 قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهمالة وعلم أن الداعي إلى الشر المندور في المستقبل عدو
 قد عرف العدو لاهمالة ، فينبغي أن يشتغل بجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة
 من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وإنما يدعو
 حزبه ليكونوا من أصحاب السعير - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه
 ومسكنه ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك
 كاف للمؤمن ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته فهو ذاب عنه حقيقة اللامسكة فذلك ميدان العارفين
 المتغافلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم
 إلى ما يسلم قطعا أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في
 كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان
 أن يمرض الشر في معرض الخير والتميز في ذلك فامض وأكثر العباد به يهلكون فإن الشيطان
 لا يقدر على دأهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر
 إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار أما لك رحمة على عباد الله تنفذهم
 من العاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف
 تكفر نعمة الله تعالى وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى انصراف للستيم ؟
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه بصد
 ذلك إلى أن يترين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع
 كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكده فيه شوائب
 الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتمزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتقار فيستدرج

ملك إنما أنا ابن امرأة
 من قريش كانت
 تأكل القديد وعن
 بعضهم في معنى لين
 جانب الصوفية :
 هينون لينون أيسار
 بنوير
 سواس مكرمة أبناء
 أيسار
 لا ينطقون عن الفحشاء
 إن نطقوا
 ولا يمارون إن ماروا
 على كثار
 من تلق منهم تقل
 لاقت سيدم
 مثل النجوم التي يسرى
 بها السارى
 وروى أبو الدرداء عن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال « من أعطى حظه
 من الرفق قد أعطى
 من الخير ومن
 حرم حظه من الرفق

(١) حديث إن الشيطان قد لابن آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

للسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول فهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم (١) ». و« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (٢) » ولذلك روى أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا إله إلا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبيسات وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا يتناهى وبها يهلك المراء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة ، وسند ذكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب المرور في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه [تلبيس إبليس] فانه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لا سيما في المذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها كل ذلك إذعانا لتلبيسات الشيطان ومكاييد خلق على العبد أن يقف عند كل م يخطر له ليعلم أنه من لمة للملك أولمة الشيطان وأن يعمن النظر فيه بعين البصيرة لانهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم كما قال تمال - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - أي رجعوا إلى نور العلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلظه ويتعجل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثاهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات ، وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق واشتغلوا بما لم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيم عداوته وطريق الاحتراز عنه ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا والخلوقة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والسال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا اللوت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قديقوى بحيث لا يتقاده ويدفع عن نفسه شره بالجهد ولكن لا يستغنى قط عن الجهاد والدفاع مادام الدم يجري في بدنه فانه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل للحسن يأيا سعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لونا م لا سترحنا فاذن لا خلاص للمؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعبه في سفره (٣) » وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول ، وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل المصفور قلت ولم ذلك؟ قال تدينني بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أغنى الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة وإنما يتعمرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتمون إليها

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ن من حديث أنس باسناد جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينضى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة.

تقد حرم حظه من
الخير « حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
إسلاء قال ثنا أبو
عبد الرحمن محمد بن
أبي عبد الله الساليني قال
أنا أبو الحسين
عبد الرحمن بن أبي
طلحة الداودي قال أنا
أبو محمد عبد الله
الحموي السرخسي
قال أنا أبو عمران
عيسى بن عمر
السر قنسي قال أنا
عبد الله بن عبد الرحمن
الدارمي قال أنا محمد بن
أحمد بن أبي خلف قال
ثنا عبد الرحمن بن محمد
عن محمد بن إسحق قال
حدثني عبد الله بن أبي
بكر عن رجل من
العرب قال زحمت رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ . والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القاب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق فامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة هنا هي القاب المصنق بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم العزيز المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطرقة كثيرة وغامضة . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - لتلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يندفع به العلماء والعباد السالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان راهب في بني إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية خفتها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعا فحمت منه فوسوس إليه وقال الآن تنفض يا نيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودقها فأبى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودقها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقالت ماتت فأخذوه ليقتلوها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خفتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فأطعنني تنج وأخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك ، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبار وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمرهين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفى الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البهض إلى البعض بحيث لا يجد محيصا فعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (٣) »

(بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلجه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فخاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف ومالا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى وك وقال صحيح الاسناد (٢) حديث كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية خفتها وألقى في قلوب أهلها أن دواها عند الراهب الحديث بطوله في قوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعه مرصلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الاسناد ووصله بطين في مسنده من حديث علي (٣) حديث من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه لفظه .

يوم حين وفي رجل
نعل كشيقة فوطت بها
على رجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
ففجئ نفة بسوط في
يده وقال باسم الله
أوجعتني قال فبت
نفسى لأعما أقول
أوجعت رسول الله قال
فبت بليقة كما يعلم الله
فلما أصبحنا إذا رجل
يقول أين فلان قلت هذا
والله الذي كان منى
بالأمس قال فانطلقت
وأنا متخوف فقال لي
إنك وطئت بملك على
رجلي بالأمس فأوجعتني
ففجئت نفة بالسوط
فهذه ثمانون نعة
خفتها بها . ومن
أخلاق الصوفية الإيتار
والواسة ويحملهم على
ذلك فرط الشفقة

مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برحمة وكنك تكلمنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ فقال موسى نعم فلما صدق موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه أذ الأمانة فقال موسى يا رب عبدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فإني موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أسجد له ميتا ثم قال له يا موسى إن لك عليّ حقا بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لأهلكك فيهن : اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك مجرى الهيم ، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الانسان تغضت في أنفه فما يدري ما يصنع واذا ذكرني حين تلتقي الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك وسوكت إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وأقتنها بك . فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرس فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لأدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى ، قد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك قال الحدة فإن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقبل الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضيت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرس فهما كان العبد حريصا على كل شيء أهماه حرصه وأصمه إذ قال صلى الله عليه وسلم « جبك للشيء يسمى ويصم ^(١) » ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرس لم يصر فحينئذ يدخل الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وفاحشا فقد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخات لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له إبليس : خمس أهلك بين الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأنتين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذبانني هما اللتان لا تخافانني بهما أهلك الناس : الحرس والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فإنه أيسر لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرس . ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا فإن الشبع يقوى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، فقد روى أن إبليس ظهر لرجي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذا للعاليق ؟ قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل فيها من شيء ؟ قال ربما شبعت تغفلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له عليّ أن لا أملا بطني من الطعام أبدا فقال له إبليس والله عليّ أن لا أنصح مسلما أبدا . ويقال في كثرة

(١) حديث جبك للشيء يسمى ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طبعاً وقوة
اليقين شرطاً يؤثر
بالموجود ويصبرون على
الفقود . قال أبو يزيد
البيضاوي ما غلبني شاب من
أحد ما غلبني شاب من
أهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لي يا أبا يزيد
ما حد الزهد عنكم
قلت إذا وجدنا كلنا
وإذا فقدنا صبرنا فقال
هكذا عندنا كلاب
بلغ قلت له وما حد
الزهد عنكم ، قال
إذا فقدنا شكرنا وإذا
وجدنا آثرنا . وقاله
ذو النون من علامة
الزهد المشروح صدره
ثلاث: تفريق المجموع
وترك طلب للفقود
والإيثار بالقوت . روى
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال

الأكل ست خصال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شياطين . والثالث أنه يتقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يهدله رقة . والخامس أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض . ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرح فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين مقوفها وحيطانها وتوسيع أبينتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويغشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه . ومن أبوابه العظيمة الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله الشاء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فإن كان خيرا أخذت وإن كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال الرغبة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أملكك إذا غضبت . ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك الثبوت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى (١) » وقال عز وجل - خلق الانسان من عجل - وقال تعالى - وكان الانسان عجولا - وقال لئيبه صلى الله عليه وسلم - ولا تجعل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه - وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة تحتاج إلى تأمل وتعمل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري ، فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت رءوسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا اللائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنتي قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن اتوا بنى آدم من قبل العجلة والخفة . ومن أبوابه العظيمة الدرهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهورات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى وقد كان قبل وجود المائة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت وليشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطقوا حتى أعيوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبتنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحي ذلك فقال إبليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا

(١) حديث العجلة من الشيطان والتأني من الله ت من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال حسن

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصار « إن شتمت قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شتمت كانت لكم دياركم وأموالكم ولم تقسم لكم شيئا من الغنيمة، فقالت الأنصار بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ، فأزل الله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم - ولو كان بهم خصاصة - وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يا رسول الله إني جائع فأطعمني فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى

فصيب منهم حاجتنا (١). وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فر به إبليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وطى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عنة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسد فلا يزال يدعو إلى النوم وإلى أن يتوسد ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك يال ولا تحرك رغبتة إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الهاد الوثير والقرش الوطيئة والتزهات الطيبة لئن ينشط لعبادة الله تعالى ؟ . ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذى يمنع من الاتقاي والتصدق ويدعو إلى الادخار والكز والعداب الأليم وهو للعود للمكائرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيثمة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يظنني على ثلاث أن أمره أن يأخذ للمال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هي معشش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الأسواق وجماع الطرق قال اجعل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شربا قال كل مسكر قال اجعل لي مؤذنا قال الزمير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء (٢) ومن أبوابه العظيمة التوصل: التصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحغار وذلك مما يهلك العباد والفاسق جميعا فان الطعن في الناس والاستغفال بذكر قصصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعة فاذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رأه أبو بكر لكان أول عدوه إذ موالى أبي بكر من أخذ سيده وسار بسيرته وحفظ ما بين لحيه . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يبيحه فأتى لهذا الفضولى أن يدعى وولاه وجهه ولا يسر بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلى رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسخ ورى الفاسق لابس ثياب الحرير ومتجلا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لانسان هو قررة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه وولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وحمير وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلني إلى الأرض وجعلتني رجيا فاجعل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وسانده ضعيف جدا ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضا .

أزواجه هل عند كني
شبه تسكهن قلن
والذي بعثك بالحق
نبيا ما عندنا إلا الماء
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما عندنا
ما نطعمك هذه الليلة
ثم قال من يضيف
هذا عنده الليلة رحمه
الله فقام رجل من
الأنصار فقال أنا
يا رسول الله فأتى به
منزله فقال لأهله هذا
ضيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأكرمه
ولا تدخرى عنه شيئا
فقال ما عندنا إلا قوت
الصبية فقال قوهي
عليهم عن قوتهم حتى
يتاموا ولا يطعمون
شيئا ثم أسرجي فاذا
أخذ الضيف ليأكل
قوهي كأنك تصاعدين
السراج فأطفيئيه

والمقتمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطونه بقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه قترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى لابل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا أن يجرؤا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر قالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمة رضى الله عنها وهي بضعة منه (١) «اعلمي فأني لأغنى عنك من الله شيئاً (٢)» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء ، وهكذا حكم التمسكين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهديان فما بالك خالته في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي القدي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبي كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتصيب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينهوا عن مكاييد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عابيه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا وإذا الله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن بلغنا أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ «عاصي ققصمو اظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء وتدصدق للمعون فانهم لا يطمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الانسان عن نفسه باختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتأام الشيان ليقمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رقعة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم قاموا يقتلون وليس إياهم يريد ، فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفتلون بينهم ففرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبواب حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يلبسها أحد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصيرها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقوام اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً أشد منهم اتها ما لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول فمن خلق الله فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه (٣) » والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعاشيهم ويتركوا العلم للعلماء فالعالمى لو زنى ويسرق كان خيراً له من أن يشكك في العلم فانه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري

ونعالى نضع السنننا
لنصف رسول الله حتى
يشبع ضيف رسول
الله فقامت إلى الصبية
فصلتهم حتى ناموا عن
قوتهم وليطمنوا شيئاً
ثم قامت فأثردت
وأسرجت فلما أخذ
الضيف لياً كل قامت
كانها تصلح السراج
فأطفأته فجعلها مضمغان
السنننا لضيف رسول
الله وظن الضيف أنها
بأكلان معه حتى شبع
الضيف وبانا طاو بين
فلما أصبحوا غدوا
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نظر
إليهما تبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم
قال لقد عجب الله من
فلان وفلانة هذه الليلة
وأنزل الله تعالى -
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بضعة مني متفق عليه من حديث السور بن محرمة (٢) حديث إنى لأغنى عنك من الله شيئاً قاله لفاطمة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحمد والبرار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا أعصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشرط غيره بالظن بئس الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتمم فقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا مواضع التهم ^(١) » حتى احتزوه ^(٢) من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت حي بن أخطب أخبرته « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد قالت فأنته فتحدثت عنده فلما سميت انصرفت فقام يمشى معي لم يره رجلا من الأنصار فلما تم انصرفا فناداهما وقال إنها صفية بنت حي فقالا يا رسول الله ما نظن بك إلا خيرا فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما ^(٣) » فانظر كيف أشفق ^(٤) على دينهما فخرسهما وكيف أشفق على أمته فطعمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثل لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فان أروع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كلية ولكن عين السخط تدي السابوا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فان الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر فلهما رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو فان المؤمن يطلب العاذير والمتأفق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان أو هل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدهذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما سيأتي شرحه ، نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لاساطان له على القلب فلا يدفع ساطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون - خصص بذلك المتقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك خبز أو لحم فانه ينزجر بأن تقول له احسأ فمجرد الصوت يدفعه فان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الحالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان في سويدها القلب وأما قلوب اللتين الحاليتين من الهوى والصفات المذمومة فانه بطرقها الشيطان لالشهوات بل لحلوهما بالنفلة عن الذكر فاذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستمد بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٢) حديث صفية بنت حي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فأنته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة - وقال أنس رضى الله عنه أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جاره فتداوله بسبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك . وروى أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الري وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكفروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رقدوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم إشارا منه على نفسه . وحكى عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لي

الواردة في الذكر . قال أبو هريرة النبي شيطان للؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهن من سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر مار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل منى الله فأظل جامئا وإذا شرب منى الله فأظل عطشانا وإذا لبس منى الله فأظل عريانا وإذا ادهن منى الله فأظل شعنا فقال لكني مع رجل لا يضل شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرا به ولباحه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بيونا يرانا هو وقيله من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وواعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال فتمثل له إبليس يوما في طريق للسجد فقال له يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس فقال وما تريد قال أريد أن لا تعلم أحدا هذه الاستماعة ولا أن تعرض لك قال والله لا أمنها ممن أرادها فاصنع ماشئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ يده شمعة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن قتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفقت شعلته وخر على وجهه (١) وقال الحسن « نبت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بئني بالحلق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على يدي ولولا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح طريحا في السجد (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير الذي سلكه عمر (٤) » وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فلهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الله كرك كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطعم أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمدة مشغولة بظليظ الأطعمة ويطعم أن ينغمه كما تنع الذي شربه بعد الاحتماء وتخليقة للعدة والذكر الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الحالية عن الأطعمة قال الله تعالى - إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده شمعة من نار الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك في اللوطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارمة عن عياض الشامي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن حبيش وقيل له كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن نبت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتا من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسلا (٣) حديث أناني شيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلا هكذا وللبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتا من الجن تغفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث ون في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال حتى وجدت برد لسانه على يدي الحديث وإسناده ضعيف (٤) حديث ما سلك عمر فجا إلا سلك الشيطان فجا غير فجه متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ يا ابن الخطاب مالك الشيطان سالكا فجا .

ومعنى شئ من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أتاه قتلت أسفك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمي انطلق به إليه فجت إليه فاذا هو هشام بن العاص قتلت أسفك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فجت إليه فاذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمي فاذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسين البوشنجي عن الفتوة فقال الفتوة عندي ما وصف الله تعالى به الأنصار في قوله - والذين تبوءوا الدار والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاها فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان (١) ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراق قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى إنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت فالصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدواء قبل الاحتمال ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتباء بالتقوى ثم أردفه بدواء الله كريف الشيطان منك كما فر من عمر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أرى أنت مطيع له . وقال بعضهم يا عجباً لمن يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بظلمته ، وكما أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقده شروط الذكروالدعاء ، قيل لابراهيم ابن آدم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - قال لأن قلوبكم ميتة قيل وما الذي أماتها ؟ قال عثمان خصال : عرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحمدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطأتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم واقترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتمل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الأخبار : أنهم جنود مجنونة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف السيات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان . وأما الأخبار فقد قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثبر والأعور ومبسوط وداسم وزنبور ، فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه وأما مبسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم باليب عنده ويفضه عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فبسيه لا يزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب (٢) وشيطان الوضوء يسمى الوطمان (٣) وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة ، وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل المؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه

(١) الحديث الوارد بأن الذكر يطرد الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خنزب م من حديث عثمان بن أبي العاص وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوطمان تقدم وهو عندت من حديث أبي .

عطاء يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يعني جوعاً وفقراً . قال أبو جحض الإيثار هو أن يقدم حظوظ الأخوان على حظوظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى لنفسه ملكاً لا يصح منها الإيثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الإيثار من يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

مالم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة الصل في اليوم الصائف وما لو بدالكم لرأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغراه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لا تختطفته الشياطين (١) « وقال أبو بوب بن يونس بن يزيد : بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تمنى عليه لأقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيدة سيئة وبالحسنة عشرةا إلى ما أريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح مادام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا العبد الذي كرمته على إن لا تمنى عليه لأقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) « وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليحيى بن زكريا عليهما السلام وقال إنني أريد أن أنصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا فقبل على أحدهم حتى تقتته وتمسكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نياس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم تقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا تقدر منهم على شيء . فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به فان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين . فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتها ولا تدرك حقيقة صورتها بالمشاهدة إلا بأتوار النبوة لما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالقيع وظهر له بحراء فسد الأفق من الشرق إلى المغرب ورآه مرة أخرى على صورته ليلة للمراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وطب في المعجم الكبير بإسناد ضعيف (٢) حديث أبي الدرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وحب في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان وضعه وكذلك نحوه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الحنفي وقال صحيح الإسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيطان من حديث عائشة وسئلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيطان من حديث عائشة وسئلت فأبى قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى نفسه ويده فيه يد أمانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الاشارة أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها عمل أو ذكر ومن هذا المعنى ما نقل أن بعضهم رأى أخاه فلم يظهر البشر الكثير في وجهه فأنكر أخوه ذلك منه فقال يا أخى سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما بشرا » فأردت أن أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي^(١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنه اشتغال الحواس بالدنيا عن للكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا رجل شبه البلور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكب الأيسر بين منكب وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة فقد رآه بعض الكاشفين في صورة كلب جائم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق آثره على وجهه القوي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر وقد بينا أن القلب له وجهان وجه إلى عالم النيب وهو مدخل الألهام والوحي وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الحيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصا جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التليس . أما الصورة التي تحصل في الحيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة ومواقفة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ومواقفة لها فلا جرم لا يرى المعنى التبيح إلا بصورة تبيح فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير وهذه أسرار محيية وهي من أسرار عجائب القلب ولا يليق ذكرها بعم العامة وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم .

(بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب ومهما وخواطرها

وقصودها وما يعنى عنه ولا يؤخذ به)

اعلم أن هذا أمر فاض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على مياسرة العلماء بالشرع فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به »^(٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدي بسيتة فلا تكتبوها فان عملها فان كتبوها سيئة وإذا هم بحسنة لم يعملها فان كتبوها حسنة فان عملها فان كتبوها عشرا »^(٣) وقد خرجه البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي عما حدثت به نفوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا هم عبدي بسيتة

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم بإجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : من سجد الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا وملكه مباحًا وقال رويم التصوف مبق على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق باليذل

دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسبئية وفي لفظ آخر « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف ومن هم بسبئية فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت » وفي لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها » وكل ذلك يدل على العفو فأما ما يدل على الواخذة فقول سبعمائة - إن تبدوا ما لي أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله فيضفر لمن يشاء ويمدب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تحف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا - فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعنى عنه وقوله تعالى - ولا تكتبوا الشهادة ومن يكتبها فانه آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤخذكم الله بالفقو في إيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فقول : أول ما يرد على القلب الخاطر كالخطر له مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لراها . والثاني هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فان الطبع إذا مال لم تنبث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسيه ما بالقلب ونية وقصدا وهذا المهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أضنى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا المهم وصار إرادة مجزومة فاذا انجزت الإرادة فرجما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بمرض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه وربما يموقه عائق فيتعذر عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجراحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فقول : أما الخاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الليل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما الرادان بقوله **عَنْ أَبِي بَكْرٍ** « عني عن أمي ما حدثت به نفوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة . قال مهلا إن من سنق النكاح . قال نفسي تحدثني أن أجب نفسي . قال مهلا خصاء أمي دؤب الصيام . قال نفسي تحدثني أن أرتب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني أن أترك اللحم . قال مهلا فاني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعنيه (١) »

فلا تكتبوها عليه الحديث قال للصفحة أخرجه م غ في الصحيحين قلت هو كما قال واللفظ لمسلم فهذا والله أعلم قدمه في الله كمر (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة قال مهلا إن من سنق النكاح الحديث ت الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسل نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذبه أحمد بن حنبل ومحي بن معين وللهارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنني لم أومر بالرهبانية الحديث وفيه من رغب عن سنق فليس مني وهو عند م بلفظ رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أخذن له لاخصينا والبقوى والطبراني في معجمي الصحابة باسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إنني رجل تشق على هذه العزوبة في الغازي فأذن لي يا رسول الله في الخصاء فأخصني قال لا

والإشارة وترك التمرض والاختيار . قيل الماسى بالصوفية وعيز الجنيذ بالهقهه وقبض على الشحام والرقام والنورى وبسط النطق لضرب رقابهم تقدم النورى قيل له إلى ماذا تبادل ؟ فقال أوثر إخواني بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته منطلق فقال صوفي وله باب مفاق انكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ما وجدوا في البيت أن يساع فأتقنوه إلى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقصدوا في البهار فدخل صاحب القنزل ولم يقل شيئا وقد دخلت امرأته وعليها

فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم وهمّ بالفعل . وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه فالاختيارى منه يؤخذ به والاضطرارى لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو المهمّ بالفعل فانه . يؤخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر فان كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والمهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فبده في غفلة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكاتبه حسنة لأنه رجع جده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وإن تموق الفعل بمائق أو تركه بمنذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة فان همه فعل من القلب اختيارى . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت اللائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان هو عملها فاكاتبوها له بمثلها وإن تركها فاكاتبوها له حسنة إنما تركها من جرائى (١) » وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها لله فأمّا إذا عزم على فاحشة فعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكاتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحشر الناس على نياتهم (٢) » ونحن نعلم أن من عزم ليلا على أن يصيح ليقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصراً ويحشر على نيته وقد همّ بسيئة ولم يعملها . والدليل القاطع في ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا التقى المسلمان سيفيهما ذائقان والقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل لما بال للقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) » وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والمهم بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤخذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأمّا فوت المراد بمائق فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمراد بمائق به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مجفرة ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وخاء أمق الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله ائذن لي في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفة السمحة والتكبير على كل شرف الحديث و . بسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سنتي ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد العلى وهو ضعيف ولأبي داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمق الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت اللائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر الحديث قال الصنف إنه في الصحيح وهو كما قال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحشر الناس على نياتهم . من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يحشر الناس على نياتهم وإسنادهما حسن وم من حديث عائشة يعثهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يعثون على نياتهم (٣) حديث إذا التقى المسلمان سيفيهما ذائقان والقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا
فرمت بالكساء وقالت
هذا أيضاً من بية اللئاع
فبيعوه فقال الزوج لها
لم تكلف هذا باختيارك
قالت استكثت مثل
الشيخ ياسطنا وبحكم
علينا ويبقى لنا شيء
ندخره عنه . وقيل
مرض قيس بن سعد
فاستبطن إخوانه في
عيادته فسأل عنهم
فقالوا إنهم يستحيون
بمالك عليهم من الدين
فقال أخزى الله ما لا يمنع
الاخوان عن الزيارة ثم
أمر منادياً ينادى من
كان لقيس عليه مال
فهو منه في حل
فكسرت عتبة داره
بالعش لكثرة عواده .
وقيل آتى رجل صديقاً
له ودق عليه الباب
فلما خرج قال لماذا

ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله - « جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطبق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يجب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا (١) » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله - لا يكلف الله قسراً إلا وسعها - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف النطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأنعام الثلاثة فلا بد وأن يخلط وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من السكر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الحيات من أعمال القلب بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤخذ به فإن أبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا وأشار إلى القلب (٢) » وقال الله تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم « الإثم حواز القلوب (٣) » وقال « البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤) » حتى إذا قول إذا حكم القلب الملقى باعجاب شيء وكان عطفاً فيه صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلى فإن صلى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفضله فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها عصي بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

(بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلفة عند الذكر أم لا)

اعلم أن العلماء للراقيين للقلوب الناظرين في صفاتها ومخاطباتها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : قالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فإذا ذكر الله خنس (٥) » والخنس هو السكوت فكأنه يكت . وقالت فرقة لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثير بالوسوسة كالمشغول به فانه قد يكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد على ضعف . وقالت فرقة ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهي كالكرة التي عليها تقط متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع وكما أن الانسان قد يرى بينه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا ما لا نطبق الحديث م من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى القلب م من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره (٣) حديث الإثم حواز القلوب تقدم في العلم (٤) حديث البر ما اطمأن إليه القلب وإن أتوك وأتوك الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة وفيه وإن أخذك الناس وأتوك وقد تقدم (٥) حديث وإذا ذكر الله خنس ابن أبي الدنيا وابن عدى من حديث أنس في أثناء حديث إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم الحديث وقد تقدم قريباً .

جنتي قال لأربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه ودخل الدار باسكياً فقالت امرأته هلا تملكت حين شق عليك الاجابة فقال إنما أبكى لأنني لم أخفق حاله حتى أحتاج أن يمانحني . وأخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ القدسي قال أنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان قال ثنا أبو عبد الله الجرجاني قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحدث أباذي قال ثنا أبو البختري قال ثنا أبو أسامة قال ثنا زيد بن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الأشعرين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لشئين فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه (١) » وإلى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التليس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان ترك التتم بالذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فصد هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعدته ووجد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويمدحه كما تبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يسحب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والعرفه . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقينا أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن تهيج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهيج وإن كان مظلونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون وسوسة بمجرد الحواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا أقبل على الذكر تصور أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور أن يتساقطا جميعا حتى يكون الفهم مشتتلا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الحواطر كأنهما في موضعين من القلب بعيد جدا أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه (٢) » فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستتر فإنما قد تروى المستوعب القلب بعدو تآذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في مجادلة محبوه بقلبه ويفوض في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوه ولو كله غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الحرص على مال وجهه فكيف لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزير لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذه الأقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طويلا بيد جدوا ومحال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يصير بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يصير بهما أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلقظ الآخرة مكان دينه وفيه الحديثين بن أحمد بن محمد الهروي السهاخي الحافظ كذبه ك والآفة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا تقدم في الصلاة .

في القزو وقل طعام
عياهم جمعوا ما كان
عندهم في ثوب واحد
اقتسموا في إناء واحد
بالسوية فهم مني وأنا
منهم . وحدث جابر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم « أنه إذا أراد
أن يغزو قال : يا معشر
المهاجرين والأنصار
إن من إخوانكم قوما
ليس لهم مال ولا عدة
فليضم أحدكم إليه
الرجل والرجلين
والثلاثة فما لأحدكم من
ظهر جملة إلا عقبه
كعقبه أحدكم » قال
فضممت إلى اثنين
أو ثلاثة مالي إلا عقبه
كعقبه أحدكم من جملة .
وروى أنس قال لما قدم
عبد الرحمن بن عوف
المدينة أخى النبي عليه
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف من وساوس الشيطان بالحواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم صدروى « أنه نظر إلى علم توبه في الصلاة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال شغلني عن الصلاة وقال اذهبوا به إلى أبي جهنم واتوني بأنجانيته (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على النبر ثم رمى به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) » وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لفة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبس ثم رمى به فلا تقطع وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالرمي والفارقة فإدام عليك شيئا وراء حاجته ولو دينار أو احدا لا يدعه الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيهاذا يفتقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوساوس فمن أنشب محالته في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن اتعمس في العسل ووطن أن الثباب لا يقع عليه فهو محال فالله يا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل للعاصي فان امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبي أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فان أبي خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعند ذلك تشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

(بيان سرعة تقلب القلب واتسام القلوب في الخير والسيئات)

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتصيب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعفه فتغير صفته فان نزل به الشيطان فدعاء إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذب به شيطان إلى شر جذب به شيطان آخر إلى غيره وإن جذب به ملك إلى خير جذب به آخر إلى غيره فتارة يكون متازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهيلا وإليه الاشارة بقوله تعالى - وتقلب أفئدتهم وأبصارهم - ولا اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول « لا ومقلب القلوب (٣) » وكان كثيرا ما يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيه أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة (٥) » وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في توبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه على النبر فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم ن من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب خ من حديث ابن عمر (٤) حديث يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه وك من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرط مسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى . ك وصححه على شرط مسلم من حديث النواس بن سمعان ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه ون في الكبرى باسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصفور يتقلب في كل ساعة ك في المستدرک وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح . قلت رواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقاسمك ما لي نصفين ولي امرأتان فأطلق إحداها فإذا انقضت عدتها فزوجها فقال له عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفي على الايثار لإطهاره نفسه وشرف غريزته وما جعله الله تعالى صوفيا إلا بسند أن سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخي يوشك أن يصير صوفيا لأن السخاء صفة الغريزة وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - حكم بالفلاح لمن يوق الشح وحكم بالفلاح

«مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا (١)» وقال «مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة قلبها الرياح ظهرا لبطن (٢)» وهذه التعليلات وهما صنعا لله تعالى في قلبها من حيث لا يهتدى إليه للعرفة لا يعرفها إلا الراقبون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خباثات الأخلاق تنفدح فيه خواطر الخير من خزائن التيب ومداخل لللكوت فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له نور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فعله فيستحنه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهيئا فعند ذلك عده بمجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهي إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سندررها من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكير والمخاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمئن الراد بقوله تعالى - ألا بدرك الله تطمئن القلوب - وبقوله عز وجل - يا أيها النفس الطمئة - . القلب الثاني : القلب الخذول المشحون بالمهوى اللدنس بالأخلاق الذمومة والخبائث الفتوح فيه أبواب الشياطين السوداء عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشرك فيه أن يتقدح فيه خاطر من المهوى ويهيج فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألقى خدمة المهوى وأنس به واستمر على انبساط الخيل له وعلى مساعدة المهوى فتستولى النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالمهوى وتتوسط فيه ظلماته لا نجاس جند العقل عن مداخله فيقوى سلطان الشيطان لا تساع مكا به سبب انتشار المهوى فيقبل عليه بالترزين والغرور والأمانى ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخون نور اليقين لحوف الآخرة إذ يتصاعد عن المهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أعضائها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عسى عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق المهوى فظهرت العصبية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى - أرايت من أخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وبقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وبقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشهوات كالتي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالقدر إذا استجمعت غليانا أحمد وك وقال صحيح على شرط مع من حديث المقداد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن وللبراز نحوه من حديث أنس بإسناد ضعيف .

لمن أتحق وبذل فقال
سومارز قنم ينفقون
أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم
الفلحون - والفلاح
أجمع اسم لسعادة
الدارين والنبي عليه
السلام به بقوله ثلاث
مهلكات ، وثلاث
منجيات فجعل إحدى
المهلكات شحا مطاعا
ولم يقل مجرد الشح
بكون مهلكا بل يكون
مهلكا إذا كان مطاعا
فأما كونه موجودا في
النفس غير مطاع فانه
لا ينكر ذلك لأنه من
لوازم النفس مستمدا
من أصل جبلتها التراب
وفي التراب قبض
وإمساك وليس ذلك
بالمعجب من الآدمي
وهو جبل فيه وإنما
المعجب وجود السخاء

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مسالك قلبه أو كادى لا يملك نفسه فبإيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة لتثبت عند ظهور أسبابه أو كادى لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقق وذكرا عيب من عيوبه أو كادى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهاك عليه تهالك الواله للستهتر فينسى فيه للرؤية والتقوى فكل ذلك لتساعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظم وتطفى منه أنواره فينطفى نور الحياء والرؤية والإيمان ويسمى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث قلب تبدو فيه خواطر الهوى قد دعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بجهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والسبع في تهجمها على الشر وقله أكثراتها بالعواقب فتحيل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حمة على العقل فتقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هوائك فتؤذى نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أترك لهم ملاذ الدنيا يتمنون بها وتعجز على تسك حتى تبقى محروما غنيا متعوبا يضحك عليك أهل الزمان أقر يد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتريت ولم يمتنوا أماري العالم القلاني ليس يمتز من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه تخيل النفس إلى الشيطان وتقلب إليه فيحمل الملك حمة على الشيطان ويقول هل هلك إلا من اتبع لغة الحال ونسى العاقبة أفتنقع بلغة يسيرة وترك لغة الجنة ونعيمها أبدأ الأباد أم تستقل ألم الصبر عن شهواتك ولا تستقل ألم النار أفتتريضة الناس عن أنفسهم واتباعهم هوامهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أ رأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أ كنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فمذ ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاوزا بين الحزبين إلى أن يظلب على القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب الله تعالى وأوليائه ومساعدوا لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات لللكية لم يصنع القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعنى القلب والاتقال من حزب إلى حزب أما الثبات على الهوام مع حزب اللاتسكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجنائين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن النيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن اللسكوت وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء لمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن الله رحيم فلا تبال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا - يمدهم ويمنيهم وما يمدم الشيطان لإغروا - يمدم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل وما يجرى مجراها فيوسع قلبه لقبول الضرور وبسيفه عن قبول الحق وكل ذلك بقضاء من الله وقدر فمن ردا الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يشده يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فخذلكم فما الذي يصركم من بده - فهو الهادي

في التريزة وهو نفوس الصوفية الداعي لهم إلى البذل والايثار والسخاء ثم وأكل من الجود ففي مقابلة الجود بالبخل وفي مقابلة السخاء والشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة التريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الثرائز والله تعالى منزه عن التريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتي به الانسان منتظما إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من

والفضل فضل ما يشاء ويحكم ما يريد لا أراد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال - إن الأبرر لني نعيم وإن الفجار لني جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي »^(١) فقال الله الملك الحق لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا ينفع بالظواهر ولا يجترى بالقتل عن الباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيها ذكرناه كفاية له وممتع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق . تم كتاب هجائب القلب وفيه الحمد والمنة ، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

(وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي صرف الأمور بتديره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على خواص عبادته تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره . والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وعمرة مجاهدة للتقين ورياضة للتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدائمة والمخازي الفاضحة والردائل الواضحة والحجائب البعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأئمة كأن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الحبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد . وأبين منه للرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فإمها الجنة هو المراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاها - وإمها ما هو المراد بقوله - وقد خاب من دساها - ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الاسناد .

﴿ كتاب رياضة النفس ﴾

التناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الأعواض دنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والابثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى - إنما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - أنه نفي في الآية الإطعام لطلب الأعواض حيث قال لا يزيد بعد قوله لوجه الله فما كان له لا يشمر بطلب العوض بل التفرقة لطهارتها تتجذب إلى مراد الخلق

لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربيع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمييد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثلاً له ليقرب من الأنهم دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم يان حقيقة حسن الخلق ثم يان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ثم يان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم يان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ثم يان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم يان الطرق التي بها يعرف الانسان عيوب نفسه ثم يان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لاغير ثم يان علامات حسن الخلق ثم يان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ثم يان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى لثيبه وحبيبه مثنيا عليه ومظهورا نعمته لديه - وإنك لملى خلق عظيم - وقالت عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاقه القرآن (١) » وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - ثم قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٣) وقال عليه السلام « أثقل ما يوضع في اللبزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق (٤) » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال « يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تعضب (٥) » وقيل « يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق (٦) » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال « اتق الله حيث كنت قال زدنى قال أتبع السببة الحسنة تمحها قال زدنى قال خالق الناس بخلق حسن (٧) » وسئل عليه السلام « أى الأعمال أفضل قال خلق حسن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار (٨) » وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهى سببة الخلق تؤذى جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هى من أهل النار » وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول ما يوضع في اللبزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان

(١) حديث عائشة كان خاقه القرآن تقدم وهو عندم (٢) حديث تأويل قوله تعالى - خذ العفو - الآية هو أن تصل من قطعك الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن عبادة وأنس بأسانيد حسان (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد وك والبيهقي من حديث أبي هريرة وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث أثقل ما يوضع في اللبزان خلق حسن دت وصححه من حديث أبي الدرداء (٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الدين قال حسن الخلق الحديث محمد بن نصر المروزي في كتاب تنظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسل (٦) حديث ما الشؤم قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولأبي داود من حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاهما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصنى قال اتق الله حيثما كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فتطعمه النار تقدم في آداب الصحبة .

[١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرج العرائق ولم ينبه عليه وقد تقدم في باب الصحبة فلي تأمل .

لاعرض وذلك أكمل
السخاء من أظهر
التراثر. روت أسماء بنت
أبي بكر قالت : قلت
يا رسول الله ليس لى من
شوء إلا ما أدخل على
الزبير فأعطى، قال نعم
لأنوكى فيوكى عليك .
ومن أخلاق الصوفية
التجاوز والعفو ومقابلة
السببة بالحسنة . قال
سفيان الاحسان أن
تحسن إلى من أساء
إليك فان الاحسان
إلى الحسن متاجرة
تكتنف السوق خذ
شيئا وهات شيئا وقال
الحسن الاحسان أن
تم ولا تخلص كالشمس
والريح والنبث .
وروى أنس قال
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« رأيت قصورا مشرفة

قل اللهم قوئي قنواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قل اللهم قوئي قنواه بالبخل وسوء الخلق (١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق إلا فزينا دينكم بهما (٢) » وقال عليه السلام « حسن الخلق خلق الله الأعظم (٣) » وقيل « يارسول الله أي المؤمنين أفضل إيماننا قال أحسنهم خلقا (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (٦) » وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلتك (٧) » وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (٨) » وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « اللهم حسنت خاقي فحسن خلقي (٩) » وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق (١٠) » وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله (١١) » وعن أسامة بن شريك قال « شهدت الأعرابي يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ماخير ما أعطى العبد قال : خلق حسن (١٢) »

(١) حديث أبي الدرداء أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وت من حديث أبي الدرداء ما من شيء في الميزان أنقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الدارقطنى في كتاب الاستجداء والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى باسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبرانى في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف (٤) حديث قيل يارسول الله أي المؤمنين أفضلهم إيماننا قال أحسنهم خلقا دت ن ك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح بلفظ أكل المؤمنين وللطبرانى من حديث أبي أمامة أفضلكم إيماننا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ببسط الوجه وحسن الخلق البزار وأبو يعلى والطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقى في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفهما ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك الخرائطى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولى في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الخرائطى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى الخرائطى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرائطى في مكارم الأخلاق باسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة كرم للرد دينه ومروءته عقله وحسن خلقه حب وك وصححه على شرطم والبيهقى . قلت فيه مسلم بن خالد الزنجى وقد تكلم فيه قال البيهقى وروى من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقفا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعرابي يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخير ما أعطى العبد قال خلق حسن .

على الجنة قلت
يا جبريل لمن هذه
قال للكافرين النقيض
والعاقبين عن الناس
روى أبو هريرة رضى
الله عنه « أن أبا بكر
رضى الله عنه كان
مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مجلس
فجاء رجل فوقع في
أبي بكر وهو ساكت
والنبي عليه السلام
يتبسم ثم رد أبو بكر
عليه بعض الذى قال
فغضب النبي وقام
فألقاه أبو بكر فقال
يارسول الله شتمنى
وأنت تبسم ثم رددت
عليه بعض ما قال
فغضبت وقتت فقال
إنك حيث كنت
ساكتا كان معك
ملك يرد عليه فلما
تكلمت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (١) » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكف به الضيفه أو خلق بهيش به بين الناس (٢) » وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٣) » وقال أنس بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال « إن حسن الخلق لذيذ الحظيطة كما تذيب الشمس الجليد (٤) » وقال عليه السلام « من سعادة المرء حسن الخلق (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « العجيب حسن الخلق (٦) » وقال عليه السلام لأبي ذر « يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ولا حسب كحسن الخلق (٧) » وعن أنس قال « قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته (٩) » وفي رواية « درجة الظلمان في المواجر » وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبته وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى (١٠) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة (١١) » وروى « أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكترنه عالية أصواتهن على صوته

فلم أكن لأقعد في مقعد فيه الشيطان يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة ينتفى بها وجهه الله إلا زاده الله بها كثرة . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن طي قال أنا السرخي قال أنا التريفي قال أنا الجراحي قال أنا الهبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن أبي الطفيل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طمس طمس من حديث أبي هريرة إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا وللطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعد بشيء من عمله الحديث الحرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث اللهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث طي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق لذيذ الحظيطة كما يذيب الشمس الجليد الحرايطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه طب وطس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للمرء حسن الخلق الحرايطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف (٦) حديث العجيب حسن الخلق الحرايطي في مكارم الأخلاق من حديث طي باسناد ضعيف (٧) حديث يا أبا ذر لا عقل كالتيدير ولا حسب كحسن الخلق ه ح من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة يا رسول الله أ رأيت للمرأة يكون لها زوجان البزار والطبراني في الكبير والحرايطي في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف (٩) حديث إن للسلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيها ابن لهيعة (١٠) حديث عبد الرحمن بن سمرة إنى رأيت البارحة عجبا الحديث الحرايطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (١١) حديث إن العبد ليلج بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طب والحرايطي في مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب مكارم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصهبانيين من حديث أنس باسناد جيد

فلما استأذن عمر رضی اللہ عنہ تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یضحک فقال عمر رضی اللہ عنہم تضحک بأبی أنت وأمی یارسول اللہ فقال عجبت لمؤلاہ اللانی کن عندی لما سمعت صوتک تبادرن الحجاب فقال عمر أنت کنت أحق أن یهینک یارسول اللہ ثم أقبل علیہن عمر فقال یاعدوات أنفسهن آهیننی ولا تہین رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قلن نعم أنت أغاظ وأفظ من رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فقال صلی اللہ علیہ وسلم إیہا یا ابن الخطاب والذی نفسی یدی مالیک الشیطان قط سالکاً لئلا یغفلک لئلا یغفلک (۱) وقال صلی اللہ علیہ وسلم «سوء الخلق ذنب لا یغفر وسوء الظن خطیئة تفرح» (۲) وقال علیہ السلام «إن البدیلیغ من سوء خلقه أسفل درک جهنم» (۳) الآثار : قال ابن لقمان الحکیم لأیہ یا أبت أی الحصال من الانسان خیر قال الدین قال فإذا كانت اثنتین قال الدین والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدین والمال والخیاء قال فإذا كانت أربعاً قال الدین والمال والخیاء وحسن الخلق والسخاء قال فإذا كانت ستاً قال یابن إذا اجتمعت فیہ الخمس خصال فهو نھی تھی لله ولی ومن الشیطان بری وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالک : إن العبد لیبلغ بحسن خلقه أعلى درجة فی الجنة وهو غیر عابد ویبلغ بسوء خلقه أسفل درک فی جهنم وهو عابد ، وقال یحیی بن معاذ فی سعة الأخلاق کنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السیء الخلق کمثل الفخارة المکسورة لا ترفع ولا تماد طینا ، وقال الفضیل : لأن یصحبی فأجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصحبی عابد سیء الخلق . وصحب ابن المبارک رجلاً سیء الخلق فی سفر فکان یحتمل منه ویداریه فلما فارقه بکی فقیل له فی ذلك فقال بکیتہ رحمة له فارقتہ وخلقه معه لم یفارقه . وقال الجنید : أربیع ترفع العبد إلی أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو کمال الإیمان ، وقال السکاتی التصوف خلق لمن زاد علیک فی الخلق زاد علیک فی التصوف . وقال عمر رضی اللہ عنہ خالطوا الناس بالأخلاق وزایلوم بالأعمال ، وقال یحیی بن معاذ سوء الخلق سیئة لا تنفع معها کثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها کثرة السيئات ، وسئل ابن عباس ما الکرم فقال هو ما ین الله فی کتابه العزیز - إن أکرمتکم عند الله أنتم أکرمتکم - قیل فما الحسب قال أحسنکم خلقاً أفضلکم حساباً ، وقال لكل بنیان أساس وأساس الاسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ینل أحد کماله إلا للصطفى صلی اللہ علیہ وسلم فأقرب الخلق إلی الله عز وجل السالکون آثاره بحسن الخلق .

(بیان حقیقۃ حسن الخلق وسوء الخلق)

اعلم أن الناس قد تکلموا فی حقیقۃ حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقیقته وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم یتوجهوا بجمع ثمراته بل ذکر کل واحد من ثمراته ما خطر له وما کان حاضراً فی ذهنه ولم یصرفوا النیة إلی ذکر حده وحقیقته المحیطة بجمع ثمراته علی التفصیل والاستیعاب وذلك کقول

(۱) حدیث إن عمر استأذن علی رسول الله صلی الله علیه وسلم وعنده نساء من قریش یکلمنه ویستکثرنه الحدیث متفق علیہ (۲) حدیث سوء الخلق ذنب لا یغفر الحدیث طس من حدیث عائشة ما من شیء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا یتوب من ذنب إلا عاد فی شر منه واسناده ضعیف (۳) حدیث إن العبد لیبلغ من سوء خلقه أسفل من درک جهنم الطبرانی والحرایطی فی مکارم الأخلاق وأبو الشیخ فی طبقات الأصحابین من حدیث أنس باسناد جید وهو بعض الحدیث القدی قبله بحدیثین .

حدیثه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « لاتکونوا إمة تقولون إن أحسن الناس أحسننا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسکم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا » وقال بعض الصحابة « یارسول الله الرجل أمر به فلا یقرین ولا یضیف فیمری أفأجزیه قال لا قره » وقال الفضیل القشوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم « لیس الواصل الکافی ولكن الواصل الذی إذا قطعت رحمه وصلها » وروی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم « من مکارم الأخلاق

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الدى وكف الأذى . وقال الواسطى هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وقال شاه الكرماني : هو كف الأذى واحتمال للؤمن . وقال بعضهم هو أن يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطى مرة هو إرضاء الخلق في السراء والضراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحتمال وترك الكفاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الخلق في الرزق وشق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يصيبه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بمد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخزاز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو مرض ثمرات حسن الخلق لانفسه ثم ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من تعل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره باضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فبه طي أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي للصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل اللال على النذور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل اللال أو السكوت عند الغضب بمجد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيح . والثاني القدرة عليهما . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل قرب شخص خلقه السخاء ولا يئذله إما لقد للال أو لما منع وربما يكون خلقه البخل وهو يئذل إما لبعث أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامسك والاعطاء بل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالقطرة قادر على الاعطاء والامسك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهو الهيئة التي بها تستمد النفس لأن يصدر منها الامسك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والقدم والحد بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا امتوت الأركان الأربعة واعتدلت وتاسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم حسننا وصلاحتها في أن تصير بحيث يسهل بها درك القرى بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقيح في الأفعال فاذا

أن تفوه من ظلك
وتصل من قطعك
وتعطى من حرمك
ومن أخلاق الصوفية
البشر وطلاقة الوجه.
الصوفي بكاؤه في خلوته
وجسده وطلاقة وجهه
مع الناس فالبشر طي
وجهه من آثار أنوار
قلبه وقد تنازل باطن
الصوفي منازل الهبة
ومواهب قدسية
يرتوي منها القلب
ويتملى فرحا وسورا
- قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا -
والسرور إذا تمكن من
القلب فاض على الوجه
آثاره قال الله تعالى
سوجه يومئذ مسفرة
أى مضيئة مشرقة
ممتبشرة سأمى فرحة
قيل أشرفت من طول
ما اغبرت في حيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وأما قوة الغضب فمنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعنى إشارة العقل والشرع . وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع فالعقل مثاله مثال الناصح الشير وقوة العدل هي القدرة ومثالها مثال النفذ المعنى لإشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج إلى أن يؤديه حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الحاصل واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة العنصرية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعدة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا وإن مالت إلى الضعف والتهتان تسمى جينا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمى جمودا والمهم وهو الوسط وهو الفسيلة والظرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور . وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجريزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ، ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية ، ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانتباض على حسب مقتضاها ، ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ونعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجليلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وتقابة الرأي وإصابة الظن والتفتن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجريزة والسكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والعمارة والحق والجنون ، وأعنى بالعمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقديكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأحق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض . وأما الجنون فانه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسدا . وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد ومثالها وهي أخلاق عمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبخ والاستشاطعة والتكبر والعجب . وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصرغ النفس والانتباض عن تناول الحق الواجب . وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والساعة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع ، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والمتكبر والمجانة والعبث والملك والحسد والشهامة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذات المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى - تعرف في وجوههم نضرة النعيم - أي نضارته وبريقه قال أنضر النبات إذا أزهر ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلي وإذا شرقت الشمس على المرأة الصقولة استنارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ، ومن امتك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد قرب من الشيطان اللعين البصيفي بنى أن يعد كما أن الأول قريب من الملك القرب فينبئني أن يقتدى به ويتقرب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا ليتم مكارم الأخلاق كما قال (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أو صف المؤمنين فقال تعالى - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء التي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال فقد وصف الله تعالى الصحابه فقال - أشداء على الكفار رحماء بينهم - إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

(بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استعمل المجاهدة والرياضة والاشتغال بركة النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لتصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصور لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجرى هذا الجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والغضب ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع النفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده . فنقول لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال رسول الله ﷺ «حسنوا أخلاقكم» (٢) وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البيعة ممكن إذ ينقل البازي من الاستبحاش إلى الأيس والكلب من شره الأكل إلى التأدب والامسك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلاسة والالتياذ وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن قول الموجودات منقسمة إلى ما لا يدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالنماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد بأن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربية فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرها بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم تقدر عليه أصلاً ولو أردنا سلاستها وقودها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاحنا ووصولنا إلى الله تعالى . نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان : أحدهما قوة الفريزة في أصل الجبلية وامتداده مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الانسان ولكن أصعباً أمراً وأعصاها

(١) حديث بثت لأنتم مكارم الأخلاق تقدم في آداب الصحبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ باماذ حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات

الجدران قال الله تعالى
- سبحانه في وجوههم
من آراء السجود وإذا
تأثر الوجه بسجود
الظلال وهي القوالب
في قول الله تعالى
- وظلالهم بالسجود
والأصالة - كيف لا يتأثر
بشهود الجمال . أخبرنا
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا
الكرخي قال أنا
الترياق قال أنا الجراحي
قال أنا المحبوبي قال أنا
أبو عيسى الترمذي قال
ثنا قتيبة قال ثنا
للسكندر بن محمد بن
السكندر عن أبيه عن
جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل معروف
صدقة وإن من المعروف
أن تلقى أخاك بوجه
طلق وأن تفرغ من

على التبشير قوة الشهوة فانها أقدم وجودا إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلقه الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قدينا كد بكرة العمل بعقضاء والطاعة له وبعقدا كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والتبسيح بل يبق كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تستم شهوته أيضا باتباع الذات فهذا سريع القبول للملاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يجعله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف قبح التبسيح ولكنه لم تعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتطامه اتيادا لشهواته وإعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد ضعفت لوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسخ في نفسه أو لامن كثرة الاعتقاد للفساد والآخر أن يفرس في نفسه صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجلمة محل قابل للرياضة إن اتهمز لها بمجد وتضمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة للمستحسنة وأنما حق وجميل وتربى عليها فهذا يكاد تنتع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأهى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب للراتب وفي مثله قيل ومن العناية رياضة المحرم ومن التعذيب تهذيب الديق والأول من هؤلاء جاهل قط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشربى ، وأما الخيال الآخر الذى استدلوا به وهو قولهم إن الآدمى مادام حيا فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيئات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجلمة فلا تنقطع شهوة الطعام لملاك الانسان ولو انقطعت شهوة الواقع لا تنقطع التمدل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقى أصل الشهوة فيبقى لاحتالة حب المال الذى يوصله إلى الشهوة حتى عمله ذلك على إمساك المال وليس المطلوب إبطاء ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذى هو وسط بين الإفراط والتفريط والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يغلو عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وصفهم بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أعضب كما يغضب البشر »^(١) . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق »^(٢) وقال تعالى - والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس - ولم يتل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منهما العقل ولا يبلبه بل يكون العقل هو الضابط لها والغالب عليهما

(١) حديث إنما أنا بشر أعضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الغضب لا يخرج عن الحق من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحررة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدرى وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله وللمسلم ما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

دلوك في إثناء أخيك»
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يسجن من القراء كل سهل طلق مضحاك . فأما من تلقاه بالبشر ويلقاه بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله ومن أخلاق الصوفية السهولة ولين الجانب والتزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية عما كى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عليه الصلاة والسلام «أما إنى أمرح ولا أقول إلا حقا» روى «أن رجلا يقال له زاهر

يمكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولى الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها على الانبساط إلى الفواحش وبالرياسة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجربة وللشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد أنشأ الله تعالى عليه فقال - والتدين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشراهة والجوراد قال الله تعالى - وكلاهما واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب للسرفين - وقال في الغضب - أشداه على الكفار رحما بينهم - وقال ﷺ « خير الأمور أوسطها (١) » وهذا له سر وعقيق وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضا من عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملتفتا إلى المال ولا يكون حريصا على إنفاقه ولا على إمساكه فان الحريص على الاتفاق مصروف القلب إلى الاتفاق كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعا وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما فكأنه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعمفة بين الشراهة والجوراد وكذلك سائر الأخلاق فكلما طرفي الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن ، نعم يجب على الشيخ المرشد للريد أن يقبح عنده الغضب رأسا ويذم إمساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لأنه لو رخص له في أدنى شيء أخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغبه وظن أن القدر المرخص فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالم فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوره بحيث يعود إلى الاعتدال فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للريد فإنه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وأن إمساكه بحق .

(بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة)

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما بجوراد إلى وكال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقنا معتدلين منقادين للعقل والشرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم وبجي بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والقطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق للهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجوراد فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجوراد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويوالب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جورادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يوالب على أفعال التواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعيا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق الحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها أن يصير الفعل الصادر منه قديدا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يذله دون الذي يذله عن كراهة والتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ (١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلا .

ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتي إلى رسول الله إلا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشتري الصدق قال إذن تجدني كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام . وأخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ القدسي عن أبيه قال

الأخلاق الدينية في النفس مالم تعود النفس جميع العادات الحسنة ومالم تترك جميع الأفعال السيئة ومالم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجميلة وينعم بها ويكره الأفعال التبيحة ويتألم بها كما قال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة^(١) » ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستتقال فهو نقصان ولا ينال كمال السعادة به ، نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى - وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين - وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير^(٢) » ثم لا يكتفى في نيل السعادة للعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه العصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكل ولذلك « لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله تعالى^(٣) » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب ونمائها كد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من اللذات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزونا بغير ان الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحاً بمستلذاته ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرعة العين ومصير العبادات للذيذة فان العادة تقتضي في النفس محجائباً غريباً من ذلك فان انا قد نرى للوكة والنعيمين في أحزان دائمة ونرى القامر للفلس قد يخلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستغل معه فرح الناس بغير قمار مع أن القمار بما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في حر الشمس قائماً رجليه وهو يحس بألم الفرحه بالطيور وروحركتها وطيرانها وتحليتها في جوار السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياطوطى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غمراً لنفسه ويقطع الواحد منهم إرباً بإرباطي أن يقر بما تظاها أو تعاطاه غيره فيصير على الانكار ولا يبالي بالمقوبات فرحاً بما يتقدمه كالأوشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرعة عينه وسبب افتخاره بل لاحالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبهه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه ومخاطبة النساء فترى الخنث في فرح بحاله وافتخار بكاله في تخنثه يتباهى به مع الخنثين حتى يجرى بين الحجامين والسكناسين التفاخر والباهة كما يجرى بين اللوكة والعملاء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومجاهدة ذلك في المخالطين والعارف فاذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهاى الليل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير طيب (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول العمر في عبادة الله رواه القضاعى في مسند الشهاب وأبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ولترمذى من حديث أنى بكره وصححه أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله.

أنا الطهر بن محمد
القيه قال أنا أبو
الحسن قال أنا أبو عمرو
ابن حكيم قال أنا
أبو أمية قال حدثنا
عبيد بن اسحق الطار
قال ثنا سنان بن
هرون عن حميد عن
أنس قال « جاء رجل
إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله احملنى
على حمل فقال أحملك
على ابن الناقة قال أقول
لك احملنى على حمل
وتقول أحملك على
ابن الناقة فقال عليه
السلام فالجمل ابن
الناقة » وروى صيب
فقال « أتينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وبين يديه تمر يأكل
فقال أصب من هذا
الطعام فجلت آكل

فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن أعزاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تسكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعها انتهاء وهذا من محجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعنى النفس والبدن فإن كل صفة تظهر في القلب يغيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وقعها بالحالة وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة قسيمة حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بمجراحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجراحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قفيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقهاء حتى تتعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير قفيه النفس وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حلماً متواضعاً فيزومه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قفه النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليله ولا ينالها بتكرار ليله فكذلك طالب تزكية النفس وتكليفها وتحليلها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها به صيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء الوؤيد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفتورها فضيلة الفقه وكذلك صنائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليله لا يحس تأثيره في قفه النفس بل يظهر قفه النفس شيئاً فشيئاً على التدرج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الأحاد فلكل واحد منها تأثير فإيمان طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله ثواب لعمالة فإن الثواب بازاء الأثر وكذلك العصية وكما من قفيه يستهين بتعطيل يوم وليلته وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صنائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتصدد عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال على رضي الله عنه : إن الإيمان ليدوفي القلب نكته يضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك اليأس فإذا استكمل العبد الإيمان أبيض القلب كله وإن النفاق ليدوفي القلب نكته سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق أسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتبار الأفعال الجميلة وتارة بعاشدة أرباب الأفعال الجميلة

من التمر فقال أنا أكمل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « روى أنس » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا أبا الأذنين . . وسئلت عائشة رضي الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحكا » وروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقته ثم سبقها فقال بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك » وأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح وهو روى قال أنا أبو نصر

ومصاحبهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع وانفق له قرناء السوء فقل منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل وبين الرتبين من اختلفت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .. وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

(بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق)

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس والليل عن الاعتدال سقم وممرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والليل عن الاعتدال ممرض فيه فلتنخذ البدن مثلا . فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجاب الفضائل والأخلاق الجلية إليها مثال البدن في علاجه بمحو العال عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب على أصل الزواج الاعتدال وإنما تترى العدة الفضة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أى بالاعتقاد والتعليم تنكسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالأغذية فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتنضية بالعلم وكما أن البدن إن كان صحيحا فشأن الطبيب تمهد القانون الحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسمى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسمى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة الغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بصددها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بصددها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمراة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لمعالج الأبدان للمريضة فكذلك لا بد من احتمال مراة المجهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعباد بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبدأبأباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لعله سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائص التي تعالج بها الأخلاق لا بد لها من معيار وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى إن الطبيب لا يعالج مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها وهي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة الريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ للتبوع الذي يطيب نفوس للريدين ويعالج قلوب المترشدين يبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على الريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم بل يبغي أن ينظر في مرض للريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما عتمه بينه من الرياضة ويبنى على ذلك رياضته فإن كان للريد مبتدئا جاهلا بمحدود الشرع فعلمه أولا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمصية فيأمره أولا بتركها

الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحي قال أنا أبو العباس الحسيني قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذي قال ثنا عبد الله بن الوضاح الكوفي قال ثنا عبد الله بن إدريس عن شعبة عن أبي التياح عن أنس رضي الله عنه قال « إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخطبنا حتى إنه كان يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما همل النغير والنغير عصفور صغير . وروى أن عمر سابق زيرا رضي الله عنهما فسبقه الزبير فقال : سبقتك ورب الكعبة ثم صاحبه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر : سبقتك

فإذا زين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه فزير بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبه عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للسكدية والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذل السؤال فيكافئه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه فلن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكفس الواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون للرفقات النظيفة والسجادات الملونة لافرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان للريد لا يسخو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضعها دفعة فينبغي أن ينقله من الحلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي ي غسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزال الدم كما يرغب الصبي في السكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذا من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه أزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيئ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لاتسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الحبز وليلة على الحبز دون الماء ويمنع اللحم والأدم رأسا حتى تذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإرادة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه أزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق وبلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه كما حكى عن بعضهم أنه كان يهود نفسه الحلم ويؤذي عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتبه على ملامن الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به للثلث وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يمالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقه على الناس رعونة الجود والرياء بالذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق السلكي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهووا النفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى - وأما من حاف مقام ربه وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - والأصل اللهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم وإداعزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه تعض عزم

ورب الكعبة وروى
عبد الله بن عباس
قال قال لى عمر تعال
أنا فسك فى الماء أينا
أطول نفسا ونحن
محمون . وروى
بكر بن عبد الله قال
كان أصحاب رسول
الله صلى الله عايه
وسلم يتنازحون حتى
يتبادحون بالطبخ
فاذا كانت الحقائق
كانوا هم الرجال يقال
بدح يدح إذا رمى
أى يترامون بالطبخ
وأخبرنا أبو زرعة
عن أبيه قال أنا الحسن
ابن أحمد الكرخى
قال ثنا أبو طالب
محمد بن محمد بن
إبراهيم قال ثنا
أبو بكر محمد بن محمد
ابن عبد الله قال حدثنى
إسحاق الحربي قال ثنا

فينبغى أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكيفية .

(بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة)

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفضل خاص به وإنما مرضه أن يتعذر عليه فله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب لمرض اليد أن يتعذر عليها البطش ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فله الخاص به الذي خاق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستمانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصة النفس التي لا آدمى ما يتميز بها عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإبصار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومعتزها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للمعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترسوا حتى يأتي الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله قلبه مريض كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فذلك يفضل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة للشهوات وهو نزع الروح فان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيياً حاذقاً يعالجه فان الأطباء والعلماء وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للريض قلما يلتفت إلى علاجه فلماذا صار الداء عضالاً والمرض مزمناً واندرس هذا العلم وأنكر بالكيفية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها طادات ومرات فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فهو للهلك للبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه يذل المال وإنفاقه ولكنه قد يذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء بل للطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك للطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجب الخلق المهذور فان كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالتألب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألد عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم أن التألب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق ألد عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتفسير الأفعال وتفسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجع عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد آتى الله سلباً عن هذا التمام خاصة ويجب أن يكون سلباً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد
ابن خالد قال أنا محمد بن
عمرو بن علقمة قال ثنا
أبو الحسن بن عيصن
الليثي عن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب
ابن أبي بلتعة قال إن
عائشة رضی الله عنها
قالت وأثبت النبي صلى
الله عليه وسلم بحريرة
طبختها له وقلت لسودة
والنبي صلى الله عليه
وسلم بيني وبينها كفى
فأبقت قتلها لها كفى
فأبقت قتلها لتأكل
أو لألطنخ بها وجهك
فأبقت فوضعت يدي
في الحريرة فلطخت بها
وجهها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم
فوضع غفده وقال
لسودة الطنخى وجهها
فلطخت بها وجهي
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترعّل النفس عن الدنيا منقطعة الملائق منها غير ملتفتة إليها ولا متشوقة إلى أسبابها فقد ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس للطمئة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله القربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية التموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ، ومن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة ولما ينفك العبد عن ميل عن الصراط للمستقيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال إليه ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الدين اتقوا - أي الدين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط للمستقيم - إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة فقد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيئتني هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام لقوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على سواء السبيل في غاية التموض ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فإتق كل عبد صفاته وأخلاقه وليعدها وليشتغل بهلاج واحد واحد فيها على الترتيب . فساله الله الكريم أن يجعلنا من المتقين .

(بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه)

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فاذا عرف العيوب أمسكته العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق : الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له مالذي بلغك عنى مما تكرهه فاستعفى فأخ عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالتهار وحلة بالليل قال وهل بلغك غير هذا ؟ قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناقنين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمة لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز قتل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقاتك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس قميلا له لم لا تغلظ الناس ؟ فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عنى عيوبي فكانت شهوة دوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بقبنيه غيرم

عليه وسلم فمر عمر رضي الله عنه على الباب فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما قالت عائشة رضي الله عنها فما زلت أهاب عمر لهية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه ووصف بعضهم ابن طائوس فقال كان مع الصبي صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا . وروى معاوية بن عبد الكريم قال كنا نذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من ينصنا ويمرنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الإيمان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب ومداعة فلو نبهنا منه على أن نعت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة رفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبادهها وقتلها وإنما نكائبنا على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكايه الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بمد للوت أبدا أو آلافا من السنين ثم إنا لا نفرح بمن ينهنا عليها ولا نشغلنا بازالتها بل نشغلنا بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنبأ الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصيرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداوتها ويوقننا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي للسوايا ، ولعل انتفاع الانسان بمداوت مشاخن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويغفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحمد ولكن البصير لا يغلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخالط الناس فكل مارآه مذموما فبما بين الخالق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فان للؤمن مرآة للؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه وبطهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب . قيل لميسى عليه السلام من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقنا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهديب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك قد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الهلاك الذي هو بسدده .

(بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات)

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان مجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد فان للإيمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بمد الإيمان وهو وراه قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى سونى النفس عن الهوى فان الجنة هي السأوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى - قيل نزع منها عجة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخسه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه ^(١) » فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس شدائد : مؤمن يحسده ومنافق يخسه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من عنده ونحن نكاد نسكى فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يتمدونه من للداعية في الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله فاذا خلوا ووقفوا موقف الرجال واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف في هذا للنبي على حد الاعتدال إلا صوفي قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف في ذلك على صراط الاعتدال بين الإفراط والتفريط

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود حذروا نذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب للتلقاة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غائب لم يره وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فيلعبن بك بعضا إلا أن ينظر الله تعالى ويستتر» (٣) وقال سفيان الثوري ما عالج شيئا أشد على من نفس مرة لى ومرة على وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى التنازع أبناء للوك تشتمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجهدين كأنى بك بين الجنة والنار تحبين يا نفس الاستحسان وقال الحسن مالداه الجوح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسياف الرياضة والريضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والتمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شىء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآنام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غم التهجذ وقلة المنام وضربتها بأيدى الحمول وقلة الكلام حتى تقطع عن الظلم والانتقام فأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنبو من عوائل آفاتنا نصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية تجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات كالفرس الفاره فى الليدان وكالملك التنزه فى البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه ويطانته ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغفلا زمامه فى يدها تجره حيث شاءت تخمن قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمت السماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس فى قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتأى للذل . وروى أن امرأة العزيز قالت ليوסף عليه السلام بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على راية الطريق فى يوم موكبته وكان يركب فى زهاء اثنى عشر ألفا من عظماء مملكته سبعان من جعل للملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيرا للملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وإن الصبر والتقوى صيرا للعبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرقت ليلة فقممت إلى وردى فلم أجدا الحلاوة التى كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل ملتف فى عبادة مطروح على الطريق فلما أحس بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة قفلت ياسيدى من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمضى بصير داء النفس دواءها قفلت إذا خالفت النفس

ولا يصلح الاكثار من ذلك للرديدن للتبدئين لقله عليهم ومعرتسهم بالنفس وتعدبهم حد الاعتدال فللنفس فى هذه اللواتن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتنجح إلى العناد فالنزول إلى طباع الناس يحسن بين صد عنهم وترقى لملو حاله ومقامه فينزل إليهم وإلى طباعهم حين ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزح من طباعهم - وتوسهم الجامحة الأمارة بالسوء إذا دخلت فى هذه للداخل أخذت النفس حظها واغتتمت ما ربا واستروح إلى الرخصة والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب

(١) حديث مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البيهقى فى الزهد وقد تقدم فى شرح مجانب القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه فى أثناء حديث وضحوه وه من حديث فضالة بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها فى معصية الله الحديث لم أجده هذا السياق .

هواها فأقبل على نفسه فقال اسمي قد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسميه إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم انصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشي إليكم عن الماء البارد في الدنيا لعلى لأحرمة في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أنكم قال إذا اشتيت الصمت قال متى أصمت قال إذا اشتيت الكلام . وقال علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنك إلا من كرامتك على ، فأذن قد انفق العناء والحكاه على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالإيمان بهذا واجب . وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر لا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والنكاح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألغى فاذا مات عن الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتنهي الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة مجال ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولًا بمعرفة الله وجهه والتفكير فيه والاعتطاع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله ويقتمر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر قط لمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا ينتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات للعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين . والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اشتغل بهما جميعًا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت للعاذ وربما يقول القائل إن التمتع بالمباح مباح فكيف يكون التمتع سبب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة وللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسبب ذلك في كتاب ذم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل للكلام فرأيت رمانا فاشتيتته فأخذت منه واحدة فشقتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركها فرأيت رمانا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف تعرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحميك من شهوة الرمان فإن نذغ الرمان يحد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزناير يحد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت . وقال السري أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما أطعمتها فأذن لا يمكن إصلاح القلب لسلك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التمتع بالمباح فان النفس إذا لم تمنع بعض الباحات طمعت في المخطورات فمن أراد حفظ لسانه عن النية والفضول لحفته أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات المباحات

الزمنة غالب أوقاته
وليس ذلك شأن
البتدي فالعروفية
الملاء فيما ذكرته
تروح يطون حاجة
القلب إلى ذلك والشيء
إذا وضع الحاجة يتقدر
بقدر الحاجة ومعيار
مقدار الحاجة في ذلك
علم فامض لا يسلم لكل
أحد قال سعيد بن
العامر لابنه اقتصد في
مزاحك فالافراط فيه
يذهب بالبهاء ويجري
عليك السفهاء وتركه
يفيظ للؤانس
ويوحش الخاطلين فالله
بعضهم للزاح مسلبة
للبناء مقطعة للاخاء
وكما يصعب معرفة
الاعتدال في ذلك يصعب
معرفة الاعتدال في
الضحك والضحك من
خصائص الانسان

وراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحوف والحزن وذكر اللوت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلوا إنما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك فم لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قاسية ثمرة صيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الله كرفلوا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر فقطموها عن ملاذها وهودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلوا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب نخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلص من أسر الشهوات ورقتها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفعلا بها ما يفعل بالبلازي إذ قصد تأديبه وتقله من التوب والاستيحاش إلى الاقباد والتأديب فانه يحبس أولا في بيت مظلم وتخط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جواهر الهواء وينسى ما قد كان ألقه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألقه إلقا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن اللذات ثم عودت التناء والذكر والثناء ثانيا في الخلوة حتى يضب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يتقل على المرید في البداية ثم يتعم به في النهاية كالصبي يظلم عن الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكآؤه وجزعه عند الفطام ويشد ظهوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما فيوما وعظم تعب في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم يصير له طيبا فلو رد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيبهر الثدي ويصاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السرج الذي ألقته بالاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتع فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والدواب وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزيها بالموت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فاذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أياما قلائل فان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتمال الشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليقيم به سنة أو دهرها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة عند الصباح يمهد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات السكري كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا فالتى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية، أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبى أن يترك أولا ما به فرحه فانه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له فواليك في الآخرة لم ينقص بالمتع فكره ذلك وتألم به فهو بمن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب الفرح

ويعبره عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سابقه تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه في العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يعبت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرهونة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يفض الضحاك من غير محب للشاء في غير أرب وذكرك فرق بين المداعبة وللزاح فقيل المداعبة ما لا يضرب جده والمزاح ما يضرب جسده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة في الصلاة

فليغزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والمكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فإن لكل وسوسة سيديا ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ويلتزم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا بالموت .

(بيان علامات حسن الخلق)

اعلم أن كل إنسان جاهل بعبوب نفسه فاذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمناقين في كتابه وهي بحملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق. قال الله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون - وقال عز وجل - الثابتون العابدون الحامدون - إلى قوله - وبشر المؤمنين - وقال عز وجل - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - إلى قوله - أولئك هم المؤمنون حقا - وقال تعالى - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - إلى آخر السورة، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جمعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما تقدمه وحفظ ما وجدته وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال « المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١) » وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره (٣) » وقال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (٤) » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم المؤمن ظموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة (٦) » وقال « من سرتهم حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن (٧) » وقال « لا يعمل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه (٨) » وقال عليه السلام « لا يعمل لمسلم أن يروع مسلما (٩) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يعمل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه (١٠) » وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون

(١) حديث للمؤمن يجب لأخيه ما يحب لنفسه الشيخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٢) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي شريح الخزازي ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو بعض الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو بعض الذي قبله (٥) حديث أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ثمم غير مرة (٦) حديث إذا رأيتم المؤمن ظموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة من حديث أبي خلاد بلفظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فأقربوا منه فإنه يلقي الحكمة (٧) حديث من سرتهم حسنته وساءت سيئته فهو مؤمن أحمد والطبراني وك وصحه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبرك وصحه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يعمل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة ومرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يعمل لمسلم أن يروع مسلما طبرك من حديث النعمان بن بشير والبراز من حديث ابن عمر وإسناده صحيح (١٠) حديث إنما يتجالس التجالسان بأمانة الله

من الذنب وحكم
ببطلان الوضوء بها
وقال يقوم الأثم مقام
خروج الخارج
فلا اعتدال في المزاج
والضحك لا يتأتى إلا
إذا خلص وخرج من
مضيق الخوف والقبض
والهيسة فانه يقوم
بكل مضيق من هذه
المضايق بعض التقويم
فيعدل الحال فيسه
ويستقيم فالبسطة
والرجاء ينشئان المزاج
والضحك والخوف
والقبض يحكمان فيه
بالعدل . ومن أخلاق
الصوفية ترك التكلف
وذلك أن التكلف
تصنع وتعمل وتمايل
على النفس لأجل الناس
وذلك يبين حال
الصوفية وفي بعضه خفي
منازعة للأقدار وعدم

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول برا وصولا وقورا صبورا شكورا راضيا حلما رفيقا عفيفا شافيا قال الامان والامان لا يبا ولا يناما ولا يمنا با ولا يحجولا ولا حقودا ولا يخيل ولا حسودا بشاشا هاشاشا يحب في الله وينفض في الله ويرضى في الله ويضرب في الله فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة (١) » وقال حاتم الأصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والأمل وللؤمن آيس من كل أحد إلا من الله والمنافق راج كل أحد إلا الله والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويحكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الخلوة والوحدة والمنافق يحب الخلطة والملا والمؤمن يزرع ويغنى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء ومن شك من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه فان حسن الخلق احتمال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يوما يمسي ومعه أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال أنس رضيت الله عنه حتى نظرت إلى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه فقال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) » ولما كثرت قريش إيذاه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (٣) » قيل إن هذا يوم أحد فذلك أنزل الله تعالى فيه - وإنك لعلى خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال أنت عبد قال نعم فقال له أين العمران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت العمران فقال هو المقبرة ففاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزّل الجندي عن فرسه وقبل بديه ورجليه وجعل يتندر إليه قبيل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد فقال إنه لم يسألني عبد من أنت بل قال أنت عبد قلت نعم لأنني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أنني أوجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيه مني الشر . ودعى أبو عثمان الخيري إلى دعوة وكان الداعي قد أراد تجرته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا فقال له يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال ارجع على ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما أحسن خلقك فقال إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا جرت جرت . وروى عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سكة فطرحت عليه إجانة رماد فزّل عن دابته فوجد سجدة الشكر ثم جعل ينفذ الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقبل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجزله

الحديث تقدم في آداب الصحبة (١) حديث سئل عن علامة للمؤمن والمنافق فقال إن المؤمن همه في الصلاة والصيام الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث كان يمسي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حب واليهيقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بما قسم الجبار
ويقال التصوف ترك
التكلف ويقال
التكلف تخلف وهو
تخلف عن شأؤ
الصادقين . روى أنس
ابن مالك قال شهدت
وليمة لرسول الله ما فيها
خبز ولا لحم وروى عن
جابر أنه أتاه ناس من
أصحابه فاتاهم بخبز
وخل وقال كلوا فإني
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
« نعم الآدم الحل »
وعن سفيان بن سلمة
قال دخلت على سلمان
الفارسي فأخرج إلى
خبزا وماعا وقال كل
لولا أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهانا
أن يتكلف أحد لأحد
تلكت لسم والتكلف
مذموم في جميع

أن يضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد إذ كانت أمه سوداء وكان يسيبها برحمته على باب داره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فتقدم رجل رستاق إلى باب الحمام ففتحه ودخل فترزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي ابن موسى الرضا فخاف وهرب وخلصها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي له أن يهرب إنما التنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الحياطة كان يجلس على دكانه وكان له حريف مجوسى يستعمله في الحياطة فكان إذا خاط له شيئا حمل إليه دراهم زائفة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى المجوسى فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردده عليه فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بش ما عملت هذا المجوسى يمامنى بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدراهم منه وألقيا في البئر ثلاثين بهامسا . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس العذرة واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصفير والكبير ولطف الكلام لمن دونه ولين فوكة . وسئل سهل عن حسن الخلق فقال : أدناه احتمال الأذى وترك المسكافة والرحمة للظالم والانتعاف له والشفقة عليه ، وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوق علي ابن له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى . وقيل إن أوسا القرنى كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان ية ولهم بإخوتاه إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقى فتمنوني عن الصلاة ، وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقي في نفسك شيء قتلته كي لا يسمك بهض سفاه الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا غلاما فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتى قال أمنت عقوبتك فتكلمت فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله يامرأتى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة ، وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء فقيل له لم تمسكه فقال لأنتم الحلم عليه فهذه نفوس قد ذلت بالرياضة فاعتدت أخلاقها وتقيت من العشى والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يفتن بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها إلا القريبون والصديقون .

(بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نقيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يعال به

الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف في الكلام وزيادة التماق الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك إلا آحاد وأفراد وكم من متعلق لا يعرف أنه متعلق ولا يظن له فقد يتعلق الشخص إلى حد يخرج به إلى صريح النفاق وهو مبين لحال الصوفى . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس الهبسوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا أحمد بن منيع قال ثنا يزيد بن هرون عن

إليه دن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله عز وجل - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائمه بأن يؤدبه ويهذبه ويصله بحاسن الأخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعود التعم ولا يجب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضائمه وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي انجست طينته من الحث فيحيل طبعه إلى ما يناسب الحباثت ومهما رأى فيه محابيل التميز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياء فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأعمال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا ومخالفا لبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه أو تميزه وأول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحرق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد اللضع وأن لا يوالى بين اللقم ولا يبلطخ يده ولا ثوبه وأن يعود الحبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتما ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويعدح عنده الصبي للتأدب القليل الأكل وأن يحب إليه الايثار بالطعام وقلة اللبالة به والقناعة بالطعام الحسن أي طعام كان وأن يحب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمحشئين وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من إبرسم أو ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالفة كل من يسمعه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق كذبا با حسودا سروقا نعماما لحوحا ذافضول وضحك وكيد ومجانة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في السكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأسمار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الأديباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يخرس في قلوب الصبيان بذور الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويعدح بين أظهره الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ويهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبغي أن يجانب سرا ويهظم الأمر فيه ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا تنكسر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع اللامة وركوب القبايح ويستقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هية الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبايح وينبغي أن يمنع عن النوم نهارا فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التعم بل يعود الحشونة في الفرش

محمد بن مطرف عن
حسان بن عطية عن
أبي أمامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
«الحياء والعى شعبتان
من الإيمان والبذاء
والبيان شعبتان من
النفاق» البذاء الفحش
وأراد بالبيان ههنا
كثرة الكلام والتكاف
للناس بزيادة تماق
وثناء عليهم وإظهار
التفصح وذلك ليس
من شأن أهل الصدق
وحكى عن أبي وائل
قال مضيت مع صاحب
لى زور سلمان فقدم
إلينا خبز شعير ومالجا
جريشا فقال صاحبي
لو كان في هذا الملح
سعر كان أطيب فخرج
سلمان ورهن مطهرته
وأخذ سعيرا فلما أكلنا
قال صاحبي الحمد لله

واللبس والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يغفله في خفية فانه لا يخفيه إلا وهو يستعد أنه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار للشي والحركة والرياضة حتى لا يظلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخى يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يغتفر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته بل يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لثوم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب فانه يصبص في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والمقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضاً وينبغي أن يعود أن لا يصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتناهب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللثام ويمنع العيّن رأساً صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وخفته ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء وينبغي إذا ضربه العلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب للمالك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلبس لبا جميلا يسترع إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائما يمت قلبه ويظلم ذكاه وينقص عليه الميثر حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا، وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سنا من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز، فينبغي أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجب لبس الديباج والحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش وكل ما يظلب على الصبيان فاذا وقع نشوء كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور، فيذكر له أن الأطعمة أدوية وإنما القصد منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها، وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن اللوت منتظر في كل ساعة وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع نعيمه في الجنان فاذا كان النشوء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ثبت في قلبه كما ثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشوء بحلاف ذلك حتى ألفت الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشرب الطعام واللباس والزينة والتفاخر بنا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فان الصبي بجوهره خلق قابلا للحبر والنشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي قننا بما رزقنا
 فقال سلمان لو قننت
 بما رزقتك لم تكن
 مطهرتي مرهونة وفي
 هذا من سلمان ترك
 التكلف قولاً وفعلًا
 وفي حديث يونس النبي
 عليه السلام أنه زاره
 إخوانه قسّم إليهم
 كسرا من خبز شعير
 وجز لهم بطلا كان
 يزرعهم قال لولا أن
 الله لعن للتكفين
 لتكلفت لكم قال
 بعضهم إذا قصدت
 للزيارة قدم محضر
 وإذا استزرت فلا تبتقي
 ولا تنذر. وروى الزبير
 ابن العوام قال نادى
 منادى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 يوما « اللهم اغفر
 للذين يدعونون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) « قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل بقلبك عند قلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوق في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتكم ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيصيه إياك والعمية فكنت أخلو بنفسى فبعثوا بي إلى المكتب قلت إني لأخشى أن يتفرق على همى ولكن شارطوا العلم أتى أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فحضيت إلى الكتاب فعملت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتى من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلى أن يعثونى إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأنتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عنى شيئا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبى حبيب حمزة بن أبى عبد الله العبادانى فسأله عنها فأجابنى فأتمت عنده مدة أتضع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تسر فجعلت قوتى اقتصادا على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بمحتا بغير ملح ولا أدم فكان يكفينى ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على أن أطوى ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسبح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تسر وكنت أقوم الليل كله ماشاء الله تعالى قال أحمد لما رأته أكل الملح حتى لقي الله تعالى .

(بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدرج الريد في سلوك سبيل الرياضة)

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سببا مستهينا بنعيم الدنيا ولداتها فان من كانت عنده خريزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخريزة وقويت إرادته في يعبها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالب للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعنى بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهاى قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخريزة إلا أنه لا يدري من الجوهرة إلا لفظها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق إذا ألف الخريزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة فاذن السانع من الوصول عدم السلوك والسانع من السلوك عدم الارادة والسانع من الارادة عدم الإيمان وسبب عدم الإيمان عدم الهداة وللذكرين والعلماء بالله تعالى المسادين إلى طريقه والنبيين على حقارة الدنيا وانراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس فى علماء الدين من يفهمهم فان تنبه منهم متنبه هب عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن سبج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول ونعمتت الطرق لاهالة فان تنبه متنبه من هسه أو من تنبيه غيره وانبث له إرادة فى حارث الآخرة ونجارتها فينبغى أن يعلم أن له شروطا لا بد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

لأموات أمسى ولا يشكفون إلا إني برىء من التكلف وصالحو أمق « وروى أن عمر رضى الله عنه قرأ قوله تعالى - فأنبثنا فيها جبا وعنبا وقضيا وزيتونا ونخلًا وحدائق غلبا وفاكحة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال ويبد أمر عصاه فضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرقم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فسكلوا علمه إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من ضمير إقتار وترك لإرادته وذلك أن الله فى يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة

لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من الحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق نسيه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والعصية وإنما رفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به معجوب عن الله عز وجل وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والمهرب من أسباب التذكر وتعاطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للذاهب وأن يصدق بمعنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لامن المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيده وحجاباً إذ ليس من شرط الريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً وأما العصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من الظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الذم على ماضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أولاً ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فاذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن نظهر وتوضاً ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فان سبيل الدين فاض وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه فاده الشيطان إلى طرقة لا محالة فمن سلك سبيل البوادي الهلكة بغير خفير قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فتعصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فيتمسك به متمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوض أمره إليه بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقى في متابته شيئاً ولا يذو ويعلم أن نعمه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نعمه في صواب نفسه لو أصاب فاذا وجد مثل هذا التعصم وجب على معتمده أن يحميه ويصممه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوّة والصمت والجوع والسر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود الريد إصلاح قلبه ليشهد به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه وفي ياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته، ورقته مفتاح الكاشفة كما أن قساوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدو فان مجاريه العروق المتكئة بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يامعشر الخواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله التستري ما صار الأبدال أبداً إلا بأربع خصال: بإخماس البطون، والسر، والصمت، والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسيأتي بيان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين. وأما السر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدرّي والراة المجلوة فيلوح فيه جمال

من هو مقبى على شاطئ بحر والقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربته وراويته . روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مامن يوم إلا له ملسان يناديان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً » وروى أنس قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لند » . وروى أنه « أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فأطمخ خادمه طيراً فلما كان الند أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تحباً شيئاً لند فان الله تعالى يأتي

الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتمّ بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسهر أيضا نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يمسى القلب ويمتته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكشافة لأسرار القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الحواس رحمه الله أجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فاته تسهله العزلة ولكن للمعزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطامه وشرا به وتدير أمره فينبى أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشراء القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد لذلك والفكر فيستريح إليه فالصمت يقطع العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى . وأما الحلوته فخالدها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريمة كدرة قدرة من أنهار الحواس ومقصود الرياضة تفرغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قنذ الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالحلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة قليل له يا أيها اللزمل يا أيها اللدثر (١) فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عتبة على طريق الله تعالى لإصفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل وهي تلك الصفات أعنى أسرار الملائق التي قطعها في أول الارادة وآثارها أعنى اللال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى العاصي فلا بد أن يغنى الباطن عن آثارها كما أحلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبية على نفس الريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك أضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بمد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمتعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الأوراد وتمرتها أعنى ملازمة القلب لله تعالى بعد الحلو من ذكر غيره ولا يشغله به مادام قلبه ملتفتا إلى علاقته قال الشبلي للحصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجمعة الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق للستهر الذي ليس له إلا م واحد فاذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية يفرد بها ويوكل به من

برزق كل غسد .
وروى أبو هريرة
رضي الله عنه « أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل على
بلال وعنده صبرة من
تمر فقال ما هذا يا بلال
قال أدخر يا رسول
الله قال أما تخشى أن تنق
بلالا ولا تخشى من
ذي العرش إقلا .
وروى أن عيسى ابن
مريم صلى الله عليه
وسلم كان يأكل الشجر
ويبلس الشعر ويبت
حيث أمسى ولم يكن
له ولد يموت ولا يب
يخرب ولا يجبا شيئا
لقد قال صوفي كل خبايا
في خزائن الله لصدق
توكله وتمتته بربه
فالدنيا للصوفي كدار
الغربة ليس له فيها
ادخار ولا له منها

(١) حديث بدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر قليل له يا أيها اللزمل يا أيها اللدثر متفق عليه من حديث جابر جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني الحديث وفيه فأثيت خديجة فقلت دثروني وصبوا على الماء باردا فدثروني وصبوا على ماء باردا قال فزلت يا أيها اللدثر وفي رواية فقلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكر من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يعمى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبية عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل جىء خلا عن غيره أى شىء كان فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لامحالة عن غيره وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتلاق بالذنب وما يتذكر فيه مما قدمضى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل جىء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً تصاناً فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوسواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت الوسواس من هذه الكلمة وأنها ماضى وماضى قولنا الله ولأى معنى كان إلهاً وكان محبوباً ويعتبه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كثر وبدعة ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمرًا لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يسلّم قطعاً أن الله تعالى منزّه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويتنزل إليه ليدفعه عنه كما قال تعالى - وإما ينزغناك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه مسميع عليم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذ هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يمرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو التفات إلى عقله أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه وأن يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحداً ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يجعله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها فكم من مرید اشتغل بالرياضة قلبه عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدين العجايز» (١) وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يتفرس في الريد فان لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يردّه إلى الأعمال الظاهرة والأوراد للتواتر أو يشغله بخدمة للتجردين للفكر لتشمله بركنهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقى القوم ويعهد دواهم ليحشر يوم القيامة في زمرة من نعمه بركنهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدين العجايز قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليكن بدين أهل البادية والنساء وابن السلمي له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتمم موضعها انتهى ، وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضعفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استكثار قال عليه السلام «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودي قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد ابن يوسف عن سفيان عن ابن المنكدر عن جابر قال ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالاستاد

لا يبلغ درجتهم ثم الريد للتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يدوم من أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتورا في طريقه ووقفا بل يفتنى أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البهار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاطلاع عن الحلق إلى الحق والحلوة قال بعض الساجدين قلت لبعض الأبدال للقطيعين عن الحلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن يكون في الدنيا كأنك عابر طريق وقال مرة قلت له دلتني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام فقال لي لا تنظر إلى الحلق فان النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فان السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هنا أنتظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجهد قلبك مع الله تعالى على الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فاذا منتهى الرياضة أن يجهد قلبه مع الله تعالى على الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو عن غيره إلا بطول الجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجل له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف للريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظا ونسحا وتصدي للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللذة وتحسين الألفاظ للعبارة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع فرمما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لتغلوب للوق الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه ومالك فيه نصيب ولا تنفك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأندر على استجلاب قلوب الدوام فانه يتحرك في باطنه عن قرب الحسد لاهالة إن كان محرکه كيد القبول وإن كان محرکه هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وأزرنني على إصلاح عباده كالذي وجب عليه مثلا أن يحمل ميتا ليدفنه إذ وجده ضائعا وتعين عليه ذلك شرطا لجاه من أطاعه عليه فانه يفرح به ولا يحسد من بينه والغافلون موتى القلوب والوعاظ هم النبهون والهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حياثل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق فان إتيار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى - بل تؤثرن الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهذا منهاج رياضة الريد وتربيته في التدرج إلى لقاء الله تعالى . فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فان أغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم التضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمع نفسه بترك الدنيا رأسا وتمسك من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه الضرور فلماذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربيع المللكت بتأنيه كتب إن شاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر التضب والحقد والحسد وكتاب في دم الدنيا

عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال إن جبريل عليه السلام قال ما في الأرض أهل عشرة من آيات إلا قلبهم لما وجدت أحدا أشد إتقا لهذا اللال من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا] . قال ذوالنون المصري :

من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر ابن الحرث لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الجمال :

الحرم عبد ما طمع والبسد حر ما قنع

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب المال ودم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والعجب وكتاب في مواقع التورور وبذكر هذه الهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع المهلكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن الهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

(وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعالیه المستحق للتحميد والتقدير والتسبيح والتثنية القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه التتول بالفضل فيما ينم به ويسديه التكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما ينبي بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يمينه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويمرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويكفه من القناعة بقليل القوت ويقربه حتى تضيق به مجارى الشيطان الذى يناويه ويكسر به شهوة النفس التى تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يعتجنه به وبيتيه فينظر كيف يؤثر على ما يهواه وينتجيه وكيف يحفظ أوامره وينتهى عن نواهيه وبواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجيه صلاة نزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابته وتابعيه .

[أما بعد] فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الندى والانتقار إذ نهيا عن الشجرة فعلمت ما شهواتهما حتى أكلتا منها فبدت لهما سوء آتاهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمسال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات ثم تتبع استكثار المسال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثرو والكبرياء ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البنى والمنسكرو والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطن الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأدعت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والظمان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإثارة المعالجة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد ونجب شرح غوائلها وآفاتنا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها أرغيا

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم انتم من حرمك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ودبر أمر الآخرة بالحرس والتعجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينبو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الحلال يفدأ قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوى قال

فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرید في ترك التزويج وفضله ثم بيان فضيلة من مخالفت شهوة البطن والفرج والعين .

(بيان فضيلة الجوع وذم الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يدخل ملكوت السماء من ملاً بطنه» (٢) وقيل يارسول الله أي الناس أفضل قال «من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي ﷺ «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» (٦) وقال الحسن أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه وأبفضلكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل ثوم أ كول شروب» (٧) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٨) أي مختاراً لذلك وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي للملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصر وتركهما اشهدوا ياملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بهادرجات في الجنة» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يمتيتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء» (١٠) وقال صلى الله عليه وسلم «ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات يضمن صلبه وإن كان لا بد فاعلا ثلث لطفامم وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١١) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخيلاء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا وترفهم بقاع الأرض ونحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس الفرش الوثيرة واقترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوها هم تبكى الأرض إذا قعدتهم ويسخط الجبار على كل

(١) حديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش لم أجده له أصلاً (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملاً بطنه لم أجده أيضاً (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر عورته يأتي الكلام عليه وعلى ما بعده من الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف (٥) حديث أبو سعيد الخدري البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون (٦) حديث الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة (٧) حديث الحسن أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً الحديث لم أجده لهذه الأحاديث التقدمة أصلاً (٨) حديث كان يجوع من غير عوز أي مختاراً لذلك البيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة قالت لو شئنا أن نضيع لشبعنا ولكن عهدنا ﷺ كان يؤثر على نفسه وإسناده معضل (٩) حديث إن الله يباهي للملائكة بمن قل مطعمه في الدنيا الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الصيام (١٠) حديث لا يمتيتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب الحديث لم أتف له على أصل (١١) حديث ماملاً ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث ت من حديث المقدم وقد تقدم.

حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه حفافاً ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» وروى جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الحرق
شما غيرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت
عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا
عقول عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان
لأهل تلك البلدة ولا يبعذب الله قوما هم فيهم الأرض بهم فرحة والجار عنهم راض أعذبهم لنفسك إخوانا
عسى أن تتجو بهم وإن استطعت أن يأتيك اللوت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تمرك
بذلك شرف للنازل وتحمل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك لللائكة ويصلى عليك الجبار (١) .
روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وتمرروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الخواريين أجمعوا أكبادكم
وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نبينا صلى الله عليه وسلم
رواه طاوس وقيل مكتوب في التوراة إن الله ليغض الحبر السمين لأن الحسن يدل على الغضة
وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحيز ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى
يغض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيعوا مجاريه
بالجوع والعطش» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم
«للمؤمن يأكل في معنى واحد وللنافق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أضغاف ما يأكل
المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضغاف شهوته وذكر للمي كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل
الطعام وتأخذها كما يأخذ المي وليس للمي زيادة عدد ممي للنافق على معنى المؤمن . وروى الحسن بن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أديعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قفلت
كيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه
الحديث بطوله الخطيب في الزهد من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تقديم وتأخير ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه
حباب بن عبد الله بن جيلة أحد الكذابين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي
أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وتمرروا وكلوا في أنصاف
البطون تدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث
طاوس مرسل أجمعوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان ليجري من ابن
آدم مجرى الدم الحديث تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره وذكر المصنف هنا أنه مرسل
والمرسل رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا
(٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للمؤمن يأكل في معنى
واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث
الحسن بن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جحيفة تجشأ في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم
شبعاً في الدنيا البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة وأصله عند ت وحسنه وه من حديث ابن
عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة .

لا ينفذ وروى عن
عمر رضي الله عنه أنه
قال كونوا أوعية
الكتاب وينابيع
الحكمة وعدوا أفسكم
في اللوت واسألوا الله
تعالى الرزق يوما بيوم
ولا يضركم أن لا يكثر
لكم . وأخبرنا
أبو زرعة طاهر عن أبي
الفضل والده قال أنا
أبو القاسم إسماعيل بن
عبد الله الشاوي قال أنا
أحمد بن علي الحافظ قال
أنا أبو عمرو بن حمدان
قال حدثنا الحسن بن
سفيان قال حدثنا عمرو
ابن مالك البصري قال
حدثنا مروان بن
معاوية قال حدثنا
عبد الرحمن بن أبي
سلة الأنصاري قال
أخبرني سلة بن
عبد الله بن عصف

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسى لك الفداء لو بلغت من الدنيا قدر ما يقوبك ويمتلك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا لمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجذبني أستحي إن ترهفت في معيشتي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أيا ما بسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوافقه ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة فقال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أهلك منذ ثلاثه أيام (٢)» وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أفض الناس إلى الله للتخمون اللئامى وماترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه إياكم والبطنة فانها تقل في الحياة تن في اللهاة وقال شقيق البلخي العبادة حرفة حانوتها الحلوة وآلتها المجاعة وقال لقمان لابنه يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه أى شيء تخافين أخافين أن تجوعى لا تخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلهى أجتى وأعرتنى وفي ظلم الليالى بلامصباح أجلسنى فبأى وسيلة بلغتنى ما بلغتنى وكان فتح الموصلى إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلهى ابتليتنى بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأى عمل أؤدى شكر ما أنعمت به على وقال مالك ابن دينار قلت لمحمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان الفضيل بن عياض يقول إلهى أجتى وأجت عيالى وتركتنى فى ظلم الليالى بلامصباح وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفى التوراة اتق الله وإذا شبت فاذا ذكر الجياع وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشانى أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله فى خزائنه لا يسطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه لظامه فى السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى أكله وقال لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والعلم فى الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آمنًا في سربه معافي في يده عند قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلنجينه حياة طيبة - هي القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لملء بدنها ودوائها . وقال أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك للراء والمجادلة والغضب لإلحاق واعتاد الرفق والحلم وذلك أن النفوس تثب وتظهر

(١) حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ شبعاً قط وربما بكيت رحمة له لما أرى به من الجوع الحديث لم أجده أيضاً [١] (٢) حديث أنس جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الحارث بن أبي أسامة فى مسنده بسند ضعيف (٣) حديث أن هريرة ما شبع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا أخرجه م وقد تقدم (٤) حديث إن أهل الجوع فى الدنيا هم أهل الشبع فى الآخرة طب وأبو بسيم فى الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف

[١] وجد بهامش المراتى ما يأتى ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى اللدين مطولاً فى كتاب استجلاء الموت وأوردته عياض فى الشفاء ١ هـ .

النصية والجهل في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقد جاء في الحديث «ثلث للطعام فمن زاد عليه فأنما يأكل من حسنته»^(١) وسئل عن الزيادة فقال لا يجدر الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدال أبدا إلا باحتماس البطون والسهر والصمت والحلوة وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوسواس وقال إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسم والبلاء إلا من شاء الله وقال علقموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد وقال مامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من النصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. وسئل حكيم بأي قيد أقيد نفسي قال قيدها بالجوع والعطش وذلكها باخمال الله كروتك العزوضرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وأنجم آفاتها بدوام سوء الظن بها واحبسها بخلاف هواها. وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما صافى أحدا إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب للسكي مثل البطن مثل الزهر وهو العود المجهوف ذوالأوتار إنما حسن صوته لحفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلئ. وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنام. وقال أبو بكر بن عبد الله المزني ثلاثة يحبه الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة. وروى أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل فطهر بياله الحبز فاقطع عن النجاة فإذا رغيغ موضع بين يديه فجلس يبكي على فقد النجاة وإذا شيخ قد أظله قال له عيسى بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فطر ياللى الحبز فاقطعت عن الشخب الشيخ اللهم إن كنت تعلم أن الحبز خطر ياللى منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قرب الله عز وجل نبيها كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين ثم عشرا على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تثبيت يوما فريدي عشرة لأجل ذلك.

(بيان فوائد الجوع وآفات الشبع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك» [١] ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلاج المعدة ومقاساة الأذى فان كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الانسان من ضرره بنفسه وقطعه للحمة وتناوله الأشياء المكروهة وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاى قول من شرب دواء فانتفع به بوطن أن منفعته لسكر اهة الدواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل تقعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وإعما يقف على تلك الخاصة الأطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسة العلماء ومن جوع نفسه مصداقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة للنفعة كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكننا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الايمان إلى درجة العلم قال الله تعالى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات - فنقول في الجوع عشر فوائد: الفائدة الأولى صفاء القلب وإيقاد القرية وإيقاد البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويحمى القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يمتوى على معادن السكر فيثقل القلب بسببه عن

(١) حديث ثلث للطعام تقدم.

[١] - يث جا: يا أتعكم لم يخرج العراي.

في المارين والصوفي
كلما رأى نفس صاحبه
ظاهرة قابلها بالقلب
وإذا قبولت النفس
بالقلب ذهبت الوحشة
وانطفأت الفتنة قال
الله تعالى تعلبا لعباده
- ادفع بالتي هي أحسن
فاذا الذى بينك وبينه
عداوة كأنه ولى
حميم ولا ينزع الراء إلا
من قوس زكية أنتزع
منها اللؤلؤ وجود اللؤلؤ
في النفوس مرآة الباطن
وإذا أنتزع المرآة من
الباطن ذهب من
الظاهر أيضا وتديكون
القل في النفس مع من
يشاكله ويماثله لوجود
الناقصة ومن استقصى
في تدويب النفس بنار
الزهادة في الدنيا سمى
القل من باطنه ولا يبق
عنده منافسة دنيوية

الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك بل الضي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مذلة للنفوس ورقة للقلب وهو يورث العلم السامى وقال صلى الله عليه وسلم « أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى (١) » ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمنطر وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه (٢) » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع (٣) » وقال الشبلى ماجت لله يوما إلا رأيت في قلبي بابا مفتوحا من الحكمة والعبادة مارأيته قط وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر للوصول إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشيع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة فبالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لثمان لابنه يابن إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل والشيع والقربة إلى الله عز وجل حب الساكين والدنو منهم . لا تشبعوا فتنظفوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح (٤) » الفائدة الثانية : رقة القلب وصفاءه الذى به يتيسر الإدراك للذة الثابرة والتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد يرقى في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالناجاة وخلو المعدة هو السبب الأطهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحلى ماتسكون إلى العبادة إذا التصق ظهرى يطفى . وقال الجنيد يجعل أحدم بينه وبين صدره عملاة من الطعام ويريد أن يجد حلوة الناجاة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وعطش صبا ورق وإذا شبع عمى وغلظ فإذا تأثر القلب ببلدة الناجاة أمر وراء تيسير السكر واقتناص المعرفة فهى فائدة ثانية . الفائدة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشرف الذى هو مبدأ الظفیان والغفلة عن الله تعالى فلا تنكسر النفس ولا تميل بشيء كما تذلل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخضع له وتتف على عجزها وذلكما إذ ضعفت منها وضاعت حياتها بليمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وإنما سعاده فى أن يكون دائما مشاهدا نفسه بين التذل والعجز ومولاه بين العز والقدرة والقهر فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه مشاهدا للاضطراب بالدوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جمت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت (٥) » أو كما قال فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشيع والذل

(١) حديث أحيوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى لم أجده أصلا (٢) حديث من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك لم أجده أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لكل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لسلك شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل والشيع الحد . ذكره أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إنه مسند ومضى علامة مارواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث تقدم وهو عند ت .

فى حظوظ عاجلة من جاء ومال قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة المتقين - ونزعنا ما فى صدورهم من غل - قال أبو حفص كيف يبقى القلب فى قلوب اتلفت بالله وانفتحت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتهمين على الكلمة الواحدة ومن التزم شروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق . والناس رجلان : رجل طالب ما عند الله تعالى ويدعو إلى ما عند الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالشرق والغرب فالقرب من أحدهما بعد من الآخر .
القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والزقوم ويسقون الفساق والهمل فلا ينبغي أن ينسى عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فانه هو الذي يهبس الخوف لمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يطلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فان فيه فوائد جملة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل ولذلك قيل ليوستف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فان ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبعان في غفلة عن ألم الجائع . القائمة الخامسة : وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمانة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لامحالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه وكما أنك لا تملك الدابة الجروح إلا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذاك النفس كما قيل لبعض ما بالك مع كبرك لاتمهّد بدنك . وقد أهد فقال لأنه سريع الريح فاحش الأشر فأخاف أن يجمع بي فيورطني فلأن أحمله على الشدائد أحب إلى من أن يحملني على الفواحش . وقال ذوالنون ما شبعت قط إلا غضيت أو هممت بمصيبة . وقالت عائشة رضی الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والتبعية وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكك لامحالة بأعراض الناس ولا يكب أناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفي غائلتها والجوع يكفي شرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يتشوش به مناجاته وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثلا وإلا لجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل من صبر على السياسة يصبر على الحبر البحث سنة لا يخطئ به شيئا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فان من شبع كثيرا ومن أكثر شربه أكثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر الريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وأجمع رأى سبعين صديقا على أن كثرة النوم من كثرة الثيرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره فاللحمق الصوفي مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه في طريق واحد ووجهة واحدة واخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بضه بضاً ورجل مفتتح بشيء من عبادة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفي مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب لمن شأن الصوفي أن ينظر إلى مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتتا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه في الظاهر على شيء لعله يظهر نفسه الأمانة بالسوء في الرأى والمجادلة . أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على

غلب النوم فان تهجد لم يجد حلوة العبادة ثم للمتعب إذا نام على الشبع احتمل ويمتنع ذلك أيضا من التهجد ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يندرج عليه بالليل خيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر التسلف في كل حال فالنوم منبغ الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : تيسير للمواظبة على العبادة فان لأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والحلال ثم يكثر تداؤه إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات للصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر وللناجاة وسائر العبادات لكثرة ربه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويفا يستف منه قتل ما حملك على هذا قال إنى حسبت ما بين للضع إلى الاستفاف سبعين تسيحة فما مضت الحز منذ أربعين سنة فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضعه في الضغ وكل نفس من العمر جوهره نفيسة لاقية لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها وذلك بصرفه إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة ومن جملة الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستحقها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها - يعلون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات قد حلاوة الناجاة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وتقل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول الزايل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فان سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والوروق ثم للرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والتفكير وينقص العيش ويحوج إلى القصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي للماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج يفتنص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء قالوا فما عندك فقال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لاتأكل الطعام حتى تشتهي وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهي فقالوا صدقت . وذكر بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ^(١) » فتعجب منه وقال ماسمت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ^(٢) » وأظن تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لامن ذلك وقال ابن سالم :

قال أنا أبو الفتح
المروى قال أنا أبو نصر
الزرياقى قال أنا أبو محمد
الجراحي قال أنا
أبو العباس المهبوبى
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال حدثنا
زيد بن أبوب قال
حدثنا المهاربى عن
ليث عن عبد الملك عن
عكرمة عن ابن عباس
رضى الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال « لا تعار أخاك ولا
تعلم موعدا فتخلفه »
وفي الخبر « من ترك
للراء وهو مبطل بنى له
بيت في ربض الجنة
ومن ترك للراء وهو
عق بنى له في وسطها
ومن حسن خلقه بنى له
في أعلاها » . وأخبرنا
شيخنا شيخ الإسلام
أبو النجيب قال أنا

(١) حديث ثلث للطعام تقدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا

من أكل خبز الخنطة بحثا بأدب لم يتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته الدالح ولأن يقلل من الدالح خير له من أن يتكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » (١) في الصوم والجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها . الفائدة التاسعة : خفة المؤنة فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له أخذنا بمخنته في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصعب أو من الحلال فيذل وربما يحتاج إلى أن يعد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الدل والقماء والمؤمن خفيف المؤنة . وقال بعض الحكماء إنى لأتقى عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي . وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال إنها غالية فيقول أرخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل مذموم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل العبادة فيكسل وإن كان مكتسبا فلا يسل من الآفات وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أديوا قرع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب ونحى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقتاعة وأما المحتاج فتلهمه لهالة . الفائدة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (٢) كما ورد به الخبر . فما يأكله كان خزائنه الكئيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأبقى أو لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمه والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - قال عرضنا على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحسنة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقال لا ، ثم عرضنا كذلك على الأرض فأبت ثم عرضنا على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والمعقوبة فقالت لا ، ثم عرضنا على الإنسان فحملها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافا فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيّقوا بها قبورهم وأحسنا براذنتهم وأهزلوا دينهم وأنعموا أنفسهم بالتعدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون كل بدن بما اعتاد لم أجده أصلا (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته كمن حديث حنيفة بن طاهر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن
السهروردي محمد بن
أبي عبد الله السالبي
قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن الداودي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد الحموي قال أنا
أبو عمران عيسى
السمرقندي قال أنا
أبو محمد عبد الله بن
عبد الرحمن الدارمي
قال حدثنا يحيى بن
بسطام عن يحيى بن
حمزة قال حدثنا النعمان
ابن مكحول عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من
طلب العلم ليدهي به
العلماء أو يماري به
الصفهاء أو يريد أن
يقبل بوجوه الناس
إليه أدخله الله تعالى
جهنم » انظر كيف

للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم تبيخني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا يسكن على شماله ويأكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى إذا أخذته الكفة ونزلت به البطنة قال يا غلام اتقني بشيء أهضم به طعامي بالكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم أين الفقير أين الأرملة أين للسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليُدخِر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل صمير البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك (١) أي لو قدمت لأخرك وأثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لأجمل هذا كله لبطني حتى أجمل بعضه لله فهذه عشر فوائد للجوع ينشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائدها فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشيع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فاذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة التلمذ في الإيمان والله أعلم بالصواب .

(بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن)

اعلم أن على الريد في بطنه وما كوله أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالاً فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس للأكل في تناول للشهيات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل الطعام فسييل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبغ رغيف وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فإن شاء فعل في ذلك بالوزن وإن شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس ثم هذا فيه أربع درجات أقصاها أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال إن الله استعبد الخلق بثلاث : بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان قصيراً وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل . وسئل سهل عن بدايته وما كان يفتات به فقال كان قوتى في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الأرز . وبدرهم مينا وأخط الجميع وأسوي منه ثلثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها قليله فالساعة كيف تأكل قاله بغير حد ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل صمير البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك أحمد وك في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جملة الجشمي وإسناده جيد .

جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم للماراة مع السفهاء سبباً لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم في طلب التهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمي .

قال بعضهم : المجادل للمارى يضع في نفسه عنه الخوض في الجدال أن لا يقع بشيء ومن لا يقع إلا أن لا يقع فما إلى قناعته سييل فففس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «والذي نفسى بيده لا يسلم عبيد

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلّة فهو لما دون العشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضى الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم . الدرجة الثالثة : أن يردّها إلى مقدار الدوهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر وفي بعض الألفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على اللد إلى اللن ويشبه أن يكون ما وراء اللن إسرافا مخالفا لقوله تعالى - ولا تسرفوا - أعنى في حق الأكثرين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وههنا طريق خامس لا يتقدّر فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفا أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبهه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الحبز وحده بشهوة أى خبز كان فهما طلبت نفسه خبزا بينه أو طلبت أدماء فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصق فلا يقع الدباب عليه أى لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للبريد أن يقدر مع نفسه التقدير الذى لا يصفه عن العبادة التى هو بصدها فاذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص، نعم قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتنوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة أربعة أمدا فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه وقد كان أبو ذر رضى الله عنه يقول طعامى في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه فأتى سمعته يقول « أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم »^(١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبرتم المرقي وجمعت بين إدامين واختلف عليكم ألوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم^(٢) والدرط وثلث ويسقط منه النوى . وكان الحسن رحمة الله عليه يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضارى بلما بلعوا وسطا وسطا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفيه أيضا أربع درجات : الدرجة العليا أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها وفي الريدين من رد الرياضة إلى الطي لا إلى التقدير حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمر والقرنى وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص العابد الصيغى والمسلم ابن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي ذر أقربكم منى مجلسا يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحمد في كتاب الزهد . ون طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم ك وصحح إسناده من حديث طلحة البصرى .

حتى يسلم قلبه ولسانه
ولا يؤمن حتى يأمن
جاره بوائقه انظر
حكيف جعل النبي
صلى الله عليه وسلم من
شرط الاسلام سلامة
القلب واللسان وروى
عنه عليه السلام أنه
مر يقوم وهم يحدون
حجرا قال ما هذا قالوا
هذا حجر الأشداء
قال ألا أخبركم بأشد
من هذا رجل كان
بينه وبين أخيه غضب
فأتاه فطلب شيطانه
وشيطان أخيه فكلمه
وروى أنه جاء غلام
لأبي ذر وقد كسر
رجل شاة فقال أبو ذر
من كسر رجل هذه
الشاة فقال أنا قال ولم
فعلت ذلك قال عمدا
أغيطك فترضى

وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري وإبراهيم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى لله أربعين يوما ظهرت له قدرة من اللسكوت أي كوشف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة مر براهب فذاكره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الراهب إن المسيح كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لا تكون إلا للنبي أو صديق فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنتك على باطل ؟ قال نعم فجنس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز المسيح فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يلبثها إلا مكاشف محمول شغل عشايدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته . الدرجة الثانية: أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدهاها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل الترفين وهو بعيد من السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي ﷺ لعائشة «إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا أكلة في كل يوم قوام بين ذلك» (٢) وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجذ وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفرغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته . وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تورم قدماءه وما واصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد الغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجذ فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رغبين مثلا أكل رغبيا عند الفطر ورغبيا عند السحر لتسكن نفسه ويخف بدنه عند التهجذ ولا يشد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغب الأول على التهجذ وبالتالي على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدم وأعلى الطعام مع البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول وأدناه شعير لم ينخل وأعلى الأدم اللحم والحلاوة وأدناه الملح (١) حديث أبي سعيد الخدري كان إذا تعدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد لم أجده له أصلا (٢) حديث قال لعائشة إياك والاسراف فإن أكلتين في يوم من السرف البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال في اسناده ضعف (٣) حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماءه رواه مختصرا كان صلى حتى تزلع قدماءه واسناده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطه وإنما هو من قوله فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رواه مخ من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه

فتأثم فقال أبو ذر لأغيطان من حضك على غيظي فأعتقه . وروى الأصمعي عن أعرابي قال إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال ثنا إبراهيم بن عبد الله قال ثنا أحمد بن محمد ابن سليم قال ثنا الزبير ابن بكار قال ثنا سعيد ابن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

والحلل وأوسطه للزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهي الانسان وأكله اقضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا له بلدات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سبحانه وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرما لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا له فاشتبهت نفسه الافلات منها فيكون الموت إطلاقها وإليه الاشارة بقول يحيى ابن معاذ حيث قال معاشر الصديقين جوعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجرى في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول باعادته فذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من اللباحات ويعظم الحطرى تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمى الدين يأكلون مع الحنطة (١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يصح ومن داوم عليه أيضا فلا يصح بتناوله ولكن تربي نفسه بالنعم فتأنس بالدنيا وتأنس باللذات وتسمى في طابها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة لأن مع الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور تلك الأمور معاصى وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمى الدين غدوا بالنعم ونبتت عليه أجسامهم (٢) » وإنما همتم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشققون في الكلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيد الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقي ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى لسهه الله وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضى الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عنى حسابها فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتبهت ممة طرية فالتصت له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت له بدرهم ونصف فتويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفيها برغيفها وادفنها إليه فقال له الغلام أصلحك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفيها وادفنها إليه ثم قال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتركها قال نعم فأعطاه درهما وأخذها وآتى بها فوضعا بين يديه وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لفيها وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سدوت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء

(١) حديث شرار أمى الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده له أصلا (٢) حديث شرار أمى الدين غدوا بالنعم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني في اللعل إنه أشبه بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتبهت ممة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتبه شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب باسناد ضعيف جدا ورواه ابن الجوزى في الموضوعات

« ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما للمنجيات غشية الله في السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاتصاف عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه « فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لا يصح إلا من عالم ربانى أمير على نفسه بصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر إلى الله بحسن الاحساب . نقل أنهم كانوا يتوضأون عن إيداء السلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كفة خبيثة أحب إلى من أن أتوضأ من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الحدت

القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار^(١) أشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمتع ببلدات الدنيا ، وبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف همريده وقال الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام والذي نفس همريده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم ، وعن يسار بن عمير قال ما غلت لمرر دقيما قط إلا وأنا له عاص ، وروى أن عتبة الغلام كان يسجن دقيقه ويحفظه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيعرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخيرته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شردت عنى كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : لقيت إبراهيم ابن آدم بمكة في سوق الليل عند مولد النبي صلى الله عليه وسلم يسكن وهو جالس بناحية من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إيش هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثا فقال يا شقيق استر طي قلت يا أخى قل ماشئت فقال لي اشئت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجا فنعمتها جهدى حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى الناس إذ أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يملو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمى عنه فتربه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل قد تركته فم عز وجل فقال لي قد أطعمك الله كل فإنا كان لي جواب إلا أنى بكيت فقال لي كل رحمك الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال كل عافاك الله فانما أعطيتك قبيلى يا خضر اذهب بهذا وأطعمه نفس إبراهيم بن آدم قد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منها . اعلم يا إبراهيم أنى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يسط قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأجل المقدم مع الله تعالى ثم الفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيئا وقال يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمى حتى نهست فانتبهت وحلاوته في فمى ، قال شقيق قلت أرنى كنفك فأخذت بكفه قبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صحوا النع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفى قلوبهم من محبته آرى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه وبالوجود الذى وجد منك جد طى عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال قيام إبراهيم ومضى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بقى أربعين سنة يشتهى لبنا فلم يأكله وأهدى إليه يوما رطب فقال لأصحابه كلوا فإذقته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الخوارى : اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفا حارا بملح فحسب به إليه ففص منه عضة ثم طرحه وأقبل يسكن وقال عجبت إلى شهوتى بعد إطالة جهدى واشتقوتى قد عزمتم على التوبة فألقى قال أحمد فأرأيت أكل للملح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن ضيف مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسى لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة ، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص منى ولا نقص منى ما زاد فيكم وقال طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق باقه تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أتيت داود الطائى والباب مغلق عليه فسمعتة يقول نفسى اشتهت جزرا فأطعمتك جزرا ثم

حدثان حدث من
فرجك وحدث من
فيك فلا يعل حبة
الوقار والحلم إلا الغضب
ويخرج عن حد العدل
إلى المدوان بتجاوز
الحد في الغضب يثور دم
القلب فان كان الغضب
على من فوقه مما يصجز
عن إنقاذ الغضب فيه
ذهب الدم من ظاهر
الجلد واجتمع في القلب
ويصير منه الهم والحزن
والانكاد ولا ينطوى
الصوفى على مثل هذا
لأنه يرى الحوادث
والإعراض من الله
تعالى فلا ينكد ولا يتم
والصوفى صاحب الرضا
صاحب الروح والراحة
والنبي عليه السلام
أخبر أن الهم والحزن
في الشك والسخط .
سئل عبد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف .

اشتهيت عمرا فأليت أن لاتأكله أبدا فسلمت ودخلت فاذا هو وحده ومرّ أبو حازم يوما في السوق فرأى الفاكهة فاشتريها فقال لابنه اشترينا من هذه الفاكهة المقطوعة المصنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لامة - اوعه ولا ممنوعة فلما اشتراها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت والله لادقته فبعث بها إلى يثامى من الفقراء ، وعن موسى الأشعج أنه قال نفسى تشهى ملحا جريشا منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن خليفة قال نفسى تشهى منذ عشرين سنة ما طلبت منى إلا الماء حتى يموتى في أرويتها ، وروى أن عتبة الغلام اشتهى لحمًا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال استحييت من نفسى أن أذافها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشترت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركبتها على رغييف فلقبت صبيبا فقلت ألسنت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فناولته إياها قالوا وأقبل بيكى ويقرأ - ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيا وأسيرا - ثم لم يذقه بعد ذلك ومكث يشهى عمرا سنين فلما كان ذات يوم اشترى عمرا بقراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا فززع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول هذا الجراءتى عليك وشرائى التمر بالقراط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بذبك على أن لاتذوقيه . واشترى داود الطائى بنصف فاس بقلا وبفاس خلا وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه ويملك يداود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم لم يأكل بعده إلا قفارا وقال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد إن فلانا يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسى فقال لأنك تأكل مع خبزك عمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فأخذ بيكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينك أهلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك وهو إذا ترك شيئا لم يعاوده . وقال جعفر بن نصر أمرنى الجنيد أن أشتري له الثين الوزيرى فلما اشترته أخذ واحدة عند الفطور فوضعتها في فمه ثم ألقاها وجعل بيكى ثم قال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف بي هانف أما تستحي تركته من أجلى ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لعطاء السلى إنى متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتى فقال افضل ما تريد قال فبعت إليه مع ابى شربة من سويق قد لته بسمن وعسل فقلت لاتبرح حتى يشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فتابته ولته على ذلك وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذلك قال لا يسوؤك هذا إنى قد شربتها أول مرة وقد راودت نفسى في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - يتجرعه ولا يكاد يسيغه - الآية . قال صالح فبكت وتلت في نفسى أنا في واد وأنت في واد آخر ، وقال السرى السقطى نفسى منذ ثلاثين سنة تطالبنى أن أغمس جزرة في ديس فإطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء أعرف رجلا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى عشرة أيام ولكن اتركى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفانا فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن فى الرغييف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذى يعمل الماء والماء الذى يسقى الأرض والرياح والبهائم وبى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقبله ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغييف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للماء من خزائن الرحمة ثم لللائكة التى تزجى السحاب والشمس والقمرة والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحجاز - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - (١)

عباس رضى الله عنهما
عن التم والغضب قال
مخرجهما واحدا والفظ
يختلف فمن نازع من
يقوى عليه أظهره
غضبا ومن نازع من
لا يقوى عليه كتمه
حزنا والحدرد غضب
أيا ولكن يستعمل
إذا قصد للضوب عليه
وإن كان الغضب على
من يشاكله وبعائله
ممن يردد فى الاتقام
منه يتردد القلب بين
الاتقباض والانبساط
فيتولد منه الغل والحقد
ولا يأوى مثل هذا إلى
قلب الصوفى قال الله
تعالى - وتزعنا مافى
صدورم من غل -
وسلامة قلب الصوفى
وحاله يذف زبد الغل
والحقد كما يذف البحر
الزبد لما فيه من تلاطم

(١) حديث لا يستدير الرغييف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثائة وستون صانعا أولهم ميكائيل

وقال بعضهم أتيت قاسما الجرعى فسأته عن الزهد أى شئ هو فقال أى شئ سمعت فيه فددت أقوالا فسكت فقلت وأى شئ تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا العبد فيقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد ويقدر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان بشر بن الحرث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن الطبيب يسأله عن شئ يواقفه من المأكولات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل منى قال صف لي حتى أسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل كل بعد ذلك اسفيداجا فقال له بشر هل تعلم شيئا أقل من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الهذبيا بالحل ثم قال أنعرف شيئا أقل من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الحرثوب الشامى قال فحرف شيئا أقل من الاسفيداجا يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن أنت أعلم منى بالطب فلم تسألني ، فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأوقات وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرضوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان الملح شهوة لأنه زيادة على الحبز وما وراء الحبز شهوة وهذا هو النهاية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغى أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء إسرافا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغى أن لا يواظب على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن دوام عليه أربعين يوما قسا قلبه ، وقيل إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جائعا وتأقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغى أن يأكل ويجماع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلة فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر ، وفي الحديث « أذيووا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم (١) » وأقل ذلك أن يصلى أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن عقيبا كله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم وأصله بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده ومهما اشرب شيئا من الطعام وطيبات الفواكه فينبغى أن يترك الحبز ويأكلها بدلا منه لتكون قوتها ولا تكون تفكها لتلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة . فظرسهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدأ بالقرطان قامت كفايتك به وإلا أخذت من الحبز بده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا أو غليظا فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضا للطفاته وكان بعضهم يقول لأصحابه لاتأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها وطاب بعض أنواع الحبز شهوة قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما ماتا ثبينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحبز فرأى ذلك الحبز فأكهة ، وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات الباحات واتباعها بكل حال فيقدر ما يستوفى العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - ويقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدارين الآخرة بشهواته قال بعض أهل البصرة نازعتنى نفسى خبز أرز وممكا ففنتها قويت مطالبتها واشتدت مجاهدتى لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رأيت في المنام فقلت ماذا فعل الله بك قال لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات وكان أول شئ استقبلني به خبز أرز وممكا وقال كل اليوم شهوتك هنيئا غير حساب وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا

أمواج الأنس والهية وإن كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الاتمام منه تاردم القلب والقلب إذا تاردمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تجمر الوجنتان لأن الدم في القاب تاروطلب الاستملاء وانتفخت منه المروق فظهر عكسه وأثره على الحد فيتعدي الحدود حينئذ بالضرب والشم ولا يكون هذا في الصوفى إلا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفى عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه عمله على أن يزن حرصه وقوله

الحديث لم أجده أصلا (١) حديث أذيووا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم طس وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

بما أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقننا الله لما يرضيه .

(بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه)

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها وكلما طرف في قصد الأمور ذميم وما أردناه في فضائل الجوع ربما يومي^(١) إلى أن الإفراط فيه، مطلوب وهيمات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في النع منه على وجه يومي^(٢) عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يرضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك أن القصد الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع يبنى أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتنقوا مان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكيفية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فانه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يبدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه^(٣) فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بشغل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة وتقلل المعدة يمنع من العبادات وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالقصد أن يأكل أكلا لا يبقى للمأكل فيه أثر ليكون متشبهًا باللائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وإذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة أقيت في وسط حلقة عجيبة على النار مطروحة على الأرض فان النملة تهذب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعدها وأضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة واللائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطعم للانسان في الخروج وهو يريد أن يقشبه باللائكة في الخلاص فأشبهه أحواله بهم البعد وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوبًا في جميع هذه الأحوال المتقابلة وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها^(٤) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الانسان بالجوع ولا شبع تيسرت له العبادات والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحًا متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينفعها بل لابد من المبالغة في ارتاضت واستوتت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه القواك والشهوات وقد لا يمنع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادات كان الأصح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتتكسر نفسه والمقصود أن تتكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضا إلى الاعتدال وإنما

(١) حديث النهي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله تقدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البهقي في الشعب مرسلًا وقد تقدم .

بميزان الشرع والعدل
ويتم النفس بعدم
الرضا بالقضاء ، قيل
لبعضهم : من أقهر
الناس لنفسه قال
أرضاه بالمقدور
وقال بعضهم أصبحت
ومالي سرور إلا مواقع
القضاء وإذا اتهم
الصوفي النفس عند
الغضب تداركه العلم
وإذا لاح علم العلم
قوى القلب وسكنت
النفس وعاد دم القلب
إلى موضعه ومقره
واعتدل الحال وفاضت
حمره الحد وبانت
فضيلة العلم قال عليه
السلام « السمات
الحسن والتؤدة
والاقتصاد جزء من
أربعة وعشرين جزءا
من النبوة » . وروى
حارثة بن قدامة قال

يتمتع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا ستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما المغرور فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغنى عن تأديب نفسه الظان بها خيرا وهذا غرور عظيم وهو الأغلب فان النفس قلما تتأدب تأدبا كاملا وكثيرا ماتت فتنظر إلى الصديق ومساعدته نفسه في ذلك فيسمح بنفسه كالمرضى ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وإنما هو مجاهدة نفس متناثية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضی الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم (١) وكان يدخل على أهله فيقول «هل عندكم من شيء» فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم (٢) وكان يقدم إليه الشيء فيقول «أما إني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل (٣)» وخرج عليه السلام يوما وقال «إني صائم فقال له عائشة رضی الله عنها قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه (٤)» ولذلك حكى عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بضروب من الرياضات منها أنه كان يقات ورق النبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال آكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أني آكل كثيرا بل أني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله وقد كان معروف السكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل فقيل له إن أخاك بشرا لا يأكل مثل هذا فقال إن أخى بشرا قبضه الورع وأنا بسطنى المعرفة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطمعني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتميز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بعض إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حوريا فقيل يا أبا إسحاق بهذا كله قال ويعك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه فقرأ يسيرا فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا فقال ليس في الطعام إسراف إنما الاسراف في لباس والأثاث فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للملح منذ عشرين سنة. وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل فإياه متناقضا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما مخطئ. والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعا فطن محتاطا وغبي مغرور فيقول المحتاط ما أنا من جملة العارفين حتى أسامع نفسي فإيس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المحتنعين عن الشهوات فيقتدى بهم والمغرور يقول ما نفسي بأعصى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يفطر ويفطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم دت وحسنه ون من حديث عائشة وهو عندم بنحوه كما سيأتي (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أريد الصوم البهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعندم قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إلينا حيس فقال كنت أردت الصوم ولكن قريبه م بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أدنيه فلقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ للبيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريبه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لى أعيه قال لا تمضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تمضب قال عليه السلام «إن النضب جرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاح أوداجه من وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجاس وإن كان جالسا فليضطجع» أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن علي قال أنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضی الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم فأقديهم وأرفع التقدير في مأ كولي فأنا أيضا ضيف في دار مولاي فإلى وللاعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله واتقائه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإفطاره فينبغي أن يعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويأكله (١) ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه لمرقة باردة ممزوجة بعسل جعل يدير الأناة في يده ويقول أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعثها اعزلوا عنى حسابها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكشفها صريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعو إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغنى عن الرياضة فإن الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيبقى إليه كل ساعة إنك عارف كامل وما الذي فانك من المعرفة والكمال بل كان من عادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع المرید في كل رياضة كان يأمره بها كيلا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته والقوى إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح القبر لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبههم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغى أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحما مأدوما بسمن فضلاه بالدرة وقال لأم لك كل يوما خبزًا ولحما ويوما خبزًا وصمنا ويوما خبزًا وزيتا ويوما خبزًا وملحا ويوما خبزًا فقاروا وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكيفية إقار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم .

(بيان آفة الرياء التطرق إلى من ترك أكل الشهوات وتقل الطعام)

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشبهها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشبهها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلو ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الخفي . سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به بأسا قال يأكل في الخلو ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلى بالشهوات وحبها أن يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال فان إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتن ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين ولذلك شدد أمر الناقلين فقال تعالى - إن الناقلين في الدرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسترف كان ستره لكفره كفر آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فلما الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والنسب والإخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطا لمنزله من قلوب الخلق وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب العسل ويأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل الحديث وفيه قصة شربه العسل عند بعض نساءه .

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الفيس « إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة » ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والمواظبة مع الإخوان وترك المخالفة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - والتألف من اتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردناه فإتعارف منها اتلف قال الله تعالى - فأصبحتم بنعمته

عن نفسه قلوب الناقلين حتى لا يشوشون عليه حاله فنهاية الزهد : الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صديقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس بقلبين وبجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميها فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر نفسه بالقلل جهرا وبالفقير سرا لمن فاته هذا فلا ينبغي أن يغوته إظهار شهوته وتقصانه والصدق فيه ولا ينبغي أن يضره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره فهذا إنما يقصد الرياء المجرى ويروجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره فذلك تعلم عليه ظهور ذلك منه وان علم أن من اطلع عليه ليس يقتدى به في الفعل أو لا ينجز باعتقاده أنه تارك للشهوات .

الآفة الثانية : أن لا يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فليأكل كل فهو أولى له قال أبو سليمان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئا يسيرا ولا تعط نفسك منها فتكون قد أخفقت عن نفسك الشهوة وتكون قد نقصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فان هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أتلها منها شيئا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب ووزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

(القول في شهوة الفرج)

اعلم أن شهوة الواقع سلطت على الانسان لقائمتين : إحداها أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الواقع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كما أن النار والامها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لا يدرك بالدوق لا يعظم إليه الشوق . الفائدة الثانية : بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - معناه شدة القلة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر » وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الذكر إذا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ^(١) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر سمعي وبعصري وقلبي وهنئي ومني ^(٢) » وقال عليه السلام « النساء حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال ^(٣) » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه فقال السلام عليك يا موسى فقال له موسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حيا لك الله ما جاء بك قال جئت لأسلم عليك لمررتك من الله ومكانتك منه قال فما الذي رأيت عليك قال برنس أخطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانا - وقال سبحانه تعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « المؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنيين إذا اتقى مثل اليبدين تعلم إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنا ولا استغاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

(١) حديث ابن عباس موقوفا ومسندا في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الذكر وقال الذي أسنده الذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبعصري وقلبي ودينني تقدم في الدعوات (٣) حديث النساء حبايل الشيطان الأصفهان في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .

الذي إذا صنعته الانسان استحوذت عليه قال إذا أعجبت نفسه واستكبر عمله ونسى ذنوبه وأحذر ك ثلاثا لا تغفل بامرأة لا تغفل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تغفل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أتته بها وأقضا به ولا تصاهد الله عهدا إلا وفيت به ولا تخرج من صدقة إلا أمضيتها فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يعضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بهم ثم ولي وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بن آدم . وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم يأس إبليس أن يهلكه بالنساء ولا شيء أخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت أدخله إلا يتيق ويبتق أغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضا لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرّف همه الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والطوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجرى إلى اتحام الفواحش وقد ينتهى إفراطها بطائفة إلى أمرين شديدين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى همواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى للمدة لتعظم شهوة الطعام ومماثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع ضارية وحيات عادية فتنام عنه فى بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتسيبها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص . فان قلت فقد روى فى غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة (١) » فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا الامتناع . والأمر الثانى أنه قد تنهى هذه الشهوة يهض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة فى البهيمية لحد البهائم لأن التعشق ليس يقنع بآراقه شهوة الوقاع وهى أبقح الشهوات وأجدرها أن يستحيا منه حتى يعتقد أن الشهوة لا تنقض إلا من محل واحد والبهيمة تقضى الشهوة أين اتفق فكفى به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلا إلى ذل وعبودية إلى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومعتالا لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لأم له وإعما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فاذا استحكمت عسر دفعه فيكذلك عشق السال والجاء والمقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنفص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها ألبتة . ومماثال من يكثر سورة العشق فى أول انبعاثه مثال من يصرّف عنان الدابة عند توجيهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرّف عنانها ومماثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنوبها ويجرها إلى ورانها وما أعظم التفاوت بين الأمرين فى اليسر والعسر فليكن الاحتياط فى بدايات الأمور فأما فى أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفریطها بالعتة أو بالضعف عن امتناع النكاح وهو أيضا مذموم وإنما الحمد وأن تكون معتدلة ومطبعة للعقل والشرع فى اقتباسها وانسائها ومنها أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرنى بأكل الهريسة العقيلي فى الضعفاء طس من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يغزعون ويخاف
الناس وم لا يخافون
وم أولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم
يخزنون قيل من هؤلاء
يارسول الله . وقيل
المتحابون فى الله . وقيل
لوتحاب الناس وتعاطوا
أسباب المحبة لاستغفوا
بها عن العدالة . وقيل
العدالة حليفة المحبة
تستعمل حيث لا توجد
المحبة وقيل طاعة المحبة
أفضل من طاعة الرهبة
فان طاعة المحبة من
داخل وطاعة الرهبة
من خارج ولهذا المعنى
كانت محبة الصوفية
مؤثرة من البعض فى
البعض لأنهم لما تعابوا
فى الله توأصوا بمحاسن
الأخلاق ووقع القبول
بينهم لوجود المحبة
فانتفع لذلك للريد

صلى الله عليه وسلم « معاشر الشباب عليكم بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء (١) » .
(بيان ما على اللريد في ترك التزويج وضه)

اعلم أن اللريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك يشغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأناج بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يخرته كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى (٢) فلا تقاس للامانة بالحدادين ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن إلى الدنيا وقال ما رأيت مريدا تزوج فخبث على حاله الأول وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها فقال لا أنسى الله بها أى إن الأناج بها يمنع الأناج بالله تعالى وقال أيضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مششوم فكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسرى ذلك إلى قلبه فيهدمه فذلك كان يضرب يده على نغذ عائشة أحيانا ويقول كلبني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لتصور طاقة قلبه عنه (٣) فقد كان طبعه الأناج بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقعا يبدنه ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها يا بلال (٤) حتى يعود إلى ما هو قره عينه (٥) فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أنفاله صلى الله عليه وسلم فشرط اللريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في العرقه هذا إذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرهابالجوع الطويل والصوم اللدائم فان لم تتمتع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فهم لم يحفظ عنه لم يحفظ عليه فكره ويفرق عليه همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغار وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهى زنا الفرج ومن لم يقدر على غضب بصره لم يقدر على حفظ فرجه قال عيسى عليه السلام إياكم والنظرة فانها تزور في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبيرة إنا جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ولذلك قال لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة وقيل ليحيى عليه السلام ما بدء الزنا قال النظر والتحنن. وقال الفضيل يقول إبليس هو قوسى القديعة وسهمى الذى لا أخطىء به يعنى النظر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسوم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يمد حلاوته في قلبه (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت بعدى فتنة أضرت على الرجال من النساء (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من قبل النساء (٨) » وقال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية وقال عليه السلام « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالصبيان

بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد في جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة في العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » أخبرنا أبو زرعة قال أنا والذى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن عمش الزيادى قال

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطش والرجلان تزيان وزناها المشى والقيم تزيان وزناه القيلة والقلب يهم أو يمتنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا قلنا أوليس بأعمى لا يصبرنا فقال وأنتا لا تبصرانه؟» (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح أولى به فإن البصر في الصبيان أكثر فانه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بجمال صورة الأمد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين اللتحي لم يعمل له النظر إليه . فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والتبيح لاجل العادة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة . فأقول لست أعنى تفرقة العين قط بل ينبغى أن يكون إدراك التفرقة كإدراك التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها فانه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقيها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشبهة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه التبيح ولكنها تفرقة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب واللامسة فهما وجد ذلك الليل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب النعشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويحرم ذلك إلى الماطب وهم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب التامك من غلام أمد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بثلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطاً . وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يملون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما عجز اللريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح قرب نفس لا يسكن توقاتنا بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر الضجيج إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال تقدم إلي فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت ردها في فؤادي وجميع جسدى فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك فأكثر الاستغاثة فأثاني شخص في المنام فقال لي أحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك قلت نعم فقال مد رقبك فمدتها فجرد سيفاً من نور فضرب به عنق فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودنى ذلك أو أشد منه فرأيت كأن شخصا فيما بين جنبي وصدرى يخاطبني ويقول ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه قال فتزوجت فاقطع ذلك عنى وولد لى ومهما احتاج للريد إلى النكاح فلا ينبغى أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه أما في ابتدائه فيألتية الحسنة وفى دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا تطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب

أنا أبو العباس محمد الله
ابن يعقوب الكرماني
قال حدثنا يحيى
الكرماني قال حدثنا
حماد بن زيد عن مجاهد
ابن سعد عن الشعبي
عن النعمان بن بشير
قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يقول «ألا إن مثل
للؤمنين في توادم
وتحايهم وتراحيمهم
كمثل الجسد إذا
اشتكى عضو منه تداعى
سأره بالسهر والحلمى»
والتسأل والتودد
يؤكدان أسباب الصحة
والصحة مع الأخيار
مؤثرة جدا . وقد قيل
لقاء الإخوان لقاح
ولا شك أن البواطن
تلقح ويتقوى البعض
بالبعض بل مجرد النظر
إلى أهل الصلاح يؤثر

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الزنا فاليمينان تزيان الحديث م هق واللفظ له من حديث
أبي هريرة واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس عوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن
أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان فقال احتجبا الحديث د ن ت وقال حسن صحيح .

الغنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مغالاة الصداق وتوسيف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفا على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون للمرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق . تزوج بعض الريدن بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت المرأة وشككت ذلك إلى أبيها وقالت قد غيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين مازهدت إلى الخلاه قط إلا وحمل الماء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستجبها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أرام أن يصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينه حين ذلك فقيل له في ذلك قال تصدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا تقبل له قد سبقت إخوانك بهذا الخلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها تقبل له لم لا تظلمها فقال أختى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها فان تزوج الريد فكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كإروى أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوجها فأجمعوا عليهم على راحة العذوية رحمة الله تعالى فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس غضى الأيام والليالي حتى آتتها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كتابي هذا فهي زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أو سيئاتك فيقتسموا ثرائك فضع الدهر وليكن فطرك الموت وأما أنا فلو أن الله تعالى خولني أمثال الذي خولك وأضفاه ماسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان فليتنظر الريد إلى حاله وقلبه فان وجدته في العزوبة فهو الأقرب وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به ودواء هذه العلة ثلاثة أمور : الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل ساداتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزوج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إبليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يشو بالأخرى ماشى أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فتفقدني أياما فلما أتيت قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال هلا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت امرأة قلت برحمتك الله تعالى ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفعل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقامت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر بمن آخذ ومن أستدين فضليت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزاً وزيتاً وإذا بابي يقرع قلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فإدا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بداله فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأتيتك فقال لأنت أحق أن توفي قلت لما تأمر قال إنك كنت رجلاً عزبا فزوجت فكبرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك وإذا هي قاعة خلفه في طولها ثم أخذ بيدها

صلاحا والظرف في الصور
بؤثر أخلاقا مناسبة
لحاق للنظور إليه
كدوام النظر إلى
المهزون يحزن ودوام
النظر إلى السرور
يسر . وقد قيل من
لا ينفك لحظة لا ينفك
لفظه والجلل السرود
يصيدون لا بمقارنة الجمل
القول بالمقارنة لها تأثير
في الحيوان والنبات
والجماد والماء والهواء
يفسدان بمقارنة الجيف
والزروع تنقى عن أنواع
العروق في الأرض
والنبات لموضع الافساد
بالمقارنة وإذا كانت
للمقارنة مؤثرة في هذه
الأشياء في النفوس
الشريفة البشرية
أكثر تأثيرا وسمى
الانسان إنسانا لأنه
يأنس بما يراه من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوتقت من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الحبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاءوني وقالوا ماشأ نك قلت ويحك زوجي سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا أو سعيد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأثقت ثلاثاً ثم دخلت بها فاذا هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فكشفت شهراً لياثين سعيد ولا آتية فلما كان بعد الشهر أتيت به وهو في حلقة فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال إن رابك منه أمر فدونك والعسا فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاء العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحث على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يفرق غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالنكاح رضی الله تعالى عنه ورحمه.

(بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين)

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعاصها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها فيبيع يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إيماعجز أو لحوف أو حياء أو لمحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إيشار حظ من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من النصحة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الائم فان من ترك الزنا اندفع عنه إيمه بأى سبب كان تركه وإيمه الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من عشق ففغف ففكم ففمات فهو شهيد (١) » وقال عليه السلام « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدة منهم رجل دعت امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين (٢) » وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخامع القدرة ومع رغبتها معرفة وقد أنشئ الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لهجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجها فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأنني أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لمتهم أشار إلى قوله تعالى - ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أجيب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفره وانطلق إلى السوق ليتناع شيئاً وجلس سليمان في الحيمة وكان من أجل الناس وجها وأورعهم فبصرت به أعراية من قلة الجبل وانهدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والتغازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلقه فمروا قالت

(١) حديث من عشق ففغف ففكم ففمات فهو شهيد ك في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد م قال يقال إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال لو كان لي مرس ومرمغ غزوت سويداً ورواه الحرائطي من هير طريقي سويد بسد فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تضمن .

وشر والتألف والتودد
مستجلب للمزيد وإعنا
العزلة والوحدة أحمد
بالنسبة إلى أرذل
الناس وأهل الشر
فأما أهل العلم والصفاء
والوفاء والأخلاق
الحميدة فينتهم مقارنتهم
والاستئناس بهم
استئناس بالله تعالى
كما أن محبتهم حجة الله
والجامع معهم رابطة
الحق ومع غيرهم رابطة
الطبع فالصوفي مع غير
الجنس كأثن بأثن ومع
الجنس كأثن مغابن
والمؤمن امرأة المؤمن
إذا نظر إلى أخيه
يستشف من وراء أقواله
وأعماله وأحواله
تجليات إلهية وتعرفات
وتلويحات من الله
الكريم خفية ثابتة
عن الأغيار وأهدكها

أهنتي فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت لست أريدها إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله فقال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحجب فلم يزل يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجمة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حاقه فقال ما يبكيك ؟ قال خير ذكرت صبيتي قال لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتج بثوبه فأخذته عينه فنام وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال له أنا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعلنا نلقاه قال له يوسف شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فدخلوا فأنعمت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا يجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغبق قبهما أهلا ومالا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبهما أهلا ومالا فلبت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فسربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفجرت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتعت مني حتى أملت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطينها مائة وعشرين دينارا على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتق الله ولا تفض الحاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له وذهب فتميت له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرياق فقال يا عبد الله أتتهزأ بي فقلت لا أستهزئ بك فخذ فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة فخرجوا عيشون^(١) فهذا أفضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة ففعل وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث إنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها منه تنشأ والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤخذ بها والمعادة يؤخذ بها قال عليه السلام « لك الأولى وعليك الثانية^(٢) » أي النظرة. وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقلبا يخلو الانسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبان لهما تخايل إليه الحسن ماضى الطبع المعادة وعنده يفتن أن يقرر في نفسه أن هذه المعادة عين الجهل فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وهجز عن الوصول فلا يحصل له

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم وقطمهم النظر إلى الأعيار ورؤيتهم النعم من النعم الجبار ولكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في محبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » وقال « ما نفعني مال كمال أبي بكر » فالخائق حجبوا عن الله بالخائق في المنع والعطاء فالصوفي في

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم البيت إلى غار فذكرا الحديث بطوله رواه (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث بريدة قاله لعلى قال ت حديث غريب .

إلا التحسر وإن استعجب لم ياتذ وتأم لأنه قصد الانداز فقد فعل ما آلمه فلا يخاو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تأم وعن تحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعى غاية القوة ونهاية التوفيق فقد روى عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبها وراودها عن نفسها فقالت له لا تفعل لأننا أشد حبالك منك لي ولكني أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فاذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله بأن تظننا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من عمل صالح فأدعو فادع أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى اتبها إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى يمكن ليس أحد من الناس يمكنه . وعن أحمد بن سعيد المابد عن أبيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعب لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقتتله على الطريق وهو يريد السجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكامها ثم وقتت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون لاتهمة موصفاً فقالت له والله ما وقتت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسى لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير وأتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يبيها وجملة ما أقول لك إن جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في أمرى وأمرك قال فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلم يعقل كيف يصلى فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى العصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالهنم وتجوو الأم لصولة الجبار العظيم وإنى والله قد ضعفت عن إصلاح نفسى فكيف بإصلاح غيرى وإن كان ما ذكرت حقاً فاني أدلك على طبيب هدى يداوى السكوم المرصاة والأوجاع المرصاة ذلك الله رب العالمين فأقصد به بصدق المسألة فاني مشغول عنك بقوله تعالى - وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين مالم للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور - فأين للهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقتت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان للفتى بعد هذا اليوم أبداً إلا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديداً وقالت أسألك الله الذي يده معاصي قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم إنها تبعت وقالت آمنن على بموعظة أحملها عنك وأوسى برصيه أعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنار - قال فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أفافت ولزمت بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء بغنى عن الخلق
وبرى الأشياء من الله
حيث طالع ناصيته
التوحيد وخرق
الحجاب الذى منع
الخلق عن صرف
التوحيد فلا يثبت
للخلق منعا ولا عطاء
ويحبه الحق عن الخلق
فاذا ارتقى إلى ذروة
التوحيد يشكر الخلق
بعد شكر الحق ويثبت
لهم وجودا في النعم
والعطاء بعد أن يرى
السبب أولا ولذلك
لسعة علمه وقوة
معرفة يثبت الوسائط
فلا يحبه الخلق عن
الحق ككامة المسلمين
ولا يحبه الحق عن
الخلق كأرباب الآرافة
والبسدئين فيكون
شكره للحق لأنه النعم
والعطى والسبب

ذلك حتى ماتت كذا فكان النقي يدكرها بعد موتها ثم يسكن فيقال له م بكاؤك وأنت قد أبستها من نفسك؟ فيقول إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجلت تطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحي منه أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

(كتاب آفات اللسان)

(وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الانسان وعدله وألمه نور الايمان فزينه به وجهه وعلمه البيان قدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأقبله ثم أمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ويكشف عنه عترة الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأفصح بالشكر عما أولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله ونبهه الذي أرسله بكتاب أنزله وأسمى فضله وبين سبله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهاله .

[أما بعد] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثرية فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بآيات أو نفي فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم يتناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والأذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب اللسان ليس له مرد ولا مجاله منتهى وحده له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرضى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجمون شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيها ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى فآلته في حاجه وآجه وعلم ما يعمد فيه إطلاق اللسان أو يدم فامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأصعب الأعضاء على الانسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وجباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تديره نقول جميع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يبيح ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الحوض في الباطل ثم آفة اللراء والجدال ثم آفة الخصومة ثم آفة التفخر في الكلام بالتشديد وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاهمين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبداءة اللسان ثم آفة العن إما لحوان أو جراد أو إنسان ثم آفة الغناء بالشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يجرم من الغناء

(كتاب آفات اللسان)

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما يدعى إلى الجنة المحامدون الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء » وقال عليه السلام « من عطس أو نجسأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أهونها الجذام » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه بنعمة حمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يهتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويهتمل أن الحمد أفضل منها لعمدة

وما يحل فلا يصيده ثم آفة الزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة إفساء السر ثم آفة الوعد والكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التعارض في الكذب ثم آفة الغيبة ثم آفة النجاسة ثم آفة ذى اللسانين الذى يتردد بين التعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافق ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في لغوى الكلام لاسيما فيما يتناقى بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أمى قديمة أو معدنة وهى آخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

(بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت)

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولأنجاة من خطر إلا بالصمت فذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجى »^(١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقليل فاعله »^(٢) أى حكمة وحزم . وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال « قلت ليارسول الله أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بمدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه »^(٣) وقال عقبة بن عامر « قلت ليارسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسمع بيتك وابك على خطيئتك »^(٤) وقال سهل بن سعد الساعدى قال رسول الله ﷺ « من يتكفل لى بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من وفى شرفه وذبحه ولقلقه فقد وفى الشركه »^(٦) « القبب هو البطن والذبذب الفرج والقلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج » وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان الفم والفرج »^(٧) فيحتمل أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه محله ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذ فقد قال معاذ بن جبل قلت « ليارسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال شكنتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم »^(٨) وقال عبد الله التقي قلت « ليارسول الله حدثنى بأمر أعظم به فقال قل ربى الله ثم استقم قلت ليارسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسانه وقال هذا »^(٩) وروى أن معاذ قال « ليارسول الله أى الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

(١) حديث من صمت نجى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال غريب وهو عند الطبرانى بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقليل فاعله أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحيح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن لقمان قال ورواه كذلك هو وابن جبان فى كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان التقي أخبرنى عن الاسلام بأمر لأسأل عنه أحدا بمدك الحديث ت وصححه ونه وهو عندهم دون آخر الحديث الذى فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت ليارسول الله ما النجاة قال امك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة رواه (٦) حديث من وفى شرفه وذبحه ولقلقه فقد وفى ضعيف بلفظ فقد وجبت له الجنة (٧) حديث سئل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث ت وصححه وه من حديث أبى هريرة (٨) حديث معاذ قلت ليارسول الله أنؤاخذ بما تقول فقال شكنتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ت وصححه وه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله التقي قال ليارسول الله حدثنى بأمر أعظم به الحديث رواه ابن عساکر

تكون نعمة الحد
أفضل من النعمة التى
حد عليها فإذا شكروا
النعمة الأول يشكرون
الواسطة للنعمة من
الناس ويدعون له .
روى أنس رضى الله
عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا أفطر عند قوم
قال « أفطر عندكم
الصائمون وأكل طعامكم
الأبرار ونزلت عليكم
البركة » . أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
قال أنا أحمد بن محمد
ابن أحمد البراز قال أنا
أبو حفص عمر بن
إبراهيم قال حدثنا
عبد الله بن محمد
البعوى قال أنا عمرو
ابن زرارة قال ثنا عيسى
ابن يونس عن موسى
ابن عبيدة عن محمد بن

صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه^(١) وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه^(٢) » وقال عليه السلام « من سره أن يسلم فليلزم الصمت^(٣) » وعن سعيد بن جبيرة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا فانك إن استقمعت استقمنا وإن اعوججت اعوجبنا^(٤) » وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه يده فقال له ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال هذا أوردني للوارد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته^(٥) » وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيراً تنعم واسكت عن شر تسلّم من قبل أن تدم قهيل له يا أبا عبد الرحمن أهدنا شيء تقول له أو شيء سمعته؟ فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه^(٦) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره^(٧) » وروى أن معاذ بن جبل قال « يا رسول الله أوصني ، قال : اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في اللوثي وإن شئت أنباتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار يده إلى لسانه^(٨) » وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله عليه السلام « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق^(٩) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الشفاء » ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فإذا كان الرجل وافر العلم بصيرا يعيوب النفس وآفاتهما وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين يذل الجاه والمعاونة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالفاتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفي تام الحسب عالم رباني . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

ومعوضاً والصواب سفيان بن عبد الله التقي كإرواه ت وصححه . وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصبعه مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والحرائط في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليلزم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبيهقي في الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبيرة مرفوعاً وإنما هو عن سعيد بن جبيرة عن أبي سعيد رفته ورواه ت موقوفاً على عمار بن زيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله عليه السلام قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عز وجل اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده والدارقطني في الطل والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر وقال الدارقطني إن الرفوع وهم على الدراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٦) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيراً تنعم وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن (٧) حديث ابن عمر من كف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٨) حديث إن معاذاً قال أوصني قال اعبد الله كأنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثقات وفيه انقطاع (٩) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسلها ورجاله ثقات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت (١) « وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبداتكم فتم أو سكت فسلم (٢) « وقيل ليسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال : لا تتلقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تتلقوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطمع الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن السكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم مايقول « وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلتمن الحكمة (٥) « وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل (٦) « وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشئ أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه (٧) « وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من أكثر كلامه أكثر سقطه ومن أكثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به (٨) .

الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يمنعها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أوجع إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لساني سبع إن أرسلته أكلني ، وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا قبا يهيه . وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والنهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتأنه بذلك لقضاء حوج الناس . وقال عطاء لأن يرأى الرجل سنين فيكتبب جاها جيش فيؤمنهم لهم من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لا يؤمن أن يختن به خلق من الجهال المدعين ولا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لا رغبة له في شيء من الجاه والسال ولو أن ملوك الأرض وقهوا في خدمته ما طنى ولا استطال ولو دخل إلى أمون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق وأفراد من

(١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .
 (٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبداتكم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في الصمت واليهيقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال أطمع الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طس من حديث أبي سعيد وله في المعجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلتمن الحكمة . من حديث أبي خلد بلقظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلتمن الحكمة وقد تقدم .
 (٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب الحديث الطبراني وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بلقظ المجالس وضعفه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشئ تدبره بقلبه الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من روايه الحسن البصرى قال كانوا يقولون (٨) حديث من أكثر كلامه أكثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء واليهيقي في الشعب موهوبا على عمر بن الخطاب .

لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن تسكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحف بن قيس ساكت فقال له مالك يا أبا بحر لا تسكلم فقال له أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر، فقال أحدهم أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقول، وقال الآخر إن إذنا تكلمت بكلمة ملكتي ولم أملكها وإذا لم أتكلم بهما لمكنا ولم نملكك، وقال الثالث عجبت لعمركم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقول أقدر مني على رد ما قلت، وقيل أقام النصور بن العزيم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل ماتكم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا وقد افكلم ماتكم به كتبته بحاسب نفسه عند النساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ماسبه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والنية والنجاسة والرياء والنفاق والحش والمراء وتزكية النفس والحوض في الباطل والحصومة والفضول والتحرير والزيادة والنقصان وإيذاء الحلق وهتك العورات فهذه آفات كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان والحائض فيها قلما يقدر أن يمكسك اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله ففي الحوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مافيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضيق زمان وهو عين الحشران فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقى ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والنية وتزكية النفس وفضول الكلام امرأجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئد كره علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال « من صمت نجما (١) » فإذ أدركنا والله جواهر الحكم قطعا وجوامع الكلم (٢) ولا يعرف ما نعت أحاد كنهاته من بحار المعاني إلا خواص العلماء وقها سند كره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها وترقى إلى الأغلظ قليلا ونؤخر الكلام في النية والنجاسة والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى.

(الآفة الأولى : الكلام فيما لا يبيّنك)

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من النية والنجاسة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتسكلم فيها هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تسكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فانك مضيق به زمانك وحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من صمت نجما تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم م من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(الآفة الأولى الكلام فيما لا يبيّنك)

الصادقين يفسلون عن إرادتهم واختيارهم ويكشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون في الأشياء بمراد الله تعالى فإذا علموا أن الحق يريد منهم المحالطة وبذل الجاه يدخلون في ذلك بنية صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكوا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيصكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد في خفي الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته

وتسبيل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يفتتح لك من نعمات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هلت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا يفتتح بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بما لا ينسب إليه وإن لم يأثم قد خسر حيث فاتته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينسب إليه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينسب إليه » بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع لمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينسب ويمنع ما لا يضره (٢) » وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال أجز يا كعب فقالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه للتأية على الله ؟ قال هي أمي يا رسول الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا ينسب أو منع ما لا ينسب (٣) » ومعناه أنه إنما تنبأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا ينسب حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تنبأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام قمام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال إنني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا ينسب (٤) » وقال أبو ذر قال لي رسول الله ﷺ « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟ قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينسب (٥) » وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم الوقوفة لا تتكلم فيما لا ينسب فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما ينسب حتى تجد له موضعا فإنه رب متكلم في أمر ينسبه

(١) حديث المؤمن لا يكون صمته إلا فكريا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده له أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عائشة عن أبيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكريا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينسب إليه وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه لعله كان يتكلم بما لا ينسب ويمنع ما لا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كعبا فسأل عنه فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كعبا قل ما لا ينسب أو منع ما لا ينسب ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن عجرة بأسناد جيد إلا أن الظاهر اقتطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا ينسب ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نجيب اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن الحديث وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينسب ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من الأقطار إلا واحد متحقق بهذا الحال . قال أبو عثمان الجري لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء للنسب والعطاء والعز والدل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه . قال سهل ابن عبد الله لا يستحق الإنسان الرياسة حتى يجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهه عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما في أيديهم ويذل ما في يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وإنما هذه

تدوضه في غير موضعه فننت ولا تمار حلما ولا سفيا فان الحليم يقينك والسفيه يؤذيك واذا ذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه بما تحب أن يفيك منه وطامل أخاك بما تحب أن يملك به واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالاحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل للقيمان الحكيم ما حكمتك قال لأسأل عما كفت ولا أتكلف ما لا يعينني . وقال مورق العجلي : أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا يعينني . وقال عمر رضي الله عنه لا تعرض لما لا يعينك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على سره واستشير في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وحد الكلام فيما لا ينيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال . مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكمتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وآتي تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلتها أن تسأل غيرك عما لا يعينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألبأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته مثلا فتقول له هل أنت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا وإن سكت كان مستحقرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداومة الجواب افتقر إلى جهد ونعب فيه قد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحار أو للتعب في حيلة الدنع وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له ماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرجما بمنع مانع من ذكره فان ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والسؤال ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجيب عن غير بصيرة ولست أعنى بالتكلم فيما لا يعنى هذه الأجناس فان هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعنى ما روى أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فنعتته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام فهذا حده . وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو البساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها . وعلاج ذلك كله أن يعلم أن اللوت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاه رأس ماله وأن لسانه شباكته يقدر على أن يقتنص بها الجور العين فاهاله ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يصح حصة في فيه وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتاد شديد جدا .

رياسة أقامها الحق
لصلاح خاتمه فهو فيها
بالله يقوم بواجب حقها
وشكر نعمتها لله
تعالى .

[الباب الحادى
والثلاثون في ذكر
الأدب ومكانه من
التصوف]

روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « أدبى ربي
فأحسن تأديبى »
فالأدب تهذيب الظاهر
والباطن فإذا تهذب
ظاهر البعد وباطنه
صار صوفيا أدبيا وإيما
صعبت للأدب مآدبة
لاجتماعها على أشياء
ولا يتكامل الأدب في
العبد إلا بتكامل مكارم
الأخلاق ومكارم
الأخلاق مجموعها من
تحسين الخلق فالخلق

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

وهو أيضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يحى والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة فان من يضيء أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يحجمه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل عن الحاجة وهو أيضا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر . قال عطاء بن أبي رباح إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يمدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمرا معروف أو نهيا عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها أنتكروا أن عليكم حافظين كراما كاتبين . عن العيين وعن الشمال تعيد ما يلفظ من قول الإلديه رقيب عتيد ، أما يستحى أحدكم إذا نشرت مهيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر . أفها ليس من أمر دينه ولا دنياه . وعن بعض الصحابة قال إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إلى من الماء البارد إلى الظمآن فأترك جوابه خيفة أن يكون فضولا . وقال مطرف لعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك . واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل اللهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله (١) » فانظر كيف قلب الناس الأمر في ذلك فأمسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان . وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلا وأنت أطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال قولوا قولكم ولا يستويينكم الشيطان (٢) إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستويبه الشيطان إلى الزيادة المستغنى عنها . وقال ابن مسعود أنذركم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما باع به حاجته . وقال مجاهد إن الكلام ليكتب حق إن الرجل ليسكت ابنه فيقول أبتاع لك كذا وكذا فيكتب كذبا . وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ماسكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقل وروى أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريتيه وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال هجبت من الملائكة على رهوس الناس ما أسرع ما يكتبون ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يعلنون وقال إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظرفان كان له تكلم وإلا أمسك والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا . وقال الحسن من أكثر كلامه أكثر كذبه ومن أكثر ماله أكثر ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم

(الآفة الثانية : فضول الكلام)

(١) حديث طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله البخوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب الصري وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البخوي لأدري سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وقال ابن مندة مجهول لا نعرف له حجة ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر قالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث دن في اليوم والليله بلفظ آخر ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ الصنف

سورة الانسان
والخلق معناه فقال
بعضهم الخلق لاسبيل
إلى تغييره كالخلق وقد
ورد « فرغ ربكم من
الخلق والخلق والرزق
والأجل » وقد قال تعالى
- لا تبديل لخلق الله -
والأصح أن تبديل
الأخلاق يمكن مقدور
عليه بخلاف الخلق
وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « حسنوا
أخلاقكم » وذلك أن
الله تعالى خلق الانسان
وهيأه لقبول الصلاح
والفساد وجعله أهلا
للأدب ومكارم الأخلاق
ووجود الأهلية فيه
كوجود النار في الزناد
ووجود النخل في النوى
ثم إن الله تعالى بقدرته
ألم الانسان ومكة

« كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسنانى قال أفسا كان لك في ذلك ما يرد كلامك (١) »
 وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما أوتى رجل شرا من فضل في لسانه
 وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه إنه ليعنى من كثير من الكلام خوف الباهة . وقال بعض
 الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ما كنا فأعجبه السكوت فليتكلم
 وقال يزيد بن أبي حبيب من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من
 يكتفه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة وتهسان . وقال ابن عمر إن أحق ما ظهر الرجل
 لسانه ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك
 الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه
 وعلاجه ماسبق في الكلام فيما لا يبنى .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في المعاصى ككتابة أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات القساق وتتم الأغنياء وتبوير
 اللوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة فإن كل ذلك مما لا يجل الحوض فيه وهو حرام
 وأما الكلام فيما لا يبنى أو أكثر مما يعنى فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما
 لا يبنى لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم
 التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتغنيها فذلك
 لا يخلص منها إلا بالاعتصام على ما يعنى من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك
 بها صاحبها وهو يستحقرها فقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل
 ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم
 القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها
 سخطه إلى يوم القيامة (٢) » وكان علقمة يقول كم من كلام منعه حديث بلال بن الحرث وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعدهم من التريا (٣) »
 وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم
 بالكلمة ما يلقى لها بالاً يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم « أعظم الناس خطايا
 يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل (٤) » وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخائضين -
 وبقوله تعالى - فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر
 الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في معصية الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر
 بمجلس لهم فيقول لهم توضعوا فان بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك
 من باب الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورجاله ثقات .

(الآفة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٢) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن
 صحيح (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعدهم من التريا ابن أبي
 الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن وللشيخين وث إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا
 يهوى بها سبعين خريفا في النار لفظت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة
 أكثرهم خوضا في الباطل ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلًا ورجاله ثقات ورواه هو والطبراني
 موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالتربية
 إلى أن يصير النوى
 تحلا والزناد بالعلاج
 حتى يخرج منه نار وكما
 جعل في نفس الانسان
 صلاحية الخير جعل فيها
 صلاحية الشر حال
 الاصلاح والافساد
 فقال سبحانه وتعالى
 - ونفس وما سواها
 فألهمها فجورها
 وتقواها - فتسويتها
 بصلاحتها للشيطان
 جيمًا ثم قال عز
 وجل - قد أفلح من
 زكاهها وقد خاب من
 دساها - فاذا تزكت
 النفس تدبرت بالعقل
 واستقامت أحوالها
 الظاهرة والباطنة
 وتهذب الأخلاق
 وتكونت الآداب
 فالأدب استخراج مافي
 القوة إلى الفعل وهذا

وراء ماسياتي من النية والنجمة والفحش وغيرها بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها وبدخل فيه أيضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطامن في بعضهم وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون باطفه وكرمه .

(الآفة الرابعة للراء والجدال)

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمأرا أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه »^(١) وقال عليه السلام « ذروا الراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنتته »^(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الراء وهو مبطل بنى له بيت في أعلى الجنة^(٣) . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال »^(٤) . وقال أيضا « ماضل قوم بعد أن هدام الله إلا أوتوا الجدل »^(٥) . وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان محقا »^(٦) . وقال أيضا « ست من كن في بلغ حقيقة الإيمان في الصيام في الصيام وضرب أعداء الله بالسيف وتجميل الصلاة في اليوم الدجن والصبر على المصبات وإسباغ الوضوء على المكروه وترك الراء وهو صادق »^(٧) . وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيمهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التقل . وقال مسلم بن يسار يا كم والراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها ينتهي الشيطان زلته . وقيل ماضل قوم بعد إذ هدام الله إلا بالجدل . وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه ليس هذا الجدال من الدين في شيء . وقال أيضا الراء يقسى القلوب ويورث الضغائن . وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد إذا رأيت الرجل يلجوا بمماريا معجبا برأيه فقد تمت خسارته وقال سفيان لخالته أختي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعي بي إلى السلطان وقال أيضا صاف من شئت ثم أغضبه بالراء فليرمينك بداهية تمنك العيش وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحب فيما أن أكذبه وإما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إثمًا أن لا تزال بمماريا

(الآفة الرابعة للراء والمجادلة)

(١) حديث لا تمأرا أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
(٢) حديث ذروا الراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فنتته طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك ووائل بن الأسقع باسناد ضعيف دون قوله لا تفهم حكمته ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود (٣) حديث من ترك الراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد رواه ابن أبي الدنيا في اللراسيل من حديث عروة بن رويم (٥) حديث ماضل قوم إلا أوتوا الجدل تمن حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره المصنف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر الراء وإن كان محقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن الله بحق يترك الكذب في المزاحاة والراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك الراء وهو صادق أبو منصور الديلمي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث .

يكون لمن ركب
السجدة الصالحة فيه
والسجدة فصل الحق
لاقدرة للبشر على
تكوينها كتنكون
النار في الزناد إذ هو
فصل الله المحض
واستخراجه بكسب
الآدمي فهكذا الآداب
منبعها السجايا الصالحة
ولسبح الإلهية ولماها
الله تعالى بواطن
الصوفية بتكامل
السجايا فيها توصلوا
بحسن الممارسة والرياضة
إلى استخراج ماله
النفوس وهو مركز
بخلق الله تعالى إلى
الفعل فصاروا مؤدبين
مهدبين والآداب تقع
في حق بعض الأشخاص
من غير زيادة بممارسة
وررياضة القوة ما أودع
الله تعالى في غرائهم كما

وقال صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركعتان (١) » وقال عمر رضی الله عنه لا تعلم العلم ثلاث ولا تتركه ثلاث لا تعلمه لثماری به ولا لتباهی به ولا لترانی به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهاده فيه ولا راضا بالجهل منه . وقال عیسی علیه السلام من كثرت كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثرهمه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه . وقول لیمون بن مهران مالك لا تترك أخاك عن قلی قال لأننی لا أشار به ولا أمار به وما ورد في ذم اللراء والجدال أكثر من أن يحصى . وحد المرء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التكميم وترك اللراء بترك الانسكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه والظمن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العريية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيفما كان فلا وجه لاظهار خلله وأما في المعنى فبأن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدال وهو أيضا مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لاطل وجه العناد والتمسك أو التلطف في التعريف لافي معرض الظمن وأما المجادلة فعبارة عن قصد إغنام الغير وتمجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو المظهر له خطأ لئلا يفتخر به فضل نفسه وقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأتيهم به ولو سكت عنه وأما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار العلم والفضل والتهمج على الغير باظهار قصه وهما شهورتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإعاقوتهما اللراء والجدال فالمواطب على اللراء والجدال مقوله هذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو مصيبة مما حصل فيه إيذاء الغير ولا تنفك الممارسة عن الايذاء وتهيج الغضب وحمل الاعتراض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدم في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار بين التمارين كايثور الهراش بين السكبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعلم نكابة وأقوى في الإغمام والإجامة وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله والسبعية الباعث له على تنقيص غيره كإسبأني ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل علة بما طاعة سببها وسبب المرء والجدال ما ذكرناه ثم اللواظبة عليه تجمله عادة وطبعه حتى يتمكن من النفس ويصر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي لم آثرت الأزواء قال لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم قال فعملت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على منها وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تصبر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من ترك المرء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة » لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يضل بذلك في اللذاهب والعقائد فان المرء طبع فاذا ظن أن له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعا تظلف

(١) حديث تكفير كل لحاء ركعتان الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبني ربي فأحسن تأديبي » وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لتقصان قوى أصولها في العريية فهذا يحتاج للريدون إلى محبة للشايع لتكون الصحة والتعلم عوناً على استخراج ما في الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضي الله عنهما قهوم وأدبوم وفي لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق » فقال - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال فان الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا قنصهم البدهة في قلبه بالجدل وتأكيد فاذا عرفوا أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قوي في هذه للهلكات ولا يستطيع عنها زوطا إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

وهي أيضا مذمومة وهي وراء الجدال والراء فالراء طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق باظهار اللذاهب وتقريرها والحصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق قد قالت عائشة رضی الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم » (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع » (٣) وقال بعضهم إياك والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مرثى بشر بن عبد الله ابن أبي بكره فقال ما يجلسك ههنا قلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال إن لأبيك عندي يدا وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله مارأيت شيئا أذهب للدين ولا أتبع للروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة قال فتمت لأنصرف فقال لي خصمي مالك قلت لأخصمك قال إنك عرفت أن الحق لي قلت لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فاني لأطلب منك شيئا هو لك . فان قلت فاذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تدم خصومته ، فاعلم أن هذا الدم يتناول الذي يخاصم بالباطل والبدى يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضى فانه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الايداء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذبة ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يجعله على الخصومة محض العناد لتهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدى عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما ربيت به في بئر ولا أبالي وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدا فأما المظلوم الذي يصرح بحجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كلف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا باسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلقظ رحم الله امرأ كلف لسانه عن أعراض المسلمين وهو متقطع وضعيف جدا .

(الآفة الخامسة : الحصومة)

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصمغاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يعقوب ضيفه الجمهور .

بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وتترك الدنيا يرغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى . قيل لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب للسلوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن قال أبو الحسين النورى ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها

وإيذاء فعله ليس بهرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فان ضبط اللسان في الحصومة على حد الاعتدال متعذر والحصومة توغر الصدر وتبهج الغضب وإذا هاجم الغضب نسي للتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساء صاحبه ويحزن بمسرتة ويطلق اللسان في عرضه فن بدأ بالحصومة فقد تعرض لهذه المذورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالحصومة مبدأ كل شر وكذا للراء والجدال فينبغي أن لا يفتح بابه إلا للضرورة وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الحصومة وذلك متعذرا فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الأثم ولا تدم خصومته إلا أنه إن كان مستغنيا عن الحصومة فيما خصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آثما، نعم أقل ما يفوته في الحصومة والراء والجدال طيب الكلام وماورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار اللواقعة ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي لحاصه إما تهجيل وإما تكذيب فان من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام»^(١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإذا حينئذ نفثوا بحجرها بأحمن منها أو ردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لوددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام»^(٢) وروى أن عيسى عليه السلام مرة به خنزير فقال مر بسلام فقيل ياروح الله أتقول هذا لخنزير فقال أكره أن أعود لساني الثمر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة»^(٣) وقال «اتقوا النار ولو بشق تمره فان لم تجدوا بكلمة طيبة»^(٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين . وقال بعض الحكماء الكلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضى به جايسك فلا تكن به عليه بخيلا فانه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين وهذا كله في فضل الكلام العليق وتضاده الحصومة والراء والجدال واللاجاج فانه الكلام المستكره الوحش المؤذي للقلب المنفص للعيش لتلهيج للغضب الوغر لا صدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه .

(الآفة السادسة)

التعمر في الكلام بالتشويق وتكليف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالنشبيات والتقدمات وما جرت به عادة التفاسمين الدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف المقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأتقياء أمي رآء من التكلف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أنبضكم إلى وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفهقون المتشدقون في الكلام»^(٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها

(١) حديث يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لأعرفه وله من حديث هاني أبي شريح بإسناد جيد بوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام

(٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تقدم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمره الحديث متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وقد تقدم .

(الآفة السادسة : التعمر في الكلام والتشويق)

(٥) حديث إن أنبضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلسا الثرثارون التفهقون المتشدقون أحمد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حاية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك أدب الخدمة . أعز من الخدمة . حكى عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقصد بمخاء الكعبة وربما كنت أستلقي وأمدت رجلي فجاءتني عائشة الكية فقالت لي يا أبا عبيد يقال إنك من أهل العلم اقبل مني كلمة لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحي اسمك من ديوان القربول أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن عطاء : النفس مجبولة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شرار أمق الذين غدوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ألهلك التنطون ثلاث مرات »^(٢) والتقطع هو التعمق والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شقشق الكلام من شقشق الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب بالسنتها »^(٣) وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والقدمة للصنوعة للتكلفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك النفاصيح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات « إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال أسجما كسجع الأعراب »^(٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للفرض وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فشراسة اللفظ تأثير فيه فهو لا تائق به ، فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات فلا يلقى بها السجع والتشديق والاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويجزع عنه .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

وهو مذموم ومنه عنه ومصدره الحث والاثوم . قال صلى الله عليه وسلم « إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش »^(٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال « لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لؤم »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بافظ إن أفضكم إلى (١) حديث فاطمة شرار أمق الذين غدوا بالنعيم الحديث وفيه ويتشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتنطون م من حديث ابن مسعود (٣) حديث سعد يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقرة الكلاب بلسانها رواه أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث م من حديث الثيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصاهما عند خ أيضا .

(الآفة السابعة : الفحش والسب وبذاءة اللسان)

(٥) حديث إياكم والفحش الحديث ن في السكبرى في التفسير والحاكم ومحمده من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث النهي عن سب قتلى بدر من المشركين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح إن رجلا وقع في أب للباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ت باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم ومحمده وروى موقوفا قال الدارقطني في الطل والموقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والعبد
مأمور بملازمة الأدب
والنفس تجري بطباعها
في ميدان المخالفة
والعبد يرد بها بجهد
إلى حسن اللطابة
فمن أعرض عن
الجهد فقد أطلق
عنان النفس وغفل
عن الرعاية ومهما
أعانها فهو شر يكها وقال
الجنيد من أعان نفسه
على هواها قد أشرك
في قتل نفسه لأن
العبودية ملازمة الأدب
والطغيان سوء الأدب
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المسروي قال أنا
أبو النصر الترياقى قال
أنا أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس الهبوبي
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسمون بين الحميم والجميم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل أيضا للبانة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف ويحتمل أيضا البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فان إلقاء ذلك مجملا إلى أسماع العوام أولى من البانة في بيانه إذ قد يشور من غاية البيان فيه عكوك ووساوس فاذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للراد به المباهرة بما يستحي الإنسان من بيانه فان الأولى في مثله الإغماض والتخافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحش للتفحش الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن سمرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامي قال صلى الله عليه وسلم إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحاسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن ميسرة يقال يؤتى بالفاحش للتفحش يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأحف ابن قيس الأخرمك بأدوا الهاء اللسان البذي والحلق الذي ، فهذه مذمة الفحش فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للاستقبحه بالمبارات الصريحة وأكثر ذلك يجرى في ألفاظ الواقع وما يتعلق به فان لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتعاشون عنها بل يكون عنها وبدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقارنها ويتعلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللسن عن الجماع فالسيس واللسن والدخول والصحة كنيات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعير وهذه عبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أخف من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والحراء وغيرها فان هذا أيضا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فانه فحش وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجره أومن وراء الستر أوقالت أم الأولاد فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضى إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى

من حيث عبد الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى الحديث وفيه إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مائع واختلف في صحته فذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره ع حب في التابعين (٢) حديث يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النصر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك وصحة على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطبراني من حديث أسامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحش التفحش وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن سمرة إن التفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا باسناد صحيح .

قال ثنا قتبية قال ثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما محل والد من نخلة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو طي الدقاق البغدادي يصل بطاعته إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلاء بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقته فخرج تحت إبطه خراج فأثبناه نسأله لئرى مايقول قتلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على الفحش إما قصد الأبداء وإما الاعتیاد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بعله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبني شيئا قال فما سببت شيئا بعده (١) » وقال عياض بن حمار « قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل طي من بأس أن أنتصر منه فقال للستبان شيطانان يتعاونان ويتهارجان (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر (٣) » وقال صلى الله عليه من سب والديه (٤) » وفي رواية « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب الآخرا أباه . »

(الآفة الثامنة اللعن)

إما الحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ليس بلعان (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بنضبه ولا بجهنم (٢) » وقال حذيفة ما تلعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال عمران بن حصين « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار هلى ناقه لها فضجرت منها فلعننها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة (٣) » قال فكأنى أنظر إلى تلك الناقة تمنى بين الناس لا يعترض لها أحد . وقال أبو الدرداء : ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصاناه . وقالت عائشة رضى الله عنها « سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه وقال يا أبا بكر أصدقين ولعائنين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا (٤) » فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك بشيء بعله فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه الحديث أحمد والطبراني باسناد جيد من حديث أبي جرى الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل طي من بأس أن أنتصر منه فقال اللستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاجان د الطيالى وأصله عند أحمد (٣) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث اللستبان ما قاله صلى الله عليه وسلم ، م من حديث أبي هريرة وقال مالم يعتد (٥) حديث ملعون من سب والديه وفي رواية من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول باسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

(الآفة الثامنة اللعن)

(٦) حديث المؤمن ليس بلعان تقدم حديث ابن مسعود ليس للمؤمن بالطعان ولا اللعان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا (٧) حديث لاتلاعنوا بلعنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٨) حديث عمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار هلى ناقه لها فضجرت منها فلعننها الحديث رواه م (٩) حديث عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال يا أبا بكر لعائنين وصدقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الأستاذ أبو طي لا يستند إلى شيء فكان يوما في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأنى رأيت غير مستند فتحنى عن الوسادة قليلا فتوجهت أنه توى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لأريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجلال البصرى التوحيد يوجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له . وقال بعضهم الزم الأدب

صلى الله عليه وسلم وقال لأعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن اللعانيين لا يكونون شفعا ولا شهداء يوم القيامة (١) » وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحن ببيره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون (٢) » وقال ذلك إنكارا عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه لفظ التشرع فإن في اللعنة خطرا لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبدى للملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلعه الله عليه والصفات المقتضية لللعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتدعيين والفسقة الثانية اللعن بأوصاف أخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والحوارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلى الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف البدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعى المعارضة بثله ويشير نزاعا بين الناس وفسادا . الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعا فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ما نوا على الكفر وعرف ذلك شرعا أما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنة الله وهو يهودى مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه مأمونا . فان قلت يلحن لسكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لسكونه مسلما في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الإسلام الذى هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر وللعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري والطلاق متردد بين الجهتين فقيه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلحن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تتقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولله لك عين قوما باللحن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة (٣) » وذكر جماعة قتلوا على الكفر بيد حتى إن من لم يعلم عاقبته كان يلحنه فتهنى عنه إذ روى « أنه كان يلحن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن اللعانيين لا يكونون شفعا ولا شهداء يوم القيامة م من حديث أبي الدرداء (٢) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحن ببيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا باسناد جيد (٣) حديث اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذ كوان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه اللهم العن الحيان ورعاه الحديث

ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا . قال بعضهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غيبا ولو بعد سنين قال فوجدت غيبا بعد عشرين سنة أن نسيت القرآن . وقال سرى صليت وردى ليلة من الليالي ومددت رجلى في الهضاب فوديت يا سرى هكذا تجالس الماوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامددت رجلى أبدا وقال الجنيد فبقي ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهأوا . قال عبد الله ابن المبارك معنى تهاون

وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه و جاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فضضب ابنه عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للاهام من ابي تحافة قال ابو بكر بكلمة في هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرت الكفار فمحموا فانكم اذا خصتم غضب الأبناء للاباء فكف الناس عن ذلك (١)» وشرب نهبان الحجر فهد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (٢)» وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله قهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لمن فاسق بعينه غير جائز وعلى الجملة ففي لمن الأشخاص خطر فليجنب ولا خطر في السكوت عن لمن إبليس مثلاً فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لمن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن العنة لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالنسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣)» وقال ﷺ «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا باء به أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بكفيره إياه (٤)» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فان ظن أنه كافر يدعى أو غيرها كان محظنا لا كافرا وقال معاذ

وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله - ليس لك من الأمر شيء - لفظ م (١) حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فضضب ابنه الحديث د في الرسائل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن الله صاحب هذا القبر فانه كان يجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببت للشركيين فسبوت جميعا (٢) حديث شرب نهبان الحجر فهد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن عوناً للشيطان على أخيك وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا ومحمد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمد وكناه عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبيد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلدته في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلده فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلنوه فواقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه لا تعينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالنسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما إن كان كافرا فهو كما قال وإن لم يكن كافرا فقد كفر بكفيره إياه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة . وسئل السري عن مسألة في الصبر فجعل يتكلم فيها فذهب على رجله فقرب ف جعلت تضربه بارتها فقيل له ألا تدفهما عن نفسك قال أستحي من الله أن أتكلم في حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «زويت لي الأرض فأريت مشارقتها ومغاربها» ولم يقل رأيت . وقال أنس ابن مالك الأدب في العمل علامة قبول

قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للاموات أشد» (١) قال مسروق دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال عليه السلام «لاتسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولاتسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله ؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بسد التوبة فان وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله ﷺ قتل وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولانتهى إلى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطاق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعة وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس العروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال مكى بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجمعوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون إنما نذكرك لما ارتكبت منك فقال إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً فلاناً يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلى من أن يخرج منها لعن الله فلاناً . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أوصيك أن لاتكون لعاناً» (٥) وقال ابن عمر : إن أبغض الناس إلى الله كل طمان لعان . وقال بعضهم لعن للؤمن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوقلت إنه مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقال «من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لاصح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجرى مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر «إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة» (٧) .

(١) حديث معاذ أنهك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل (٢) حديث عائشة لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا وخ ذكر المصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في رهد و الرقائق مع القصة (٣) حديث لاتسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهارى ولا تسبوا أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصارى احفظوني في أصحابي وأصهارى وإسناده ضعيف وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لاتسبوا أصحابي ولأبي داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم وللنسائي من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لاتكون لعاناً لعاناً أحمد والطبرانى وابن أبي عاصم في الأحاد والثانى من حديث جرهموز الهجيمى وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم (٦) حديث لعن للؤمن كقتله متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك (٧) حديث إن الظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف له على أصل وللترمذى من حديث عائشة بسد ضعيف من دعا على من ظلمه فقد اسمر .

المعمل . وقال ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل مامعناه قال أن تعامل الله سرا وعلنا بالأدب فاذا كنت كذلك كنت أدياً وإن كنت أمجماً ثم أنشد :

إذا نطقت جاءت بكل مليحة
وإن سكنت جاءت بكل مليح

وقال الجري منى عشرين سنة مامدوت رجلى في الخلوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى . وقال أبو على ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء الأدب على البساطرد إلى الباب ومن أساء الأدب على الباب ردّ

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الفناء وما يحل فلا نعيد وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ « لأن يمتلىء جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعرا (١) » وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال اجل مكان هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وطى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال صلى الله عليه وسلم « إن من الشعر لحكمة (٢) » فم مقصود الشعر للدخ والدم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في اللدح (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليقت الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يتقدم صورته وقد أنشدت آيات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يتبع منه قالت عائشة رضی اللہ عنہا « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتوله نورا قالت فبهت فنظر إلى فقال مالك بهت فقلت يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتوله نورا ولو رأك أبو كبير الهذلي لعم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرأ من كل غير حية وفساد مرضعة وداء مفيل

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان يده وقام إلى وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سررت مني كسرورى منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منها ومن تضع اليوم لا يرفع

قال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه فذهب به أبو بكر الصديق رضی اللہ عنہ حتى اختار مائة

(الآفة التاسعة الفناء والشعر)

(١) حديث لأن يمتلىء جوف أحدكم قبيحا حتى يريه خير من أن يمتلىء شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخاري من حديث ابن عمر، ومسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان اهجم وجبريل معك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتوله نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غير حية وفساد مرضعة وداء مفيل

فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض للتهلل

إلى آخر الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة .

إلى سياسة الدواب .
[الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب]

كل الآداب تتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه في الحضرة بقوله تعالى - مازاغ البصر وما طغى - وهنئه غاضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه القدس في الاعراض والاقبال أعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أَرْضِي الناس فقال له صلى الله عليه وسلم أتقول في الشعر فجعل يتدبر إليه ويقول بآبي أنت وأمي إني لأجد للشعر ديباً على لساني كديب الخمل ثم قرصني كما قرص الخمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين (١) .

(الآفة العاشرة الزاح)

وأصله مذموم منهي عنه الإقدر إيسر استثنى منه قال صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ خاك ولا تمازحه (٢) » فان قلت الماراة فيها إيذاء لأن فيها تكديماً للأخ والصديق أو تجهيلاً له ، وأما الزاح فطائفة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينهي عنه ؟ فاعلم أن النهي عنه الإفراط فيه أو اللداومة عليه أما اللداومة فلا أنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن الواطبة عليه مذمومة وأما الإفراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تيمت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط الهايبة والوقار فما غلبوا عن هذه الأمور فلا يذم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً (٣) » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً وأما غيره إذا فتح باب الزاح كان عرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في النار أبعد من التريا (٤) » وقال عمر رضي الله عنه : من كثر ضحكك قلت هيئته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيراً لضحككم قليلاً (٥) » وقال رجل لأخيه يا أخى هل أتاك أنك واردة النار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك ؟ قيل فمارؤى صاحبا حتى مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظروه هيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فدل الشاكرين وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي جلي يقول أتضحك ولعل أ كفانك

(١) حديث لما قسم الفنائم أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره :

وما مكان بدم ولا حابس يسودان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع البسوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عنى لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس ذلك فقال عباس بن مرداس :

أجعل نهي ونهب العيب د بين عينة والأقرع
وما مكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع
وما كنت دون امرئ منها ومن تضع البسوم لا يرفع

قال فأنتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفمة بن علاثة مائة وأما زيادة اقطعوا عنى لسانه فليست في شيء من الكتب المشهورة .

(الآفة العاشرة الزاح)

(٢) حديث لا تمارأ خاك ولا تمازحه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً

تقدم (٤) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم .

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

والله العاجلة محظوظها
والسموات والهار
الآخرة محظوظها فما
التفت إلى ما عرض
عنه ولا ليطه الأسف
على الغائب في إعراضه
قال الله تعالى - لكيلا
تأسوا على ما فاتكم -
فهذا الخطاب للموم
وما زاغ البصر إخبار
عن حال النبي عليه
السلام بوصف خاص
من معنى ما خاطب به
الموم فكان ما زاغ
البصر حاله في طرف
الاعراض وفي طرف
الاقبال تلقى ماورد
عليه في مقام قاب
قوسين بالروح والقلب
ثم فر من الله تعالى
حياء منه وهية
وإجلالا وطوى نفسه
بفراره في مطاوى
انكساره وانتقاره

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبيكي وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يبيكي ألمت تعجب من بكائه؟ قيل بلى قال فالدني يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه فهذه آفة الضحك والذموم منه أن يستغرق ضحكا والحمدود منه التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوب له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك مرار ثم وقصه قتلته قبيل يارسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه وقد هلك فقال نعم وأفواهم ملامى من دمه (٢) وأما أداء المزاح إلى سقوط الوفاة فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لى أمى يابنى لأعمازح الصبيان قهون عندهم وقال سعيد بن العاص لابنه يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك والالذنى فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضعيفة ويجر إلى القبيح تمدنوا بالقرآن وتجالسوا به فإن نزل عليكم حديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أتدرون لم سمى المزاح مزاحا؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء يذور وبذور العداوة المزاح ويقال المزاح سلبة للرمي مة مطعة للأصدقاء . فان فات قد نزل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينهى عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقا ولا تؤذى قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحيانا على الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الانسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالأصرار ومن الباحات ما يصير صغيرة بالأصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا (٣) ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا «يارسول الله إنك تداعبنا فقال إني وإن دأبتكم لأقول إلا حقا (٤)» وقال عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كما ذات يوم امرأة من نسائه ثودا وسعا فقال لها البسبه واحمدى وجرى منه ذبلا كذيل العروس (٥) وقال أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكته الناس مع نسائه (٦) وروى أنه كان كثير التبسم (٧) وعن الحسن قال أمت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال إنك لست بعجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهن - إنشاء فجعلناهن أبكارا - (٨)» وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكه التبسم تقدم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قلوب له صعب فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يفر به وجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه قتلته قبيل يارسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوبه فهلك قال نعم وأفواهم ملامى من دمه ابن المبارك في الزهد والرائق وهو عصل (٣) حديث إذنه لعائشة في النظر إلى رقص الزوج في يوم عيد تقدم (٤) حديث أبي هريرة قالوا إنك تداعبنا قال إني وإن دأبتكم فلا أقول إلا حقا الترمذى وحسنه (٥) حديث عطاء إن رجلا سأل ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح؟ فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكر منه قوله لامرأة من نسائه البسبه واحمدى وجرى منه ذبلا كذيل العروس لم أفك عليه (٦) حديث أنس قال من أفكته الناس تقدم (٧) حديث أنه كان كثير التبسم تقدم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة عجوز

لكيلا تنبسط النفس
تظنى فان الطغيان
عند الاستغناء وصف
النفس قال الله تعالى
- كلا إن الانسان
ليظنى أن رآه استغنى-
والنفس عند المواهب
الواردة على الروح
والقلب تسترق السمع
ومنى نالت قسطا من
المنح استغنت وطفنت
والطغيان يظهر منه
فرط البسط والإفراط
في البسط يسد باب
الزهد وطغيان النفس
لضيق وعائها عن
المواهب فموسى عليه
السلام صح له في
الحضرة أحد طرفي
ما زاغ البصر وما التفت
إلى ما فاتته وما ظنى
متأسفا لحسن أدبه
ولكن امتلا من المنح
واسترقت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم «قالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بعينه يياض قالت والله ما بعينه يياض فقال بلى إن بعينه يياض قالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد إلا وبعينه يياض وأراد به البياض المحيط بالحدقة (١)» وجاءت امرأة أخرى فقالت «يا رسول الله احملني على بعير فقال بل نعملك على ابن البعير فقالت ما أصنع به إنه لا يعملني فقال ﷺ : ما من بعير إلا وهو ابن بعير (٢)» فكان يمزح به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل النخير (٣)» لنخير كان يلعب به وهو فرخ العصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسأبتك فشددت درعى على بطنى ثم خططنا خطا قمعنا عليه واستبقنا فسبقتى وقال هذه مكان ذى المجاز (٤)» وذلك أنه جاء يوما ونحن بندى المجاز وأنا جارية قد بسنتى أبي بشى فقال أعطينيه فأبيت وسعيت وسعى في أثرى فلم يدركنى وقالت أيضا «سأبتى رسول الله ﷺ فسبقتة فلما حملت اللحم سأبتى فسبقتى وقال هذه بتلك (٥)» وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حريرة وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لأحبه فقلت والله لتأكلن أو لألطنخن به وجهك فقالت ما أنا بذاتفته فأخذت يدي من الصحيفة شيئا منه فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغض لها رسول الله ركبته لتستقيد منى فتناولت من الصحيفة شيئا فمسحت به وجهى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضحك (٥)» وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دميما فيبعا فلما بايعه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دميما (٧)» . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن ابن على عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيبش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن

الترمذي في الثمائل هكذا مرسلًا وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بعينه يياض الحديث الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبدة بن سهم النهري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استجملته على ابن البعير الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس أبا عمير ما فعل النخير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقتها صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقتها وقال هذه مكان ذى المجاز لم أجد له أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سابقى فسبقتة النسائي وابن ماجه وقد تقدم في السكاح (٦) حديث عائشة في لطنخ وجه سودة بحريرة ولطنخ سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الحميراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يضرب الحجاب فقالت أهي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دميما الزبير بن بكار في الفكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلا وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

ونظمت إلى القسط
والحظ فلما حظيت
الشمس استغنت وطفح
عليها ما وصل إليها
وضاق نطاقها فتجاوز
الحد من فرط البسط
وقال أرني أنظر إليك
فنع ولم يطلق في قضاء
للزيد وظهر الفرق
بين الحبيب والكليم
عليهما السلام وهذه
دقيقة لأرباب القرب
والأحوال السنية فكل
قضى يوجب عقوبة
لأن كل قبض سد في
وجه باب الفتوح
والعقوبة بالقبض
أوجبت الإفراط في
البسط ولو حصل
الاعتدال في البسط
ما وجبت العقوبة
بالقبض والاعتدال في
البسط بإيقاف النازل
من النخ على طارح

لى الابن قد زوح وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم »^(١) فأكثر هذه الطائيات منقولة مع النساء والاصديان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصبيب وبه رمد وهو يأكل تمرا «أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم صلى الله عليه وسلم »^(٢) قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه . وروى « أن خوات بن جبير الأنصارى كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلان ضعيفا لجل لى شرود قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفر من كل ما رأيت به جيا منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال فرأتى فى المسجد يوما أصلى فجالس إلى فتولت فقال لا تطول فأتى أنتظرك فلما سلمت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قمام وكنت بعد ذلك أتفر من كل ما رأيت به جيا منه حتى لطفنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت فقال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد يا أبا عبد الله قال فحسن إسلامه وهداه الله »^(٣) وكان نعيان الأنصارى رجلا مزاحا فكان يشرب الخمر فى المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بتمله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يا رسول الله هذا قد اشتريت لك وأهديته لك فاذا جاء صاحبها يتقاضاه بالتمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهده لنا فيقول يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه »^(٤) فهذه مطايبات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلع لسانه للحسن بن علي فيرى الصبي لسانه فيرش إليه فقال عيينة بن بدر الفزارى والله ليكون لى الابن رجلا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أو يعلى من هذا الوجه دون ما فى آخره من قول عيينة ابن بدر وهو عيينة بن حصن بن بدر ونسب إلى جده وحكى الخطيب فى المهمات قولين فى قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن والثانى أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث قال لصبيب وبه رمد وأنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما آكل على الشق الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خوات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلان ضعيفا لجل لى شرود الحديث الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة ابن عمرو (٤) حديث كان نعيان رجلا مزاحا وكان يشرب الخمر فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الشئ ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يجي صاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار فى الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله .

والقلب والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي عليه السلام من تعيب النفس فى مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام لما قوبل بالقبض فدام مريده وكان قاب قوسين أو أدنى ويشاكل الشرح الذى شرحناه قول أبي العباس بن عطاء فى قوله تعالى - مازاغ البصر وما طنى - قال لم يره بطفيان يميل بل رآه على شرط اعتدال القوى وقال سهل بن عبد الله التستري لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه

يباح مثلها على الندور لاطى الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك الميت للقلب .

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

وهذا محرم مهما كان مؤذيا كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتثييب على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة السهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قلت عائشة رضى الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا »^(١) وقال ابن عباس في قوله تعالى - يا ويلتاما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن الصغيرة التسم بالاستهزاء بال مؤمن والكبيرة التهقبة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتيه^(٣) » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله^(٤) » وكل هذا يرجع إلى اسحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغار له وعليه نبه قوله تعالى - عسى أن يكونوا خيرا منهم - أى لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به فكانت السخرية في حقه من جملة المزاح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وإنما المحرم استصغار يتأذى به السهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخطت فيه ولم ينتظم أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعه أو على صورته وخلقه إذا كان قصيرا أو ناقصا لعيبا من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهى عنها .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

وهو منهى عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

(الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء)

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظهم في الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يفعل متفق عليه (٣) حديث إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسل أورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هذبة أحد المهاجرين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

(الآفة الثانية عشرة إفشاء السر)

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجبت الثبوت في ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن محمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خاف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن على

« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فمضى أمانة^(١) » وقاله طلقاً « الحديث بينكم أمانة^(٢) » وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه يأتى إن أمير المؤمنين أسرى إلى حديثاً وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى عميرك قال فلا تمدنى به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاء كان الخيار عليه قال قتلت يأتى وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يابى ولسكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يوليد أعتقك أبوك من رقى الخطأ فأفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السرى في كتاب آداب الصحبة فأغنى عن الإعادة.

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً وذلك من أمارات النفاق قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل^(٤) » والوأي الوعد وقد أئى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان منى إليه شبه الوعد فو الله لألقى الله بثلاث اتفاقات أشهدكم أنى قد زوجته ابنتى وعن عبد الله بن أبي الحنساء قال « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك^(٥) » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجمىء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى^(٦) وكان ابن مسعود لا يمدو وعداً إلا ويقول إن شاء الله وهو الأولى ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يبنى فهذا هو النفاق . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان^(٧) » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقاً

(١) حديث إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فمضى أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل -

(الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب)

(٣) حديث العدة عطية الطبرانى في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطى في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسل وقال الوأى يعنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى في مستند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنساء بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فواعدته أن آتية بها في مكانه ذلك فنسيت يومى والعد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك رواه أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلاً (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا أبو الطيب السكى عن أبي محمد الجريري قال التسرع إلى استدراك علم الاقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستتباب ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الإقبال مساءة والإصفاء إلى تلقى ما ينفصل عن معدته بعد الاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط في محل الأنىس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لأربابها وفي قوله تعالى - مازاغ

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) « وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فمن له عذر منعه من الوفاء لم يكن مناققا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن يبنى أن يحترز من صورة النفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة حاضرة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فأنت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرحي يدي فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم (٢) « فأثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدبر الرحي بيدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بمخيم فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضائفة وراعيا قال هي لك وقال احتكمت يسرا (٣) « واصحابة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكما منك حين حكما موسى عليه السلام فقالت : حكى أن تردني شابة وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثالا قبيلا أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) « وفي لفظ آخر « إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا يثم عليه . »

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسميل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب فإنه مع الفجور وما في النار (٥) » وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) » وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والدخل والمخرج وإن الأصل الذي بنى عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان مناققا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتى بثلاثة من السي فأعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فجعل يقول كيف بوعدي لأبي الهيثم فأثره به على فاطمة فتقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذي من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يقسم غنائم هوازن بمخيم فوقف عليه رجل فقال إن لي عندك موعدا قال صدقت فاحتكم ماشئت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا يثم عليه أبو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنهما قالوا فلم يفي .

(الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين)

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال إياكم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة وجعله المصنف من رواية اسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإماما هو أوسط بن اسماعيل بن أوسط وإسناده حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه عمر بن موسى

البصر وما طفى -
وجه آخر ألطف مما
سبق : مازاغ البصر
حيث لم يتخاف عن
البصيرة ولم يتقاصر
وما طفى لم يسبق البصر
البصيرة فيتجاوز حده
ويتعدى مقامه بل
استقام البصر مع
البصيرة والظاهر
مع الباطن والقلب مع
القلب والنظر مع القدم
ففي تقدم النظر على القدم
طفيان والمعنى بالنظر
علم والتقدم حال القالب
فلم يتقدم النظر على
القدم فيكون طفيانا
ولم يتخلف القدم عن
النظر فيكون تقصيرا
فلما اعتدلت الأحوال
وصار قلبه كقالبه
وقالبه كقلبه وظاهره
كباطنه وباطنه
كظاهره وبصره
كبصيرته وبصيرته

النفاق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق و ننت له به كاذب»^(١) وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»^(٢) . «ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما والله لأنتصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لأزيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالإنم والكفارة»^(٣) وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم الفجار قيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكنكم تعلمون فيأتون ويمدثون فيكذبون»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم : اللنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الفاجر والسبل إزاره»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة»^(٧) وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في فقة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسنوا الأرض فقولوا فتنحى يصلى حتى يوقظ أصحابه للرحيل وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البياع الخلاف والفقير المحتال والبخل للنان»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»^(٩) وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فقامت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس سيد القائم كلوب من حديد يلغمه في شدة الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله

الوجهي ضعيف جدا ويغنى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربع من كن فيه كان منافقا قال في كل منهما وإذا حدث كذب وبها في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هولاك به مصدق وأنت له كاذب البخارى في كتاب الأدب للفرد وأبو داود من حديث سفیان بن أسيد وضعفه ابن عدى ورواه أحمد والطبرانى من حديث النواس بن سمعان باسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا متفق عليه (٣) حديث من رجلين يتبايعان شاة ويتحالفان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالإنم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسخ الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن سمعون وناسخ ذكره البخارى هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن ناسخ (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصمانيين من حديث أبي هريرة ورويناها كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف (٥) حديث إن التجار هم الفجار الحديث وفيه ويمدثون فيكذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم اللنان بعظيته والنفق سلعته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكته في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله ابن أنيس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشنؤهم الله التاجر أو البياع الخلاف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر باسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يفضهم الله البياع الخلاف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

كبصره بحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتى البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لا يتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث للعراج فكان البراق بقاله مشا كاللعنائه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث للعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل سماء بعض الأنبياء إشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فمن هو في بعض السموات يكون قوله سأرني أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يعذبه ويلقمه الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا؟ فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة (١) « وعن عبد الله بن جرادة قال «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن؟ قال قد يكون ذلك قال يابني الله هل يكذب المؤمن؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى - إنما يخترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - (٢) « وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجى من الزنا ولساني من الكذب (٣) « وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر (٤) « وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال أما إنك لو لم تضل لكنت عليك كذبة (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإصرار بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال: ألا وقول الزور (٧) « وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثنن ماجاء به (٨) « وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة فقالوا وما هن؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتمن فلا يخن وغضوا أبصارهم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٩) « وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فقممت معه فاذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقيه في شدة الجالس الحديث البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جرادة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصر على الكذب وجعل السائل أبا الدرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجى من الزنا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجى من الزنا وزاد وعملي من الرياء وعيني من الخيانة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعال أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت تعرا فقال إن لم تضل لكنت عليك كذبة رواه أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه . قلت وله شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالهما ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نعماء عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً رواه مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من ثنن ماجاء به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بست أتقبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحرايطى في مكارم الأخلاق وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي ووثقه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال

القدم وتخلفاً للقدم
عن النظر وهذا هو
الاخلال بأحد الوصفين
من قوله تعالى - ما زاغ
البصر وما طغى -
فرسول الله حمل مقترنا
قدمه وانظره في حجال
الحياء والتواضع ناظرا
إلى قدمه قادم على
نظاره ولو خرج عن
حجال الحياء والتواضع
وتناول بالنظر متمديا
حد القدم تعوق في
بعض السموات
كتعوق غيره من
الأنبياء فلم يزل صلى
الله عليه وسلم متجاسس
حجابه في خفارة أدب
حاله حتى خرق حجب
السموات فانصبت إليه
أقسام القرب انصبابا
وانقسمت عنه
سحاب الحجب حجبا
حجبا حتى استقام حتى

« إن للشيطان كذلا ولموقا ونشوقا أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالنضب وأما كحله فالنوم (١) »
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كفيأى هذا فيكم فقال
 « أحسنوا إلى أمهاني ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف
 ويشهد ولم يستشهد (٢) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكاذبين (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يأتى ليقطع بها مال امرئ
 مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان (٤) » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها
 المسلم إلا الحيانة والكذب (٦) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أشد على أمهات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل
 من أصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها (٧) »
 وقال موسى عليه السلام : يارب أىّ عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه
 ولا يزنى فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهى كلهم الصغور عمافيل بقلاه
 صاحبه ، وقال عليه السلام في مدح الصدق « أربع إذا كنت فيك لا يضرك ما فاتك من الدنيا
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة طعمه (٨) » وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى
 وقال « عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة (٩) » وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح (١٠) »

صحيح الإسناد (١) حديث إن للشيطان كذلا ولموقا الحديث الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند
 ضعيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يفشو الكذب الترمذى وصححه
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب
 فهو أحد الكذابين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على
 يمين مآثم ليقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسل وموسى
 روى معمر عنه منا كبير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة ورواه ابن عدى في مقدمة الكامل
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من
 حديث سعد مرفوعا وموقوفا والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل (٧) حديث ما كان
 من خلق الله شئ أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله منها توبة أحمد من
 حديث عائشة ورجالها ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات
 فقال ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنت فيك فلا يضرك ما فاتك
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة ابن ماجه والنسائي في
 اليوم والليلة وقد تقدم بهضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - مازاغ البصر
 وماطنى - فمر كالبرق
 الحاطف إلى مخدع
 الوصل واللطائف وهذا
 غاية في الأدب ونهاية في
 الأرب . قال أبو محمد
 ابن رويم حين سئل
 عن أدب المسافر فقال
 لا يجاوز همه قدمه حيث
 وقف قلبه يكون مقربه
 أخبرنا شيخنا ضياء
 الدين أبو النجيب إجازة
 قال أنا عمر بن أحمد قال
 أنا أبو بكر بن خلف
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 السلى قال ثنا القاضي
 أبو محمد يعجبى بن
 منصور قال حدثنا
 أبو عبد الله محمد بن
 على الترمذى قال حدثنا
 محمد بن رزام الأبلج قال
 حدثنا محمد بن عطاء
 الهجيمي قال حدثنا
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضي الله عنه : أحكم إلينا ما لم نركم أحسنكم إنما فاذا رأيناكم فأحجم إلينا أحسنكم خلقا فاذا اخترناكم فأحجم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأنتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فتوديت من جانب البيت - ثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد غورا في النار الكذاب أو البخيل وقال ابن السكيت ما رأيت أوجر على ترك الكذب لأني إنما أدعته أفة ، وقيل لحالد بن صبيح أسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كما قرضنا نبتنا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

(بيان ما رخص فيه من الكذب)

اعلم أن الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذونا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطنين خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سمى خاف إنسان بالسيف ليقتله فدخل دارا فأتتهى إليك فقال أرأيت فلانا ما كنت قائلا ألت تقول لم أره وما تصدق به وهذا الكذب واجب . فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحا وواجب إن كان القصد واجبا كما أن عصمة دم المسلم واجبة فلهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد احتجني من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المهني عليه إلا يكذب بالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا للضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نعى خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت يزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كاهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقبت أحدهما مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية سرب أرتى أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرانى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولا رطب إلا تفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم » . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدعاء وإنما الإمساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للآرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بعض هذا (٣) حديث أسماء بنت يزيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعتهم يعمن عليه التناء ثم اتيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطفاها ثم قلت أهلمت نفسي وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا كاهل أصلح بين الناس (١) «أى ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم «أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك (٢)» وروى أن ابن أبي نذرة الدؤلى وكان في خلافة عمر رضى الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحد وثمة بكرهما فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضينى قالت لا تنشدنى قال فأتى أنشدك الله قالت نعم فقال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضى الله عنه فقال إنكم لتحدثون أنى أظلم النساء وأخلمهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي نذرة فجات هي وعمتها فقال أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه فقالت بئى أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدنى فتخرجت أن أكذب أفأكذب بأمر المؤمنين؟ قال نعم فأكذبتى فان كانت إحداكن لا تحب أحدا فلا تحدثه بذلك فان أقل البيوت الذى بينى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والأحساب، وعن النواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لاحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحنة فيصلح بينهما أو يحدث امرأته برضاها (٣)» وقال ثوبان الكذب كله إثم إلا مانع به مسلما أو دفع عنه ضررا وقال على رضى الله عنه: إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلان آخر من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فالجرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره. أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول ما زانيت وما سرت، وقال صلى الله عليه وسلم «من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٤)» وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وإن كان كاذبا. وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يقدر عليه فيمدها في الحال تطيبا لثيابها أو يتندر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن الحذيفة أن الكذب محذور ولو صدق في هذه الواضع تولد منه محذور فينبغى أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط فاذا علم أن المحذور الذى يحصل

(١) حديث أبى كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبرانى ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أكذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في الموطن عن صفوان ابن سليم معضلا من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النواس بن سمعان مالى أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مكارم الأخلاق بلفظ تتبايعون إلى قوله في النار دون ما بعده فرواه الطبرانى وفيهما شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وإسناده حسن.

والحاجات الدنيوية حتى رفته الحق مقاما في القرب وأذن له في الانبساط وقال اطلب منى ولو ملحا لمجنك فلما بسط أنبسط وقال - رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير - لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال في الشاهد فان الملك العظيم يسأل العظماة ويحتشم في طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار في مقام خاص من القرب يسأل الحفيرة كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فجمع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الانسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بفرض غيره فلا يجوز السامحة لحق الغير والاضرار به وأكثر كذب الناس إنعما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو لزيادات السال والجاهه ولأمور ليس فواتها محذورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفضر به وتكذب لأجل مراعاة الضرات وذلك حرام وقالت أسهاء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إن لي ضرة وإني أتكتر من زوجي بما لم يفعله فأنا بذلك فهل طي شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: التشبع بما يعطى كلابس ثوبي زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى المالم بما لا يتحققه (٢) » وروايته الحديث الذي لا يثبتته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف من أن يقول لأدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعده أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحا ، نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذبا ولكن الكذب المباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب بتصحيح قصده فيه ثم معنى عنه لأنه إنعما أيسح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنعما يتعلل ظاهرا بالإصلاح فلماذا يكتب وكل من آتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فقيامه من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر طي الأسباع وسقط وقصه وما هو جديد فوقه أعظم فهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم وطى الله تعالى ويؤدى فتح باب إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلا والكذب طي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء . نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

(بيان الحذر من الكذب بالمعاريض)

قد نقل عن السلف أن في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره وإنعما أرادوا بذلك إذا اضطر الانسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعا ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روى أن مطرفا دخل طي زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رقت جنبي مذفارت

(١) حديث أسهاء قالت امرأة إن لي ضرة وإني أتكتر من زوجي بما لم يفعله الحديث متفق عليه وهي أسهاء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة لم أجبه بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب طي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أزمته القيام مع أسأئ وصفاي أزمته الأدب ومن كشف له عن حقيقة ذاتي أزمته العطب . فاختر أيهما شئت الأدب أو العطب وقول القائل هذا يشير إلى أن الأسهاء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لمعان نور عظيمة الذات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفي ذلك العطب نهاية الأرب . وقاله أبو عسى الدقاق في قوله تعالى - وأيوب

الأمير إلا ما رضى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب قتل إن الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفي عند الاستماع وعنده للإبهام. وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضى الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ماجئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم وما كان قد أتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر رضى الله عنه فبعث عمر معك ضاغطا وقامت بذلك بين نسايتها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يعنى رقيقا وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربحا لا يتفوق ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى له اطلبه في المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعى الأصبع فيها وقولى ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تضييق للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روى عبد الله بن عتبة قال دخلت مع أبي علي بن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عليه نغرجت وطى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه أمير المؤمنين فنكتت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لى أبي يابى اتقى الكذب وما أشبهه فتهاء عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لأجل غرض الفاحرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه ، نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطبيب قلب الغير بالمزاح كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة عجوز (١) » وقوله للأخرى « للذى في عين زوجها كذب يياض » وللأخرى « نعملك على ولد البعير » وما أشبهه وأما الكذب المصرح كإفصاحه نيمان الأنصارى مع عثمان في قصة الضرب إذ قال له إنه نيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحق بتزويرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطابته فلا يوصف صاحبها بالسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم « لا يكلم المرء الايمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحق يجنب الكذب في مزاحه (٢) » وأما قوله عليه السلام « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من الثريا (٣) » أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في البالغة كقوله طابتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم البالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتعاد مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالبالغة فيها لخطر الكذب وبمساواة الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهى عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس « كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هياتها وأدخلتها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة عجوز وحديث في عين زوجها كذب يياض وحديث نعملك على ولد البعير تقدمت الثلاثة في الآفة العاشرة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحق يجنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة التمارى وقال فيه نظر وللشيخين من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولقد ارقطى في المؤلفات والمختلف من حديث أبي هريرة لا يؤمن عبد الايمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوى بها أبعد من الثريا تقدم في الآفة الثالثة .

إذ نادى ربه أن
مضى الضر وأنت
أرحم الراحمين لم يقل
ارحمى لأنه حفظ أدب
الخطاب وقال عيسى
عليه السلام إن كنت
قلته فقد علمته . ولم
يقول لم أقل رعاية لأدب
الحضرة . وقال
أبو نصر السراج أدب
أهل الخصوصية من
أهل الدين في طهارة
القلوب ومراعاة
الأسرار والوفاء بالعهود
وحفظ الوقت وقلة
الالتفات إلى الحواطر
والعوارض والبوادى
والعوائق واستواء
السر والعلاية وحسن
الأدب في مواقف
الطلب ومقامات القرب
وأوقات الحضور .
والأدب أدبان أدب
قول وأدب فعل فمن

صلى الله عليه وسلم ومعنى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قري إلا قد حامن ابن شرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت الجارية فقلت لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهي به فقال لا تجمنن جوعا وكذبا قالت قلت يا رسول الله إن قالت إحدانا شيء تشبهه لأشبهه أيعد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية (١) « وقد كان أهل الورع يحترزون عن التصامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت عينا سعيد بن السيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينك فأقول لا أفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خيثم عائمة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي صدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عيذه في المنام مالم يرا أو يقول على مالم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقدين شعرتين وليس باقده بينهما أبدا (٣) » .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة فقال تعالى - ولا يفتب بهضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل للسلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٤) » والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو هريرة قال عليه السلام « لا تحمدوا ولا تبغضوا ولا تتاجشوا ولا تداربوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمنن جوعا وكذبا ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت زيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبيشة لكن في طبقات الأصبهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زقنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساء الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عيذه في المنام مالم يرا أو يقول على مالم أقل البخاري من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى القرية أن يرى عيذه مالم يرا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقدين شعرتين البخاري من حديث ابن عباس .

(الآفة الخامسة عشرة الغيبة)

(٤) حديث كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحمدوا ولا تبغضوا ولا تتاجشوا ولا يفتب بهضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله ولا يفتب بهضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير .

تغرب إلى الله تعالى بأدب فعل منحه محبة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف وقال النوري من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذو النون إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور العرفان على ما ورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليلة أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظافرهم قفلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يتتابون الناس ويةءون في أعراضهم (١) » وقال سليم بن جابر « أتيت النبي عليه الصلاة والسلام قفلت علمني خيرا أتضع به فقال لا تخمقن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك يبشر حسن وإن أدبر فلا تتأبه (٢) » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه في جوف بيته (٣) » وقيل أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تابا لمن النية فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم قال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس حتى إذا أسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظلت صائما فاذن لي لأفطريا فاذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فذنا من أهلك ظلتا صائمتين وإنما يستحيان أن يأتيك فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظلنهاره يأكل لحم الناس اذهب لفرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاء فاقامتا كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال والذي نفسي بيده لو بقينا في بطونهما لأكلتهما النار (٤) » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بمد ذلك وقال يا رسول الله والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم لتتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر فقال لإحداهما قئى فقامت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدر وقال للأخرى قئى فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس (٥) » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الحطيئة من ست وثلاثين زنية يزنها الرجل وأرى الربا عرض للمسلم (٦) » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يفتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستزفه من بوله فدعا بجريدة رطبة وأجر يدتين

(١) حديث أنس مررت ليلة أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا والسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قفلت علمني خيرا ينفعني الله به الحديث أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت واللفظ له ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا يتأبه وفي إسنادهما ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تتأبوا المسلمين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بأسناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم وقال لا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اغتابتا في صيامهما فقامت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في الصمت وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه ويزيد ضعيف (٥) حديث المرأتين الذكورتين وقال فيه إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا فذكر الربا وعظم شأنه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل المسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بجماله إلا ويحمها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر .

[الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأدبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على

فكسرها ثم أمر بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مالم يبسا (١) . « ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماخرًا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهبنا منها فقالا يا رسول الله نهش جيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) » وكان الصحابة رضی الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يختابون عند التية وروى ذلك أفضل الأعمال وروى خلافه عادة الناقلين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فإياك كله فينضج ويكحلح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلا كان قاعدين عند باب من أبواب المسجد فرهما رجل كان محنتا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنه شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا فصليا مع الناس خالف في أنفسهما ما قالتا فأتيا عطاء فألاه فأمرهما أن يجيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائعين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل همزة لمزة - الهمزة الطعان في الناس والهمزة القدي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من التية وثلث من النجاسة وثلث من البول وقال الحسن والله للنية أسرع في دين الرجل للؤمن من الأكلة في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجنب في عين نفسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أشدّ يابض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم نهام عن غيبة الكلب ونهم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يخطب آخر فقال له إياك والنية فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

(بيان معنى التية وحدودها)

اعلم أن حد التية أن تذكر أخاك بما يكرهه ولو بلغه سواء ذكرته به نص في بدنه أو نسيه أو في خلقه أو في ضله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في نوبه وداره ودابته . أما البدن فكذلك كرك المش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يذب صاحبهما فقال أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يخطب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب باسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه النجاسة بدل التية . وللطالبي فيه أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكره نحوه باسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للرحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بجيفة فقال انهبنا منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه باسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالسننة .

الجنابة . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور فما هو ؟ قالوا إنا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنج بثلاثة أحجار » وهكذا كان الاستنجاء في الإبتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شيء حق الحراءة فقال سلمان أجل نهانا أن نستقبل القبلة بضائط أو بول أو نستنجى باليمين أو يستنجى أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجى برجيع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شبيء مما يكرهه كفيما كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مرء شديد الغضب جبان عاجز ضيف القلب منهور وما يجري مجراه . وأما في أفعاله المتعاقبة بالدين فسكفوك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يضيع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس . وأما فعله المتعلق بالدنيا فسكفوك فإنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثموم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في ثوبه فسكفوك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم مادمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار (١) » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذن (٢) » فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو معتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به معتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرايت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته (٣) » وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله فلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه (٤) » وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتبها (٥) » وقال الحسن ذكر الصير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما لم يكن وذكر ابن سيرين رجلاً فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أرايت قد اغتبتته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور وقالت عائشة لا يتابن أحدكم أحداً فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي « الفظي الفظي فلفظت مضفة لحم (٦) »

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن طي مرسلًا ورويناه في أمالي ابن فضال هكذا (٣) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث الطبراني بسند ضعيف (٥) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقالت إنها قصيرة فقال اغتبتبها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصحة لابن أبي الدنيا والبصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت بضمة من لحم ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرافها .

عظم . حدثنا شيخنا
شيباء الدين أبو النجيب
إسلاء قال أنا
أبو منصور الحريري
قال أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمر الهاشمي
قال أنا أبو طي اللؤلؤي
قال أنا أبو داود قال
حدثنا عبد الله بن محمد
قال حدثنا ابن المبارك
عن ابن عجلان عن
القضاع عن أبي صالح
عن أبي هريرة رضي
الله عنه أنه قال : قال
صلى الله عليه وسلم
« إنما أنا لكم بمنزلة
الوالد أعلمكم فإذا
أتى أحدكم العائط
فلا يستقبل القبلة
ولا يستدبرها ولا
يستطيب يمينه » وكان
يأمر بثلاثة أحجار
وينهى عن الروث
والرمة . والفرس في

(بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان)

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والعزم والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومات يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتبها (١) » ومن ذلك المحاكاة كأن يمشى متعارجا أو كما يمشى فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسرنى أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا (٢) » وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر المصنف شخصا مينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعذار الموجهة إلى ذكره كما سيأتي بيانه وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما محي وإماميت ومن الغيبة أن تقول بعض من مر بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصا معينا لأن المهدور تفهيمه دون ما به التفهيم فأما إذا لم يفهم عنه جاز . كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئا قال « ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا (٣) » فكان لا يعين وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعى العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة وأجبت أنواع الغيبة غيبة القراء المرادين فانهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظفروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بمجهلهم أنهم جموا بين فاحشتين الغيبة والرياء وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طاب الحطام أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلى بما يتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ومدح نفسه بالتشبه بال صالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجمله بظن أنه من الصالحين المتعقبن عن الغيبة ولذلك ياب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحيط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حق يصحى إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله له في تحقير خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءنى ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتناء وفي إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاء في خلوته عقيب صلاته ولو كان يفتنم به لا غتم أيضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذلك المسكين قد بلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخبث قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لثقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب فانه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط الغتاب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومات يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتبها ابن أبي الدنيا وابن مردويه من رواية حسان بن محارق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات (٢) حديث ما يسرنى أنى حاكيت ولى كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يعيره ورجاله رجال الصريح .

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة المزبل وهو أن لا يكون رجيما وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا مرة وهي عظم الميتة ووزر الاستنجاء سنة فإما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - يحبون أن يتطهروا - وما سألوا عن ذلك قالوا كنا نبيع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة ورتابا طاهرا . وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قيل

في الغيبة فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجب ما علت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخبر وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمعتاد والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك للفتاب قال صلى الله عليه وسلم «الستمع أحد المتأين» (١) وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لشوم ثم إنهما طلبا أدما من رسول الله ﷺ ليا كلابه الحبز فقال صلى الله عليه وسلم «قد اتدتمنا؟ فقالا مانعله قال بلى إنكما أكلتما من لحم أخيكما» (٢) فانظر كيف جمعتهما وكان القائل أحدهما والآخر مستهما وقال للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص الرجل كما يقمص الكلب «انهم شامن هذه الجيفة» (٣) فجمع بينهما فالستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع السلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحا وقال صلى الله عليه وسلم «من أذلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة» (٥) وقال أيضا «من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (٦) وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بإعادتها .

(بيان الأسباب الباعثة على الغيبة)

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سببا ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة يختص بأهل الدين والخاصة . أما الثمانية : فالأول أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك مساويه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع وقد يتمتع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . الثاني موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فأنهم إذا كانوا يتفكّهون بذلك الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجالس استمقلوه ونفروا عنه فيساعدوه ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه

(١) حديث السمع أحد المتأين الطبراني من حديث ابن عمر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لشوم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا؟ فقالا مانعله فقال بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسل لا نحوه (٣) حديث انهم شامن هذه الميتة قاله للرجلين اللذين قال أحدهما أقمص كما يقمص الكلب تقدم قبل هذا باثني عشر حديثا (٤) حديث من أذلّ عنده مؤمن وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لمية (٥) حديث أبي الدرداء من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر بله نظر رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وفي رواية له كان له حجابا من النار وكلاهما ضعيف (٦) حديث من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

ملاقة النجاسة ويمر
بالمسح وبدير الحجر
في مره حتى لا يتقبل
النجاسة من موضع إلى
موضع يفعل ذلك إلى
أن ينتهي إلى مؤخر
المخرج ويأخذ الثاني
ويضعه على المؤخر
كذلك ويمسح إلى
المقدمة ويأخذ الثالث
ويديره حول السربة
وإن استجرم بحجر
ذي ثلاث شهب جاز
وأما الاستبراء إذا
انقطع البول فيمد
ذكره من أصله ثلاثا
إلى الحشفة بالرفق ثلاثا
يندفع بقية البول ثم
يشتره ثلاثا ويحتاط في
الاستبراء بالاستنقاء
وهو أن يتنحى ثلاثا
لأن العروق محتدة من
الحلق إلى الذكر
وبالتنحى تحرك

جملة في الصفة وقد يضرب رفاقه فيحتاج إلى أن يضرب لضربهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والساوي . الثالث أن يستنصر من إنسان أنه سيقصده ويطعن لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يتدىء بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول مامن طاقن الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليهذب بذلك عذر نفسه في فعله . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويربهم أنه أعلم منه أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جنابة من الغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموافق . السابع اللعب والمزلة والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المفاخرة ومنشؤه التكبر والعجب . الثامن السخرية والاستهزاء استحقاقا له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي الخاصة فهي أغضبها وأدقها لأنها شرور خباها الشيطان في معرض الحيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنبث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول ما أعجب مارأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وآثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يفتن بسبب ما يبغى به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما ابتلى به فيكون صادقا في دعوى الاعتناء ويلهيه النعم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتناء ممكن دون ذكر اسمه فيهبجه الشيطان على ذكر اسمه ليطول به ثواب اغتنامه وترحمه . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارقه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يفضض دركها على العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن عامر بن وائلة « أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبس ما قلت والله لننبثه ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتتذف ما في مجرى
البول فان متى
خطوات وزاد في
التصنع فلا بأس
ولكن راعى حدالم
ولا يجعل للشيطان
عليه سبيلا بالسوسة
فيضيع الوقت ثم يمسح
الذكر ثلاث مسحات
أو أكثر إلى أن لا يرى
الطوبة. وشبه بعضهم
الذكر بالضرع وقال
لا يزال تظهر منه
الطوبة مادام يمد
فيراى الحد في ذلك
ويراعى الوزر في ذلك
أيضا والمسحات تكون
على الأرض الطاهرة
أو حجر طاهر وإن
احتاج إلى أخذ الحجر
لصغره فليأخذ الحجر
باليدين والذكر باليسار
ويمسح على الحجر
وتصكون الحركة

قال صلى الله عليه وسلم لم تبغضه ؟ فقال أنا جاره وأنا به خاب والله ما رأيت بصلى صلاة قط إلا هذه للكتوبة قل فأسأله يا رسول الله هل رأيت آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها فسأله قل لا فقال والله ما رأيت بصوم شهر قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأيت قط أظربت فيه أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيت يعطى سائلا ولا مسكينا قط ولا رأيت ينق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فأسأله يا رسول الله هل رأيت قصت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسألها فسأله فقال لا فقال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فقله خير منك (١) .

(بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة)

اعلم أن مساوي الأخلاق كلها إنما تعالج بمجون العلم والعمل وإنما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلتفحص عن سببها . وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين : أحدهما على الجملة والآخر على التفصيل . أما على الجملة فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بعيبته بهذه الأخبار التي رويتها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فانها تنقل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك متعرض لقت الله عز وجل ومثبه عنده بأكل الميتة بل العبد يدخل النار بأن ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المصاحمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي فلهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك وينفعه أيضا أن يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغفه عيبه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيبا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق أن يحجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه وهذا إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالتم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها . قال رجل للحكيم ياقبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوث نفسه بأعظم العيوب فان ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه يرى من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بعيبته كتألمه بعيبه غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فيذنبى أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة يقطع سببها . وقد قدمنا الأسباب . أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه على بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فاجترأت على نهيه واستخففت

(١) حديث عامر بن وائلة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوله وفيه فقال قم فقله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد لم أجده أصلا (٣) حديث طوبى لمن شغفه عيبه عن عيوب الناس البراز من حديث أنس بسند ضعيف .

باليسار لاليمين فلا يكون مستنجبا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر ويقنع الحجر ما ينتشر البول على الحشفة وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيد ورد فيها رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إني ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستبرئ أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنخمة ثم دعا بعصيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له يخفف عنهما ما لم يبسا » والعصيب الجريد وإذا

بزرجه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمصيبة الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء (٣) » وفي بعض الكتب المنزلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحك فيمن أمحك . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطة في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توفّر غيرك وتحقّر مولاك فتترك رضا لرضام إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضا على رفقائك إذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأغص الدنوب وهي الفية . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الحيانة حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لقت الحاقق أشد من التعرض لقت المخلوقين وأنت بالذية متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتفسد حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى تقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما عذر كقولك إن أكلت الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يقبله فهذا جهل لأنك تمتد بالاعتداء بمن لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولودخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لسفه عقلك فيها ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجالت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر إلى العزى تردى نفسها من قلة الجليل فهي أيضا تردى نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالمعذر وصرحت بالمعذر وقالت العزى أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تهجب ولا تضحك من نفسك . وأما قصدك الباهة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما قص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلث الناس فتكون قد بعث ما عند الحاقق يقينا بما عند المخلوقين وهما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يفتنون عنك من الله شيئا . وأما الفية لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحسد فما قتعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا فصرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لاتضره غيبتك وتضره وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفمك وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء لمقصودك منه إخراج غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث إن لجهنم بابا لا يدخله إلا من شفي غيظه بمصيبة الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والنسائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفذه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصحراء يبعد
من الميون . روى
جابر رضي الله عنه « أن
النبي عليه السلام كان
إذا أراد البراز انطلق
حتى لا يراه أحد » وروى
للغيرة بن شعبة رضي
الله عنه قال : « كنت
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فأتى
النبي عليه السلام
حاجته فأبعد في الذهب »
وروى « أن النبي عليه
السلام كان يقبوا
لحاجته كما يقبوا الرجل
للنزل ، وكان يستتر
بهاائط أو نشز من
الأرض أو كوم من
الحجارة » ويجوز أن
يستتر الرجل براحلته
في الصحراء أو يبدله إذا
حفظ الثوب من الرشاش
ويستحب البول في
أرض دمنة أو على تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيتك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن ولكن حسدك إبليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حبط إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرّضاً لقت الله عز وجل بالغيبة . وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدينه وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهلك الله من ترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة قط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الايمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن الغيبة لاجتهال .

(بيان تحريم الغيبة بالقلب)

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بما سوى الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتساءم الظن بأخيك ولست أعنى به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه ولكن النهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفاسق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم محتملة نزل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الحجر لا يجوز أن يحدث إذ يقال يمكن أن يكون قد تخلص بالحجر ومجرها وما شربها أو حمل عليه قهراً فكل ذلك لاجتهال دالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء (١) » فلا يتباح ظن السوء إلا بما يتباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليهم أن حاله عندك مستور كما كان وأن مآرأته منه يحتمل الخير والشر . فان قلت فهذا يعرف عقد الظن والشكوك فخرجت والنفس تحدث . فقول : أمانة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه قهراً ما ويستقله ويفتر عن مراعاته وتفقدته وإكرامه والاعتظام بسببه فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر .

مهيل قال أبو موسى :
« كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقول فأتى دشماً في أصل جدار فقال ثم قال : إذا أراد أحدكم أن يقول فليرتد لبوله » ويبنى أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة في البنيان والأولى اجتنابه للهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضاً ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الريح احترازاً من الرشاش قال رجس لبعض الصحابة من الأعراب وقد خصمه لأحسبك تحسن الحرارة فقال

صلى الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج لمخرجه من سوء الظن أن لا يحق له (١)» أي لا يحق له في نفسه بمقدور لافعل لافي القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فينتيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فيالمعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى عجلة مساءة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق؛ نظر برور الشيطان وظلمته . وأما إذا أخبرك به عدل لخال ظنك إلى تصديقه كنت معذورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد توسىء بالآخر نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسنة وتمنت لتتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة المدعو (٢) فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره وقد يكون الرجل ظاهره العداوة ولا محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكرا مساويهم فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل فإن الغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر القية ولم يكثرثوا بناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعوله بالخير فإن ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخذعك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على قصصه لينظر إليك بعين التعظيم وتظهر إليه بعين الاستعقار وترفع عليه بابداء الوعظ وليكن تصدك تخليصه من الأثم وأنت حزين كما يحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيته وأجر الاعانة له على دينه ، ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالقية وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك السر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف بحكم التجسس وحقيقته .

(بيان الأعداء الرخصة في القية)

اعلم أن الرخص في ذكر مساوي الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم القية وهي ستة أمور : الأول التظلم فإن من ذكر قاضيا بالظلم والحيانة وأخذ الرشوة كان مغتابا عاميا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى المظلم وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لصاحب الحق مقالا» (٣) وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الولد العدل وشهادة المدعو الترمذي من حديث عائشة، وضعه لا يجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذى غمير لأخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولأبي داود وابن ماجه باسناد جيد من روايه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة وذى الغمير على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

على وأبيك إنى بها
لخائق قال فضنها لى
قال أهد البشر وأعدت
للدرو أستقبل الشيخ
وأستدبر الريح وأقوى
إقواء الظبي وأجفل
إجفال النعام يعنى
أستقبل أصول النبات
من الشيخ وغيره
وأستدبر الريح احترازا
من الرشاش والإقواء
ههنا أن يستوفى على
صدور قديمه والاجفال
أن يرفع عجزه . ويقول
عند الفراغ من
الاستنجاء : اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد
وظهر قلبي من الرياء
وحسن فرجى من
القواحش وبكره . أن
يول الرجل في الغتسل .
روى عبيد الله
ابن مفضل أن النبي
عليه السلام : «نهى أن

« مطل الغنى ظم (١) » وقال عليه السلام « لى الواجد يحل عقوبته وعرضه (٢) » الثانى الاستمانة على
تفسير المنكر ورد العاصى إلى منجح الصلاح كما روى أن عمر رضى الله عنه مر على عثمان وقيل على
طاحنة رضى الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام فذهبت إلى أبى بكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فجاء
أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك لما بلغ عمر رضى الله عنه أن أبا
جندل قد عاقر الحجر بالشام كتب إليه - بسم الله الرحمن الرحيم ثم تنزل الكتاب من الله العزيز العليم
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية فتاب ولم يرد ذلك عمر بمن أبلغه غيبة إذ كان قصده
أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وإنما إباحة هذا بالتصدق الصحيح فإن لم يكن ذلك
هو التصود كان حراما . الثالث الاستفتاء كما يقول للعقبي ظم لى أى أوزجنى أو أختى فكيف طريقي
في الخلاص والأسلم التعريض بأن يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته ولكنه
التميعين مباح بهذا التقدير لما روى عن هند بنت عتبة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم « إن أبا
سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى أفأخذ من غير علمه فقال : خذى ما يكتيك
وولده بالمعروف (٣) » فقد كرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يجرها صلى الله عليه وسلم إذ كان قصدها
الاستفتاء . الرابع تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت قريبا يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى
إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سزاية
البدعة والفسق لا غيره وذلك موانع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ولبس الشيطان ذلك
بإظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بيب
آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري أولى
بمراعاة جانبه وكذلك الزكى إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطمئنا وكذلك المستشار في
التزويج وإبداع الأمانة له أن يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة فإن علم أنه
يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب وفيه السكافية وإن علم أنه لا يترجر إلا بالتصریح
بمبىه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعون عن ذكر الفاجر اهتكوه
حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حق يحذره الناس (٤) » وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم : الإمام
الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه الخامس أن يكون الانسان معروفا بلبق يهرب عن عيبه كالأعرج
والأعمش فلا إثم على من يقول روى أبو الزناد عن الأعرج وسلمان عن الأعمش وما يجرى مجراه
قد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن
قد صار مشهورا به ، نعم إن وجد عنه معدلا وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى ولذلك يقال
للأعمى البصير عدولا عن اسم النقص . السادس أن يكون مجاهرا بالفسق كالخث وصاحب
للساخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستسكف من أن يذكر
له ولا يكره أن يذكر به فإذا ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مطل الغنى ظم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لى الواجد يحل عقوبته وعرضه
أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد بإسناد صحيح (٣) حديث إن هنداً قالت إن
أبا سفيان رجل شحيح متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث آرعون عن ذكر الفاجر
اهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذر الناس الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى
من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون قوله حتى يعرفه الناس ورواه بهذه الزيادة ابن
أبي الدنيا في الصمت .

يقول الرجل في مستحبه
وقال: إن عامة الوسواس
منه وقال ابن المبارك:
يوسع في البول في
الستحم إذا جرى فيه
الساء وإذا كان في
البنيان يقدم رجليه
اليسرى لدخول الخلاء
ويقول قبل الدخول:
باسم الله أعوذ بالله
من الخبث والخبائث.
حدثنا شيخنا شيخ
الاسلام أبو النجيب
السهروردي قال أنا
أبو منصور المقرئ قال
أنا أبو بكر الخطيب
قال أنا أبو عمرو
المهاشمي قال أنا أبو طي
اللؤلؤي قال أنا أبو داود
قال حدثنا عمر وهو
ابن مرزوق البصري
قال حدثنا شعبة عن
قتادة عن النضر
ابن أنس عن زيد

« من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له (١) » وقال عمر رضی الله عنه ليس لفاجر حرمة وأراد به الجاهر بفسقه دون للستر إذ للستر لا بد من مراعاة حرمة . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاسق المعلن بفسقه ذكركم له بما فيه غيبة له؟ قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بفسقه والامام الجائر فهو لاء الثلاثة يجمعهم أنهم يتظاهرون به ووربايتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أنهم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناوت عنده الحجاج فقال إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج من ظلمه وإنك إذا لقيت الله تعالى غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج .

(بيان كفارة النية)

اعلم أن الواجب على اللتائب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل للعتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبئ أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ للرأي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد تآفر معصية أخرى . وقال الحسن يكفيك الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبه أن تستغفر له (٢) » وقال مجاهد كفارة أكلك لحم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من النية قال أن تثنى إلى صاحبك فتقول له كذبت فيما قلت وظلمت وأسأت فان شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد العذف وتبث المطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه ﷺ قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليست حللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة القليل قد اغتبت بها فاستحلتها فاذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فإن كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالي في الثناء عليه والتودد إليه وبلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة النية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن المسيب لأحلم من ظفني وقال ابن سيرين إنى لم أحرما عليها فأحلها له إن الله حرم النية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ينبئ أن يستحلتها وتحليل ما حرمه الله تعالى غير ممكن . فقول الراد به العفو عن الظلمة لأن يتقلب الحرام حللا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فإنه لا يجوز له أن يحل لغيره النية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بعرضي على الناس (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن هذه الحشوش مهتزة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الحث والحباث » وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحث جماعة النخل الكفيف كانوا يفضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف في البيوت وقوله مهتزة أى يحضرها الشياطين وفي الجاوس للحاجة يتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته إلا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم قد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد تقدم (٢) حديث كفارة من اغتبه أن تستغفر له ابن أبي الدنيا في الصمم والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلمة من عرض أو مال فليست حللها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى تصدقت بعرضي على الناس البرار وابن السني في اليوم والليلة والعبلى في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكرة

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تفقد صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه ان لا اطلب مظلة في القيامة منه ولا اخاصمه وإلا فلا نصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل . قال الحسن إذا جئت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى في أخذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك (١) » . وزوي عن الحسن أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بلغني أنك أهديت إلي من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فاني لأقدر أن أكافئك على التمام .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

قال الله تعالى - هاز مشاء بنميم - ثم قال - عتل بعد ذلك زنيم - قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنجعة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل - عتل بعد ذلك زنيم - والزنيم هو الدعوى ، وقال تعالى - ويل لكل همزة لمزة - قيل الهمزة التمام وقال تعالى - حمالة الحطب - قيل إنها كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى - فغاثها فلم يضياعزها من الله شيئا - قيل كانت امرأة لوط تجبر بالضيغان وامرأة نوح تجبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام (٢) » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحكم إلى الله أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنجعة المفرقون بين الإخوان المتتمسون للبراءة الفترات (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنجعة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراءة العيب (٤) » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة (٥) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قلت وإعساها ورجل ممن كان قبلنا كما عند البرار والمقبلي (١) حديث نزول - أخذ العفو - الآية فقال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تقدم في رياضة النفس .

(الآفة السادسة عشرة النجعة)

(٢) حديث لا يدخل الجنة تمام وفي حديث آخر قتات متفق عليه من حديث حذيفة وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة وأحكم إلى الله أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الطبراني في الأوسط الصغير وتقدم في آداب الصحبة (٤) حديث ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاءون بالنجعة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم (٥) حديث أبي ذر من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في مكارم الأخلاق وفيه عبد الله بن ميمون فان يكن القداح فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي الدرداء أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوف على أبي الدرداء ،

عليه وسلم قال « لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عورتاهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك » ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني ولا يستصعب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس روت عائشة رضی الله عنها عن أبيها أبي بكر رضی الله عنه أنه قال: استحوا من الله فاني لأدخل الكنيف فأزق ظهري وأغطي رأسي استحوا من رب عز وجل .

[الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره]

إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » (١) ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النجيمة. وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله لما خلق الجنة قال لها ما تكلمى فقالت سعد من دخلنى قال الجبار جل جلاله وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس: لا يسكنك مدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو الخمام ولا ديوث ولا شرطي ولا غنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به » (٢) وروى كعب الأحبار أن بنى إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إنى لأستجيب لك ولئن معك وفيكم تمام قد أصرت على النجيمة فقال موسى يارب من هو دلنى عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنها كم عن النجيمة وأكون تماما فتأبوا جميعا فسقوا. ويقال اتبع رجل حكيا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إنى جشك للذى آتاك الله تعالى من العلم أخبرنى عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقى منه وعن النار وما أحرّ منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدل منه فقال له الحكيم: البهتان على البرى أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقى من الحجر والخمام إذا بان أمره أدل من اليتيم.

(بيان حدّ النجيمة وما يجب في ردها)

اعلم أن اسم النجيمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النجيمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره ككفه سواء كرهه النقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا وتقصا في المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النجيمة إفشاء السر وهتك السر عما يكره ككفه بل كل ما رآه الانسان من أحوال الناس مما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمصيبة كما إذا رأى من يتداول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق الشهود له فأما إذا رآه يخفى مالا لنفسه فدكره فهو نجيمة وإفشاء للسرفان كان ما ينم به تقصا وعيبا في المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة والنجيمة فالباعث على النجيمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو إظهار الحب للمحكى له أو التفريح بالحديث والحوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النجيمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في مآلة عدوك أو تقييح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور: الأول أن لا يصدقه لأن الخمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيدوا قوما بجهالة - الثاني أن ينهأ عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعلة قال الله تعالى - وأمر بالمعروف وانه عن النكر - الثالث أن يبغضه في الله تعالى فانه يبغض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى. الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - الخامس أن لا يعملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعا لقوله تعالى - ولا تجسسوا - السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت الخمام عنه ولا تحكى نيمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به تماما ومغتبا وقد تكون

ورواه الطبرانى بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد (٢) حديث ابن عمر إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمى

يبتدىء بالسواك .
حدثنا شيخنا
أبو العجيب قال أنا
أبو عبد الله الطائى
قال أنا الحافظ الفراء
قال أنا عبد الواحد بن
أحمد الملبغى قال أنا
أبو منصور محمد بن
أحمد قال أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن عبد
الجبار قال ثنا حميد بن
زنجويه قال ثنا يعلى
ابن عبيد قال ثنا محمد
بن إسحاق عن محمد بن
إبراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن
زيد بن خالد الجهنى
قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم «لولا
أن أشق على أمتى
لأخرت العشاء إلى ثلث
الليل وأمرتهم بالسواك
عند كل مكتوبة»

قد أتيت ماعنه نهيته . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءكم فاسق بذيلاً فقبوا - وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية - هازم شاء بنميم - وإن شئت عفونا عنك فقال العفو يأمر المؤمنين لأعود إليه أبداً . وذكر أن حكيمان من الحكماء زار به بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم قدأبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنائبات بغضت أخى إلى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت نفسك الأمانة . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعند الزهرى فجاءه رجل فقال له سليمان بلغنى أنك وقتت فى وقتك وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذى أخبرنى صادق فقال له الزهرى لا يكون التمام صادقاً فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من نمّ إليك نمّ عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغى أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والقيبة والتعدى والحيانة والغفل والحسد والتفانى وإفساد بين الناس والحديمة وهو ممن يسمون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض وقال تعالى - إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغفون فى الأرض بغير الحق - والنمام منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتقاء الناس لشره (١) » والنمام منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع ، قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس (٢) » وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروى عن على رضى الله عنه أن رجلاً سعى إليه رجل فقال له يا هذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقاً فمتناك وإن كنت كاذباً عاقبتناك وإن شئت أن نقيلك أقلناك فقال أقبلنى يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظى أى خصال المؤمن أوضاعه ؟ فقال كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لعبد الله بن غاصم وكان أميراً بلغنى أن فلاناً أعلم الأمير أى ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرنى بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك قال ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى وحسى أى لم أصدقته فيما قال ولا أقطع عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم محمد الصديق من كل طائفة من الناس إلا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شئ فأخبر به كمن قبله وأجازته فاتقوا الساعى فلو كان صادقاً فى قوله لكان ثيباً فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هى الثيمة إلا أنهم إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة (٣) »

قالت سعد من دخلنى قال الجبار وعزى وجلالى لا يسكن فىك ثمانية فذكر منها ولاقتات وهو النمام لم جده هكذا تبعه ولأحمد لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولأديوث وللنساء من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وللشيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتات ولهما من حديث جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكمنى تزينى قزيت فقالت طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لا تسكنك عنث ولا نائمة (١) حديث إن من شر الناس من اتقاء الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جبير بن مطعم (٣) حديث الساعى بالناس إلى الناس لغير رشدة الحاكم من حديث أبى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة وفيه شئ منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر فى التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن حبان فى الثقات سهل بن عطية ورواه الطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس إلا وله بئى - وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبى بردة أبا الوليد القرظى .

وروت عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للقم مرضاة للرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك » والشوص : الدلك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير القم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت أزم لأن الأسنان تنطبق وبذلك يتغير القم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجمعة وعند القيام من الليل ويندى

يعنى ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه فى الكلام وقال إني مكلمك
 بأمر للؤمنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراهه ماتحبه إن قبلته فقال قل فقال بأمر المؤمنين
 إنه قد اكتشفك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك
 فلا تأمنهم على ما اتمنتك الله عليه ولا تصح إليهم فيما استحفظك الله إياه فانهم لن يألوا فى الأمة حسفا
 وفى الأمانة تضديما والأعراض قطعاً وانها كما أعلى قريهم البنى والنجمة وأجل وسائلهم النية والوقية
 وأنت مشول عما أكرموا وليسوا للشولين عما أكرمت فلا تصح دينهم فساد آخرتك فان أعظم
 الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره ، وصمى رجل بزىاد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع
 بينهما للمواقفة فأقبل زياد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتمنتك خاليا نغنت وإما قلت قولاً بلا علم
 فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بين الحياة والام

وقال رجل لعمر بن عبدان الأسوارى ما يزال يذكرك فى قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعبت
 حق مجالسة الرجل حيث قلت إنا حديثه ولا أديت حتى حين أغلقتى عن أخى ما أكره ولكن
 أعلمه أن الموت يمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
 ورفع بعض السعاة إلى صاحب بن عباد رقعة بنه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرة وقوع
 على ظهرها السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فان كنت أجريتها بحرى النصح فخرانك فيها أفضل
 من الربح ومعاذ الله أن تقبل مهتوكا فى مستور ولولا أنك فى خفارة شيتك لقابلناك بما يقتضيه
 فملك فى مثلك فتوق يا ملهون العيب فان الله أعلم بالغب ، البت رحمه الله واليتم جبره الله والسال
 ثمره الله والساعى لئنه الله . وقال لقمان لابنه يا بنى أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيدا أبسط
 خالقك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ إخوانك وصل أقرابك وآمنهم
 من قبول قول ساع أو صماع باغ يريد فسادك وبروم خداعك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك
 لم تعيهم ولم يعيوك . وقال بعضهم النجمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى أئافى الذل وقال
 بعضهم لوصح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والنفوق عنه أولى بملكك لأنه
 لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى أن يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا
 وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجمة قال قد رضيت فاشترته فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجته مولاه إن
 سيدى لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فغذى الوسى واحلقى من شعر ففاه عند نومه شعرات
 حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى
 تمرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا
 الزوج ووقع القتال بين القبيلتين ، فسأل الله حسن التوفيق .

(الآفة السابعة عشرة)

كلام ذى اللسانين الذى يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد منهما بكلام يواقه وقلما يخلو عنه
 من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة (١) » وقال أبو هريرة قال رسول الله

(الآفة السابعة عشرة : كلام ذى اللسانين)

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ، البخارى
 فى كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء
 ويستاك عرضاً وطولاً
 فان اقتصر فعرضاً فاذا
 فرغ من السواك فبسه
 ويجلس للوضوء
 والأولى أن يكون
 مستقبل القبلة ويبتدىء
 بيسم الله الرحمن الرحيم
 ويقول رب أعوذ بك
 من هزات الشياطين
 وأعوذ بك رب أن
 يحضروني ويقول عند
 غسل اليد : اللهم انى
 أسألك الجن والبركة
 وأعوذ بك من الشؤم
 والهلكة ويقول عند
 الضحضة : اللهم صل
 على محمد وعلى آل
 محمد وأعنى على تلاوة
 كتابك وكثرة الذكر
 لك ويقول عند
 الاستشاق : اللهم صل
 على محمد وعلى آل
 محمد وأرحمنى وأرحم

صلى الله عليه وسلم « تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث (١) » وفي لفظ آخر « الذى يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » وقال أبو هريرة لا ينبغي لى الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم « أبغض خلقه الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تعلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاءء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا (٢) » وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمعة قالوا وما الإمعة ؟ قال الذى يجرى مع كل ريح وانفقوا على أن ملاقاته الاثنان بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال يأمر المؤمنين إنه منهم فقال نشدتك الله أنا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا تؤمن منها أحدا بعدك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناققا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الاخوة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصبغة والاخوة ، نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النخيمة إذ يصير نماما بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فاذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ماهو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن يصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لابن عمر رضى الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذى أحوج نفسه إلى ذلك فان كان مستغنيا عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يثبتان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل (٤) » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراعاتهم فأمأ إذا ابتلى به لضرورة وخاف إن يثنى فهو معذور فان اتقاء الشر حاز قال أبو الدرداء رضى الله عنه إنا لنكشفر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم

(١) حديث أبي هريرة : تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخارى وهو عند ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٢) حديث أبغض خلقه الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لآخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تعلقوا لهم الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إنا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الطبرانى من طرق (٤) حديث حب الجاه والمال يثبتان النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب الغناء وقال العشب مكان البقل .

الجنة وأنت عنى راض
ويقول عند الاستئثار:
اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد وأعوذ
بك من روائح النار
وسوء الدار ، ويقول
عند غسل الوجه: اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد ويض
وجهى يوم تبيض
وجسوه أولئك
ولا تسود وجهى يوم
تسود وجوه أعدائك ،
وعند غسل العين :
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وآتى كتابى
يميني وحاسبى حسابا
يسيرا ، وعند غسل
النهال : اللهم إني أعوذ
بك أن تؤتيني كتابى
بشمالى أو من وراء
ظهري ، وعند مسح
الرأس : اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد

وقلت عائشة رضى الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشيبة هو ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذى يكرم انقاء شره (١) « ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للمدح)

وهو منهى عنه في بعض اللواضع ، أما الدم فهو النية والوقية وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع في السادح واثنتان في للمدوح . فأما للسادح : فالأولى أنه قد يفرط فينتهى به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعنه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قفا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا صيبل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح ثم قال إن كان أحدكم لا بد ما دعا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أذكرى على الله أحدا حسبه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) « وهذه الآفة تنطبق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متقى وورع وزاهد وخير وما يجرى مجراه فأما إذا قال رأيت به صلى بالليل ويتصدق ويحج فهذه أمور مستيقنة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك خفى فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة . سمع عمر رضى الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أخالطته في البايعة والمعاملة قال لا ، قال فأنت جاره صباحه ومساءه قال لا ، فقال والله الذى لا إله إلا هو لا أراك تعرفه . الرابعة أنه قد يفرح للمدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يفضب إذا مدح الفاسق (٣) « وقال الحسن من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح . وأما للمدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضى الله عنه : كان عمر رضى الله عنه جالسا ومعه الدرّة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن اللندر فقال لرجل هذا سيد ريعة فسمعها عمرو بن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقته بالدرّة فقال مالى ولك يا أمير المؤمنين قال مالى ولك أما لقد سمعتها قال سمعتها قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأجبت أن أطأىء منك . الثانى هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به وقتور رضى عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انذنوا له فبئس رجل العشيبة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذى يكرم انقاء لشره متفق عليه وقد تقدم في الآفة التي قبلها.

(الآفة الثامنة عشرة للمدح)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكره بحوه وهو في الصمت لابن أبي الدنيا بلفظ المصنف (٣) حديث إن الله يعضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى الموصلى وابن عدى بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشى برحمتك وأزل على من بركانك وأظنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع أحسنه اللهم أسمى منادى الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السائل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أعجب بنفسه قلّ تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا (١) » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله (٢) » وقال مطرف ما سمعت قط شاء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراهى له الشيطان ولكن للؤمن يرجع فقال ابن المبارك لقد صدق كلاهما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه (٣) » وقال عمر رضى الله عنه للذبح هو الذبح وذلك لأن للذبح هو الذى يفتقر عن العمل وللذبح يوجب الفتور أو لأن للذبح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح فذلك شبه به فان سلم للذبح من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه ولذلك أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح (٤) » وقال في عمر « لو لم أبعث لبعثت يا عمر (٥) » وأى ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصيرة وكانوا رضى الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر (٦) » أى لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن انتخاره صلى الله عليه وسلم كان بأفه وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما أن للقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذمّ للذبح وبين الحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت (٧) » لما أثنوا على بعض اللوثى وقال مجاهد إن لبنى آدم جلساء من للملائكة فإذا ذكر الرجل السلم أخاه للسلم بغير قالت للملائكة ولك بعثله وإذا ذكره بسوء قالت للملائكة يا ابن آدم للستور عورتك أربع على تسك واحمد الله الذى ستر عورتك فهذه آفات المدح .

(بيان ما على للمدوح)

اعلم أن على للمدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجومه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه للسادح ولو انكشف له جميع أسرارها وما يجرى على خواطره لكف السادح عن مدحه وعليه (١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميضا بن المبارك في الزهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجده أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح تقدم في السلم (٥) حديث لو لم أبعث لبعثت يا عمر أبو منصور القديسي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والمعروف من حديث عقبة بن عامر لو كان بصدى نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذى وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لما أثنوا على بعض اللوثى متفق عليه من حديث أنس .

قدى عن الصراط يوم
تزل فيه أقدام لنا قفين .
وإذا فرغ من الوضوء
يرفع رأسه إلى السماء
ويقول : أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله سبحانه
اللهم وبحمدك لا إله
إلا أنت عملت سوا
وظلت نفسى أستغفرك
وأتوب إليك فاغفرلى
وتب على إنك أنت
التواب الرحيم اللهم
صل على محمد وعلى
آل محمد واجعلنى من
التوابين واجعلنى من
المطهرين واجعلنى
صبورا شكورا واجعلنى
أذكرك كثيرا وأصبحك
بكرة وأصيلا .
وفرائض الوضوء :
النية عند غسل
الوجه . وغسل للوجه

أن يظهر كراهة للدخ بادل للمدح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوه اللادحين (١) » وقال سفیان بن عینة لا يضر للدخ من عرف تصه وأنتى طى رجل من الصالحين قال اللهم إن هؤلاء لا يعرفونى وأنت تعرفنى ، وقال آخر لما أتى عليه اللهم إن عبدك هذا اتقرب إلى بعثتك وأنا أشهدك على مقتته . وقال طى رضى الله عنه لما أتى عليه اللهم اغفر لى ما لا يطمون ولا تؤاخذنى بما يقولون واجطنى خيرا مما يظنون . وأتى رجل طى عمر رضى الله عنه فقال أتهلكنى وتهلك نفسك وأتى رجل طى كرم الله وجهه فى وجهه وكان قد بلته أنه يقع فيه فقال أنا دون ماقلت وفوق ما فى نفسك .
(الآفة التاسعة عشرة)

الفلة عن دقائق الخطأ فى لحوى الكلام لا سبأنا يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأموال الدين فلا يخرط على تعويم اللفظ فى أمور الدين إلا العلماء الفصحاء فمن قصر فى علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت (٢) » وذلك لأن فى العطف للطلق تشريكاً وتسمية وهو طى خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضى الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلمه فى بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله عديلاً بل ما شاء الله وحده (٣) . » وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمها فقد غوى فقال قل : ومن يصم الله ورسوله فقد غوى (٤) » فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصمها لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم أن يقال اللهم أعفنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلنى ممن تصييه شفاععة محمد ﷺ قال حذيفة إن الله يضى المؤمنين عن شفاععة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حماراً رأيتنى خالقتة ، خنزيراً رأيتنى خلقتة وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إن أحدكم يشرك حق يشرك بكابه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت (٥) » قال عمر رضى الله عنه فوالله ما حلفت بها منذ سمعتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتسموا العنب كرمنا إنما الكرم الرجل المسلم (٦) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقولن أحدكم عدى ولا أمتى كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليقل غلامى وجارىقى وفئانى ولا يقول المملوك ربى . ولا ربى وليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا فى وجوه اللادحين التراب مسلم من حديث القداد .

(الآفة التاسعة عشرة فى الفلة عن دقائق الخطأ)

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت الحديث أبو داود والنسائى فى الكبرى بسند صحيح
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى بعض الأمر فقال ما شاء الله وشئت فقال أجعلتنى لله عديلاً بل ما شاء الله وحده . النسائى فى الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يصمها فقد غوى الحديث مسلم من حديث عدى بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم متفق عليه (٦) حديث لاتسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم متفق عليه من حديث أبى هريرة

وحد الوجه من مبتدأ
تسطيح الوجه إلى
منهى الذقن وما ظهر
من اللحية وما استرسل
منها ومن الأذن إلى
الأذن عرضاً ويدخل فى
الغسل البياض الذى
بين الأذنين واللحية
وموضع الصلع
وما انخر عن الشعر
وهما التزعتان من الرأس
ويستحب غسلهما مع
الوجه ويوصل الماء
إلى شعر التحذيف وهو
القدر الذى يزيله النساء
من الوجه ويوصل
الماء إلى العنقفة
والشارب والحاجب
والمدار وما عدا ذلك
لا يجب ثم اللحية إن
كانت خفيفة يجب
إيصال الماء إلى البشرة
وحد الخفيف أن ترى
البشرة من تحتها وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لاتقولوا للفاسق سيدنا فانه إن يكن سيدكم فقد أسخطم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا فلن يرجع إلى الاسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره، ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت نجما» (٣) لأن هذه الآفات كلها مالهك ومعاطب وهي على طريق التكلم فان سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يواقه لسان فصيح وعلم غزي ورووع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فصاه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لاتقدر على أن تكون ممن تكلم فقم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى القيمتين .

(الآفة العشرون)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك تقييل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالحوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات والایمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به العقاب من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه بالإضافة إليه عامي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استظتم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كثيرا كثيرا وأغضبوه فصعد المنبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به قمام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبو بكر حذافة قمام إليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال أبو بكر الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا قمام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمك الله إنك ما علمت لمونق» (٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لاتقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كقائل، الحديث للنسائي وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح (٣) حديث من صمت نجما الترمذي وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كثيرا كثيرا وأغضبوه فصعد المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، ولمسلم من حديث أبي موسى قمام آخر فقال من أبي فقال أبو بكر سالم مولى شية . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المقرئ بن شعبة .

كانت كيفية فلا يجب ويحتمد في تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين. الواجب الثالث: غسل اليدين إلى المرققين ويجب إدخال المرققين في الفسل ويستحب غسلهما إلى أنصاف المضدين، وإن طالت الأظافر حتى خرجت من ردوس الأصابع يجب غسل ما تحتها على الأصح . الواجب الرابع: مسح الرأس ويكفي ما يطلق عليه اسم للمسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدّهما إلى القفا ثم يردّهما إلى الوضع الذي بدأ منه وينصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تحتموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم (١) وقال جابر: ما زلت آية للتلاعنين إلا لكثرة السؤال (٢). وفي قصة موسى والحضر عليهما السلام تنبيه على اللعن من السؤال قبل أو ان استحقاقه إذ قال - فان ابتغى فلانسانى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا - فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا - فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بينى وبينك - وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من الثيرات للفتن فيجب قمعهم ومنهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتابا ورسم له فيه أمورا فلم يشتغل بشئ منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لامحالة فكذلك تضييع العامى حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

﴿ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ﴾

(وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى لا يشكل على عفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون ، الذى استدرج عباده من حيث لا يملعون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون ، وابتلام بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يفضبون ، ثم حفرهم بالمكاره والذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون ، وامتنحن به حبرهم ليعلم صدقهم فيما يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شئ مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بفتوهم لا يشعرون ، فقال - ما ينظرون إلا لصيحة واحدة تأخذهم وهم منحضمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسوله الذى يسير تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة المرزيين ، صلاة يوازي عددها عددا ما كان من خلق الله وما سيكون ، ومحظى بركاتها الأوّلون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التى تطلع على الأنثدة ، وإتها المستكنة فى طىّ القواد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الدفين فى قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجمر النار من الحديد ، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين ، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقتنى من نار وخلقته من طين - فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستمرار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مفضة إذا صلحت صلح معها شأر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب ، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب ، فما أحوجنا إلى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه ، ويمالجه إن رسخ فى قلبه ويداويه ، فان

(١) حديث يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال البراهم البزار باسناد جيد

﴿ كتاب الغضب والحقد والحسد ﴾

بلل الكفين مستقبلا
ومستديرا . والواجب
الخامس : غسل القدمين
ويجب إدخال الكعبين
فى القسل ويستحب
غسلهما إلى أنصاف
الساقين ويقع غسل
القدمين من الكعبين
ويجب تخليل الأصابع
للفتة فيخلل بخنصر
يده اليسرى من اطن
القدم ويبدأ بخنصر
رجله اليمنى ويختم
بخنصر اليسرى وإن
كان فى الرجل شقوق
يجب إيصال الماء إلى
باطنها وإن ترك فيها
مجينا أو شحما يجب
إزالة عين ذلك الشئ .
الواجب . السادس :
الترتيب على النسق
للدكور فى كلام الله
تعالى . الواجب السابع :
التابع فى القول القديم

من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه . ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقتضيه . ونحن نذكر ذم النضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وبمجموعها يان ذم النضب ثم يان حقيقة النضب ثم يان أن النضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب المهيبة للنضب ثم يان علاج النضب بعد هيجانه ثم يان فضيلة كظم الغيظ ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في معنى الحقد وشأنه وفضيلة العفو والرفق ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكده وقتله في غيرهم وضعفه ثم يان الدواء الذي به ينقى مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

(يان ذم النضب)

قال الله تعالى - إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين - الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن النضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلاً قال « يا رسول الله مررت بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقلل لعلني أعقله فقال لا تنضب فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تنضب (٢) » وعن عبد الله بن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يتقذى من غضب الله قال لا تنضب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ماتعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يابني إياك وكثرة النضب فان كثرة النضب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى - وسيدوا حصورا - قال السيد الذي لا يظلمه الغضب . وقال أبو الدرداء « قلت يا رسول الله دلتني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب (٧) » وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تنضب قال لا أستطيع أن لأغضب إنما أنا بشر قال لا تنضب ما لا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال يا رسول الله مررت بعمل وأقلل قال لا تنضب ثم أعاد عليه فقال لا تنضب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل الحديث نحوه أبو جيل باسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعدني من غضب الله قال لا تنضب الطبراني في مكارم الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد باسناد حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ماتعدون الصرعة الحديث رواه مسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت وتقدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي الدرداء دلتني على عمل يدخلني الجنة قال لا تنضب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط باسناد حسن (٨) حديث الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أشقى على جهنم البراز وابن عدي من حديث ابن عباس للنازب لا يدخله إلا من شق غيظه بمصيبة

عند الشافعي رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التابع نشق العضو مع اعتدال الهواء .

[وسن الوضوء ثلاثة

عشر]

التسمية في أول

الطهارة . وغسل

اليدين إلى الكوعين

والضمضة والاستنشاق

وبالباقة فيها فيفرغ

في الضمضة حتى يرد

الساء إلى الفاصمة

ويستمدق الاستنشاق

الساء بالنفس إلى

الحياشيم ويرفق في

ذلك إن كان صائماً

وتخليل اللحية السكنة

وتخليل الأصابع

المنفرجة والبسداء

باليامن وإطالة الفرة

واستيعاب الرأس

بالمسح ومسح الأذنين

قال غضب الله قال فما يعديني عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت ويوشك أن تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من اللاتكة فقال لعني علما أزداد به إيمانا ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالثؤدة وإياك والعجلة فانك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلا لنا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له افتح فلم يفتح فقال افتح فاني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه فقال إني أنا السبع قال الراهب وإن كنت للسبع فما أصنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدت القيامة فلو جئتنا اليوم بغيره لم تقبله منك فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع فجتك لتسألني عما شئت فأخبرك فقال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدبر اقال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعونك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما قلب الصبيان الكرة وقال خيشمة الشيطان يقول كيف يظلمني ابن آدم وإذا رضى جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فان يعجزوني في ثلاث : إذا سكر أحدم أخذنا بنزواته قد ناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وبخلفه بما في يديه وتغيبه بما لا يقدر عليه وقيل للحكيم ما أملك فلانكف قال إذا لاندله الشهوة ولا يصبره الهوى ولا يقبله الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل . وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فأخرجه فعاقه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قرأش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أردت أن يستغفرني الشيطان بعز السلطان فأنا لك اليوم ماتتالي مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحى في التناير المسجورة فأقل الناس غضبا أعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للأخرة كان حلما وعلما فقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاده إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في قوة وإحسان في قدرة وتجمل في رفاقة وصبر في شدة لا يقبله الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تقبله شهوة ولا تفضحه بطهه ولا يستخفه حرصه ولا تقتصر به نيته فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبدرو ولا يسرف ولا يقتر بغيره إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن تبمه من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون الله وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أشد على قال غضب الله قال فما يعديني من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشر الأخير منه وقد تقدم قبله بست أحاديث .

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحتمل أن يزيد على الثلاث ولا يفيض اليد ولا يتكلم في أثناء الوضوء ولا يلمس وجهه بالماء لظما ، وتجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصل بالوضوء ما تيسر وإلا فمكروه .

[الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء]
آداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام أديهم في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت

معى فى درجتى ويكون بعدى خليفتى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا أوفى به فلما مات كان فى منزله بعده وهو ذوالكفل معى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منه للكفر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

(بيان حقيقة الغضب)

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والوئان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنهم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه فى كتابه . أما السبب الداخلى فهو أنه ركة من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلاتزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاءها بخاراً يتصاعد منها فلولم يتصل بالرطوبة تمدد من الغذاء يجبرها انحل وتبخر من أجزاءها لفسد الحيوان خلق الله الغذاء للوافق لبدن الحيوان وخلق فى الحيوان شهوة تبعته على تناول الغذاء كالموكل به فى خير ما انكسر وسد ما تم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التى يقصد بها فاقتر إلى قوة وحية شور من باطنه فتدفع للمهلكات عنه خلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها فى الانسان وعجزها بطينته فمهما صد عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثار ثوراناً يغلى به دم القلب وينتشر فى العروق ويرتفع إلى أعلى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وإنما ينسبط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقة وكان معه بأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانسباط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة قوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام وإتمام توجه هذه القوة عند ثورتها إلى دفع المؤذبات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول الفطرة من التفریط والافراط والاعتدال . أما التفریط فيفقد هذه القوة أوضعها وذلك مذموم وهو الذى يقال فيه إنه لاجمية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الغضب والجمية أصلاً فهو ناقص جداً وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى ﷺ بالشدة والجمية فقال أشداء على الكفار رحماء بينهم - وقال لئيبه صلى الله عليه وسلم - جاهد الكفار والنافقين واغلظ عليهم - الآية وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الجمية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن قلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير فى صورة المضطرب وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته فى الفطرة صورة غضبان ويسين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال صلى الله عليه وسلم وإنما أسباب الاعتيادية فهو أن يخالف قوماً يتجحون بتشفى النيط وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذى لا أصبر على للكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمراً ومعناه لا تعقل فى ولا حاتم يذكره

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضيف الغضب حجرة فى قلب ابن آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار.

الوسوسة فى الصلاة
ومن آدابهم استدامة
الوضوء والوضوء سلاح
المؤمن والجوارح إذا
كانت فى حماية الوضوء
الذى هو أثر شرعى يقل
طروق الشيطان عليها.
قال عدى بن حاتم
ما أقيمت صلاة منذ
أسلت إلا وأنا على
وضوء . وقال أنس
ابن مالك « قدم النبى
عليه الصلاة والسلام
المدينة وأنا يومئذ
ابن ثمان سنين فقال
لى : يا بنى إن استطعت
أن لاتزال على الطهارة
فافعل فإنه من آثار
الموت وهو على الوضوء
أعطى الشهادة فشان
العاقل أن يكون أبداً
مستعداً للموت ومن
الاستعداد لزوم الطهارة
وحكى عن المصرى

في معرض الفخر بجعله فمن سمعه رشح في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبا وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق بنور العقل وينمحى في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معدن الفكر وربما يمتد إلى معادن الحسن فتظلم عينه حتى لا يرى بينه وتسد عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوفه وحى مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فأنمى أو انطفأ نوره فلا ثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على إطفائه لامن داخل وامن خارج بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفنى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تقوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه على أسفله وذلك لا يبطال النار ما في جوانبه من القوة للمسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب وبالْحَقِيقَةُ فالسفينه في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظا إذ في السفينة من بحال لتسكينها وتديرها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمها الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشفاق وتحمم الأهداق وتتقلب المناخر وتستحيل الحلقة ولورأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أو لا ثم اشترق قبحها إلى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشم والفحش من الكلام الذي يستجى منه ذوالعقل ويستجى منه قائله عند ثور الغضب وذلك مع تحبط النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهميم والتزريق والقتل والجرح عند التمكّن من غير مبالاة فان هرب منه للضوب عليه أوفاته بسبب وهجز عن التثني رجح الغضب على صاحبه فترق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والدهوش التحير وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والهبوش بسبب شدة الغضب ويحتربه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصة مثلا على الأرض وقد يكسر السائفة إذا غضب عليها ويتماطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع للضوب عليه فالخمد والحسد وإضمار السوء والشتمات بالمسآت والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السروهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب للفرط وأما ثمرت الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال النذل من الأخساء وصغر النفس والقماء وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم القيرة على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لتيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني (١)» وإنما خلقت القيرة لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لا اختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أمة وضمت القيرة

أنه قال مهما أنتبه من الليل لا يحملني النوم إلا بسد ما أقوم وأجدد الوضوء لثلاثا يصود إلى النوم وأنا على غير طهارة وممعت من صحب الشيخ على بن المهدي أنه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء ويصلى ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام فاني مممت دفن نعليك بين يدي في الجنة» قال ما عملت عملا في الاسلام

(١) حديث إن سعدا لتيور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث القيرة

في رجاها وضعت الصيانة في نساءها ومن ضعف الغضب الحور والسكوت عند مشاهدة للنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمتي أحداؤها (١) » يعنى في الدين وقال تعالى - ولا تأخذكم بهما رأفى في دين الله - بل من فقد الغضب هجز عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يضرب على نفسه عند الليل إلى الشهوات الحسية فتفقد الغضب مذموم وإنما الحمد والغضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها (٢) » فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بضعف الصيرة وخسة النفس في احتمال الدل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحدم من السيف فإن هجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة - فليس كل من هجز عن الاتيان بالخير كله ينجى أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

(بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا)

اعلم أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكيفية وزعموا أن الرياضة إليه توجه وإياه تصدو ظن آخرون أنه أصل لا يقبل العلاج وهذا رأى من يظن أن الخلق كالحلق وكالاهم لا يقبل التغيير وكالارأين ضعيف بل الحق فيه ما نذكر وهو أنه ما بقى الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغيظ والغضب ومادام يوافق شئاً ويخالفه آخر فلا بد من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة وإذا قصد بكمروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الانسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ماهو ضرورة في حق الكافة كالقوت والسكن واللبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثانى ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجواهر والمال الكثير والفلان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنياً عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الانسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها فانه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضرورى كالجواهر والصيت والتصدر في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا مزاحم على التصدر في المجالس ومن لا يحب ذلك فلا يزال ولو جلس في صف النعال فلا يغضب إذا جلس غيره فوفاة وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الانسان ومكارهه فأكثرت غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمتي أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث على بن سعيد ضعيف وزاد القدين إذا غضبوا رجعوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد تقدم.

أرجى عندي أنى لم
أطهر طهراً في ساعة ليل
أونهار إلا صليت لربى
عز وجل بذلك الطهور
ما كتب لى أن أصلى
ومن أدبهم في الطهارة
ترك الاسراف في الساء
والوقوف على حد العلم .
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبدالوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
الترياقي قال أخبرنا
أبو محمد الجراحي قال
أنا أبو العباس المحبوبي
قال أنا أبو عيسى
الترمذى قال حدثنا
محمد بن يشار قال حدثنا
أبو داود قال حدثنا
خارجة بن مصعب
عن يونس بن عبيد
عن الحسن بن يحيى
ابن ضمرة السعدى عن
أبي بن كعب عن النبي

أكثر كان صاحبها أخط رتبة وأقص لأن الحاجة صفة قصص فلهما كثرت كثير النقص والجاهل أبدا جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن حتى يتسبى بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرنائه السوء إلى أن يضرب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن جبه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلا في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيغضب على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فان ما هو وسيلة إلى الضرورى والمحبوب يصير ضروريا ومحبوبا وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضرورى ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها (١) » ومن كان بصيرا بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصور أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر غاية الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليندم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستجبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث أيضا لأن ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الانسكاف عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج جبه من القلب وذلك بأن يعلم الانسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا معبر جبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويعو حبا عن قلبه ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا يغضب إذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة في هذا تنتهى إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جدا وقد تنتهى إلى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون . فان قلت : الضرورى من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب فمن له شاة مثلا وهى قوته فانت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالقصد والحجامة ولا يغضب على القصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يرهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته القهى قوته كما لا يغضب على موتها إذ يرى الذبح واللوت من الله عز وجل فيندفع الغضب بنسبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على القصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف تغلب في أحول معتطفة ولا تدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها الترمذى وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن دون قوله بحذافيرها قال الترمذى حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال « للوضوء شيطان يقال له الوهان فاقفوا وساوس الماء » قال أبو عبد الله الروذبارى إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بنى آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيها أمروا به أو ينقصوا عنه . وحكى عن ابن الكرنبي أنه أصابه جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة فحين غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحزنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت أن لا أزعها من بدنى حتى تجف على فمكثت

فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه (١) حق قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبما مسلم سبته أولتته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقرية تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبدالله بن عمرو بن العاص « يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيا ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه (٣) » فلم يقل إنى لا أغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أى لأعمل بموجب الغضب « وغضبت عائشة رضى الله عنها مرة قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك فقالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا شيطان لى وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحمانى على الشر ، وقال على رضى الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدينا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يتم لغضبه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو النفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورية قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فانما غضب لله فلا يمكن الاتسكك منه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضرورى إذا كان القلب مشغولا بضرورى أهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لا اشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض المهام يمنع الاحساس بماعده ، وهذا كما أن سلمان لما شتم قال إن خفت موازيتي فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيتي لم يضرنى ما تقول قد كان همهم صروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعها لم يضرنى ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول . وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ما سر الله عنك أكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر في تفسير نفسه عن أن يتقى الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره ، وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرأتى فقال ما عرفنى غيرك فكأنه كان مشغولا بأن يبنى عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقى الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه . وسب رجل الشعبي فقال إن كنت صادقا ففقر الله لى وإن كنت كاذبا ففقر الله لك فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فاذا اشتغال القلب ببعض المهام لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند قوات بعض المحاب فاذا يتصور قد القيظ إماما اشتغال القلب بهم أو بفضيلة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يتخطى فيطيقه شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حتى تحمر وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ولا يحاكم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أنى هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جلده بدل ضربته وفي رواية اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وأصله متفق عليه وتقدم ولمسلم من حديث أنس إنما أنا بشر أرى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر ولأبى يعلى من حديث أبى سعيد أو ضربته (٣) حديث عبدالله بن عمرو يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مالك جاءك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث على كان لا يغضب للدينا الحديث الترمذى في الشمائل وقد تقدم .

عليه شهرا لخباتها
وغلظها أدب بذلك
نفسه لما حرت عن
الافتقار لأمر الله تعالى
وقيل إن سهل بن
عبد الله كان يحث
أصحابه على كثرة شرب
الماء وقلة صبه على
الأرض وكان يرى أن
في الإكثار من شرب
الماء ضعف النفس
وإماتة الشهور وكسر
القوة ومن أفعال
الصوفية الاحتياط في
استبقاء الماء للوضوء
قيل كان إبراهيم
الخوارج إذا دخل
البادية لا يحمل معه
الإراكية من الماء وربما
كان لا يشرب منها
إلا القليل يحفظ للماء
للوضوء وقيل إنه كان
يخرج من مكة إلى
السكوفة ولا يحتاج إلى

موجب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها كما سيأتي في كتاب دم الدنيا ومن أخرج حب الزايع عن القلب تخلص من أكثر أسباب الضب وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتصفه فيه فيضف الضب بسببه ويهون دفعه ، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

(بيان الأسباب للمهجة للضب)

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الضب ، وقد قال يحيى لميسى عليهما السلام أي شيء أشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال أن تضب قال فما يبعث الضب وما يبعثه قال عيسى : الكبر والفخر والتعزز والحمية والأسباب للمهجة للضب هي الزهو والمجب والمزاج والمهزل والمهزء والتعير والمارة والفضادة والتندر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرطا ولا خلاص من الضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع وتمت العجب بمفرك بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشثانا فبنوا دم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما المزاج فتزيله بالتشاغل باللهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تملكك إلى سعادة الآخرة . وأما المهزء فتزيله بالتكريم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخذر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفا عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها والترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم اللواظبة على مباشرة أضرارها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفا هينة على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضا عن الضب الذي يتولد منها ومن أشد البواعث على الضب عند أكثر الجهال تسميتهم الضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة وتلقيه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى يميل النفس إليه وتستحسنه وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الضب عن الأكاير في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكاير فيميج الضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان عقل وهو لضعف النفس وتقصانها وآية أنه لضعف النفس أن الرضا أسرع غضبا من الصريح والمرأة أسرع غضبا من الرجل والصبي أسرع غضبا من الرجل الكبير والشيوخ الضعيف أسرع غضبا من السكران وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشبهته إذا فاته اللقمة ولبخله إذا فاته الحبة حتى إنه يضب على أهله وولده وأصحابه بل القوى من يملك نفسه عند الضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » (١) بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والدفء وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ومن ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم .

(١) حديث ليس الشديد بالصرعة تقدم قبله .

التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب . وقيل إذا رأيت الصوفي ليس معه ركة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة شاء أم أبى . وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه في الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني جماعة من النسك وهم مجتمعون في دار فرآه أحد منهم أنه دخل الحلاء لأنه كان يقضى حاجته إذا خلا للموضع في وقت يريد تأديب نفسه ، وقيل مات الخواص في جامع الري في وسط الماء وذلك أنه كان به علة البطن وكما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على

(بيان علاج الغضب بمد هيجانه)

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فسنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمجموع العلم والعمل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنورها في فضل كظم الغيظ والغضو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفى والانتقام وينظف عن غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضره فقلت يا أمير المؤمنين - خذ الغضو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغضو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان واقفاً عند كتاب الله مهماتى عليه كثير التدبر فيه تدبر فيه وخلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضر رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين الغيظ - فقال لتلامه خل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بقباب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو أمضيت غضبي عليه لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة أحوج ما أكون إلى الغضو فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعتك فمن أعتق . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا القصاص لأوجعتك (١) » أي القصاص في القيامة وقيل ما كان في بني إسرائيل ملك الاومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم السكين واخش الموت واذا كرا الآخرة فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العدو لمقابلته والسمى في هدم أغراضه والشهامة بصائبه وهو لا يخلو عن الصائب فيخوف نفسه بمواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته لاعم والعمل وما يبينه على الآخرة فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ومشابهة الحلیم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء . ويغير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتجميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمتنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على المعجز وصغر النفس والقلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس فيقول لنفسه ما أعجبك تأقنين من الاحتمال الآن ولا تأقنين من خزي يوم القيامة والانتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منه وتحذرين من أن تصغرى في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبين فمهما كظم الغيظ فينبغى أن يكظمه الله وذلك يعظمه عند الله فصالحه وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فان تقول بلسانك

(١) حديث لولا القصاص لأوجعتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف .

الوضوء والطهارت وقيل
كان إبراهيم بن آدم به
قيام قمام في ليلة
واحدة نيفا وسبعين
مرة كل مرة يجدد
الوضوء ويصلي ركعتين
وقيل إن بعضهم أدب
نفسه حتى لا يخرج
منه الريح إلا في وقت
البراز يراعى الأدب
في الحلاوات واتخاذ
النديل بعد الوضوء
كرهه قوم وقالوا إن
الوضوء يوزن وأجزه
بعضهم ودليلهم
ما أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن على قال أنا أبو الفتح
الهروى قال أنا أبو نصر
قال أنا أبو محمد قال
أنا أبو العباس قال
أنا أبو عيسى الترمذى
قال حدثنا سفيان بن
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند الغيظ (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم يد النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن (٢) » فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جمرَةٌ توقد في القلب (٣) » ألم تروا إلى اتفاح أو داجه وحمرة عينيه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يتقلل فان النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء قائماً الغضب من النار (٤) » وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فاسكت (٥) » وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه (٦) » وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم (٧) » ألا ترون إلى حمرة عينيه واتفاح أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق خده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس القل وتزایل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي أبي أو ليت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظم خالقهما . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

(١) حديث الأمر بالتعود بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ متفق عليه من حديث سليمان بن سرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسبقان فأحدهما احمر وجهه واتفاحت أوداجه الحديث وفيه لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأُنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديثها وتقدم في الأذكار والدعوات (٣) حديث إن الغضب جمرَةٌ توقد في القلب الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله وقد تقدم ورواه بهذه اللفظة البيهقي في الشعب (٤) حديث إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم (٥) حديث ابن عباس إذا غضبت فاسكت أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لها والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٦) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم ولا أحمد باسناد جيد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع والمرقوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٧) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جمرَةٌ في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

ابن وهب عن زيد ابن حباب عن أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خرقه ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء . وروى معاذ ابن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاه الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق الذمومة لا الاستصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج من حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الحجر وأجرى الأمر

صلى الله عليه وسلم فقال يا أباذر بلغني أنك اليوم عبرت أخاك بأمة فقال نعم فانطلق أبو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ارفع رسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل ثم قال إذا غضبت فان كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاستكبر وإن كنت متكئاً فاضطجع (١) وقال المصنوع بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال للثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال للثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطى الصحيفة الأولى فاذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بالله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بضعك بضعاً فكن بعض غضبه فأعطى الثانية فاذا فيها أرحم من في الأرض يرحمك من السماء فأعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أى لا تمطل الحدود . وغضب المهدي على رجل فقال شيب لا تنضب لله بأشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سييله .

(فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - وذكر ذلك في معرض اللذيق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أشدكم من غلب نفسه عند الغضب وأحكمكم من عفا عند القدرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية - ملاً الله قلبه أمانة وإيماناً (٤) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماجرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى (٥) » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن جهنم بابا لا يدخله إلا من شق

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل يا أبا الحمراء في خصومة بينهما فباع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في العفو ورم الغضب باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أعجمية فغيرته بأمة فشكلني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولأحدنا صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى ورجاله ثقات.

(فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كف الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له من حديث أنس باسناد ضعيف ولا بن أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وناه الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أشدكم من ملك نفسه عند الغضب وأحكمكم عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث علي بسند ضعيف والبيهقي في الشعب بالشرط الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسل باسناد جيد وللبراز والطبراني في كبارم الأخلاق واللفظ له من حديث أشدكم أملاككم لنفسه عند الغضب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمانة وإيماناً بن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواها ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم حديث ابن عمر ماجرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله ابن ماجه .

على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يعملون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلاً وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التساهل واستصاؤم في الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تخرج ولا يزال يمشي في باطن من الغل والحقد والكبر

غِيظُهُ بِعَصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى (١) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ جُرْعَةٍ غِيظَ كَظْمُهَا عَبْدٌ وَمَا كَظْمُهَا عَبْدٌ إِلَّا مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا (٢) « وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رَدُّوسِ الْخَلَائِقِ وَيُخَيِّرُهُ مِنْ أَى الْحُورِ شَاءَ (٣) « الْآثَارُ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْهُ مِنَ اتَّقَى اللَّهَ لَمْ يَشْفِ غِيظُهُ وَمَنْ خَافَ اللَّهُ لَمْ يَضَلْ مَا يَشَاءُ وَلَوْ لَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَكَانَ غَيْرَ مَا رُونَ . وَقَالَ لِقَمَانُ لَابَنَهُ : يَا بَنِي لَا تَنْهَبِ مَاءَ وَجْهِكَ بِالسَّأَلِ وَلَا تَشْفِ غِيظَكَ بِضَيْحَتِكَ وَاعْرِفْ قَدْرَكَ تَنْفَعَكَ مَعِيشَتَكَ . وَقَالَ أَيُّوبُ حَلِمَ سَاعَةً يَدْفَعُ شَرًّا كَثِيرًا ، وَاجْتَمَعَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَأَبُو خَزِيمَةَ الْيَرْبُوعِيُّ وَالْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ فَتَدَاكَرُوا الزُّهْدَ فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ الْحَلِمُ عِنْدَ التَّضَبُّبِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْجُرْجُوعِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ مَا تَقْضَى بِاللَّدْلِ وَلَا تَطْمِئِنُّ الْجُرْزُلُ فَضَبُّبِ عُمَرَ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَسْمَعُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ خَذَا مَعُو وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ - فَهَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ فَقَالَ عُمَرُ صَدَقْتَ فَكَيْفَ مَا كَانَتْ نَارًا فَأَطْفَأْتَ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ اسْتَكْمَلُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاؤُهُ فِي الْبَاطِلِ وَإِذَا غَضِبَ لَمْ يَخْرِجْهُ غَضَبُهُ عَنِ الْحَقِّ وَإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَنَاوَلَ مَا لَيْسَ لَهُ . وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَلْمَانَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَنْهَبُ قَالَ لَا أَقْدِرُ قَالَ فَإِنْ غَضِبْتَ فَأَمْسِكْ لِسَانَكَ وَيَدَكَ .

(بيان فضيلة الحلم)

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الفيظ لأن كظم الفيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الفيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الفيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداءه التحلم وكظم الفيظ تكلفا قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْحَلِمِ وَالْحَلِمُ بِالْحَلِمِ وَمَنْ يَتَخَيَّرِ الْخَيْرَ يَعْطِهِ وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يَوْقَهُ (٤) « وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ اكْتِسَابَ الْحَلِمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ أَوْلَا وَتَكْلِفُهُ كَمَا أَنَّ اكْتِسَابَ الْعِلْمِ طَرِيقُهُ التَّحَلُّمُ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحَلِمَ لِيَنُورَ لِمَنْ تَعْمَلُونَ وَلِمَنْ تَعْمَلُونَ مِنْهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جِبَابَةِ الْعُلَمَاءِ فَيُغْلِبُ جِهَانَكُمْ حَلِمَكُمْ (٥) « وَأَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ وَالتَّجْبِيرَ هُوَ الَّذِي يَهِيجُ الْغَضَبَ وَيَمْنَعُ مِنَ الْحَلِمِ وَاللَّيْنِ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ « اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِالْعِلْمِ وَالْحَلِمِ بِالْحَلِمِ وَأَكْرِمْنِي بِالتَّقْوَى وَجَمِّلْنِي بِالْمَقَامَةِ (٦) « وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا وَمَاهِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ تَصَلُّ مِنْ قَطْمِكَ وَتَطْمِئِنُّ مِنْ حَرْمِكَ وَتَعْلَمُ عَمَّنْ جَهَلُ عَلَيْكَ (٧) «

(١) حديث ابن عباس إن جهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بعصية الله تقدم في آفات اللسان
(٢) حديث مامن جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبدا وما كظمها عبدا إلا مملأ الله قلبه إيمانا
قلبه إيمانا ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف ويتلف من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه عطاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

(فضيلة الحلم)

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم الحديث الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٥) - بيت أبي هريرة اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم الحديث ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف (٦) حديث كان من دعائه اللهم اغني بالعلم والحمد بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالمقامة لم أجده أصلا (٧) حديث ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وماهي؟ قال تصل من قطعك وتطمئني من حرمك وتعلم ممن جهل عليك .

والمحب والرياء والنفاق
ولعله ينسحر على
الشخص لو دلس
الأرض حافيا مع وجود
رخصة الشرح ولا
ينكره عليه أن يتكلم
بكلمة غيبة مخرب بها
دينه وكل ذلك من قلة
العلم وترك التأدب
بضحية الصادقين من
العلماء الراغبين وكانوا
يكروهون كثرة الدلك
في الاستبراء لأنه ربما
يسترخى العرق ولا
يسك البول ويتولد
منه القطر المفرط .
ومن حكايات التصوفة
في الوضوء والطهارات
أن أبا عمرو الزجاجي
جاور بمكة ثلاثين سنة
وكان لا يتغوط في الحرم
ويخرج إلى الحل وأقل
ذلك فرسخ . وقيل
كان بعضهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والـ والكواثر تطر (١) » وقال على كرام الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جبارا عنيدا ولا يملك إلا أهل بيته (٢) » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيتون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان كما تقول فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير مما دعت على ذلك (٣) » إلى معنى به الرمل وقال رجل من المسلمين « اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ « إني قد غفرت له (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضميم قالوا وما أبو ضميم قال رجل عن كان قبلكم كان إذ أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلني (٥) » وقيل في قوله تعالى - زبانيين - أي علماء علماء وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا - لا إله إلا الله - قال علماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح - بعشون على الأرض هونا - أي حلا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا - قال الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد - وإذا مروا باللغو مروا كراما - أي إذا أودوا واصلحوا. وروى « أن ابن مسعود مر بلفو مرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما (٦) » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى - وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم قلوبهم قلوب العجم والسنهم السنة العرب (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليلني منكم ذوو الأحلام والنهي ثم الدين يلونهم ثم الدين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيات الأسواق (٨) » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشجق فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حنين فلبسهما وذلك بين

(١) حديث خمس من سنن الرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر أبو بكر بن أبي عاصم في الثنائي والآحاد والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية ملبح بن عبد الله الخطمي عن أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح (٢) حديث على بن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني في الأوسط بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أسلمهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيتون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث رواه مسلم (٤) حديث قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بأسناد لين زاد البيهقي عن علي بن زيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال أظنه أبو ضميم قلت وليس بأبي ضميم إنما هو علي بن زيد وأبو ضميم ليس له هبة وإنما هو متقدم (٥) حديث أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضميم الحديث تقدم في آيات اللسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بلفو مرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلة (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحلم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث ليلني منكم ذوو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قرح لم ينسدل اثني عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبضمهم نزل في عينه الماء فحلموا إليه اللداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال اللداوى يحتاج إلى ترك الوضوء أيما ويكون مستقيا على قضاء فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء .

[الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها]

روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يأشج خلقين يجهما الله ورسوله قال ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال الحلم والأناة فقال خلتان مخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلت الله عليهما فقال الحمد لله الذي جعلني على خلقين يجهما الله ورسوله (١) وقال عليه السلام «إن الله يحب الحلم الذي لا يتعسف أبداً بالعيال التي لا ترضى ويغضب الفاحش البذي السائل لللحف النبي (٢)» وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تمتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس (٣)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتاقم الملائكة فيقولون لهم إن أنزراكم سراعا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين (٤)». الآثار : قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا العلم السكينة والحلم وقال علي رضي الله عنه ليس الخبير أن يكثر مالك وولده ولكن الخبير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا يتباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم . وقال أكرم بن صيفي دامة العقل الحلم وجماع الأصحاب الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لاشوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم قدوك وإن تركهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع ؟ قال تعرضهم عن عرضك ليوم قهرك . وقال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحليم من سخطه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال من رد جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل دينه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا فظفر الله لك وإن كنت صادقا فظفر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فظلم على فاستعبدني بها زمانا . وقال معاوية لعمر بن أبي العاص أي الرجال أشجع قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسخى في حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل سقى ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة ففضيها ففكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحمصة كانت عليه وأمره بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإيقاط الأذى وتخليص الرجل مما يعبد من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة

(١) حديث يأشج إن فيك خصلتين يجهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث إن الله يحب الحليم الذي لا يتعسف أبداً بالعيال التي لا ترضى الحديث صحيح (٣) حديث ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تمتدوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز باسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة باسناد لين وقد تقدم في آداب الصحبة (٤) حديث إذا جمع الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من زوايا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ملا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب جر قال لها تكلمى قالت - قد أفلح للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - ثلاثا وشهد القرآن الهيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتاني جبرائيل لدلوك الشمس حين زالت وصلى في الظهر» اشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والحشبة المعوجة إذا أرادوا ترويضها تعرض على النار ثم تقوم وفي البدع عوجاج لوجود قسه الأمانة بالسوء وسبغات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها

ودرجوعه إلى مدح بعد اقم اشترى جميع ذلك بشئ من الدنيا سير وقال رجل لجمفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أركه فأخشي أن يقال لي إن تركك له ذلك قال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الحليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه قد جعل له حاجز من قلبه برده عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بجليم ولكنني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحم ومن رصمت يلم ومن يجهل يظلم ومن يبجل يخطى ومن يحرص على الشر لا يسلو ومن لا يدع للراء يشتم ومن لا يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يصمم ومن يتبع وصية الله يحفظون من عند الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يخسر ومن يأمن منكر الله يخذل ومن يستعين بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم على من تسي إلى إذا ضلت ذلك أهديت لك حستان . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأسبئك بما يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لاسمى وصلى المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا قال لهم خيرا قيل له إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا قال كل ينفق مما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحلبي إلا عند الضرب ولا الشجاع إلا عند الحرب ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاما فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفضت للسائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مضطربا فبصه الحكيم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم فسقطت دجاجة على السائدة فأفسدت ما عليها فلم يضرب أحد منا قال نعم قال فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يضرب قيل له في ذلك فقال أقتنه مقام حجر تثررت به فدمجت الغضب وقال محمود الوراق:

سأزرم نسي الصفح عن كل مذنب وإن سكثرت منه على الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فإن قال صفت عن إجابته عرضى وإن لام لأثم
وأما الذى مثلى فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

(بيان التقوى الذى يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الضية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصى وإنما القصاص والعرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ^(١) » وقال « المستبان ما قالوا فهو على البادى مالم يجد المظلوم » وقال « المستبان شيطانان يتهاوران ^(٢) » « وشتم رجل أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتداء يتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكنا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان ^(٣) »

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد تقدم
(٢) حديث للمستبان شيطانان يتهاوران تقدم (٣) حديث شتم رجل أبا بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتداء يتصر منه قام صلى الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة متصلا ومرسلا قال البخارى للرسول أصح .

الصل من وهج
السطوة الإلهية
والعظمة الربانية
ما يزول به اعوجاجه
بل يتحقق به معراج
فالصلى كالمصطفى بالنار
ومن اصطفى بنار الصلاة
وزال بها اعوجاجه
لا يمرض على نار جهنم
إلا غلة القسم . أخبرنا
الشيخ العالم رضى
الدين أحمد بن إسماعيل
القزوينى إجازة قال أنا
أبو سعيد محمد بن أبى
العباس بن محمد بن أبى
العباس الحلبي قال أنا
أبو سعيد الفرخزادى
قال أنا أبو إسحاق أحمد
ابن محمد قال أنا
أبو القاسم الحسن بن
محمد بن الحسن قال أنا
أبو زكريا يحيى بن محمد
العنبرى قال ثنا جعفر
ابن أحمد بن العاقظ

وقال قوم يجوز للقبالة بما لا كذب فيه وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بمثله
 نهى تنزيه والأفضل تركه ولكنه لا يصح به والذي رخص فيه أن تقول من أنت وهل أنت إلا من
 بنى فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى
 أمية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حتى في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله
 يا جاهل إذا من أحد إلا وفيه جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سي الخفاق يا صفيق الوجه
 يا ثلأبا للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحرك في عيني بما
 فعلت وأخزأك الله واتممت منك . فأما النجمة والنية والكذب وسب الوالدين حرام بالاتفاق لما روى
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد له إن ما بيننا لم يبلغ
 ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله والدليل على جواز ما ليس
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في
 ابنة أبي نحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نأى فقال يا بنيتي ما أحب قاتلتهم قال فآجبي هذه فرجعت
 إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغنيت عنا شيئا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسامني
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكركني وأنا ما كنة أنتظر أن يأذن لي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم : كلا إنها ابنة أبي بكر (٢) « يعني أنك لا تقاومينها في الكلام فطوقوها سيئتها ليس المراد به الفحش
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « المستبان ما قاله صلى
 البادي » منها حتى يعتدى للظلم (٣) « فأثبت للمظلوم انتصار إلى أن يعتدى فهذا القدر هو الذي أباحه
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعدر الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل
 تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه والسكوت عن أصل الجواب لعله يسر
 من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه
 في فورة الغضب ولكن يهود سريعا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يعتقد على الدوام والناس
 في الغضب أربعة بعضهم كالخلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضب على الوقود بطيء الخمود
 وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمدمالحيته إلى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود
 بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى فهذه تلك (٤) » وقال
 الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان وقد قال
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات حتى
 فمنهم بطيء الغضب سريع الرضى ومنهم سريع الغضب سريع الرضى ففلك بتلك ومنهم سريع
 الغضب بطيء الرضى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الرضى وشرهم السريع الغضب البطيء الرضى (٥) »

قال أنا أحمد بن نصير
 قال ثنا آدم بن أبي
 إياس عن ابن سمعان
 عن الصلاء بن
 عبد الرحمن عن أبيه
 عن أبي هريرة رضي
 الله عنه أن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال « يقول
 الله عز وجل قسمت
 الصلاة بيني وبين
 عبدي نصفين فإذا قال
 العبد بسم الله الرحمن
 الرحيم قال الله عز وجل
 مجدي عبدي فإذا
 قال الحمد لله رب العالمين
 قال الله تعالى حمدي
 عبدي فإذا قال
 الرحمن الرحيم قال الله
 تعالى أنبي على عبدي
 فإذا قال مالك يوم
 الدين قال فوض إلى
 عبدي فإذا قال إياك
 نعبد وإياك نستعين
 قال هذا بيني وبين

(١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كأنهم حتى في ذات الله عز وجل تقدم في العلم
 (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني
 أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي نحافة الحديث رواه مسلم (٣) حديث المستبان ما قاله صلى
 البادي الحديث رواه مسلم وقد تقدم (٤) حديث المؤمن سريع الغضب سريع الرضى تختم .
 (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .

ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يساقب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون متغيظا عليه فيكون متشفا لغيظه ومرمحا نفسه من ألم الغيظ فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه واتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويمزقه فقتله السكران فرجم عمر قتيلا له يأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك لغضب نفسي ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسي . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتني لعاقبتك .

(القول في معنى الحقد وتأجبه وفضيلة العفو والرفق)

اعلم أن الغضب إذا لزم كظلمه لمجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتج في قصار حقدنا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استمقاله والبغضة له والنار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم « للؤمن ليس بمحقد »^(١) فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحسدك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتمت بعمدة إن أصابها وتر بصيبة إن زلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصارمه وتتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره . السادس أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تصفى الله به ولكن تستقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو تبرك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويعول بينك وبين فضل عظيم وثواب جليل وإن كان لا يبرئك لعقاب الله ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإلذك زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه^(٢) والأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال القربين فللمحقد ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو احتياج الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة العفو والاحسان .

(فضيلة العفو والاحسان)

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم وكظم

(فضيلة العفو)

(١) حديث المؤمن ليس بمحقد تقدم في العلم (٢) حديث لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

سبدي فاذا قال -اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين - قال الله تعالى هذا لبيدي ولبيدي ما سأله فالصلة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصوالة الربوية على الصودية وقد ورد أن الله تعالى إذا تجلى لكفى خضع له ومن يتحقق بالصلة في الصلاة تلعب له طوابع التجلي فيخشع والفلاح للدين هم في صلاتهم خاشعون وباتقاء الخشوع ينتهي الفلاح وقال الله تعالى - وأقم الصلاة لذكرى - وإذا كانت الصلاة للذكر فكيف يقع

الفيظ ففذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل من سؤلة الله تعالى - وأن تعفوا أقرب للتقوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلالاً لحلفت عليهن مائة من مال من صدقة تصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يتنقى بها وجه الله لإزاده الله بها عزا يوم القيامة ولا نتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لإزالة العبد لإرضة تواضعوا يرضكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا بمنكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة تصدقوا يرحمكم الله (٢) » وقالت عائشة رضى الله عنها « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم يتهك من محارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما. مالم يكن إيما (٣) » وقال عقبه « لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت بيده أوبدرتني فأخذ بيدي فقال : يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتمطى من حرملك وتمفو عنم ذلك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يارب أي عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا (٥) » وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعزّ الناس قال الذى يصفو إذا قدر فاعفوا بمنكم الله « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته فقال له صلى الله عليه وسلم : إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة (٦) » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض (٧) » وعن أبي هريرة « أن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى لا تتربوا بالصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلّى وقد نهى الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء ولا بحضور عقل والناقل يصلّى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى - فاخلع نعليك إنك بالوادى للقدس طوى - قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فلاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون بينا وشمالا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذى نفسى بيده إن كنت حلالاً لحلفت عليهن ما نقصت صدقة من مال الحديث الترمذى من حديث أبي كبشة الأنمارى ومسلم وأبى داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد العبد إلا رفة تواضعوا يرضكم الله الأصمهانى فى الترغيب والترهيب وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط الحديث الترمذى فى الشمائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عقبه بن عامر يا عقبه ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك الحديث ابن أبى الدنيا والطبرانى فى مكارم الأخلاق والبيهقى فى الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أى عبادك أعزّ عليك قال الذى إذا قدر عفا الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة (٦) حديث إن الظلمة بين هم للفلاحون يوم القيامة وفى أوله قصة ابن أبى الدنيا فى كتاب العفو من رواية أبى صالح الخنقى مرسل (٧) حديث أنس إذا بعث الله عزّ وجلّ الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعب بعضكم عن بعض أبو سعيد أحمد بن إبراهيم المقرئ فى كتاب البصرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة بأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت النعمات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتى وإسناده ضعيف ورواه الطبرانى فى الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجمع تاركوا الظالم بينكم وثوابكم علىّ وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليعب بعضكم عن بعض وعلىّ الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تظنون فقالوا قول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) « قال فخرجوا كأنما نضروا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سهيل بن عمرو قال « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا مشرك قريبي ما تقولون وما تظنون ؟ قال قلت يا رسول الله تقول خيرا وتظن خيرا أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم - (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى له على الله أجر ؟ قال العاقون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألقا فليدخلونها بغير حساب (٣) « وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبنى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله غفور رحيم الغفور ثم قرأ - وليغفروا وليصفحوا - الآية (٤) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الجور العين حيث شاء من أدى ديننا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وغفرت عنه قاله قال أبو بكر أو إحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٥) « . الآثار: قال ابراهيم التيمي إن الرجل يظلمنى فأرحمه وهذا إحسان وراه الغفور لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمصيبة الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يتحف عبدا قبض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فبصل يشكو إليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومظلمتك كماهى خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها . وقال يزيد بن ميسرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجينا لك وأجينا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيمسكما غفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركك بعمل وقن أن لا يفعل . وعن ابن عمر عن أبى بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل الغفور فيكافئهم الله بما كان من غفورهم عن الناس . وعن هشام بن محمد قال أتى النعمان بن المنذر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فضا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فضا به وقال :

غفور للذنب عن العظيم من الذنوب بفضلها

ولقد تماقب في اليسير وليس ذاك لجليلها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى في الوفاء من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف (٢) حديث سهيل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى له على الله أجر ؟ قال العاقون عن الناس الحديث الطبرنى في مكارم الأخلاق وفيه النقل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا يبنى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه والله غفور رحيم الحديث أحمد وإسحاق وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء الحديث الطبرانى في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف .

- الدين هم في صلاحهم
خالصون - جعلوا
وجوههم حيث
يسجدون وما رؤى بعد
ذلك أحد منهم يفت
إلا إلى الأرض وروى
أبو هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« إن العبد إذا قلم إلى
الصلاة فانه بين يدي
الرحمن فاذا التفت فالى
له الرب إلى من تلتفت
إلى من هو خير لك منى
ابن آدم أقبل إلى فأنا
خير لك ممن تلتفت
إليه « وأبصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يبست بليته في
الصلاة فقال لو خضع
قلب هذا خضعت
جوارحه « وقد قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « إذا صليت

إلا يعرف حلها وخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وقد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقامت بأمر المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن قال وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليتم فلا يقوم إلا من عفا فقال والله لقد سمعته من الحسن قلت والله لسمعت منه فقال خيلنا عنه. وقال معاوية عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنكم بالصفح والإيصال. وروى أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب أرأيت ذا القرنين؟ كان نبياً؟ فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كفى فيه: كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لعد. وقال بعضهم ليس الحلیم من ظلم ظلم حتى إذا قدر اتقى ولكن الحلیم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد القدرة تذهب الحفيظة بعنى المحقد والفضب. وأتى هشام رجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل ينكلم بحجته فقال له هشام وتسلّم أيضاً؟ فقال الرجل بأمر المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس مجادل عن نفسها - أفجادل الله تعالى ولا تسلّم بين يديك كلاماً. قال هشام بلى ويحك تسلّم. وروى أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين ثقيل له اقطعه فانه من أعدائنا فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة. وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حات فقال لقد جلت وإنها لمى فجهلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذى أخذها اللهم افعل به كذا فقال عبد الله اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليظوف فسرقته دنائير كانت معه فجعل يبكي قلت أعلى الدنائير تبكي؟ فقال لا ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عفى على إدهاض حجته فكأنى رحمة له وقال مالك بن دينار أتينا منزل الحكم ابن أيوب ليلاً وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من إيماه وطردهم له في الحب فقال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالمقى من كيد النساء ومن الحبس ثم قول أبها الأمير ماذا صنع الله به أذاله منهم ورفع ذكره وأعلى كفته وجعله على خزائن الأرض فساذا صنع حين أكل له أمره وجمع له أهله - قل لا تنرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - مرض للحكم بالمفوء عن أصحابه قال الحكم فأنا أقول لا تنرب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أريتكم نعمته وكتب ابن القفيع إلى صديق له يسأله المفوء عن بعض إخوانه فلان هارب من زله إلى عفوك لا نند منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً. وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة مآرى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما يحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فمما عنهم. وروى أن زيادا أخذ رجلاً من الحوارج فأقلت منه فأخذ أخطاً له فقال له إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك فقال أرأيت إن جئت بك كتاب من أمير المؤمنين تحلى سبيلى قال نعم قال فأننا آتيتك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم يفتاً بما فى صحب موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزروا زرة وزراً أخرى - فقال زياد دخلوا سبيله هذا رجل قد تم حجته. وقيل مكتوب فى الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

فصل صلاة مودع
فالمصل سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودينه وكل شئ سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعوا لله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعوها ظاهرها وباطنها ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب والميئات فى تعلقات يتضرع سائل محتاج فإذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادع - ونى استجب لكم - كان خالد الرامى يقول عجبت لهنة الآية - ادعونى استجب لكم - أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

(فضيلة الرفق)

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدّة والعنف نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدّة الغضب وقد يكون سببها شدّة الحرص واستيلاءه بحيث يدهش عن التفكير ويمنع من الثبوت فالرفق في الأمور مرمزة لا يشمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على الحرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا حبة الله تعالى» (٣) وقالت عائشة رضی الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف» (٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أيمسوا لى فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل حين لين سهل قريب» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والحرق شؤم» (٩) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أنت متوسم مرتين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمرًا تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان سوى ذلك فاتته» (١١)

(فضيلة الرفق)

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر الليثي وضعه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على الحرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بن سنان ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من يحرم الرفق يحرم الخير كله مسلم من حديث جرير بن سنان قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أيمسوا لى فرفق ولان رفق الله به يوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديثه ومن لى من أمر أمي شيئا فرفق بهم فارقى به (٨) حديث تدرون على من يحرم النار على كل حين لين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وفيه تقدم في آداب الصحبة (٩) حديث الرفق بين والحرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث أتاني من الله والمعجلة من الشيطان (١١) أبو يعلى من حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد لم يفظ الأمانة من الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه فاذا أردت أمراً تدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه الحديث ابن المبارك في الزهد والرفق من حديث أبي جعفر

هي تؤخذ دعاء المبد فان الداعي الصادق العالم بمن يدعو به نور يقينه فخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدي الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الأمة بأزال فآفة الكتاب وفيها تقديم الشاء على الدعاء ليكون أسرع إلى الاجابة وهي تعلم الله تعالى عباده فكيفية الدعاء وفاقحة الكتاب هي السبع الثاني والقرآن العظيم قيل سميت مثاني لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة ولا ينزع من شيء إلا شانه (١) ». الآثار : بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالتيب والمعاونة على الخير ، أيها الرعاة إن للرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم وإمام ورهقه وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهره رزق العافية بمن هو دونه. وقال وهب بن منبه الرفق نقي الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرفوعا « العلم خليل للمؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده (٢) ». وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان يزيد العلم وما أحسن العلم يزيد العمل وما أحسن العمل يزيد الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لابنه عبيد الله : ما الرفق ؟ قال أن تكون ذأناة فتلاين الولاية . قال فما الحرق ؟ قال معادة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدرؤن ما الرفق قالوا قل يا أبا محمد قال أن تضع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيوف في موضعه والسوط في موضعه ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل :

وضع الندى في موضع السيف بالطلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت الشرائع على جانب الرفق دون العنف وإن كان العنف في عمله حسنا كما أن الرفق في عمله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألد من الزبد بالشهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روى أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفهم في الخير زيادة رشد وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيبا وإن العجل محطى أو كاد أن يكون محطئا وإن من لا ينفعه الرفق يضره الحرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك العالی ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن المؤمن وقاف متأن وليس كطاب ليل فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد فأكثر الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر .

هو السمي عبد الله بن مسور الهاشمي ضعيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته وإسناده ضعيف (١) حديث عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانة الحديث رواه مسلم (٢) حديث العلم خليل للمؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائمه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف.

الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على التردد مع طول الزمان فهم آخرو هكذا المصلون المهققون من أمنه يتكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لأنها استنبتت من الرسل وهي سبع آيات وروى ثم رومان قالت رأيتني أبو بكر وأنا أميل في الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا قام أحدكم إلى الصلاة لم يسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة » وقال رسول الله صلى الله

(القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان ذم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرع والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع الدميعة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد وأسبابه وعمراته « لا تعاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفذ لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الفد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله بن عمرو ابن العاص فقال له إني لاحت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث فعلت فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا قلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يغم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعته يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عمالك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ماهو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ماهو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاء الله إياه قال عبد الله قلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون منهن أحد الظن والطمع والغيرة والحسد وسأحدثكم بالخروج من ذلك إذا ظننت فلا تحققي وإذا تطيرت فامضي وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقل من ينجو منهن » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم بأفئوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في ذم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لأجد على أحد من المسلمين في نفسى غشا ولا حسدا على خير أعطاء الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البراز وصلى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لميعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطمع والحسد الحديث وفي رواية وقل من ينجو منهن ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه يعقوب بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الزمعي ضفهما الجمهور والرواية الثانية قرأها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف ولطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وتقدم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع التفاق قيل وما خشوع التفاق قال خشوع البدن وتفاق القلب ». أما عبد اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور لقله ما في باطنهم فكان يهبي الأمور ويظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالى إليه أن يحلى التوراة بالذهب ، ووقع لي والله اعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيعوج به باطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تتلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسيم

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يظلب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمتي داء الأمم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر والتكاثرو والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم المريج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثمارة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٣) « وروى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلا فقبطه بمكانه فقال إن هذا لكريم طي ربه فسأل ربه تعالى أن يجبره باسمه فلم يجبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس طي ما آتاهم الله من فضله وكان لا يبق والده ولا يعنى بالخمعة وقال ذكر كبريائه عليه السلام قال الله تعالى : الحاسد عدو لعمى منسخط لقضائي غير راض بما سمعني التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف طي أمتي أن يكثر فيهم للسالك فيتعاسدون ويقتلون » (٤) « وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا طي قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود » (٥) « وقال صلى الله عليه وسلم « إن لعم الله أعداء قبيح ومن هم فقال الذين يحسدون الناس طي ما آتاهم الله من فضله » (٦) « وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية والدهاقين بالتكبر والتجار بالحيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد » (٧) « الآثار : قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على ربه فأنى أن يسجد له فحمله الحسد على العصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلب وكان يومئذ طي واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إياك والسكبر فإنه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآية وإياك والحسد ثانياً ما قتل

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يظلب القدر أبو مسلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر بلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمتي داء الأمم قبلكم قالوا وما داء الأمم قال الأشر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة باسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثمارة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك الترمذي من حديث وثالثه بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف طي أمتي أن يكثر لهم للسالك فيتعاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي طاهر الأشعري وفيه ثابت بن أبي نابت جهله أبو حاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد إن محمداً أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البدرى والله ما الفقرا حتى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو وإدافتحت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتناقضون ثم يتحاسدون ثم يتداربون الحديث ولأحمد والبخاري من حديث عمرو لا تفتح الدنيا طي أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا طي قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف (٦) حديث إن لعم الله أعداء قبيح ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس طي ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن لأهل العم حسادا فاحذروهم (٧) حديث ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله ومن هم قال الأمراء بالجور الحديث وفيه والعلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين .

الفضل وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية قتم بالاستملاء وللقب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتميل فرأى اليهود ظاهره فهايلوا من غير حظ لبوا طمهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكارا على أهل الرسوسة « هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وقابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل طي صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهايا واعلم أن الله تعالى

ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وائل عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النجوم فاسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يئس بعض الملوك فيقوم بمخاض الملك فيقول أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته حسده رجل على ذلك للقيام والكلام فسمى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بمخاضك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإنه إذا نادى منك وضع يده على أنفه ثلاثين ربح البحر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بمخاض الملك على عادته فقال أحسن إلى الحسن باحسانه فإن السوء سيكفيك إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صله فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فأذبه واسلخه واحش جلده تبنا وابتث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الرجل الذي سمي به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي فآله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فدبجه وسلخه وحشا جلده تبنا وبتث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فصعب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوجهه مني فوهبته له قال له الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فيك قال لأنه أطمعني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفي السوء إساءته . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بنو يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به بدا ولا لسانا . وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قفر فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أندر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل :

كل العداوات قد ترجى إمامتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يلقى . وقال أعرابي ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك قمة عليه . وقال الحسن بن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لسكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا منمة وذلا ولا ينال من اللائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزاع إلا عداوة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا .

(بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه)

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تسكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تسكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى للمنافسة حسدا والحسد منافسة وبوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حرج في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يقيظ

(بيان حقيقة الحسد وحكمه)

أوجب الصلوات الخمس
وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلاة عماد الدين
فمن ترك الصلاة فقد
كفر » بالصلاة تحقيق
العبودية وأداء حق
الربوبية وسائر
العبادات وسائل إلى
تحقيق سر الصلاة .
قال سهل بن عبد الله
يحتاج العبد إلى السنن
الرواتب لتكميل
الفرائض ويحتاج إلى
النوافل لتكميل
السنن ويحتاج إلى
الآداب لتكميل
النوافل ومن الأدب
ترك الدنيا والذي ذكره
سهل هو معنى ما قال
عمر على المنبر إن
الرجل ليشيب عارضا
في الإسلام وما أكل
تة صلاة قيل وكيف

والمناقق يحسد^(١) فأمّا الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجبر أو كافر وهو يستمين بها على تسيج الفتنة وفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراحتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فسادهم يضمنك بنعمته ويبدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عندر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراحتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة تؤم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها - وهذا الفرح ثماتة والحسد والشتماتة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن حبه زوال نعمة الإيمان حسداً وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فكفروا نون سوا - وذ كراهة الله تعالى حسداً خوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضاً يخل لكم وجهه أيكم - فلما كرهوا أحب أيهم له وساءم ذلك وأحبوا زواله عنه فقيوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا تضيق صدورهم به ولا يفتنون فأنى عليهم بدم الحسد وقال تعالى في معرض الإنكار - أم يهودون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمة واحدة - إلى قوله - إلا الذين أتوا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي نزله إلا ما نصرتنا^(٢) . فكانوا ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - أن يكفروا بما أنزل الله بغيا - أى حسداً . وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداته أيام الحياة^(٣) فهذا حكم الحسد في التحريم . وأما للنافقة والنافقة بدل الحسد إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافقة والنافقة بدل الحسد

(١) حديث المؤمن يضبط والمناقق يحسد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يعث النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا - ابن اسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم : جاء أبي وعمي من عندك يوماً فقال أبي لعمي ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن اسحاق في السيرة قال حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً

ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واتباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار « إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن الصلي لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه منادلو علم الصلي من يناجي ما التفت أو ما انقل وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات فله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله لا يرضون من

ذل ثم بن العباس لما أراد هو والنفل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإنما السابقة عند خوف القوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاها إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاها بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويسلم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بمله في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أتقنه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة عنيه للمصيبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاجرح على من يسيط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للنفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمصيبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتعم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا جرح على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللباحت، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشنى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره. وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

(١) حديث قال ثم بن العباس لما أراد هو والنفل أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرها أن يؤمرها على الصدقة قال لعل حين قال لهما لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمر كما عليها فقالا له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته لما تسنا ذلك عليك (١) أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إليك فاطمة والنفاسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة للنفاسة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم - وإنما السابقة عند خوف القوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاها إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاها بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويسلم الناس (٢)» ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري فقال «مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بمله في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء» وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال «ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أتقنه في مثل ما أتقنه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء (٣)» فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة عنيه للمصيبة لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاجرح على من يسيط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه للنفاسة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمصيبة وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كالنفاق الأموال في السكارم والصدقات فالنفاسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتعم بها على وجه مباح فالنفاسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة النعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا جرح على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في اللباحت، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة : وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانها إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشنى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره. وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد

آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والتهود والعباد للتيقظ بتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم وفي السجود بصفة الساجدين وفي كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفي غير الفريضة ينبغي للمصلي أن يمكث في ركوعه متلذذا بالركوع غير مهم بالرفع منه فإن طرقته سامة بحكم الجيلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يدوق الحشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يترامى للراكع الحق أنه إن سبق همه في حال الركوع أو السجود إلى

إلى اختياره لسمى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضى عما يجده في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بقوله ودينه والله الذى بقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة»^(١) ثم قال «وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ» أى إن وجدت في قلبك شيئا فلا تامل به وبميد أن يكون الإنسان مريدا للحاق بأخيه في النعمة فيجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجمل بحالة ترجيحها له على دوامها فهذا الحد من النافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغى أن يحتاط فيه فانه موضع الخطر وما من إنسان إلا هو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان رزين التقوى ومهما كان محرکه خوف التفاوت وظهور قصاته عن غيره جره ذلك إلى الحسد للذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقى إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لارخصة فيه أصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعنى عنه في ذلك ما لم يسل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد وأحكامه . وأما امرأته فأربع : الأولى : أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الحب . الثانية : أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو مسعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها . الثالثة : أن لا يشهى عنها لنفسه بل يشهى مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما . الرابعة : أن يشهى لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو المفهوم عنه إن كان في الدنيا والندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية أخف من الثالثة والأولى مذموم محض وتسمية الرتبة حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض - فتمنيه مثل ذلك غير مذموم وأما غنية عين ذلك فهو مذموم .

(بيان أسباب الحسد والنافسة)

أما النافسة فسببها حب ما فيه النافسة فان كان ذلك أمرا دينيا فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دنيويا فسيبه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها بسبعة أبواب : العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من قوت القاصد المحبوبة وحب الرياسة وحب النفس وبخلها فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل بحسد الحسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته إليه أو إلى من يحبه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطبق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر وإما أن تكون النعمة عظيمة والنصب عظيم فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب وإما أن يخاف من قوت مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه وإما أن يكون يحب الرياسة التى تشفى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل لحب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب . السبب الأول : العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفى المهيئة
حقها فيكون همه
المهية مستقرا فيها
مشغولا بها عن غيرها
من الهيات فذلك
يتوفر حظه من بركة
كل هيئة فان السرعة
التي يتقاضى بها الطبع
تسد باب الفتح ويقف
في مهاب النفقات
الإلهية حتى يتكامل
حظ العبد فتتمحى
آثاره بحسن الاسترسال
ويستقر في مقعد
الواصل . وقيل في
الصلاة أربع هيات
وستة أذكار فالهيات
الأربع القيام والقعود
والركوع والسجود
والأذكار الستة التلاوة
والتسبيح والحمد
والاستغفار والدعاء
والصلاة على النبي عليه
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة .

(بيان أسباب الحسد والنافسة)

فان من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسع في نفسه الحقد والحقد يقتضى التشفى والانتقام فان عجز للبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظننا مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله ومهما أصابته نعمة مائة ذلك لأنه ضد مراده وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذى آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يلبس البغض والعدوة ولا يفارقهما وإنما غاية التقى أن لا يضى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنساناً ثم يستوى عنده مسرته ومساوته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد بالعدوة إذ قال الله تعالى - وإذا تعوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور - إن تمسكتم حسنة تؤم - الآية ، وكذلك قال تعالى - ودواما عنكم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يفضى إلى التنازع والتقاتل واسترقاق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعزز وهو أن يتقل عليه أن يرفع عليه غيره فاذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علما أو مالا خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطبق تكبره ولا تسمح نفسه باحتيال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستغفره ويستخدمه ويتوقع منه الاقياده وللنابغة في أغراضه فاذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره وترفع عن متاجته أو ربما يتشوف إلى مساواته أو إلى أن يرفع عليه فيعود متكبرا جده أن كان متكبرا عليه ومن التكبر والتعزز كان حسداً أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا كيف تقدم علينا غلام يتيم وكيف نطأ على رؤسنا قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يشغل علينا أن نتواضع له وتبته إذا كان عظيماً وقال تعالى يصف قول قريش - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - كالأستحقار لهم والأفقه منهم. السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا ما أئتم إلا جبر مثلنا - وقالوا - أنؤمن لبشرين مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فتهجوا من أن يفوز بربة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فسدوم وأجوا زوال النبوة عنهم جزعا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الحلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من ضار الأسباب وقالوا متعجبين - أبعث الله بشرا رسولا - وقالوا - لولا أنزل علينا اللاتكة - وقال تعالى - أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم - الآية . السبب الخامس : الخوف من قوت المقاصد وذلك يختص بتمزجين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الافراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في الزواحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الإخوة في الزواحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والسال وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ وتحاسد ندماه للملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى السال

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن اسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن المغيرة قال أنزل على محمد وآرك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد تقيف فنحن عظماء القريتين فأزل الله فيها بطنى هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنهما قالا مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو صحيح .

عشرة كلمة تحرق هذه العشرة على عشرة صفوف من اللاتكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركبتين ما يفرق على مائة ألف من اللاتكة .

[السبب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب] وتذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بها وأدابها الظاهرة والباطنة على الكمال بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شئ من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والاهجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق : ينبغي لعبد أن يستعد للصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلة واحدة إذا كان غرضها نيل اللال بالقبول
عندهم وكذلك تحاسد العالمين المترشحين على طائفة من التفصية محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة
في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير
توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظر في فن من الفنون إذا غلب
عليه حب التناء واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد المصير في فنه وأنه لا نظير
له فانه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد به ويفرح
بسبب تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تمززا ولا تكبرا على المسود ولا خوف من فوات القصد
سوى محض الرياسة بدعوى الافراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم . السبب السابع :
خبث النفس وشحها بالحير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال إذا
وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له
اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبا يحب الإدبار لغيره
ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل من يبخل بمال
نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه
وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس وردالة في الطبع عليه وقعت
الجبلة ومما لجته شديدة لأن الحسد الثابت بأسر الأسباب أسبابه عارضة تصور زوالها فيطمع في
إزالتها وهذا خبث في الجبلة لاعتن سبب عارض فتعسر إزالته إذ يستحيل في العبادة إزالته فهذه هي
أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد
بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والجمالة بل ينبتك حجاب الجمالة وتظهر العداوة
بالمكاشفة وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب ولما يتجرد سبب واحد منها .

(بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمتال والأقران والإخوة وبنى الم والأقارب)

وتأ كده وقلته في غيرهم وضغه)

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها وإنما يقوى بين قوم تجتمع
جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يتمتع عن قبول
التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجتمعهم
روابط يجتمعون بسببها في مجالس المحاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالف واحد منهم صاحبه
في غرض من الأغراض فمر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه
ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكرهه وتمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف
جملة من هذه الأسباب إذ لرابطة بين شخصين في بلدين متناهيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك
في محلتين ، نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضها
فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تتور به أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البراز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحره وحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب

تقبل دخول وقتها
بالوضوء ولا يوقع
الوضوء في وقت الصلاة
فذلك من المحافظة
عليها ويحتاج في معرفة
الوقت إلى معرفة الزوال
وتفاوت الأقدام لطول
النهار وقصره ويصير
الزوال بأن الظل مادام
في الاتفاص فهو
النصف الأول من النهار
فاذا أخذ الظل في
الازدياد فهو النصف
الأخر وقد زالت الشمس
وإذا عرف الزوال وأن
الشمس على كم قدم
تزول يعرف أول الوقت
وأخره ووقت العصر
ويحتاج إلى معرفة
للنازل ليعلم طلوع الفجر
ويصلم أوقات الليل
وشرح ذلك يطول
ويحتاج أن يفرده باب
فاذا دخل وقت الصلاة

والرأة تحسد ضرمتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته لأن مقصد البراز غير مقصد الاسكاف فلا يتراحمون على المقاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون وإنما يتراحمه فيه بزاز آخر إذ حريف البراز لا يطلبه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجبار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشهر بها وينفرد بهذه الحصلة ولا يتراحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزام بينهما على مقصود واحد أحسن فأصل هذه المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزام بينهما على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعين بل متناسين فلذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عن يسامحه في الحصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فإن الدنيا هي التي تضيق على التتراحمين أما الآخرة فلا تضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويغرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص قدة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس ونعمة الاستفادة والافادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا يضيق فيه وغرضهم النزلة عند الله ولا يضيق أيضاً في عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم ، نعم إذا قصد العلماء بالعلم للمال والجاه تحاسدوا لأن للمال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لاحتمال فيكون ذلك سبباً للمحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يعتلى قلب غيره بها وأن يفرح بذلك والفرح بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد مالم يرتحل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوته أرضه وسماؤه صار ذلك الله عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من قده بل زادت لفته بمؤانسته فتكون لفته هؤلاء في مطالعة محجائب الملكوت على الدوام أعظم من لفته من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فإن نعيم العارف وجمته معرفته التي هي صفة ذاته بأمن زوالها وهو أبداً يجنى ثمارها فهو بروحه وقلبه معتد بما كفه علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطفها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف النطاء ومشاهدة المحبوب في القبي فأذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة ولأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مصايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من

يقدم السنة الراتبية في ذلك سر وحكمة وذلك والله أعلم أن العبد تشتت باطنه وتفرق همه لما يلجى به من الخالطة من الناس وقيامه بهم للمعاش أو سهو جري بوضع الجيلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بقتضى العادة فاذا قدم السنة يجذب باطنه إلى الصلاة ويتشأ للاجابة ويذهب بالسنة الراتبية أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعداً للفرصة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطسرق النفحات ثم يجرد التوبة مع الله تعالى عند الفرصة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبار

صفات للبعدين عن سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان العين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ما خص به من الاجتناب ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى وعمرّد وعصى فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً فمليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لازمة فيها ولتنة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وهما بم ملكوت السموات والأرض ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فان كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقررت أنك رأيتك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العين لا يشاق إلى لذة الوقاع والعبي لا يشاق إلى لذة الملك فان هذه لذات يختص بأدراكها الرجال دون الصبيان والمهثئين فكذلك لذة المعرفة يختص بأدراكها الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يذوق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن تفيض له شيطاناً فهو له قرين - .

(بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب)

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحميماً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوً ونفسك وصديق عدوك فارتقت الحسد لاجتماعه أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقره في ملكه بخفي حكته فاستكرت ذلك واستبشمته وهذه جنابة على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جنابة على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياؤه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تألم بحسدك في الدنيا أو تعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخلبهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تعذب بكل نعمة تراها وتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً منتشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبه الأعداء لك وتشبه الأعداء لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجرت في الحال محتك وغمك تقدا ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولولم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءمة مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودياره من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلاحية في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب ولذلك شكاني من الأنبياء من امرأة ظالمة مسئولية على الخلق فأوحى الله إليه فر من قدامها حتى تقضى أيامها أي ما قدرناه في الأزل

والصغار مما أوما إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيئات المقربين. ثم لا يصلح إلا جماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تفضل صلاة الجماعة صلاة الغد سبع وعشرين درجة » ثم يستقبل القبلة بظاهره والخصرة الإلهية ياطنه ويقراً - قل أعوذ برب الناس - ويقرأ في نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاختفتاح قبل الصلاة لوجه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص

لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقباله فيها ومهما نزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بمحسدي ، وهذا غاية الجهل فانه بلاء تشتبهه أولا لنفسك فانك أيضا لاتخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق ولا نعمة الايمان أيضا لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - إذ ما يريد الحسود لا يكون ، نعم هو يشغل بآرادته الضلال لفترة فان إرادة الكفر كفر ، فمن اشتبهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتبهت أن تزول النعمة عن الخلق بمحسودك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباطة لكل واحد من حقد الحساد أيضا يشتهي أن يخلص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تنزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها . وأما أن المحسود يتنفع به في الدين والدنيا فواضح . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه هدايا تنهياها إليه : أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تنزل . نعم كان لله عليه نعمة إذ وقفتك للحسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساواة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مضمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسداً ، ولذلك قيل :

لامات أعداؤك بل خلدوا حقد روافيك الذي يكبد
لازلت محسودا على نعمة فأنما الكامل من يحسد

قصر عدوك بعمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده لما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فاذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مضموما عند الخالق والخلائق شقيا في الحال والمآل ونعمة المحسود دأمة شئت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك لأنه لما رأك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب الهبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الأكارب في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك خاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب بفضه إليك حتى لاتحققه بحبك كالم تلحقه بعمالك . وقد قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب ^(١) » وقام أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال « يا رسول الله متى الساعة فقال ما أعددت لها؟

(١) حدث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليه من حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون
جهة الصلاة ثم يرفع
يديه حذو منكبيه
بحيث تكون كفاه
حذو منكبيه وإبهاماه
عند شحمة أذنيه
ورءوس الأصابع مع
الأذنين ويضم الأصابع
وان نشرها جازواضم
أولى فانه قبل النشر
نشر الكف لانش
الأصابع ويكبر ولا
يدخل بين باء أكبر
ورائه ألفا ويجزم أكبر
ويجعل اللد في الله ولا
يبالغ في ضم الهاء من
الله ولا يتسدى
بالتكبير إلا إذا
استقرت اليدين حذو
للنكبين ويرسلهما مع
التكبير من غير تقص
فالوقار إذا سكن القلب
تشكلت به الجوارح
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا آتى أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أنتم من أحببت (١) قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر رغبتهم كانت حب الله ورسوله قال أنس فذبح نهب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يارسول الله الرجل يحب الصلّين ولا يصلي ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) » وقال رجل لمعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحبهم فإن لم تستطع فلا تفهمهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لنا عزجا فانظر الآن كيف حسدك إبليس قوت عليك ثواب الحب ثم لم يقع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى آثمت وكيف لا وعسالك تحاسد رجلا من أهل العلم ونهب أن يخطئ في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتجب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يعرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأى إثم يزيد على ذلك فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الأثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه (٣) » أى من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة فانظر كيف أهدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها ألبتة فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمى سهما إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقه التي في قامها فيزيد غضبه فيعود ثانية فبرمى أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيصمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حاله في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تقوت إلا الصينين ولو بقيتا لغاتنا بالموت لا محالة والحسد يعود بالآثم والأثم لا يفوت بالموت ولله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقطعها الهيب النار فانظر كيف اتقمت الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذا السلامة من الآثم نعمة والسلامة من الغم والسكمد نعمة قد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى - ولا يحق المسكر السبي - إلا بأهله - وربما يتلى بعين ما يشتهي لعدوه وقلما يشمت بشامت بمساءة إلا ويتلى بمثلها حتى قالت عائشة رضی الله عنها : ما عنيت له ثمان شيئا إلا نزل بي حتى لو عنيت له القتل لقتلت ، فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجر إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالقواحيش في التشفى من الأعداء وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة ، فهذه هي الأدوية المليية لهم ماتسكروا الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفاة نار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنفص عيشه . وأما العمل الذافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه تقيضه فان بثه الحسد على القدر في محسوده كلف لسانه اللدح له والثناء عليه وإن حمله على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن بثه على كنف الإتمام

والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يوجب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلى الصلاة بينها . وحكى عن الجنيد أنه قال لكل شئ صفة وصفوة الصلاة التكبيرية الأولى وإنما كانت التكبيرية صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله فله ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وإن كثرت لا يوازن بالنية التي هي لله بالله وإن قل .

وسئل أبو سعيد الخزاز كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال هو أن تقبل على الله تعالى

(١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
 (٢) حديث أبي موسى قلت يارسول الله الرجل يحب الصلّين ولا يصلي الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلطف آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال الرمع من أحب .
 (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والسكاف عنه لم أجد له أصلا .

عليه أئتم نفسه الزيادة في الانعام عليه لهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولد من ذلك للواقعة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء وللدخ وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب النعم عليه ويستترقه ويستعطفه ويعمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً طبعاً آخراً ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأئمنت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الحوف وأن ذلك مذلة وههانة وذلك من خلع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتقل مرغوبها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا إنها مرة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء أعنى التواضع للأعداء والتقرب إليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذلك وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا القتل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون والأول ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فلمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة يمكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السكبي فأما الدواء الفصلي فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على مالا يخفى وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فإنها مواد هذا المرض ولا يتقنع المرض إلا بقمع السادة فان لم تقمع السادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة ولا يزال يعود مرة بعد أخرى وبطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فإنه مادام محباً للجاه فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه والنزلة في قلوب الناس دونه ويفعه ذلك لاجتماع وإنما غايته أن يهون القم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق.

(بيان التدبر الواجب في نفي الحسد عن القلب)

اعلم أن المؤذي محموت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يمش على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك وإن كفت ظاهرك بالسكينة إلا أنك ياطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت أيضاً حسود عاص لأن الحسد صفة القلب لصفة الفعل قال الله تعالى - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكفرون سواهم وقال - إن تأسمكم حسنة تؤم - أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح ثم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فأما إذا كفت ظاهرك وأئمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تحقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فأما تغيير الطبع ليستوى عنده المؤذي والمحسن ويكون فرجه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه مادام

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تنجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه الملك العظيم . وقيل لبعض العارفين كيف تكبر التكبير الأولى فقال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التعظيم مع الألف والهيئة مع اللام والراقبة والتقرب مع الهاء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالعة العظمة والكبرياء وامتناعاً باطنه نوراً وصار السكون بأسره في فضاء شرح صدره تكردلة بأرض فلاة

ملفتنا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصير مستغرقا بحب الله تعالى مثل السكران الواه قد يتهى أمره إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد بل ينظر إلى الكل بين واحدة وهي عين الرحوبري الكل عباد الله وأفعالهم أفضالاً لله وبرامهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته أعنى الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة فهما قابل ذلك بكرهته وألزم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأتهم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده. وروى عنه موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ثلاثة لا يغلوهمن للؤمن وله منهن مخرج فخرج من الحسد أن لا يغنى » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنع من البغى والإيذاء فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث اللغوي إذ يعد أن يعنى عن العبدى إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم بطبعك وتكره حيك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساوئهم بما لبسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعاً . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت نفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يغلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضغفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

(وهو الكتاب السادس من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدنا وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يبق مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بحمالها ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصلها ثم هي فرارة عن طلابها شديدة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن سرها ووبالها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أساءت مرة جعلتها سنة فدوائر إقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيتها خاسرة بأثرة وآفاتنا على التوالى لصدور طلابها راشقة ومجاري أحوالها بذل طلبها ناطقة فكل مغرور بها إلى الدن مصيره وكل متكبر بها إلى التحسر مسيره شأنها الحرب من طلبها والطلب لها ربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها واته لا يغلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن اللنصت سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق إلى الهرم ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والتدم فهي خداعة مكاراة طيارة فرارة لا تزال تترين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبائها كثرتم لهم عن أنيابها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشفت لهم عن مكنون محابها فأذاقتهم قوائم سماتها

﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تأتي الحردلة لما يغشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخيل في الباطن من السكون الذى صار بمثابة الحردلة فألقت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تراحم مطالمة العظمة والقيوبة في ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يغشى الروح بمطالمة العظمة والقلب يتميز بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده النجى يده اليسرى ويحملها بين السرة والصدر والنجى

ورحقتهم بصواب مبهلها، بينا أصحابها منها في سرور وإنعام إذولت عنهم كأنها أضفأت أحلامهم عكرت عليهم بدواهيها فطحتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصيد إن ملكت واحدا منهم جميع ماطلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كأن لم يكن بالأمس عنى أصحابها سرورا وتمدم غرورا حتى يأملون كثيرا وبينون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء منثورا ودعائم ثبورا هذه صفاتها وكان أمر الله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهير وأولى الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

لكرامتها تجعل فوق

اليسرى وبعد للسبحة

والوسطى على الساعد

ويقبض بالثلاثة

البواق اليسرى من

الطرفين وقد فرأى

الؤمنين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل لربك وانحر -

قال إنه وضع الخبي على

السهال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرقا يقال له الناحر

أى ضع يدك على الناحر

وقال بعضهم وانحرأى

استقبل القبلة بنحرك

وفي ذلك سر خفي

يكشف به من وراء

أستار الغيب وذلك أن

الله تعالى بلطف

حكيمته خلق الأدمى

وشرفه وكرمه وجعله

محل نظره ومورد حبه

ونجته ما في أرضه

[أما بعد] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فإنها تزيت لهم زيتتها وعمتهم زهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأماعداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم بكمها وكيدها فتقتصرهم بشبكها حتى وتقواها وعولوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتوا منها حسرة تقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبدأ الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكابدها يستغيثون ولا يثابون بل يقال لهم - اخسأ فيها ولا تسكمون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروورها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشروورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو اللعين على ما يرتضيه .

(بيان ذم الدنيا)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هيئة على أهلها ؟ قالوا من هو أنها أتوها قال والذي نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسق كافرا منها شربة ماء (١) » وقال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢) » وقال رسول الله ﷺ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فميتها (٣) » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحب دنياه أضرباً آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يقى على ما يقى (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة (٥) »

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هيئة على صاحبها الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذى وقال حسن صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث السننورد بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومنتم (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرباً آخرته الحديث أحمد والبخاري والطبراني وابن جبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقى في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بجراب فألقى بماء وعسل فلما دناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا ولمسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يجرون على مسأته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يده عن نفسه شيئا ولم أرمعه أحدا قلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا ثلاث لي قلت لها إليك عنى ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت منى لم يفلت منى من بعدك^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا هيبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار الغرور^(٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هداوا إلى الدنيا وأخذ خرة قد بلت على تلك الزبلة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا^(٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تتصير عظما بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلوة والنساء والطيب والثياب^(٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا تتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يا معشر الخواريين إنى قد كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تمسوها بعدى فان من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألقا عبروا الدنيا ولا تمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهاها حزنا طويلا وقال أيضا: بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا يزال منكم فيها الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم إن يرضوا لكم ما تركتموهم ودينهم وأما النساء فامتنعوا بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طلبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجنى الموت فيأخذ بنقته . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها^(٥) » وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال لرب ما بد من بنى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال: لتسيح في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فان ما أعطى ابن داود يذهب والتسيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم « لهاكم التكار يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت^(٦) »

ومما له روحانيا
وجماليا أرضيا وسمويا
متصبا القامة مرتفع
المهية فنصفه الأعلى
من حدالة زاد مستودع
أسرار السموات ونصفه
الأسفل مستودع
أسرار الأرض لمحل
نفسه ومركزها النصف
الأسفل ومحل روحه
الروحاني والقلب
النصف الأعلى لجواذب
الروح مع جواذب
النفس يتطاردان
ويتحاربان وباعتبار
تطاردهما وتضالهما
تكون لمة الملك ولة
الشیطان ووقت الصلاة
يكثر التطارد لوجود
التجاذب بين الإيمان
والطبع فيكشاف
للصلى الذى صار قلبه
سمويا مترددا بين
القناء والبقاء لجواذب

(١) حديث زيد بن أرقم كما مع أبي بكر فدعا بجراب فألقى بماء وعسل فلما دناه من فيه بكى الحديث وفيه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يده عن نفسه شيئا الحديث البراز بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه بلفظه (٢) حديث يا هيبا كل العجب للمصدق وهو يسمى لدار الغرور ابن أبي الدنيا من حديث أبي جرير مرسلا (٣) حديث إنه وقف على مزبلة فقال هداوا إلى الدنيا الحديث ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية ابن ميمون اللحى مرسلا وفيه بقية بن الوليد وقد عننه وهو مدلس (٤) حديث إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله إن بنى إسرائيل الخ والشرط الأول متفق عليه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسلا بالزيادة التي في آخره (٥) حديث موسى بن يسار إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها ابن أبي الدنيا من هذا الوجه بلاغا والبيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل (٦) حديث لهاكم

قال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يمدى من لا علم له وعليها يحسد من لا قه له ولها يسي من لا يقين له (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يترغ منه أبدا وقررا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منبهاه أبدا (٢) » وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيمها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يمدى وآتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرس كركمك وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطمعتمهم اكتبوها من حيث اكتبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رباشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان با كيا على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى اشتد بكأونا (٣) » ويروى أن الله عز وجل لما هبط آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب ولد للفناء . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إنى قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير وإلى الفناء بصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد وإن نجل بك صاحبك وشح عليك طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا النور يسي أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يا لاشيء إنى لم أركك لهم في الدنيا أأركك لهم اليوم (٤) » وروى في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لحروج الثفل ولم يكن ذلك مجمولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهبها عن أكلها قال نجل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يحاطبه فقال له قل له أى شيء تريد ؟ قال آدم أريد أن أضع ماني بطني من الأذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « ليحين أنوام يوم

التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشيخير (١) حديث الدنيا دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصر على هذا وعلى قوله ولها يجمع من لا عقل له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي فى الشعب من طريقه ومال من لامال له وإسناده جيد (٢) حديث من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله فى شيء وألزم الله قلبه أربع خصال الحديث الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر دون قوله وألزم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبى الدنيا من حديث أنس باسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبى هريرة ألا أريك الدنيا جيمها بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يمدى وآتى بي واديا من أودية المدينة فإذا مزبلة الحديث لم أجد له أصلا (٤) حديث الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله لا ينظر إليها الحديث تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار مرسلا ولم أجد باقى

النفس متصاعدة من مركزها ولجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن ارتباط ومساوغة فبوضع الجنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جوازها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استوت جواز الروح وتعلقت من الفرق إلى التدم عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستتير مركزها بنور الروح وتقطع حينئذ جوازها النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه « للؤمن بين عثنتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيؤمنين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليزود العبد من نفسه لنفسه ومن ديناه لأخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهمره فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي تسمى يده ما بعده للوت من مستحب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار (٢) » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم للساء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لروح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يتركك قال يكفيني حلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت (٣) » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجهله بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمه أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالنيل والتجبر ولا الذئب إلا بالفخر والبخل ولا المحبة إلا بالاتباع الهوى الأثمن أدرك ذلك الزمان منكم نصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على القتل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا (٤) » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه الطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعد فأتاها فذافها امرأة فغاد عنها فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوجك يوم القيامة مائة حوراء خاتمتها يدي ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولا أمرن مناديا ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتقره ويأمنها ويشقها وتخذله وويل للمعتزين كيف أرثهم ما يكرهون وفارقهم ما يعون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والحطابيا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « يا موسى مالك ولدان الظالمين إنهما ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بقلبك فبئست الدار هي إلا العامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى إنني مرصد للظالم حتى أخذ منه للمظلوم » . وروى « أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافقوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث لجيئين أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضعيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٢) حديث المؤمن بين عثنتين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع (٣) حديث احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي مرسلا وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله ألهمي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلا وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم .

ويستغنى حينئذ عن متاعه للنفس ومنع جوازها بوضع العين على النبال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ بوجهه وجهي الآية وهذا التوجه إلقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قلبه ثم يقول سبحانه اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن

فلما صلی رسول الله صلی الله علیه وسلم انصرف فعرضوا له فتبسم رسول الله صلی الله علیه وسلم حين رآهم ثم قال أظنکم صمتم أن أبا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسرکم فوالله ما الفقير أخشى علیکم ولكنی أخشى علیکم أن تبسط علیکم الدنیا كما بسطت علی من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها قتلککم كما أهلکتهم (۱) « وذل أبو سعید الحدری قال رسول الله صلی الله علیه وسلم « إن أكثر ما أخاف علیکم ما ینخرج الله لکم من بركات الأرض قلیل ما بركات الأرض قال زهرة الدنیا (۲) « وقال یزید (۳) « لا تشغلوا قلوبکم بذكر الدنیا (۴) « قهی عن ذکرها فضلا عن إصابة عینها . وقال عمار بن سعید مر عیسی علیه السلام بقریة فاذا أهلها موتی فی الآفیه والطرق فقال یا معشر الحواریین إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غیر ذلك لتدافنوا فقالوا یا روح الله وددنا أن لو علنا خبرهم فسأل الله تعالی فأوحى إلیه إذا كان اللیل فنادم یجیوک فلما كان اللیل أشرف علی نثر ثم نادى یا أهل القرية فأجابه یحیی لیک یا روح الله فقال ما حالکم وما قصتکم قال بتنا فی عافیة وأصبحنا فی الهاویة قال وكيف ذلك؟ قال یحبنا الدنیا وطاعتنا أهل العاصی قال وكيف كان حکم للدنیا؟ قال حب العسی لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبکینا علیها قال فما بال أصحابک لم یجیونی قال لأنهم ملجمون بلجم من نار بأیدی ملائکة غلاظ شداد قال فكيف أجتئی أنت من بینهم قال لأنی كنت فیهم ولم أکن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنی معهم فأنا معلق علی شفر جهنم لأدری أنجو منها أم أکبک فیها قال المسیح للحواریین لأکل خبز الشعیر بالملح الجریش ولبس السوح والنوم علی الزابل کثیر مع عافیة الدنیا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلی الله علیه وسلم المضباء لا تسبق فجاء أعرابی بناقة له فسبقها فشق ذلك علی المسلمین فقال صلی الله علیه وسلم « إنه حق علی الله أن لا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه (۴) « وقال عیسی علیه السلام من الذى ینبى علی موج البحر دار تلکم الدنیا فلا تتخذوها قرارا وقیل لعیسی علیه السلام علنا علما واحدا یحبنا الله علیه قال أفضوا الدنیا بحکم الله تعالی وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ « لو تعلمون ما أعلم لضحکم قلیلا ولبکینم کثیرا ولهانت علیکم الدنیا ولآثرتم الآخرة (۵) « ثم قال أبو الدنیا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلی الصعدات تجأرون وتبکون علی أنفسکم ولترکتهم أموالکم لا حارس لها ولا راجع إلیها إلا ما لا بد لکم منه ولكن یغیب عن قلوبکم ذکر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنیا أملك بأعمالکم وصرتم کالذین لا یصلون فبغضکم شر من البهائم التى لا تدع هواها عفافه بما فی عاقبته مالکم لا تحابون ولا تتاصحون وأنتم إخوان علی دین الله ما فرق بین أهوائکم إلا خبث سرائرکم ولو اجتمعتم

(۱) حدیث بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بحمال من البحرین فسمعت الأنصار یقعدون أنى عبیده متفق علیه من حدیث عمرو بن عوف البدری (۲) حدیث أبی سعید إن أكثر ما أخاف علیکم ما ینخرج الله لکم من بركات الأرض الحدیث متفق علیه (۳) حدیث لا تشغلوا قلوبکم بذكر الدنیا البیهقی فی الشعب من طریق ابن أبی الدنیا من روایة محمد بن النضر الحارثی مرسل (۴) حدیث أنس كانت ناقة رسول الله صلی الله علیه وسلم المضباء لا تسبق الحدیث وفیه حق علی الله أن لا یرفع شیئا من الدنیا إلا وضعه البخاری (۵) حدیث أبی الدرداء لو تعلمون ما أعلم لضحکم قلیلا ولبکینم کثیرا ولهانت علیکم الدنیا ولآثرتم الآخرة الطبرانی دون قوله ولهانت الخوزاد وخرجتم إلی الصعدات الحدیث وزاد الترمذی وابن ماجه من حدیث أبی ذر وما تلذتتم بالنساء علی الفرش وأول الحدیث متفق علیه من حدیث أنس وفی أفراد البخاری من حدیث عائشة .

الأخلاق فانه لا یریدى
لأحسنها إلا أنت
واصرف عنی سببها
فانه لا یصرف عنی
سببها إلا أنت لیک
وسمیدک فالخیر
کله یدیدک تبارکت
وتعالیت أستغفرك
وأتوب إلیک ویطرق
رأسه فی قیامه ویكون
نظيره إلی موضع
السجود ویکل القیام
باتصاب القامة ونزع
یسیر الانطواء عن
الركبتین والخواصر
ومعاطف البدن
ویقف كأنه ناظر
بجمع جسده إلی
الأرض فهذا من
خشوع سائر الأجزاء
ویتکون الجسد
یتکون القلب من
الخشوع وبروح بین
القدمین بمقدار أربع
أصابع فان ضم الکعبین

على البر لتحايتهم مالكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويصنه على أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم توفقون بخير الآخرة وشرها كما توفقون بالدنيا لآترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم . فان قلتم حب العاجلة غالب فاننا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تكفون أنفسكم بالشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تندركونه فبئس القوم أنتم ما حققتهم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاتنونا لنبين لكم ولترىكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فعذرکم إنكم تستبیتون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم مالكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيدونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها للصائب وتقيمون فيها المآثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إنى لأرى الله قد تبرأ منكم بعضكم بعضا بالسرور وكلكم بكرة أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطجبت على الغل ونبئت مرعايكم على الدمن وتصافيتهم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصاركم فان كان فيكم خير فقد أممتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله أستمين على نفسي وعليكم . وقال عيسى عليه السلام : يا مشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجلا بأدنى الدين قد تقنوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لتبر ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولئن أتيتكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) « وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى لا تر كذب إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، وموسى عليه السلام رجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من محبتك فقال يا ابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فاتمناه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من اتتمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فآلقها في نهره وقال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها بالإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا ، وقال الفضيل طالبت فكرتي في هذه الآية - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صميذا جززا - وقال بعض الحكماء : إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداه يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر ؟ قال يخاف الأبدان ويجدد الآمال ويقرب للنية ويعد الأمانة . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به تعب ومن فاتته نصب ، وفي ذلك قيل :

هو الصدف للهي عنه
ولا يرفع إحدى
الرجلين فانه الصدف
للهي عنه هي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
عن الصدف والصدف
وإذا كان الصدف منها
عنه ففي زيادة الاعتماد
على إحدى الرجلين
دون الأخرى معنى
من الصدف فالأولى
رعاية الاعتدال في
الاعتماد على الرجلين
جميعا ، ويكره اشتغال
الصماء وهو أن يخرج
يده من قبل صدره
ويجتنب السدل وهو
أن يرخى أطراف
الثوب إلى الأرض فيه
معنى الخيلاء وقيل هو
الذي ياتف بالثوب
ويجعل يديه من داخل
فيركم ويدجد كذلك
وفي معناه ما إذا جعل

(١) حديث لنا أتيتكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

ومن يعمد الدنيا ليهي بسره فسوف لعمري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت على الرء حسرة وإن أقبلت كانت كثير احمومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهالها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية . وقال بعضهم : من عيب الدنيا أنها لا تعطى أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أم ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضر كحب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأتبعه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجىء في طابه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفتى والآخرة من خرف يبقى لكان يفتى لنا أن نخز الخرفا يبقى على ذهب يفتى فكيف وقد اخترنا خرفا يفتى على ذهب يفتى ، وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يفتى أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فيقال هذا عظم ما حتره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحدمن الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة ، وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بدت يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت استكثروا عن ذكرها فلو لاموقع من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن آدم كيف أنت فقال :

ترقع دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتسوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنما

كعبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ماقد بناه تهدهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك ترجعها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا . وقال مطرف بن الشخير لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للذو من وجزء للمنافق وجزء للكافر فالذو من يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تتح عن خطبتها تسل

إن التي تخطب غدارة قرية العرس من اللأم

وقال أبو الدرداء من هو ان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركه ، وفي ذلك قيل :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صدق

يديه داخل القميص
ويجتنب الكف وهو
أن يرفع ثيابه يديه
عند السجود ويكره
الاختصار وهو أن
يجعل يده على الحاصرة
ويكره الصلب وهو
وضع اليدين جميعا على
الحصرين وتجافي
العصدين فاذا وقف في
الصلاة على الهيئة التي
ذكرناها يجتنب للسكران
قصدتم القيام وكله
فيقرأ آية التوجه
والدعاء كما ذكرنا ثم
يقول أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم ويقولها
في كل ركعة أمام
القراءة ويقرأ الفاتحة
وما بعدها بحضور قلب
وجمع هم وه واطاعة بين
القلب واللسان بحفظ
وافر من الوصلة والدنو
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يراقد الليل مسرورا بأوله
أفنى القرون التي كانت منعمة
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك
يأمن يعانق دنيا لابقاء لها
هلا تركت من الدنيا معاقبة
إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها
فبذني لك أن لاتأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لمسايب محمد صلى الله عليه وسلم أنت إبليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا؟ قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يبديوا الأوثان
وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ السال من غير حقه وإفناقه في غير حقه وإمساكه عن
حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يأمر المؤمنين صف لنا الدنيا قال:
وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن اتقرفها حزن ومن استغنى فيها افتن
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم
أقصر قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فاتها سحر
قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها فإذا
كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا ليثة ، وهذا تشديد عظيم ورجو
أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يهتمعان في القلب فأيهما غلب كان
الأخر تبعا له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله علي كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا
والآخرة ضربتان فبقدر ما مرضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يملون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه
أيحس له أن يتعشى فيه ؟ يعني يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم
ذلك ليوم قرهه ، وقال الفضيل لو أن الدنيا بمخذا فيرهابها عرضت على حلالها لأحاسب عليها في الآخرة لكنت
أتمنئها كما يتنمئ أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقه مخطومة بجمل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم يرفه إلا سيفه وترسه
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يأمر المؤمنين إن هذا يلغنا القليل وقال سفيان
خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله لقد عبت بنو إسرائيل الأصنام بعد
عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال
لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدرت الدنيا
من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود
إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك اللبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر
وقال عمرو بن العاص على النبي : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم والله ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والحسنية والتعظيم
والوقار والشاهدة
والناجاة وإن قرأين
الفاتحة وما برأ بعدها
إذا كان إماما في
الكنة الثانية : اللهم
باعديني وبين خطاياي
كما باعدت بين المشرق
والمغرب وتة في من
الخطايا كما ينقي الثوب
الأبيض من الدنس
اللهم اغسل خطاياي
بالماء والثاج والبرد
لحسن ، وإن قلها في
الكنة الأولى لحسن
روى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال
ذلك وإن كان منفردا
يقولها قبل القراءة
ويعلم العبد أن تلاوته
نطق اللسان ومعناها
نطق القلب وكل
مخاطب لشخص
بتحكم بلسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تفرسكم الحياة الدنيا - من قوله ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أو شك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بصيته في دينه ومجزع من مصيبته في دنياه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه اللوث قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم هيبا لمن يعرف أن اللوث حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وهيبا لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وهيبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من نجران عمره مائة سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاه وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة قليلة يولد ولديها هالك فلا يولد للولود لباد الخلق ولولا المهالك ضاقت الدنيا عن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قد فضه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت يلوغ أملك وإنما بلغت باقتضاء أجلك ثم سوفت بمملك كأن منفعته لتبرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فاعما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألقى الله إليه شيئا يسوءك . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحمرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد قد نلت الغنى فقال إنما نال الغنى من عتق من رق الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطاحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أى عذاب الله يزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبده خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمك فاذا قد أعاد عليه وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا . وكان بعضهم يقول في دعائه يا معسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عنى وقال محمد بن النكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صرفه الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما أقرنا من الذنوب والحطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالى تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم يفتنها يارب يارب لم تبغضنى فيقول لها اسكني بالاشئ وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فتى يصل الخير إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشئ من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويفعل وكروا أبو بامن البر قال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبغض الدنيا تبغضها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها قيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرى

يسر عما في قلبه ولو
أمكن للتكلم إفهام
من يكلمه من غير
لسان فعل ولكن
حيث تنظر الأفهام
إلا بالكلام جعل اللسان
ترجمانا إذا قال باللسان
من غير مواطأة القلب
لما اللسان ترجمانا ولا
القارى متكلما قاصدا
إسراع الله حاجته
ولا مستعجا إلى الله
فأما عنه سبحانه
ما يخاطبه وما عنده غير
حركة اللسان بقلب
فائب عن قصد
ما يقول فينبى أن
يكون متكلما مناجيا
أو مستمعاً راعياً فأقل
مراتب أهل الخصوص
في الصلاة الجمع بين
القلب واللسان في
التلاوة ووراء ذلك
أحوال للنحواس يطول

منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيدي كان الشافعي رحمه الله من الريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرائها إلى الخراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شمل على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف إلا كثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتساف من دار فنائك إلى دار بقائك فان عيشك في زائل وجداد مائل أكثر من عمك وأقصر من أملك . وقال إبراهيم بن آدم لرجل أدرم في النام أحب إليك أم دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة . وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خزيرة فيقولون إليك عنايا خزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به . وقال كعب لتجبن إليكم الدنيا حتى تبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه . وقال أيضا الدنيا باع من شئها أن تمنحك لما يهلكك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كطفي النار بالطين وقال بندار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفتها بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهر لا احد لقيمته . وقال على كرم الله وجهه إنما الدنيا سائمة أشياء مطهورة ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم فأشرف الطهومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف الشروبات اللبأ ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف اللبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف الركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف النسكوحات المرأة وهي مبال في مبال وإن للمرأة لزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها وأشرف المشمومات للمك وهو دم .

(بيان الواعظ في ذم الدنيا وصفها)

قال بعضهم يأبى الناس أعمالوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولافتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرت لكم بفرورها وفتنتكم بأمانها وتزيت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فانها دار كثير بواتها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يغنى وعزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يغوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدقق قهليل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمعت جفونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ومنبت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتفانك فسلوكك وصحفتك فانتقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك . وقال بعضهم لبعض الملوك إن أحق الناس بنم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تمدو

شرحها . قال : بعضهم
مادخلت في صلاة قط
فأهمني فيها غير ما أول
وقيل لعامر بن
عبد الله هل تجد في
الصلاة شيئا من أمور
الدنيا قال لأن تختلف
على الأئمة أحب إلى
من أن أجد في الصلاة ما
تجدون . وقيل لبعضهم
هل تحدث نفسك في
الصلاة بشيء من أمور
الدنيا قال لا في الصلاة
ولا في غيرها ومن الناس
من إذا أقبل على الله
في صلاته يتحقق بمعنى
الإجابة لأن الله تعالى
قدم الإجابة وقال -
منيين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
فينيب إلى الله تعالى
ويتق الله تعالى بالتبري
عما سواه ويقوم الصلاة
بصدر مشرح

على ما له فتجتاحه أو على جمته فتفرقه أو تأتي سلطانه قهده من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تضجبه بشيء هو ضيق به بين أحبابه فالدنيا أحق بالدم هي الآخذة ما تطى الراحة منها تهب بيناهي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره وينا هي تبكي له إذ أبكت عليه وبيدهي تبسط كفها بالاعطاء إذ بسطها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفره بالتراب غداسواء عليها ذهاب ما ذهب وجاء ما بقى تجدد في الباقي من القاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا . وكتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد : فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والنقى منها تقرها لها في كل حين تليل تذلل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالمسمأ كلة من لا يعرفه وفيه حفته فكن فيها كالدوى جراحه يحتمى قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار التدارة الحنالة الحداغة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بفرورها وحلت بآمالها وسوتت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها طاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالمضى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنهما ذكر فما شق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترى وطنى ونسى للمعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعضمت زدامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات اللوت وتألم وحسرات القوت بغضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بنير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسرا ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمان منها إلى سرور أو شخصته إلى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسروورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ماولى وأدير ولا يدري ما هوآت فينتظر ، أمانها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونهت العاقل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فدلها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه ملكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه اغترارا فيظن للفرور بها لا تتدر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لموسى عليه السلام : إذا رأيت النقى مقبلا فقل ذنب مجملت عقوبته وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إدامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسل ورواه أحمد والطبراني متصل من حديث أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والجنة الحديث وسنده صحيح وللمزمذى من حديث أبي أمامة عرض على ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهابا الحديث (٢) حديث الحسن مرسل في شدة الحجر على بطنه ابن أبي الدنيا أيضا هكذا والبخارى من حديث أنس رفعا عن بطون عن حجر حجر فرقع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب .

بالاسلام وقلب منفتح
بنور الإنعام فتخرج
الكلمة من القرآن
من لسانه ويسمعها
بقلبه فتقع الكلمة
في فضاء قلب ليس فيه
غيرها فيتملكها القلب
بحسن الفهم وقبيل
نعمة الإصغاء
ويتشربها بحلاوة
الاستماع وكال الوهي
ويدرك لطيف معناها
وتشريف غواها معاني
تلطف عن تفصيل
الذكر وتشكلى بحقى
الفكر وإصير الظاهر
من معاني القرآن قوت
النفس فالنفس للطمشة
متعوضة بمعاني القرآن
عن حديثها لكونها
معاني ظاهرة متوجبة
إلى عالم الحكمة
والشهادة تهرب
مناسبها من النفس

وطمأني وفا كعتي ما أنبت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض أحد أغنى مني . وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس إلا باذني ولا يهيجنكما ما تمتع به منها فأنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلوشئت أن أزيحك بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتنا لقطت ولكني أرغب مكا عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفل بأوليائي إني لأدودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجذبهم ملاذها كما يجذب الراعي الشفيق إله عن منازل العرة وما ذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا إنما يعزبن لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وديارهم الذي يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي يباهون ومجدهم الذي يفتخرون وسياهم التي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاحضض لهم جناحك وذل لهم قلبك ولسانك واعلم أنه من أخاف لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة . وخطب علي كرم الله وجهه يوما خطبة فقال فيها: انعلموا أنكم ميتون وميعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تفرغنكم الحياة الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفتنة معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها زوالها بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذ هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حنفة فيها مقدور وحظه فيها موفور . واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر ديارا وأبعد آثارا فأصبحت أوصاتهم هامة خادمة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا بالفصور للشيدة والسرر والتمارق المهددة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللطافة اللوحدة فحلها مقرب وساكنها مقرب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغبين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكل كلة البلاء وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد نضارة العيش رفاتا فطع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنها كلمة هوقائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يعثون - فسكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلاء والوحدة في دار للثوى وارتبتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عايتكم الأمور وبمئرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقتمم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهنكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق - وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبمين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار القامة من فضله إنه حميد مجيد . وقال بعض الحكماء : الأيام سهام والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويحترمك بلياليه وأيامه حتى يستفرق جميع أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في يدك لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياب عليك واستقلت ممر الساعة بك ولكن تدير الله

للكونة لاقامة رسم الحكمة ومعه ان القرآن الباطنة التي يكشفها من اللكوت قوت القلب وتخلص الروح للقدس إلى أوئل سرادقات الجبروت بمطالعة عظيمة للتكلم ومثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق في ليج الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت أسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف في الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع انفصل بين القراءة والركوع ثم ركع منظوى القامة والنصف الأسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ويجافي

فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنما لأمر من الملقم إذا عجبها الحكيم وقد أعييت الواصف لعيوبها بظواهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم أرشدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تمام ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان والدهر موكل بقتنيت الجماعات وانحرام الشمل وتقل الدول والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور . وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حتى وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكتي إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تغفلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقي لا تصفولكم نعمة تسرون بها الإبغراق أخرى تكثرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه ثم غلبه الكباء ونزل . وقال على كرم الله وجهه في خطبته : أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها البلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وهم عسى أن يجري الجري حتى ينتهي إلى الغاية وهم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا البؤسها واضرأها فانه إلى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعائها فانه إلى زوال هجيت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه . وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتحها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب غفروا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فصلوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تمبوا قليلا وتعمموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تصد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها قراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا ومرحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا ندرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة ولهذا كرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بتلها لا يندم

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يتمثل كثيرا ويقول :

يا أهل لندات دنيا لا بقاء لها إن اغترارا بظل زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرايا نزل بقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاتلموا الحيمة فأصابته الشمس فاتقه فقام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كظل نية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن امرأ دنياه أكبر همه لستمسك منها بحبل غرور

مرقبه عن جنبيه
ويعد عنته مع ظهره
ويضع راحته على
رصعته منشورة
الأصابع . روى مصعب
ابن سعد قال صليت إلى
جنب سعد بن مالك
فجعلت يدي بين ركبتي
وبين غنذي وطبقهما
فضرب يدي وقال
اضرب بكفك على
ركبتك وقال يا بني إنا
كنا نفعل ذلك فأمرنا
أن نضرب بالأكف
على الركب ، ويقول :
سبحان رب العظيم
ثلاثا وهو أدنى الكمال
والكمال أن يقول
إحدى عشرة وما يأتي
به من العدد يكون بعد
التحسّن من الركوع
ومن غير أن يزوج آخر
ذلك بالرفع ويرفع يديه
للركوع والرفع من

[مثال آخر للدنيا من حيث التفرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها] تشبه خيالات للناس وأضغاث الأحلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون (١) » وقال يونس بن عبيد ما شبهت هسي في الدنيا إلا كرجل نام قرأ في منامه ما يكره وما يحب فيبينها هو كذلك إذ اتبه فكذلك الناس ينام فافله ماتوا اتبهوا فإذا ليس بأيديهم شيء يماركونوا إليه وفرحوا به. وقيل لبعض الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها] اعلم أن طبع الدنيا اللطيف في الاستدراج أو لا والتوصل إلى الإهلاك آخرها وهي كامرأة تزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذمهم وقدرى أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة هجوزة هتاء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قلت لأحبيهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام بؤسا لأزواجك الباقيات كيف لا يتبرون بأزواجك للراضين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه هجوز مزينة تخضع الناس بظواهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا التناع عن وجهها مثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاعتراض بظواهرها وقال العلماء ابن زياد رأيت في المنام هجوزا كبيرة متحبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جثت ونظرت وتمجبت من نظرم إليها وإقبالها عليها قتل لها وبلك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدرى من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شرك قالت إن أحببت أن تعاذ من شري فابض الدرهم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم هجوزا مشوهة شمطاء تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحدائى أقباب على فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة هجوز شمطاء زرقاء أنيابها يادية مشوه خلقها فيشرف على الخلائق فيقال لهم أنصفون هذه يقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تاحرتن عليها بها تقاطعت الأرحام وبها تحاسدتن وتباغضتتم واعتزرتن ثم يقذف بها في جهنم فتنادى أي رب أين أتباعي وأشياعى فيقول الله عز وجل : ألقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغنى أن رجلا عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا بالامر بها أحد إلا جرحته فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء . رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء . رآه الناس هجوز شمطاء زرقاء عشاء قال فقالت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يجذبك الله منى حتى تبغض الدرهم قال فقالت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها شاهد للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرضت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها (٢) » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومما يقون لم أجد له أصلا (٢) حديث مالى وللدنيا وإنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب السمرقند والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمى وبصرى وعظمى وعنى وعصى ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا . مع الله لمن حمده عالما بقلبه ما يقول فإذا استوى قائما يحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

ولم يبال كيف انتضت أيامه في ضر وضيق أوفى سعة ورفاهية بل لا يبقى لينة على لينة «توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لينة على لينة ولا قصبه على قصبه»^(١) ورأى بعض الصحابة بيني بيتا من جص فقال: «أرى الأمر أهمل من هذا وأُنكر ذلك»^(٢) وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تمروها وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا مبر إلى الآخرة والمهد هو الليل الأول على رأس القنطرة واللمح هو الليل الآخر وبينهما سافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم قطع ثبثها ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان [مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها] اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائف فيها أن حلاوة خفصها كحلاوة الحوض فيها وهيات فإن الحوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب على رضى الله عنه إلى سدان الفارسي بمثلها قال مثل الدنيا مثل الحياة ابن مسعود وقتل معها فأعرض عما يجيبك منها لئلا ما يصحبك منها وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها وكن أسر ماتكون فيها أحذر ماتكون لها فإن صاحبها كما اطمان منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام [مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعثها بعد الحوض فيها] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما مثل صاحب الدنيا كالمائى في الماء هل يستطيع الذى يمشى فى الماء أن لا يتبل قدماه»^(٣) وهذا يصفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلاقتها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا محامهم فيه لكانوا من أعظم المتنجسين بغرقها فكأن المائى على الماء يقتضى بلا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملاعبة الدنيا تقتضى علاقة وظلة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة قال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى الطعام فلا يلتذبه من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا وبحق أقول لكم إن الدابة إذا لم تترك وتمتنن تصعب ويتخبر خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ وبحق أقول لكم إن الزق مالم ينحرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب مالم تحرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يفسدها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله»^(٤) [مثال آخر لما بقى من الدنيا وقتله بالاضافة إلى ما سبق] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقى متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع»^(٥)

(١) حديث ما وضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف من سأل عن أسره أن ينظر إلى فلينظر إلى أشعث شاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابه بيني بيتا من جص فقال أرى الأمر أهمل من هذا أبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إنما مثل صاحب الدنيا كمثل المائى في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقى في الشعب من رواية الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره ووصله البيهقى في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما بقى من الدنيا بلاء وفتنة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أنس بسند ضعيف.

من شئ بعد ثم يقول
أهل التناء والمجد
أحق ما قال الصديق
لك عبد لا مانع لما
أعطيت ولا معطى
لما منعت ولا ينفع
ذا الجدمك الجدفان
أطال في النافلة القيام
بعد الرفع من الركوع
فليقل لربي الحمد
مكررا ذلك مهما شاء
فأما في الفرض فلا
يطول تطويلا يزيد
على الحد زيادة بينة
ويقنع في الرفع من
الركوع بتمام الاعتدال
بإقامة الصلب ، ورد
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا ينظر الله إلى من
لا يقيم صلبه بين
الركوع والسجود
ثم يهوى ساجدا
ويكون في هويه مكبرا

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يهلكه [مثال آخر لخفاة آخر الدنيا أولها ولضارة أوائلها وخبث عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب قدينة كشهوات الأطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والنون والخبث ما يجده للأطعمة في المعدة إذا بلغت في المعدة فائتها وكما أن الطعام كلما كان أقد طعموا أكثر دسا وظهر حلاوة كان رجيحه أقدر وأشد تننا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وأقوى فتنتها وكرهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهيت داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته والموتة حجه في كل ما فقد بقدر قدرته به وجه له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وأقرب عند الفقد أدهى وأمر ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا وقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي : ألسنت تؤذي بطعامك وقد ملع وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فيلام يصير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم ^(١) » وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدحه وملحه إلام بصير ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا وإن قزحه وملحه ^(٣) » وقال الحسن قد رأيتهم يطيونونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتهم وقد قال الله عز وجل - فلينظر الإنسان إلى طعامه - قال ابن عباس إلى رجيحه وقال رجل لابن عمر إنى أريد أن أسألك وأستحي قال فلا تستحي واسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما خلقت به انظر إلى ما ذاصر . وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى نمارم ودجاجهم وعصاهم وسمهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم يرجع إليه ^(٤) » [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم القيام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فترقوا في نواحي الجزيرة ففقدوا بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف السكان خاليا فأخذ أوسع الأماكن وألینها وأوقفها لمراده وبمضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها للثقة ونعمات طيورها الطيبة وألحانها اللوزونة الغريبة وصار يلاحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحاك بن سفيان الكلابي ألسنت تؤذي بطعامك وقد ملع وقزح الحديث وفيه فان الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه طي بن زيد بن جدهان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن جبان بلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبد الله بن أحمد في زياداته بلفظ جعل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا وضرب ما يدخله من الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر يرجع إليه مسلم من حديث الاستور بن شداد .

مستيقظا حاضرا خاشعا
علما بما يهوى فيه
وإليه وله فمن
الساجدين من يكشف
أنه يهوى إلى تخوم
الأرضين متغيبا في
أجزاء الملك لا متلا
قلبه من الحياء
واستشعار روحه عظيم
الكبرياء كما ورد أن
جبرائيل عليه السلام
تستر بخافية من جناحه
حياء من الله تعالى .
ومن الساجدين من
يكشف أنه يطوى
بسجوده بساط
الصكون والسكان
ويسرح قلبه في فضاء
الكشف والعيان
قهوى دون هوى
أطباق السموات
وتتمحى لقوة شهوده
تسايل الكائنات
ويسجد على طرف

بحسن زبرجدها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا
 خرجا فاستقر فيه وبضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها
 فاستصحب منها جملة فلم يجد في السفينة إلا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار تقبلا عليه
 ووبالا فندم على أخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على
 أخذه وليس ينفعه التأسف وبضهم تولى القياض ونسى المركب وبعد في متفرجه ومتزفه منه حتى
 لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمراز واستحمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار وهو
 مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه
 وغصن يجرح بدنه وشوكه تدخل في رجله وصوت هائل يفرغ منه وعوسج يحرق ثيابه ويهتك
 عورته ويمتعه عن الانصراف لو أراد فلبغ نداء أهل السفينة انصرف متقلبا بما معه ولم يجد في
 المركب موضعا بقي في الشط حتى مات جوعا وبضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة ففهم من اقترسته
 السباع ومنهم من تاه ففهم على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشته الحيات
 ففزعوا كالخيف المنتنة ، وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت
 وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكادت
 تلك الألوان والأحجار فظهرت رائحتها فصارت مع كونها ضيقة عليه مؤذبة له بتنتها وحشمتها فلم يجد
 حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد آثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه
 الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيا مدبرا ومن رجع قريبا ما فاتته إلا سعة المحل فتأذى ضيق المكان مدة
 ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد للكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا
 مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم
 وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تخره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشم التبت وهي زينة
 الدنيا وتسمى من ذلك لا يصعبه عند اللوت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن
 والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا غرار الخلق بالدنيا وضعف
 إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنما مثل ومثلكم
 ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقى أنفدوا الزاد
 وخسروا الظهر وبقوا بين ظهري المفازة ولا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلكة فيبيناهم كذلك إذ خرج
 عليهم رجل في حلة تنظر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى
 إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا فقال علام أتم قالوا على ماترى فقال أرايتم إن هديتكم إلى ماء رواء
 ورياض خضر ما تعلمون؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهدكم وموآثيقكم بالله فأعطوه عهدهم وموآثيقهم
 بالله لا يصونه شيئا قال فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا
 يا هنا قالوا الرجيل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كائسكم وإلى رياض ليست كرياضكم فقال أكرم
 والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما نضع جيش خير من هذا وقالت طائفة وهم أقلمهم ألم تعطوا
 هذه الرجل عهدكم وموآثيقكم بالله أن لا نخسوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوائه لا يصدقكم
 في آخره فراح فيمن اتبته وتخلف بقتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل (١) [مثال آخر لنتم

رداء العظمة وذلك
 أنقى ما ينهى إليه
 طائر الهمة البشرية
 وتنفى بالوصول إليه
 القوى الانسانية
 وتتفاوت الأنبياء
 والأولياء في مراتب
 العظمة واستشعار
 كنهها لكل منهم على
 قدره حفظ من ذلك
 وفوق كل ذي علم عليم
 ومن الساجدين من
 يتسع عاؤه وينتشر
 ضياؤه ويحظى
 بالصفتين ويبسط
 الجناحين فيتواضع
 بقلبه إجلالا ويرفع
 بروحه إكراما وإنفلا
 فيجتمع له الأنىس
 والهيبة والحضور
 والغبية والفرار والقرار
 والإسرار والجهار
 فيكون في سجوده
 ساجحا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «إنما مثل ومثلكم ومثل
 الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء الحديث ابن أبي الدنيا هكذا بطوله لأحمد والبرزالي والطبراني من
 حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يرى الناس ملكا الحديث وفيه قال

الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها [اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هياً داراً وزينياً وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً واحداً بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلمحه لا يملكه ويأخذه فجهل رحمه وظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وتضجع ومن كان عالمًا برحمته انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانسراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة طبقت على المجتازين لا على التميمين ليترودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

(بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد)

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تحرف الدنيا الذمومة ماهي؟ وما الذي ينفى أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن نبين الدنيا للذمومة للأموال باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ماهي فنقول دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت والتراخي للتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقلك إلا أن جميع مالك إلي الميل وفيه نصيب وحظ فليس بدموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرة بعد الموت وهو شيان العلم والعمل فقط وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسوله وملكوته أرضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألد الأشياء عنده فيهجر النوم والطعم والنكاح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا الذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا إنه من الآخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخره يقول اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لسنا نعني بالدنيا الذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة ^(١) » فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا إلا أن السناق في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا الذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرغوات كالتمتع بالنظائر المتقطرة من الذهب والفضة والحل السومة والأنعام والحمرث والغلمان والجواري والحيل والواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائد الأطعمة حفظ العبد من هذا كله هي الدنيا الذمومة وفيها يندفص أولاً في عمل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدداء على حمص فأخذ كنيفاً أتقى

أى أحد للملكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فدكر نحوه أخصر منه وإسناده حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عيني في الصلاة النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجد لك سوادي وخيالي - وقد يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً - الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكراهة من النفس لما فيها من الأجنبية ويتول في سجوده : سبحانه ربى الأعلى ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأفقه ويكون ناظراً نحو أرنبة أفقه في السجود فهو أبلغ في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلى

عليه درهين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكفي به عن عمران الدنيا حين أرا: الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا قد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا من الدنيا فتأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الحشن وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالتقسيم الأول لأنه معين على القسم الأول. ووسيلة إليه فبهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا وإن كان باعته الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالتقسيم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه لله عز وجل وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والواظبة عليه والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي النجيات المسعدت بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار «إن أعمال العبد تنازل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه»^(١) الحديث. وأما الأنس والحب فهما من السعدت وهما موصلان العبد إلى لغة اللقاء والشاهدة وهذه السعادة تجعل عتیب الموت إلى أن يدخل أو ان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تمنعه عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سلبا من الموانع آتانا من العوائق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غضب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

ولا يلفهما في التوب
ويكون رأسه بين
كفيه ويدها حسدو
منكيه غير متيامن
ومتيامر بهما، ويقول
بسم التسبيح: اللهم
لك سجدت وبك
آمنت ولك أسلمت
سجد وجهي للذي
خلقه وصوره وشق
سمعه وبصره فتبارك
الله أحسن الخالقين.
وروى أمير المؤمنين
على رضى الله عنه «أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في
سجوده ذلك» وإن قال
سبح قدوس رب
الملائكة والروح لحسن
روت عائشة رضى الله
عنها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان
يقول في سجوده ذلك
ويجاف مرقية عن

وليس الموت عدما وإنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو الواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفظمه عن شهوات الدنيا ويغيب عنه أسبابها ويحفظه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتأثر إلا بالقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التمتع صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين اللذات العلا ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب^(٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب»^(٣)

(١) حديث مناصرة أعمال العبد عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الهزومي ضعفه البخاري وأبو حاتم ولأحمد من حديث أساء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحرز به عمله الصلاة والصيام الحديث وإسناده صحيح (٢) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

وقد قال أيضا: حلالها عذاب. إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيصة لا يباه لها هو أيضا عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علك بأنما سعادات منصرمة لا يباه لها ومنصة بكدورات لاصفاء لها فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بمظمتها وتتقطع الدهور دون فاتها فكل من تم في الدنيا ولو بسماع صوت من طار أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضمافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لمرضى الله عنه «هذا من النعم الذي تستل عنه» (١) أشار به إلى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذك وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابا حين كان به عطش ففرض عليه ماء بارد بصل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله فإن ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتمن كان حظه من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثله إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لئلا تذ الأظعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل للملك على نفسه بهذا الطريق امتنانا وشدة فإن الصبر عن لذائذ الأظعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما» (٢) «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوهم من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزم ألم النصد والحجامة شفقة عليه وجبالا بخلا عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فإن قلت فما الذي هو لله. فأقول الأشياء ثلاثة أقسام: منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي يبر عنه بالمعاصي والمظهورات وأنواع التعمات في الباحات وهي الدنيا المحضة الذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يحمل لغير الله وهو ثلاثة الفسكروالذكروالكف عن الشهوات فإن هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وإن كان القرض من الفكر طلب العلم للتحرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ السال أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فإن كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفاخر التي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغفا فاعن المسألة

جنيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الإبهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجهة بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفرججهما ويقول: رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يبطل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس معها أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإقماء في التعمود وهو ههنا أن يضع

موقوفا على بن أبي طالب باسناد منقطع بلفظ وحرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من النعم الذي تستل عنه تقدم في الأظعمة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق معناه ولترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتسابة طاويا وأهله الحديث قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع تقدم.

وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (١) « فانظر كيف اختلف ذلك بالتصديقا
 الدنيا حظ تمسك الملجل الذي لاحاجة إليه لأمر الآخرة ويبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله
 تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى - وجماع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله
 تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد -
 والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء
 والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحيل للسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا -
 قد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدرة ضرورية القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس
 هو لله إن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يبرعها
 بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير
 يمكن وطرف يراحم جانب التتم ويقرب منه وينبغي أن يحد منه وبينهما وسائط متشابهة ومن حام
 حول الحمى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما يمكن اقتداء
 بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى إن أويسا القرنى كان
 يظن أهله أنه مجنون لشدة تضيقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان
 والثلاث لا يرون له وجهها وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه أن
 يلتقط النوى وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى
 بتمنه ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط من الزبال من قطع الأكسية فيفضلها في القرات ويلفق بعضها
 إلى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربعا من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول
 لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صنار فاني أخاف أن تدموا عيني فيحضر
 وقت الصلاة ولا أصيب للساء فهكذا كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال
 « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن (٢) » إشارة إليه رحمه الله ولما ولي الخلافة عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال ققاموا فقال اجلسوا إلا من كان
 من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من
 قرن فجلسوا كلهم إلا رجلا واحدا فقال له عمر أقرني أنت؟ فقال نعم فقال أحرف أويس بن عامر القرنى
 فوصفه له؟ فقال نعم وما ذلك تسأل عنه يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحقى منه ولا أجن منه ولا أوحش
 منه ولا أدنى منه فبكى عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر (٣) » فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من
 عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن أطلب أويسا القرنى وأسأل عنه حتى سقطت
 عليه جالسا على شاطئ القرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فرفته بالنعت الذي نعت لي
 فاذا رجل ليم شديد الأدمة مخلوق الرأس كث اللحية متغير جدا كربه انوجه متهب المنظر قال

إليه على عقيه ثم
 إذا أراد التهوض إلى
 الركعة الثانية يجلس
 جلسة خفيفة الاستراحة
 ويفعل في بقية الركعات
 هكذا ثم يشهد وفي
 الصلاة سر المراج وهو
 معراج القلوب والشهد
 مقر الوصول بهد قطع
 مسافات الهيات على
 تدرج طبقات
 السموات والتحيات
 سلام على رب البريات
 فاذهن لما يقول
 ويتأدب مع من يقول
 ويذر فكيف يقول
 ويسلم على النبي صلى الله
 عليه وسلم ويثله بين
 عيني قلبه ويسلم على
 عباد الله الصالحين
 فلا يبقى عبد في السماء
 ولا في الأرض من عباد
 الله إلا ويسلم عليه
 بالنسبة الروحية

(١) حديث من طلب الدنيا حلالا مكثرا مفاخرها لقي الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم
 في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن
 من جانب اليمن أشار به إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلا (٣) حديث عمر يدخل
 الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا ورويناه في جزء ابن السالك من حديث أن أمانة
 يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمق أكثر من ربيعة ومضر وإسناده حسن وليس فيه ذكر
 لأويس بل في آخره فكان للشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

فلست عليه فرد على السلام ونظر إلى قلعت حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافه فأبى أن يصافني قلت رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أتت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من حيي إياه ورفقتني عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال وأنت حياك الله ياهر بن حيان كيف أنت يا أخى ومن ذلك على قال قلت الله فقال لا إله إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا - قال فصبيت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأيتني قلت من أين عرف اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ - قال نبأني العليم الخبير - وعرفت روحى وروحك حين كنت تفسى نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأنفوس الأجساد وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أممه منك قال إنى لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن لى معه محبة بأبى وأمى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد محبوبه وبلغنى من حديثه كابلغك ولست أحب أن أفتح على نفسى هذا الباب أن أكون محدثا أو مفتيا أو قاضيا فى نفسى شغل عن الناس ياهر بن حيان قلت يا أخى اقرأ على آية من القرآن أممها منك وادع لى بدعوات وأوصنى بوصية أحفظها عنك فأنى أحبك فى الله حبا شديدا قال ققام وأخذ يدي على شاطئ الفرات ثم قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين. ما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يلحون - حتى انتهى إلى قوله - إنه هو العزيز الرحيم - فتهنق تهنقا ظننت أنه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوشك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين ومات أبو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب أخى وصفي ثم قال يا عمراه يا عمراه قال قلت رحمك الله إن عمر لم يممت قال قد نماء إلى ربي ونفى إلى نفسى ثم قال أنا وأنت فى الموتى كأنه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيقتى إياك ياهر بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين للمؤمنين فقد نعت إلى نفسى ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وأنذر قومك إذا رجعت إليهم وانصح للأمة جميعا وإياك أن تفارق الجماعة عقيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع لى ولنفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فصرفني وجهه فى الجنة وأدخله على فى دارك دار السلام واحفظه مادام فى الدنيا حينما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجمله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين واجزه عنى خير الجزاء ثم قال استودعك الله ياهر بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فأنى أكره الشهرة والوحدة أحب إلى إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس مادمت حيا فلا تسأل عنى ولا تطلبني واعلم أنك منى على بال وإني لم أرك ولم ترني فاذا كرتنى وادع لى فأنى سأذكرك وأدعوك إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا فحرصت أن أمشى معه ساعة فأبى على وفارقه فبكى وأبكاني وجعلت أنظر فى قفاه حتى دخل بعض السكك ثم سألت عنه بعد ذلك فساو جئت أحدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة للمرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق فى بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الحضراء وأظلته النبراء

والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على غنقه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا السبعة ويرفع السبعة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة النبى ولا يرفعها منتصبه بل مائلة برأسها إلى اليمين منطوية فهذه هيئة خشوع السبعة ودليل سراية خشوع القلب إليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين وإن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه وللمؤمنين وراءه فإن الامام التيقظ فى الصلاة كما يجب دخل على سلطان ووراه أصحاب الحوائج يسأل لهم ويعرض حاجتهم والمؤمنون كالبيان يشد بعضه بعضا وهذا وصفهم الله تعالى فى

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويقين هذا بثال وهو أن الحاج
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل
وخرز الراوية وكل ما لا بد للحجج منه لم يحنث في بيته ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن
مركب النفس تقطع به مسافة العمر تصعد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل
هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تلذذ البدن وتمتع بهيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن
الآخرة ويغشى على قلبه التسوية قال الطنافية : كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام
طاويا فدمعت في الليلة الثامنة مناديا وأنا بين اليقظة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج
إليه أهمل الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حثك فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى .
(بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى أنسهم أنفسهم
وخالفهم ومصدرهم وموردهم)

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل فهذه ثلاثة أمور
قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا -
فالأرض فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنسكح
ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام : للمعادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات
والتداوي وأما المعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص والنفذ كالذهب والفضة وغير
ذلك من القاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها للمأكل
وظهورها للمركب والزينة وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم
ويستسخرم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يفرس
فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يبر عنه بالجاء إذ معنى الجاء ملك قلوب الآدميين فهذه هي الأعيان
التي يبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا
من الإنس - والقناطير للقنطرة من الذهب والفضة - وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها
من الآليات واليوأقيت وغيرها - والحليل المسومة والانعام - وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات
والزرع فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع البدن علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالمبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع
صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والداهنه وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها. العلاقة
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة
الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم أن هذه الأعيان التي صيحتها دنيا لم تخلق إلا لملف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأغنى
بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بطعم ومشرب وملبس ومسكن كالآبقي الجمل في طريق الحج إلا بطعم وماء وجلال
ومثال المبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف
الناقة ويتمهها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويعمل إليها أنواع الحشيش ويردها للساء بالتلج حتى

كلامه بقوله سبحانه -
كانهم بيان مرسوم -
ولي وصف هذه الأمة
في الكتب السابقة
صفتهم في صلواتهم
كصفتهم في قائلهم
حدثنا بذلك عينا
ضياء الدين أبو النجيب
السروردي إمامه قال
أنا أبو عبد الرحمن محمد
ابن عيسى بن شعيب
لما لي قال أنا أبو الحسن
عبد الرحمن بن محمد
الظفر الواعظ قال
أنا أبو محمد عبد الله
ابن أحمد السرخسي
قال أنا أبو همران
عيسى بن همر بن
الباس السمرقندي
قال أنا أبو محمد عبد الله
ابن عبد الرحمن
الدبري قال أنا مجاهد
ابن موسى قال ثامن
هو ابن عيسى أنسأل

ضوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمل من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتمهد موقله إلى الكعبة والحج وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتهدد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الساء إلا للضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همت ما يدخل بطنه قضيته ما يخرج منها وأكث ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر السكن والملبس أهون ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانصروا عليه لم تسترقهم أشغال الدنيا وإنما استرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتابست أشغال الدنيا عليهم وأصل بعضها بعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ، ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرف الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة أمورهم . فنقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الانسان مضطر إلى ثلاث القوت والسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال ولم يخلق الله القوت والسكن والملبس مصلحا بحيث يستغنى عن صنعة الانسان فيه ، ثم خلق ذلك للبهائم فإن النبات يغذى الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسها شعورها وجلودها فتستغنى عن اللباس والانسان ليس كذلك حدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياكة والبناء . أما البناء فللمسكن ، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والحياطة للملبس ، والفلاحة للمطعم ، والرعاية للمواشي والحيل أيضا للمطعم والركب ، والاقتناس نعتي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالفلاح يحصل النباتات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت وتنج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعتي بالاقتناس ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناس والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات حدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع آخر من الصناعات النجارة والحدادة والحزب وهؤلاء هم عمال الآلات ونعتي بالنجار كل عامل في الحشيب كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرها وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الحزاز فنعتي به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذي ذكره والأثنى وعشرتهما . والثاني التعاون على تهيئة أسباب الطعام والملبس وتربية الولد فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل بل لا يمكنه أن يعيش كذلك مالم يجتمع طائفة كثيرة لتكفل كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز وكذلك كيف يفرد بتحصيل اللبس وهو يفقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجر كيف
تجد نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
التوراة قال مجده محمد
ابن عبد الله يولد بمكة
وبهاجر لطية ويكون
ملكه بالشام وليس
بمغاش ولا صخاب في
الأسواق ولا يكافي
بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ، أمته
الحمادون يمدون الله
في كل سره ويكبرون
الله على كل نعمة
يوضئون أطرافهم
ويأتزون في أوساطهم
يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم
دوبهم في مساجد
كدوى النحل يسمع
مناديتهم في جو السماء
فالإمام في الصلاة مقدمة
الصف في محاربة
الشیطان فهو أولى

وآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماعهم صمراء مكشوفة لتأخروا بالحرّ والبرد والمطر والصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبمعاينه من الآلات والأثاث وللنازل تدفع الحرّ والبرد وللمطر وتدفع أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن للنازل قد تصدها جماعة من الصوص خارج المنازل فافتقر أهل للنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضئيف يحتاج إلى قوام به ومهما حصلت الولاية على عاقل أنقى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوّة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هنا في النزول ، وأما أهل البلد أيضا فيتعاملون في الحاجات وينتازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعى والأراضى والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فينتازعون لا محالة ثم قد يجرز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بمعى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض عتافة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب بمحصل كان لا يدعن له حدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى فيها صناعة المساحة التى بها تعرف مقادير الأرض لتحكّن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذى ينبغى أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في العائلات وشروطها فهذه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا بخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتميز والهداية وإذا اشتغلوا بهم لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى العاش ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس فاستت الحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التى لا مالك لها إن كانت أو تصرف الضائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار فان كانوا أهل ديانة وورع فنعوا بالقليل من أموال الصالح لو إن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدّم أهل البلد بأموالهم ليجدوم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يستوفى منهم بالرفق وهم الجباة وللفرجون وإلى من يجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للمساكر وهذه الأعمال لو تولها عدد لا يجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدرم وأمير مطاع يمين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به ويرامى النصفة في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجندالدين هم أهل السلاح وبعد الملك الذى يراقبهم بالعين السكاثة ويديرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والحياة والعمل ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو السعى فرع الخراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمهترفون ، والثانية الجندية الحماة بالسيف ، والثالثة الترددون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والحياة وأمثالهم ، فانظر كيف ابتداء الأمر من حاجة القوت والملبس

الصليين بالمعصوم
والايمان بوظائف
الأدب ظاهرا وباطنا
والصاؤون التيغظون كما
اجتمعت طواهرهم
تجتمع بواطنهم
وتناصر وتعاقد
وتسرى من البعض
إلى البعض أنوار
الصلين اللصليين في
أقطار الأرض بينهم
تعاقد وتناصر بحسب
القلوب ونسب الاسلام
ورابطة الايمان بل
يتم الله تعالى باللائكة
الكرام كأمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
باللائكة السومين
لحاجاتهم إلى محاربة
الشیطان أمس من
حاجاتهم إلى محاربة
الكفار ولهذا كان
يقول رسول الله صلى

وللسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنتهي إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات والعمال عبادتة عن أعيان الأرض وما عليها مما يقتضيه به وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي المهور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتحيين كالحوائت والأسواق وللزرايع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلة ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والقرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يبدل ما عنده للأخر حتى يأخذ منه عرضه وذلك بطريق للماونة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بأثمه ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه والفلاح إذا طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق والأرض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتره منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بشمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الربيع وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظيم أمور الناس في البلاد بسببهم إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى أهل فيحدث التجار للتكفلون بالنقل وبيعهم عليه حرص جمع السال لا محالة فيتبعون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع السال الذي يأكله لا محالة غيرهم إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالفضلة وخسة المهمة ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهدوا في الدنيا ولو فضلوا ذلك لبطلت المايش ولو بطلت لمهلكوا ولهلك الزهاد أيضا. ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وصاحب السال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكتساب أيضا ثم يحدث بسبب البياع الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما بثوب فمن أن يدرى المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه تدوم وأبقى الأموال المعادن فالتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم نمت الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فاست الحاجة إلى دار الضرب والصارفة وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم وثنى من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء ، وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيسقط عاجزا عن الاكتساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان البصوية والسكداية إذ يجمعهما أتسما بأكلان من سعى غيرها ثم الناس يحترزون من العصور والسكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم ورجعنا
من الجهاد الأصغر إلى
الجهاد الأكبر
فتداركهم الأملاك
بل بأنفسهم الصادقة
تماسك الأفلاك فإذا
أراد الخروج من
الصلاة سلم على يمينه
وينوي مع التسليم
الخروج من الصلاة
والسلام على اللائكة
والحاضرين من المؤمنين
ومؤمنى الجن ويجعل
خده مبينا لمن على يمينه
يلوؤه عنقه ويفصل
بين هذا السلام
والسلام عن يساره
قد ورد النهى عن
المواصلة ، والمواصلة
خمس اثنتان تختص
بالامام وهو أن لا يوصل
القراءة بالتصغير
والركوع بالصراة
واتنتان على المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما الصوص : فمنهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد . وأما الضغاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالثقب أو التسلق عند انتهاز فرصة النغلة وإما بأن يكون طرار أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجبه الأفكار الصروفة إلى استباطها . وأما الكدى فانه إذا طلب ماسى فيه غير موقبل له اتعب واهمل كما عمل غيرك فلماك والبطالة فلا يحط شيئا فافتقر وإلى حيلة في استخراج الأموال وتعميد العنر لأقسامهم في البطالة فاحتالوا للتملل بالجزر إما بالحقيقة كجماعة يحمون أولادهم وأقسامهم بالحيلة لينفروا بالعمى فيمطون وإما بالتامى والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حجة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون أوقوالا وأفضالا يتعجب الناس منها حتى تبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسوخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد هوال التعجب ولا ينفخ الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمهاكاة والشعنة والأفضال المضحكة وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام النثور السجع مع حسن الصوت والشعر اللوزون أشد تأثيرا في النفس لاسيا إذا كان فيه تصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابة فضائل أهل البيت أو القدى يحرك داعية المشق من أهل المهانة كصنعة الطبايين في الأسواق وصنعتا يشبه العوض وليس بعوض كبيع التمويذات والحشيش القدى يخيل بانه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال وكأصحاب القرعة والفأل من للنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكذوبون على رهوس النار إذا لم يكن وراءهم طائل على وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكرة لأجل العيشة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبروا عليها وجرموا إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والسكوة والكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتأهوا وضلوا وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الاستغالات بالدنيا خيالات فاسدة فاتصمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه : فطائفة غلبهم الجهل والنغلة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا المقصود أن نعيش أياما في الدنيا فنجهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيا كليون ليكسبوا ثم يكسبون ليا كلوا وهذا مذهب الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليا كل ليا ويا كل ليا ليتعب نهارا وذلك كبير السوانى فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطائفة أخرى زعموا أنهم فظنوا الأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا ينتم في الدنيا بل السعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لاء نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النسوان وجمع قوائد الأطمعة يأكلون كما تأكل الأنعام ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فمشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة لسال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهبوا ليلهم وأصبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأنفار طول الليل والنهار ويرددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شعنا وبخلا عليها أن تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فينقى تحت الأرض أو ينظر به من يأكله في الشهوات واللذات فيكون للجماع تبه ووباله ولا يأكل لده ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يتبرون . وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء واللح بالنجمل والروءة فهو لاء يتعبون في كسب العاش وضيقون على أنفسهم في الطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة
الاحرام بتكبيره
الامام ولا تسليمه
بتسليمه وواحدة على
الامام والمؤمنين وهو
أن لا يوصل تسليم
القرض بتسليم النفل
ويحزم التسليم ولا يعد
مدا ثم يدعو بعد
التسليم بما يشاء من
أمر دينه ودنياه
ويدعو قبل التسليم
أيضا في صل الصلاة
فانه يستجاب ومن
أقام الصلوات الخمس
في جماعة قد ملأ
البر والبحر عبادة
وكل المقامات والأحوال
زبدتها الصلوات
الخمس في جماعة وهي
سر الدين وكفارة
المؤمن وتمحيص
للخطايا على ما أخبرنا
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبحار الناس حتى يقال إنه مغنى وإنه ذو روة ويطنون أن ذلك هي السعادة فهمتهم في تهايمهم وليلهم في تهدي موقع نظر الناس . وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واقتياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرخوا بهم إلى استجراهم الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس وورون أنهم إذا اتست ولا يتهم واقتادت لهم رطايام قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية للطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الناقلين من الناس فهولاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما جرمهم إلى جميع ذلك حاجة العظم واللبس والسكن ونسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم أوائل أسبابها إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاولم يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرقة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيه منه وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك في مسيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له وإن تصدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية فتشعب به المهوم ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي وادأهلكه منها فهذا شأن التهمكين في أشغال الدنيا وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحدهم الشيطان ولم يتركهم وأصلهم في الاعراض أيضا حتى انقسموا إلى طوائف فظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء وعنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء تعبد في الدنيا أو لم يتعبد فأروا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من عنة الدنيا وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يشجعون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويطنون أن ذلك خلاص لهم من عمن الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد وأن من إمامة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم أقبوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فقد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وبعضهم عجز عن فمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تليس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر لبعضهم أن هذا التبع كله لله وأن الله تعالى مستغنى عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيد عبادة متعبد فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغنى عن عبادة العباد وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل المبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت العرفة قد وصل وبد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيطة فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع بهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتحنوا بالتكاليف وإنما التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يباغ أيضا وسبعين فرقة وإنما التاجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها ما قدر الزاد وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة

ضياء الدين أبو النجيب
السهر وردى رحمه الله
إجازة قال أنا أبو منصور
محمد بن عبد الملك بن
خبرون قال أنا أبو محمد
الحسن بن علي
الجوهري إجازة قال
أنا أبو عمر محمد بن
العباس بن زكريا قال
تأ أبو محمد يحيى بن
محمد بن صاعد قال
تأ الحسين بن الحسن
المروزي قال أنا عبد الله
ابن المبارك قال أنا يحيى
ابن عبد الله قال سمعت
أبي يقول سمعت أبا
هريرة رضي الله عنه
يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« الصلوات الخمس
كفارات للخطايا وقرءوا
إن هتمم - إن الحسنات
يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين - »

ومن للسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنهه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقى ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاعتناء بالفرقة الناجية وم الصعابة فإنه عليه السلام لما قال «الناجى منها واحدة قالوا يارسول الله ومن هم؟ قال أهل السنة والجماعة قبيلى ومن أهل السنة والجماعة؟ قال ما أنا عليه وأصحابى»^(١) وقد كانوا على التهجى القصد وعلى السبيل الواضح الذى أضلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم فى الأمور تفريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواماً وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم .

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم البخل وذم حب المال ﴾

(وهو الكتاب السابع من ربيع المهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه البسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وابتسأهم فيها بتقلب الأحوال . وردد لهم فيها بين العسر واليسر والغنى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرص والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والأسف على المفقود والإيثار والإففاق والتوسع والإملاق والتبذير وانتقير الرضا بالقليل واستحتمار الكثير كل ذلك لئيلوهم أيهم أحسن عملاً وينظر أيهم أثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذى نسخ بعلمته ملا وطوى بشريمته أديانا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فى الدنيا كثيرة الشغب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لاغنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن فقد المال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه الطغيان الذى لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهى لا تخلو من الفوائد والآفات وفوائدها من النجيات وآفاتنا من المهلكات وتميز خيرها عن شرها من المعوصات التى لا تقوى عليها إلا ذوو البصائر فى الدين من العلماء الراسخين دون المترسبين المترين وشرح ذلك مهم على الانفراد فإن ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض أجزاء الدنيا والجاء بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشقى القبط بحكم الغضب والحسد

(١) حديث اتراق الأمة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو وحسنه تفرق أمق على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه وأصحابى ولأبى داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدنا جيد .

﴿ كتاب ذم البخل وحب المال ﴾

[الباب الثامن
والثلاثون فى ذكر
آداب الصلاة
وأسرارها]

أحسن آداب المصلى
أن لا يكون مشغول
القلب بشىء أو أكثر
لأن الأكياس لم يرضوا
الدنيا إلا ليقبوا
الصلاة كما أمروا لأن
الدنيا وأشغالها لما
كانت شاغلة للقلب
رفضوها غيرة على
عمل المناجاة ورغبة
فى أوطان القربات
وإذعاناً بالباطن لرب
البريات لأن حضور
الصلاة بالظاهر إذعان
نظاها وفراغ القلب
فى الصلاة عما سوى
الله تعالى إذعان الباطن
فلم يروا حضور الظاهر
وتخلف الباطن حتى
لا يمتثل إذعانهم تخنرم
عبوديتهم فيجتنب أن

بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاد كثيرة ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللإنسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتناع . ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيها في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان إما أن يحكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللنفق حالتان تبذير واقتصاد والحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تخصيص فوائده للمال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخل ثم الأيتار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

(بيان ذم المال وكراهة حبه)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وخبرنا عظيماً ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - ألمأكم التكاثر - . وقال رسول الله ﷺ «حب للمال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ما ذنبان ضاربان أرسلان في زرية غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل مأم (٣)» وقيل «يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويركبون

(١) حديث حب المال والشرف يفتنان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لم أجده بهذا اللفظ وذكره بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذنبان ضاربان أرسلان في زرية غنم بأكثر إفساداً لها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقالوا جئنا مكان ضاريان ولم يقلوا في زرية وقالوا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ما ذنبان ضاريان في زرية غنم الحديث وللبراز من حديث أبي هريرة ضاريان جئنا من أسناد الطبراني فيهما ضعيف (٣) حديث هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزي بلفظ المكثرون ولم يقل في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ المكثرون وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ هم الأخسرون فقال أبوذر من هم فقال هم الأثرون أموالاً إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غريب لم أجده بهذا اللفظ وللطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمتي الذين ولدوا في النعم وغذوا به يا كلون من الطعم ألوانا وفيه أصرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسل وللبراز من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعم وتبنت عليه أجسامهم .

يكون باطنه مرتبها بشيء ويدخل الصلاة وقيل من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد «إذا حضر العشاء والعشاء قدم والعشاء على العشاء» ولا يصل وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الفانظ والحزق أيضاً ضيق الخف ولا يصل أيضاً وخفه ضيق يشغل قلبه قد قيل لا رأى لحازق قيل الذي يكون معه ضيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يصل وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التي ذكرناها وانها من المفرط والغضب . وفي الخبر «لا يدخل أحدكم في الصلاة وهو غلب ولا يصلين أحدكم وهو

فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشعب وأنسى بالكثير لا تنفع ما كفون على الدنيا يبدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها يتبهون ولها وهم يتبعون فزعمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوتر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) « وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأقتبت أو لبست فألبست أو تصدقت فأمصيت (٣) » وقال رجل « يا رسول الله مالى لأحب للموت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال قسم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤) » وقال عليه السلام «أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره والثالث إلى محشره فالذى يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والذى يتبعه إلى قبره فهو أهله والذى يتبعه إلى محشره فهو عمله (٥) » وقال الحواريون لعيسى عليه السلام : مالك تمشى على الماء ولا تقدر على ذلك ؟ فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عنكم قالوا حسنة قال لكنهما والدر عندى سواء . وكتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما : يا أخى إياك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أدبت حق الله فى ثم يجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويملك ألا أدبت حق الله فى فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦) » وكل ما أوردناه فى كتاب الزهد والفقر فى ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال فلان طول تكبيره وكذا كل ما ذكرناه فى ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما ذكرنا الآن ماورد فى المال خاصة قال صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف (٧) »

(١) حديث سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث أبى أمامة سيكون رجال من أمتى يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتشدقون فى الكلام أولئك شرار أمتى وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حته وهو لا يشعر البزار من حديث أنس وفيه هاتى بن للتوكل ضفه ابن حبان (٣) حديث يقول العبد مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبى هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالى لأحب الموت الحديث لم أقف عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثانى إلى قبره الحديث أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير باسناد جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسى وأبو الشيخ فى كتاب الثواب والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفى الكبير من حديث سمرة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبى الدرداء وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان وإنما هو من حديث أبى الدرداء أنه كتب إلى سلمان كذا رواه البيهقى فى الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع حديث إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم الحديث البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة

غضبان « فلا ينبغي للعبد أن يلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المحلى سمكون الأطراف وعدم الالتفات والإطراق ووضع اليدين على الشمال لما أحسنها من هيئة صيد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفى رخصة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب الزعامة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدي فى الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندا إن العبد إذا وقف فى الصلاة ينبغي أن يبقى جامدا محمدا لا يتحرك منه شئ . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا الضيعة تحبوا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا نال من أبي المرداء وأراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة للسال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه لا بد وأن يفضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عنى لاتمضى . وروى أن عمر رضى الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بمطائها فقالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم سلت سترا كان لها قطعتة وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت : اللهم لا يدركنى عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفقهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا وقال سميط بن مجلان إن الدرهم والدينار أزمة الناقين يقادون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك تلك سمه قبل وما رقيقته قال أخنوخ من حله ووضع في حقه وقال الملاء بن زياد تمثلت لى الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن شرك أن يبذل الله منى فأبض الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيره أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بأن تفك تقوى للسر

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يضر نرك من اللره ليس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه
أو جبين لاح فيه آرقه خلعه أره الدرهم تصرف جه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأقصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطيهم حقا لغيرهم وإنما ولدى أحد رجلين إما مطيع لله فاقه كافيه والله يتولى الصالحين وإما غاص لله فلا أبالي على ما وقع . وروى أن محمد بن كعب القرظى أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكنى أدخره لنفسى عند ربى وأدخر ربى لولدى . ويروى أن رجلا قال لأبي عبدربه يا أخى لاتذهب بشر وتترك أولادك بخير فأخرج أبو عبدربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وماها قال يؤخذ منه كله ويسئل عنه كله .

(بيان مدح للسال والجمع بينه وبين الدم)

اعلم أن الله تعالى قد سمى السال خيرا في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز - إن ترك خيرا - الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على السال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به وقال تعالى - ويستخرجها كنزها رحمة من ربك - وقال تعالى ممتنا على عباده - وبمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم

يلفغ به وقد تقدم في آداب الصعبة (١) حديث لاتخذوا الضيعة تحبوا الدنيا الترمذى والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ قترغبوا (٢) حديث نعم للسال الصالح يخرج الرجل الصالح أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث عمرو بن الماص بسند صحيح بلفظ تها وقال للمره .

فى الجبر « سبعة
أشياء فى الصلاة
من الشيطان : العاف
والناس والوحوسة
والثأوب والحكاك
واللغلت « والبث
بالشئ من الشيطان
بضا وقيل السهو
والشك ، وقد روى
عن عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما أنه قال
إن الخشوع فى الصلاة
أن لا يعرف الصلى من
على يمينه وشماله . ونقل
عن سفيان أنه قال :
من لم يخشع فسدت
صلاته ، وروى عن معاذ
ابن جبل أشد من
ذلك قال : من عرف
من عن يمينه وشماله
فى الصلاة متممدا فلا
صلاة له وقال بعض
الملاء من قرأ كلمة
مكتوبة فى حائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد الفقر أن يكون كفرا»^(١) وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بعد الدم وللدخ إلا بأن تعرف حكمة المال ومنصوده وآفاته وغوائله حتى يكشف لك أنه خير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فإنه ليس بغير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للأمرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لاجتماعه لآخرة ويندم أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن الحمود منه غير للغموم ويأته بالاستعداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتصيل درجات النعم والقدر المتنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم وللملك للقيم والتصد إلى هذاب الكرام والأكياس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم الناس وأكيسهم؟ قال: أكرم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا»^(٢) وهذه السعادة لا تتال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجية عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجة أحسنها والمال من جملة الخارجيات وأدناها الدراهم والدنانير فانها خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لهما إذ النفس هي الجوهر النفيس للطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم واللعرفة ومكارم الأخلاق لتحصلها حفة في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام والملابس تخدم البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الناحية إبقاء النسل ومن البدن تسهيل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب قد عرف قدر المال ووجه شرفه وأنه من حيث هو ضرورة الطعام والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا إليها غير ناس لها فقد أحسن واتنع وكان ما حصل له العرض محمودا في حقه فاذا المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادرة عن مادة الآخرة وتسديس العلم والعمل فهو إذا محمود مذموم محمود بالاضافة إلى المقصد الحمود ومذموم بالاضافة إلى المقصد المذموم فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه قد أخذ حفته وهو لا يشعر^(٣) كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطمة لسبيل الله وكان للمال مسهلها وآلة إليها أعظم الخطر فبما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى» فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتحصن به من شره وقال «اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشني في زمرة المساكين»^(٤) واستعاذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم فقال - واجنبي وبني أن نعبد الأصنام - وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة إذ فقد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر وإنما معنى عبادتها حبها والاعتقار بها والركون

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أنس وقد تقدم في كتاب ذم الغضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكيسهم قال أكرم للموت ذكرا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكياس ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه قد أخذ حفته وهو لا يشعر تقدم قبله بنسبة احاديث وهو بنية احذروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت آل عيسى من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلواته فصلاته باطلة قال بعضهم لأن ذلك عدوه عملاء، وقيل في تفسير قوله تعالى - والذين هم على صلاتهم دائمون - قيل هو سكون الأطراف والطمأنينة . قال بعضهم إذا حكبت التكبير الأولى فاعلم أن الله ناظر إلى شخصك عالم بما في ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن شمالك وإنما ذكرنا أن تمثل الجنة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا فالقلب لدفع الوسوسة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة قال

إليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « تس عبد الدينار وتس عبد الدرهم تس ولا تتمش وإذا شيك فلا تتمش ^(١) » فيبين أن محبهما عابدهما ومن عبد حجرافه هو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم أى من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كما بد صنم وهو شرك إلا أن الشرك شركان شرك خفى لا يوجب الخلود فى النار وقطا ينفك عنه للؤمنون فإنه أخفى من ديب الخلل وشرك جلى يوجب الخلود فى النار فهو ذبا لله من الجميع .

(بيان تحصيل آفات اللال وفوائده)

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحرز من شره ويستدر من خيره . أما القوائد : فهى تقسم إلى دنيوية ودينية : أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها وأما الدينية فتتخصر جميعها فى ثلاثة أنواع . النوع الأول : أن ينفقه على نفسه إما فى عبادة أوفى الاستعانة على عبادة أما فى العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو الطعام واللبس والسكن والنكح وضرورات العيشة فان هذه الحاجات إذا لم تيسر كان القلب مصروفا إلى تديرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل فى هذا التتم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط . النوع الثانى : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة ووقاية العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغنى ثوابها وإنما لتطفى غضب الرب تعالى وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فعنى بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف فى ضيافة وهدية وإعانة وما يجرى مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من القوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسيخاء فلا يوصف بالجود إلا من يسطع العروف ويسلك سبيل المروءة والقنوة وهذا أيضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة فى الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة فى مصارفها . وأما وقاية العرض فعنى به بئد المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرمهم وهو أيضا مع تنجز فائدته فى العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة ^(٢) » وكيف لا وفيه منع المقتاب عن محبة الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التى تحمل فى المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التى يحتاج إليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولوتولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتضر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفسكر والذكر الذى هو أعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب الذى يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متوب إذا اشتغلت به إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفسكر مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت فى غيره خسران

أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خالقه عن ذكر الآخرة تعرض لوسوس الشيطان فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخزاز إذا ركع فالأدب فى ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لا يسقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لا يكون فى قلبه شيء أعظم

(١) حديث تس عبد الدينار تس عبد الدرهم الحديث البخارى من حديث أبى هريرة ولم يقل واتمش وإنما علق آخره بلفظ تس واتكس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للمسجد والقنطرة والرباطات ودور للرضى ونصب الحجاب في الطريق وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارّة بعد الموت للمستجلبه بركة أدعية الصالحين إلى أوقات مبادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائده للمال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العز والمجد بين الخلق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه للمال من الحظوظ الدنيوية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى العاصي فان الشهوات متفاضلة والمجز قد يحول بين اللزوم والعصية ومن العصمة أن لا يجد ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من العصية لم تحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليها انبثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية العاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتبه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتنة السراء أعظم من قنعة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التمسك في الباطح وهذا أول الدرجات فحق يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الحشن ويترك لذائد الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتعم بالدنيا ويمرن عليها فصار يصبر التتم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه ويجره البعض منه إلى البعض فاذا اشتد أنه بهر بما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتطم الشبهات ويخوض في المراءاة والداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن يناقهم ويسعى الله في طلب رضاهم فان سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلاً ومن الحاجة إلى الخلق ثور العداوة والصداقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والتميمة والقيية وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التمدي أيضاً إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يتفك عنها أحد وهو أنه يلهمه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذه من غير حله ، فقيل إن أخذ من حله ؟ فقال يضعه في غير حقه فقيل إن وضعه في حقه فقال يشغله بإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان أصل العبادات ومنها سرها ذكر الله والتفكير في جلاله وذلك يستدعى قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يسمى ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسنته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في حياتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر أصناف الأموال وأبدها عن كثرة الشغل النقد المسكنوز تحت الأرض ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يجر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتم والمهم والتعب في دفع الحساد وتجنب المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذا تروايق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك مسموم وآفات نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلفظه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصرف في نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون معه من الحشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أخذ العبد في التسلاوة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أدهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعيوارض ونفي كل شيء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس مما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قاعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقع بقدر الضرورة من اللطم والملبس والسكن ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوطاً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه فاته عز القناعة وتدنس لأعماله بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الحارقة للمروآت وقد جبل الأدهى على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (١) » وعن أبي واقد الليثي قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أتيناه يملنا مما أوحى إليه فحفته ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثاب ولو كان له الثاني لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (٢) » وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لمتى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب (٣) . وقال صلى الله عليه وسلم « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال (٥) » ولما كانت هذه جيلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن أحد فقير ولا غنى إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى قوتاً في الدنيا (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس الفنى عن كثرة العرض إنما الفنى غنى النفس (٨) » ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال « ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له وإن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة (٩) »

(١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكلم فيه (٤) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث مامن أحد غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتى في الدنيا قوتاً ابن ماجه من رواية تميم بن الحارث عن أنس وتضعيف ضعيف (٨) حديث ليس الفنى عن كثرة العرض إنما الفنى غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش .

والمقل الذين دخلوا في الصلاة بهما فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبتغي له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحداً من أصحابه يمدد عليه كم ركعة صلى . وقيل : لقصاة أربع شعب حضور القلب في الحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الأركان بلا ارتباب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع

وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أيّ عبادك أغني؟ قال أنتهم بما أعطيتهم قل فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنّ روح القدس نفث في روعي إنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتدّ بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن فقرا تكن أشكر الناس وأحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أنّ أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجز فقال: إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تمحدثنّ بحديث تعتذر منه غدا وأجمع اليأس مما في أيدي الناس» (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسرّ كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك الذين يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه. الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إنّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى وإنه من يأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال قلة تمليك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل:

العيش ساعات تمرّ وخطوب أيام تكسر
اقنع بيمشك ترضه وأترك هواك تعيش حرّ
فلربّ حنّف ساقه ذهب وياقوت ودرّ

وكان محمد بن واسع يملّ الحبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتكم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا ومالك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطفيك. وقال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجلّ قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فأعما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجهم فكتب إليه قد رقت حوائجى إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إنّ روح القدس نفث في روعي إنّ نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تمحدثنّ بحديث تعتذر منه وأجمع اليأس مما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة وللحاكم نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه ولم يقل فقال قائل ولا قال تسمعوا وقال سوط أحمد وهو عند أبي داود وابن ماجه كما ذكرها المصنف

الأركان وجود الثواب
فمن أتى الصلاة بلا
حضور القلب فهو
مصلّ لاه ومن أتاها
بلا شهود العقل فهو
مصلّ ساه ومن أتاها
بلا خضوع النفس فهو
مصلّ خاطئ ومن
أتاها بلا خضوع
الأركان فهو مصل
جاف ومن أتاها كما
وصف فهو مصل واف.
وقد ورد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« إذا قام العبد إلى
الصلاة المكتوبة مقبلا
على الله بقلبه وسمعه
وبصره انصرف من
صلاته وقد خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه
وإن الله لا يفر بصل الوجه
خطيئة أصابها وبصل
يديه خطيئة أصابها
وبصل رجليه خطيئة

وما أمسك عنى قنعت . وقيل لبعض الحكماء : أى شيء أسر للعاقل وأيعا شيء أعون على دفع الحزن؟
 فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء . وقول بعض
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهناهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا
 طمع وأخفصهم عيشا أرفضهم لهدنيا وأعظمهم ندامة العالم للفرط وفي ذلك قيل :

أرفه ييال فتى أمسى على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
 فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
 إن القناعة من يهمل بساحتها لم يلق فى دهره شيئا يؤرقه

وقد قيل أيضا :

حتى متى أنا فى حلّ وترحال وطول سعى وإدبار وإقبال
 ونازح الدار لا أنفك مقتربا عن الأجابة لا يدرون ما حالى
 بمشرق الأرض طوراً ثم مغربها لا يخطر الموت من حرصى على بالى
 ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة إن القنوع النقى لا كثرة للسال

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى حلتان لستانى وقبضى وما يسنى
 من الظهر لحبى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرضهم ولا بأوضاعهم
 فوائده ما أدرى أىحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب
 القناعة بها . وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى
 لم تر حرصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً ، وفى ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت
 فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلاً صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وآكلك قالت والله
 ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما واحدة
 فأعلك وأنا فى يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قالهات
 الأولى قالت : لا تلهفن على ما فاتك غفلاً فلما صارت على الشجرة قالهات الثانية قالت لا تصدقن
 مما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلى
 درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً قال فعض على شفته وتلف وقالهات الثالثة قالت أنت
 قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون
 أنا لحمى ودمى ورشى لا يكون عشرون مثقالاً فكيف يكون فى حوصلى درتان كل واحدة عشرون
 مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر
 مالا يكون أنه يكون . وقال ابن السكك : إن الرجاء جبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء
 من قلبك يخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد البيزى : دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى
 ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين
 البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثاً وأنشدنى :

إذا سدت باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى يفتتح لك بابها
 فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوات الأمور اجتنابها

أصابها حتى يدخل فى
 صلاته وليس عليه
 وزره وذكر السرة
 عند رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 فقال أى السرة أبيع
 فقالوا الله ورسوله أعلم
 فقال إن أبيع السرة
 أن يسرق الرجل من
 صلاته قالوا كيف يسرق
 الرجل من صلاته ؟
 قال لا يتم ركوعها ولا
 سجودها ولا خشوعها
 ولا القراءة فيها .
 وروى عن أنى عمرو بن
 العلاء أنه قدّم للإمامة
 فقال لأصلح فلما ألحوا
 عليه كبر فضحك عليه
 فقد موأماما آخر فلما
 أفاق سئل فقال لما
 قلت استوا هتف بي
 هاتف هل استويت
 أنت مع الله قط . وقال
 عليه السلام إن البعد

ولاتك مبذالا لمرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب الموم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعتلواها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرتى قول كعب قال يطعم الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك ثم قال هذا خيرا لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عجب أمر الانسان أنه لو نودى بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له من أين تأكل ؟ قال من يدر اللطيف الحبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين وأوماً يده إلى رحا أضراسه فسبحان القدير الحبير .

(بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة)

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في العيشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه وبرد نفسه إلى ما لا بد له منه فمن أكثر خرجته واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في العيشة وهو الأصل في القناعة وتعين به الرفق في الإتفاق وترك الحرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد »^(٢) وقال صلى الله عليه عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب »^(٣) وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قتهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة »^(٤) وفي الخبر « التدبير نصف العيشة »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذرأ فقره الله ومن ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث ما عال من اقتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس بلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال السمات الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف العيشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاد بن عيسى جهره العقيلي ووقفه ابن معين

إذا أحسن الوضوء
وصلى الصلاة لوقتها
وحافظ على ركوعها
وسجودها ومواقبتها
قالت حفظك الله كما
حفظتني ثم صدقت ولها
نور حق تنتهي إلى
السماء وحق تصل إلى
الله فتشفع لصاحبها
وإذا أضاءها قالت
ضيمك الله كما ضيعتني
ثم صدقت ولها ظلمة
حق تنتهي إلى أبواب
السماء فتناقق دونها ثم
تلف كما يلف الثوب
الحلق فيضرب بها
وجه صاحبها « وقال
أبو سليمان الداراني إذا
وقف العبد في الصلاة
يقول الله تعالى ارفعوا
الحجب فيما بيني وبين
عبي فإذا التفت
يقول الله أرخوها فيما
بينى وبينه وخلوا

أحبه الله (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا (٢) » والتؤدة في الاتفاق من أهم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكتفي به فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه فان شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقا بوعده الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وذلك لأن الشيطان يهديه الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تعرض وربما تمجز وتحتاج إلى احتمال الدل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب وضحك عليه في احتماله التعب قدما مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثأني الحال وربما لا يكون . وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فصل الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما « لا تياسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما فان الانسان قلته أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى (٣) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له « لا تنكثر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة (٥) » ولا ينفك الانسان عن الحرص إلا بعسن تقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لمعالجة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب (٦) » وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقيا محتاجا أي لا يترك التقى قدما لضرورته بل يلقى الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه ، وقال للفضل الضبي قلت لأعرابي من أين معاشك قال نذر الحاج قلت فإذا صدر وأبى وقال لو لم نعش إلا من حيث ندرى لم نعش . وقال أبو حازم رضى الله عنه وجدت الدنيا شيئا من شيئا منها هو لى فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوة السموات والأرض وشيئا منها هو لغيرى فذلك لم أنه فيها مضى فلا أرجوه فيها بقى بمنع الذى لغيرى متى كما يمنع الذى لى من غيرى فى أى هذين أفنى عمرى فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يعرف ما فى القناعة من عز الاستغناء وما فى الحرص والطمع من الدل فاذا تحقق عند ذلك انه مشت رغبته إلى القناعة لأنه

(١) حديث من اقتصد أغناه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وشيخه فيه عمران بن هارون البصرى قال الذهبى شيخ لا يعرف حاله أنى بخبر منكر أى هذا الحديث ولأحمد وأبى يعلى فى حديث لأبى سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله .

(٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك فى البر والصلة وقد تقدم (٣) حديث لا تياسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خالد وقد تقدم (٤) حديث لا تنكثر همك ما قدر يكن وما تزرق يأتك قاله لابن مسعود أبو نعيم من حديث خالد بن رافع وقد اختلف فى صحبته ورواه الأصفهاني فى الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو الماعفرى مرسل (٥) حديث ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب الحديث تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ابن حبان فى الضعفاء من حديث على باسناد واه ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات .

عبدى وما اختار لنفسه . وقال أبو بكر الوراق رجعا أصلى ركعتين فأنصرف منهما وأنا أستحي من الله حياء رجل أنصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الأب عند معرفة كل إنسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أفسدوا عليك الصلاة بمعمرم بين يديك قال إن الذى أصلى له أقرب إلى من الذى يمشى بين يدي وقيل كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له فى ذلك فيقول أتدرون بين يدي

في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال وللأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداينة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ريك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عز المؤمن استغناؤه عن الناس (١) » ففي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تنم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحق من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى صحت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويغير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير فإنه إن تنم في البطن فالحرار أكثر أكلا منه وإن تنم في الواقع فالخزير أمل رتبة منه وإن زين في اللبس والحيل في اليهود من هو أعلى رتبة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يسأله في رتبته إلا الأنبياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع السالم من الخطر كما ذكرنا في آفات السالم وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلوايد من الأمن والفرار ويتأمل ما ذكرناه في آفات السالم مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوّه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوّه فيقول لم تنقر عن الطلب وأرباب الأموال يتمتعون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتعم فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوق (٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه (٣) » فيهنه الأمور بقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهرا طويلا فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن السالم إن كان مفقودا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلّية إلى الأرض فمن أخذ بعصن منها فإده ذلك

(١) حديث عز المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصحح اسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن ساجان عن محمد بن عيينة وكلاهما مختلف فيه وجعله القضاة في مسند الشهاب من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوق أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه بمن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم

من أريد أن أقف .
وروى عمار بن ياسر
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال
« لا يكتب للعبد من
صلاته إلا ما يقبل » وقد
ورد في لفظ آخر
« منكم من يصلى
البصلاة كاملة ومنكم
من يصلى النصف
والثالث والرابع والخمس
حتى يبلغ العشر » قال
الحواصم يبغي للرجل
أن يسوى نوافله
لنقصان فرائضه فان
لم ينوها لم يحسب له
منها شيء . بلضا أن الله
لا يقبل نافلة حتى
تؤدي فريضة يقول
الله تعالى : منكم من
العبد السوء بدأ
بالهدية قبل قضاء
الدين ، وقال أيضا
انقطع الخلق عن الله

النصن إلى الجنة (١) « وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم (٢) « وفي رواية « فأكرموا بهما ما محبتموه « وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جبل الله تعالى ولياله إلا على حسن الخلق والسخاء (٣) « وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال الصبر والسخاء (٤) « وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يحبهما الله عز وجل وخلقان يبغضهما الله عز وجل فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس (٥) « وروى للقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام (٦) « وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى النار الجنة فمن كان سخيا أخذ بنصن منها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيحا أخذ بنصن من أغصانها فلم يتركه ذلك النصن حتى يدخله النار (٧) « وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تمشوا فى أكنافهم فأنى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فأنى جعلت فيهم سخطى (٨) «

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الضعفاء من حديث عائشة وابن عدى والدارقطنى فى الاستجداد من حديث أبى هريرة وسياىى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلاهما ضعيف ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد (٢) حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن هذا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق الدار قطنى فى المستجداد وقد تقدم (٣) حديث عائشة ما جعل الله ولياله إلا على السخاء وحسن الخلق الدار قطنى فى المستجداد دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى الموضوعات وذكره بهذه الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا (٤) حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسخاء أبو يعلى وابن حبان فى الضعفاء بلفظ مثل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن النسكر ضعفه الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمرو بن عنبسة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسخاء وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسخاء وحسن الخلق وإسناده صحيح (٥) حديث عبد الله بن عمرو خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قول فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرها ووثقه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوفا على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إليه وفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان (٦) حديث القدم بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام الطبرانى بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفى رواية له يوجب الجنة إطعام الطعام وإفشاء السلام وفى رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام (٧) حديث أبى هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث الدار قطنى فى المستجداد وفيه عبد العزيز بن عمران الزهرى ضعيف جدا (٨) حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى تمشوا فى أكنافهم الحديث ابن حبان فى الضعفاء والحرائطى فى مكارم الأخلاق والطبرانى

تعالى بخصلتين إحداهما أنهم طلبوا النوافل وضيعوا القرائض والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والصح لها وأنى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق وفتح العين فى الصلاة أولى من ضم من العين إلا أن يشئت همه بتفريق النظر فيغض العين للاستعانة على الخشوع وإن شاء فى الصلاة يضم شفثيه بقدر الامكان ولا يلزق ذفته بصدده ولا يزاحم فى الصلاة غيره قيل ذهب الزحوم بصلاة المزاحم وقيل من ترك الصف الأول عفاة أن يضيق

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كما عثر^(١)» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وإن الله تعالى لياهي بمطعم الطعام لللائكة عليهم السلام^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها^(٣)» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه وأتاه رجل فسأله فأمر له بشيء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فان عمداً يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة^(٤)» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادة يختصم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل تلك النافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره^(٥)» وعن الهلالى قال «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً فقال صلى بن أبي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والهدى واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح^(٧)» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخل داء^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف ورواه العقيلي في الضعفاء فعمله عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غمزته ابن القطان وتابعه عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لا بأس بحديثه وتكامل فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث طي وقال إنه صحيح الإسناد وليس كإسناد (١) حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كما عثر الطبراني في الأوسط والحرائط في مكارم الأخلاق . وقال الحرائط أقبوا السخي زلته وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بأسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في اللوضعات من طريق الدار قطنى (٢) حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت الذي ينشى وفي حديث ابن عباس يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها الحرائط في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز و هذا مرسل وللطبراني في الكبير والأوسط والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة (٤) حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه فأتاه رجل فسأله فأمر له بشيء كثير بين جبلين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة (٥) حديث ابن عمر إن لله عبادة يختصم بالنعم لمنافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمقي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبد الله ابن زيد الحمصي ضعفه الأزدى (٦) حديث الهلالى أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلاً (٧) حديث إن لكل شيء ثمرة وثمره للعروف تعجيل السراح لم أقف له على أصل (٨) حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو علي الصدفي في عواليه وقال رجاله

على أهله قام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصنف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل . وروى عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة. وسئل الجنيد ما فرضة الصلاة؟ قال قطع العلاقات وجمع المهم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا بعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض

« من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ^(١) » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة لزوال . وقال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لئلا تكله النار قبل وما هو قال للعروف . وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « الجنة دار الأسخياء ^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوا الداء البخل ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اصنع للعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فان أصبت أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين ^(٥) » وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل جعل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للعروف وحب إليهم فضاله ووجه طلاب العروف إليهم ويسر عليهم إعطائه كما يسر التيت إلى البلدة الجدية فيحيها ويهيي به أهلها ^(٦) » وقال ﷺ « كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما أوقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلقها ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة الالهفان ^(٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

تقات أئمة قال ابن الزطمان وإنهم لمشاهير ثقات إلا مقدم بن داود فان أهل مصر تكلموا فيه .
 (١) حديث من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤنة الناس عليه ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ ما عظمت نعمة الله على عبد إلا ذكره وفيه أحمد بن مهران قال أبو حاتم مجهول والحديث باطل ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر باسناد منقطع وفيه حليس ابن محمد أحد للتروكين ورواه العقيلي من حديث ابن عباس قال ابن عدى يروي من وجوه كلها غير محفوظة (٢) حديث عائشة الجنة دار الأسخياء ابن عدى والدار قطنى في الاستجداء والخرائطي قال الدار قطنى لا يصح ومن طريقه رواه ابن الجوزى في الموضوعات . وقال الذهبي حديث منكر ما آتته سوى جندر . قلت رواه الدار قطنى فيه من طريق آخر وفيه محمد بن الوليد الواقفي وهو ضعيف جدا (٣) حديث أبي هريرة إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة الحديث الترمذي وقال غريب ولم يذكر فيه وأدوا الداء البخل ورواه بهذه الزيادة الدار قطنى فيه (٤) حديث اصنع العروف إلى أهله وإلى من ليس من أهله الدار قطنى في الاستجداء من رواية جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده مرسلًا وتقدم في آداب العيشة (٥) حديث إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس الحديث الدار قطنى في الاستجداء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس وفيه محمد بن عبد العزيز المبارك الدينوري أورد ابن عدى له من أكبر وفي الزبان إنه ضعيف منكر الحديث ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه وفيه صالح اللري متكلم فيه (٦) حديث أبي سعيد إن الله جعل للعروف وجوها من خلقه حب إليهم للعروف الحديث الدار قطنى في الاستجداء من رواية أبي هريرة عن أبي هريرة من رواية جابر وفيه صالح اللري متكلم فيه (٧) حديث كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة الحديث ابن عدى والدار قطنى في الاستجداء والخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث جابر وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالى وثقه ابن معين وضعفه الجمهور والجملة الأولى منه عند البخارى من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة (٨) حديث كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله

الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهبلى من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب . وقال أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله أوصني فقال « يا أبا الخير عليك بالصلاة فاني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة وقال لي إن أقرب ما أكون منك وأنت تصلى » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة . وقيل إن محمد ابن يوسف العرفاني رأى حاتما الأصم واقفا يعظ الناس فقال له يا حاتم أراك تعظ

« كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فإنه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففحر لهم قيس تسع ركائب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) ». الآثار : قال علي كرم الله وجهه إذا أقيمت عليه الدنيا فأنتقى منها فاتها لا تفتى وإذا أدبرت عنك فأنتقى منها فاتها لا تبتقى وأنشد :

لا تبتخان بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الرواة والتجدة والكرم فقال أما للرواة لحفظ الرجل دينه وحنره نفسه وحسن قيامه بضيئه وحسن للنازعة والاقدام في الكراهية . وأما التجدة فالقرب عن الجار والصبر في اللواطن وأما الكرم فالترحم بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قليل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال بسألتني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقتي . وقال ابن السكيت عجت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه . وسئل بعض الأعراب من سيدكم فقال من احتمل شمتنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله لطلبه لم يكن سخيا وإنما السخي من يتدنى بحق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ قال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فيه قيل فما الأسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من العقل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالمشاورة إلا وإن الله عز وجل يقول : إن جواد كرم لا يجاورني لئيم واللوث من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأحنف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال أما إنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل : أنت للمال إذا أمسكته فإذا أفنفته فالمال لك

ومضى واصل بن عطاء الفزالي لأنه كان يجلس إلى الفزاليين فإذا رأى امرأة ضئيفة أعطاها عيشا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسئله في إعطاء الفقراء فكتب إليه خير للمال ما وثى به العرش . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خمسين ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يحب إفاضة اللهمان الدار قطنى في الاستعداد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقا فالجملة الأولى تمدت قبله والجملة الثانية تقدمت في العلم من حديث أنس وغيره والجملة الثالثة رواها أبو بيل من حديث أنس أيضا وفيها زياد الفخري ضعيف (١) حديث كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة الدار قطنى فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحراطلي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر باسنادين ضعيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثنا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا ففحر لهم الحديث وفيه قال إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت الدار قطنى فيه من رواية أبي حمزة الخيمري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله .

للتاسي الحسن أن
تصلى ؟ قال نعم قال كيف
تصلى ؟ قال أتوم بالأمر
وأمشي بالحشمة
وأدخل بالهية وأكبر
بالمظمة وأقرأ بالترتيل
وأركع بالحشوع
وأسجد بالتواضع
وأقعد للتشهد بالتعام
وأسلم على السنة
وأسلمها إلى ربي
وأحفظها أيام حياتي
وأرجع باليوم على نفسي
وأخاف أن لا تقبل
مني وأرجو أن تقبل
مني وأنا بين الخوف
والرجاء وأشكر من
عظمي وأعلمها من
سألني وأحمد ربي إذ
هداني فقال محمد بن
يوسف مثلك يصلح
أن يكون واعظا وقوله
تعالى - لا تخربوا
الصلاة وأنتم سكارى -

أسأل الله تعالى لأخواني الجنة في صلاتي فأبخل عليهم بالمال . وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود . وقيل لبعض الحكماء من أحب الناس إليك قال من كثرت أياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت أيادي عنده . وقال عبد العزيز بن مروان إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبة كيف رأيت الناس في داري قتل يأمر المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متحل عند عبد الله بن جعفر فقال :

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق للصنع
فاذا اصطنعت صنعة فاعمد بها لله أو لدوى القرابة أودع

فقال عبد الله بن جعفر إن هذين البيتين ليخلان الناس ولكن أمطر المعروف مطرا فان أصاب
السكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللثام كنت له أهلا .

(حكايات الأسخياء)

عن محمد بن النكدر عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضيت الله عنها قالت إن معاوية بعث إليها
بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم فدعت بطبق فبصلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت
يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها أم درة ما استطعت فبما قسمت اليوم أن تشتري
لنا بدرهم لحما تنظر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت . وعن أنان بن عثمان قال أراد رجل
أن يضار عبيد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبيد الله تقدموا عندي اليوم فأتوه
حتى ملؤا عليه الدار فقال ما هذا فأخبر الخبر فأمر عبيد الله بشراء فاكهة وأمر قوما فطبخوا
وخبزوا وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا فقال عبيد الله
لو كلالته أو وجود لنا هذا كل يوم قالوا نعم قال فلينفذ عندنا هؤلاء في كل يوم . وقال مصعب بن
الزبير حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه
فلما خرج معاوية قال الحسن إن علينا دينا فلا بد لنا من إتيانه فركب في أثره ولحقه فسلم عليه
وأخبره بدينه فمروا عليه يخفى عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الأبل وقوم يسوقونه
فقال معاوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه إلى أبي محمد . وعن واقد بن محمد الواقدي قال
حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون على ظهر
رقمته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان السخاء والحياء فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك
وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فان كنت
قد أصبت فازدد في بسط يدك وإن لم أكن قد أصبت فجنائتك على نفسك وأنت حدثني وكنت على
قضاء الرشيد عن محمد بن اسحاق عن الزهري عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن
العوام يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته
فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وأنت أعلم^(١) » قال الواقدي فوالله لهذا كرامة المأمون إياي بالحديث
أحب إلى من الجائزة وهي مائة ألف درهم . وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له
بأهذا حق سؤالك إياي يعظم لدى ومعرفتي بما يجب لك تكبر على ويدي تعجز عن نيلك بما أنت
أهله والكثير في ذات الله تعالى قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فان قبلت اليسور ورفعت

قيل من حب الدنيا
وقيل من الاهتمام وقال
عليه السلام « من صلى
ركعتين ولم يحدث
نفسه بشئ من الدنيا
غفر الله له ما تقدم من
ذنبه » وقال أيضا « إن
الصلاة تمكن وتواضع
وتضرع وتنادم وترفع
يديك وتقول : اللهم
اللهم فمن لا يفعل ذلك
فهو خداج » أي ناقصة
وقد ورد أن المؤمن إذا
نوضاً للصلاة تباعد
عنه الشيطان في
أقطار الأرض خوفانه
لأنه تاهب للدخول على
للك فاذا كبر حجب
عنه إبليس قيل
يضرب بينه وبينه
سرادق لا ينظر إليه
وواجهه الجبار بوجهه
فاذا قال الله أكبر اطلع
للك في قلبه فاذا لم

(١) حديث أنس يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بازاء العرش الحديث وفي أوله قصة مع المأمون
الدار قطنى فيه وفي إسناده الواقدي عن محمد بن اسحاق عن الزهري بالنعنة ولا يصح .

عنى مؤنة الاحتمال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حثك فقلت فقال يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية وأعذر على اللع فعدا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على تقافته حتى استقصاها فقالها تالف من الثلاثة ألف درهم فأحضر خمسين ألفا قال لما فلت بالخمسة دينار قال هي عندي قال أحضرها فأحضرها فدفعت الدنانير والدرام إلى الرجل وقال هات من حملها لك فأتاه بمحاملين فدفعت إليه الحسن رداه لكراء المحالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم قال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا لتناجر صوام قوام يفتح كل واحد منا أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقا فأخرج منه ست بدر فقال احملوا لحملوا فقال ابن عباس ما أنصفناه أعطينا ما يشته عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى فضل وفضلا . وعنى أنه لما أجذب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال والله لأعفن الشيطان أن عدوه فقال محاورهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل ولتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حتى نساؤه وقيمتهن خمسمائة ألف فلما تقدر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببعضها ودفعت القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاحته . وكان أبو طاهر بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق على بن طالب لما وهبت لي نعلتك بموضع كذا وكذا فقال قد فلت وحقه لأعطينك ما يليها وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء فدحه بعض الثمراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمي إلى القاضى وادع على بشرة آلاف درهم حتى أترك بها ثم احببني فان أهلى لا يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس . وكان معن بن زائدة عاملا على العراقيين بالبصرة فحضر باه شاعر فأقام مدة وأراد المخول على معن فلم يتبرأ له فقال يوما لبعض خدام من إذا دخل الأمير البستان فرفق فلما دخل الأمير البستان أعلاه فكتب الشاعر بيتا على خشبة وألقاها في الماء الذى يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصير بالخشبة أخذها وقرأها فلما مكتوب عليها :

أيا جود معن ناج معنا بما جنى فإلى إلى معن سواك شفيح

فقال من صاحب هذه فدعى بالرجل فقال له كيف قلت فقال له فأمره بشرب بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفعت إليه مائة ألف درهم فلما أخذها الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه ففرج فلما كان في اليوم الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالى درهم ولا دينار . وقال أبو الحسن للدائى خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حبا جافا فقامهم فجاءوا وعطشوا ففروا بسجوز في خباء لما قالوا هل من شراب ؟ قالت نعم فاناخوا إليها وليس لها إلا هوية في كسر الخيمة فحالت اطبوها وامتنقوا إليها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهى لكم مائتا كلون فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا وأأموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نمر من قريش تريد هذا الوجه فاذا رجنا سالمين فألمى بنا فانا صائمون بك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبره بنهر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تدبحين شانى قوم لا صريفهم ثم تحولين نمر من قريش قال ثم بعد مدة ألبأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجلا يتلان البر إليها وبيعانه ويتبعان شمتة

يكن في قلبه أكبر
من الله تعالى يقول :
صدقت الله في قلبك
كما تقول وتشعشع من
قلبه نور يلحق
بلكوت العرش
ويكشف له بذلك النور
ملكوت السموات
والأرض ويكتب له
حشو ذلك النور
حنات وإن الجاهل
الفاقل إذا قام إلى الصلاة
احتوشته الشياطين كما
عشوش الذباب على
قطعة العسل فاذا كبر
اطلع الله على قلبه فاذا
كان شىء في قلبه أكبر
من الله تعالى عنده
يقول له كذبت ليس
الله تعالى أكبر في
قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق
ببنان السماء فيكون
حجابا لقلبه من

فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكورة فبعث غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا فقالت العجوز بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال نعم، ثم أمر الحسن فاشترى لها من شياه الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك أخي؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت بألفي شاة وألفي دينار فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال لها لو بدأت بي لأتبعكما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار. وخرج عبد الله بن عامر بن كرز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تقيف فثنى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام؟ قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أفيك بنفسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال استفق هذه فقم ما أدبك أهلك. وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بييرك بنجيبى وكان السخى الميت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بيير صمين فقال له في النوم نم فباعة في النوم بييره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بييره فنحره في النوم فاتبه الرجل من نومه فاذا الدم يشج من نحر بييره فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا وكر صاحب القبر قال نعم بعث منه بييرى بنجيبه في النوم فقال خذ هذا بنجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيت في النوم وهو يقول إن كنت ابنى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسماه. وقدم رجل من قريش من السفر فرأى رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعد الدهر وأضر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لملك استقلت ما أعطيناك؟ قال لا ولكن ذكرت ماتا كل الأرض من كرمك فأبكاني. واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عتبة بن أبى معيط داره التي في السوق بثميين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء؟ قالوا سيكون لدرهم فقال يا غلام ائتم فأعلمهم أن للسال والدار لهم جميعا. وقيل بعث هرون الرشيدى إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسة دنانير فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فنضب هرون وقال أعطيه خمسمائة وتمطيه ألفا وأنت من رعيى فقال يا أمير المؤمنين إن لى من غلقى كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم. وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار. وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئا من عمل فأمرها بزق من عمل فقيل له إنها كانت تقع بدون هذا؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا. وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يصدق على ثلثمائة وستين مسكينا. وقال الأعمش اشتكت شاة عندى فكان خيشمة بن عبد الرحمن يعودها بالنداء والحقى ويسألنى هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ قدموا لبنا وكان حتى لبد أجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحب البد حتى وصل إلى في علة الشاة أكثر من ثلثائة

للسكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه. وفي الخبر «لولا أن الشياطين محومون على قلوب في آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» والقلوب الصافية التي كمل أديها لكمال أدب قوالها تصير مساوية تدخل بالكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوى لا سبيل للشيطان إليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تقطع بالتحصن بالهاء كاتقطاع تصرف

ديار من بره حتى نعتت أن انشاء لم تبرا . وقال عبد الملك بن مروان لأسهاء بن خارحة بلقي عنك خصال لحدثني بها ، فقال هي من غيري أحسن منها مني فقال عزمت عليك ، إلا حدثتني بها فقال يأمر للمؤمنين ممددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما إلا كانوا أمن على من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكرت شيئا أعطيته إياه . ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح ناديا يامن يمين على الفلق العوان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عباد فاستبطأ إخوانه فقبل له إهم يستحيون من مالك عليهم من الدين فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانكسرت درجته بالشئ لكثرة من زاره وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونملان فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونملين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابوري رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئا فولد بعضهم مولود قال فبثت إليه وقلت له ولد لي مولود وليس معي شئ فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشئ فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكففتهم دفع شئ لمولود فلم يتفق لي شئ قال ثم قام وأخرج دينارا وقسمه نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشئ قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المهتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الندم تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخر ميتا ولا تتسخر نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب الولود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدرى أي هؤلاء أسخى . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلانا يسألني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال اتوني بتذكرته فأتني بها فنظر فيها فإذا على الشافعي سبعمون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي إياه أي أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سبعا والخير وآثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركنه فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فحركه فاقطع زره لمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه :

الشیطان والقلوب
المرادة بالقراب تدرج
بالقراب وتخرج في
طبقات السموات وفي
كل طبقة من أطباق
السما يتخلف شئ من
ظلة النفس ويقدر
ذلك بقل الهاجس إلى
أن يتجاوز السموات
ويقف أمام العرش
فبعد ذلك يذهب
بالكلية هاجس النفس
بساطع نور العرش
وتدرج ظلمات النفس
في نور القاب اندراج
الليل في النهار وتتأدى
حينئذ حقوق الآداب
على وجه الصواب .
وما ذكرنا من أدب
الصلاة يسير من كثير
وشأن الصلاة أكبر
من وصفنا وأكل من
ذهبنا وقد غلط
أقسام وظنوا أن

بالهف قلبى على مال أجود به على للقلين من أهل الروات
إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ما ليس عندى لمن إحدى للصيات

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافى رحمه الله فقال ياربيع أعطه أربعة دنانير
واعذر إليه عني . وقال الربيع سمعت الحميدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بمشيرة آلاف
دينار فضرب خبائه في موضع خارج عن مكة وشراها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض
له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء . وعن أبي ثور قال أراد الشافى
الخروج إلى مكة ومعه مال وكان قلما يمك شيئا من سباحته فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال
ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فأسأله عن ذلك للمال فقال ما وجدت بمكة ضيعة
يمكننى أن أشتريها لمعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكنى بنيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا
حجوا أن ينزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله لنفسه يقول :

أرى نفسى تنوق إلى أمور يقصر دون مبلغهنّ مالى
ففسى لا تطاوعنى يخلد ومالى لا يلفسنى فصالى

وقال محمد بن عباد الهلبى دخل أبى على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فأخبر بذلك المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين: منع الوجود، سوء ظنّ
بالمبود، فوصله بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم
فبكى فقال له سعيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى .
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً قبل منه اللدحة وأمر حاجبه
بذيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول للقيام فكتب
إليه يقول : إن حراما قبول مدحتنا وترك ما ترجى من الصدق
كما الدرهم والدنانير فى البسيع حرام إلا بيدا بيد
فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا
وجئى بدواة فكتب إليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برّنا فلا ولو أمهلتنا لم نقتل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل وتقول نحن كأننا لم نفعل

وروى أنه كان لثمانى على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد
فقال له طلحة قد تهبأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك . وقالت سمدي
بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت له مالك ؟ فقال اجتمع عندى مال وقد غمى فقلت
وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربعمائة ألف .
وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتغرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم ما سألتى بها أحد قبلك إن لى
أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلثمائة ألف فان شئت فاقبضها وإن شئت ببعتها من عثمان ودفعت إليك
الثنى فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن : وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما قليل ما يبكيك
فقال لم يأتى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانى . وآتى رجل صديقا له فدق عليه
الباب فقال ماجاء بك ؟ قال على أربعمائة درهم دين فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكى
فقال امرأته لم أعطيته إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاغى
فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة
ذكر الله تعالى وإذا
حصل الذكر فأى
حاجة إلى الصلاة
وسلكوا طرقا من
الضلال وركبوا إلى
أباطيل الخيال ومحو
الرسوم والأحكام
ورفضوا الحلال
والحرام وقوم آخرون
سلكوا في ذلك طريقا
أدتهم إلى نقصان الحال
حيث سلموا من
الضلال لأنهم اعترفوا
بالفرائض وأنكروا
فضل النوافل واعتروا
يسير روح الحال
وأهملوا فضل الأعمال
ولم يعلموا أن لله في
كل هيئة من الهيئات
وكل حركة من
الحركات أسراراً
وحكماً لا توجد في شيء
من الأذكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحسبن الذين يخفون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطر قوت ما غفلوا به يوم القيامة - وقال تعالى -
الذين يخفون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم
« إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (١) وقال
صلى الله عليه وسلم « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم
ودعاهم ققطوا أرحامهم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء
اللسنة » (٣) وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرء بنفسه » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يفيض ثلاثة
الشيخ الزاني والبخيل اللنان والميل المحتال » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل النفق والبخيل
كمثل رجاين عليهما جيتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما النفق فلا ينفق شيئا إلا
سبقت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلمت ولزمت كل
حلقة مكانها حتى أخذت بثراقيه فهو يوسعها ولا تتسع » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « خصيتان
لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من
البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر » (٨) وقال صلى الله عليه وسلم
« إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش ولا للتفحش
وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح أمرم بالكذب فكذبوا وأمرم بالظلم فظلموا
وأمرم بالقطيعة ققطوا » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بلفظ واتفقوا الشح فإن الشح الحديث ولأبي
داود والنسائي في الكبرى وابن جبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح
فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة ققطوا وأمرهم بالفجور
ففجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم
ودعاهم ققطوا أرحامهم الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح
على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء اللسنة وفي رواية ولا منان
أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر واللفظ لأحمد دون قوله ولا منان فهى عند الترمذي وله
ولا بن ماجه لا يدخل الجنة سيء اللسنة (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث
إن الله يفيض ثلاثا الشيخ الزاني والبخيل اللنان والفقر المحتال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر
دون قوله البخيل اللنان وقال فيه التني الظلوم وقد تقدم وللطبراني في الأوسط من حديث على إن
الله ليعض التني الظلوم والشيخ الجهول والمائل المحتال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل
النفق والبخيل كمثل رجاين عليهما جبة من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة
(٧) حديث خصيتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال
غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من
حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث
الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا
قال عوضا عنهما بالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

والأعمال روح وجسمان
وما دام الصبد في
دار الدنيا إعراضه
عن الأعمال عين
الطغيان فالأعمال تزكو
بالأحوال والأحوال
تنمو بالأعمال .

[الباب التاسع
والثلاثون في فضل
الصوم وحسن أثره]
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « الصبر نصف
الايمان والصوم نصف
الصبر » وقيل ما في عمل
ابن آدم شيء إلا
ويذهب برد للظالم
إلا الصوم فإنه لا يدخله
قصاص ويقول الله
تعالى يوم القيامة هذا
لي فلا ينقص أحد منه
شيئا . وفي الخبر
« الصوم لي وأنا أجزى
به » قيل أضافه إلى

« شر ما في الرجل شح هالغ وجبن خالغ (١) » وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت : واشبهاده فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه (٢) » وقال جبير بن مطعم « بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من خير إذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة غطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاء نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً (٣) » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال انهم يخبروني بين أن يسألوني بالفحش أو يخالفوني ولست ياخذ (٤) » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنبيا وقال معروفًا وشكرًا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قال فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت مائتين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني فينطلق في مسأله متأبطها وهي نار فقال عمر فلم تطعمهم ما هو نار فقال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل (٥) » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فجدوا بحمد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجهه رأسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان صدره اللئس ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقتله وجهه رأسه راسخا في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بفصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار (٦) » وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخيل (٧) »

وقد تقدم قبله بسبعة أحاديث ولمسلم من حديث جابر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فذكره بلفظ آخر ولم يذكر الفحش (١) حديث شر ما في الرجل شح هالغ وجبن خالغ أبو داود من حديث جابر بسند جيد (٢) حديث وما يدريك أنه شهيد فله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت ليهنك الشهادة وهو عند الترمذي إلا أن رجلاً قال له أبشر بالجنة (٣) حديث جبير بن مطعم بينما نحن لسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين علقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسماً الحديث وفيه ولست ياخذ ، مسلم (٥) حديث أبي سعيد في الرجلين اللذين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأنبيا وقال معروفًا الحديث وفيه ويأبى الله لي البخل رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري نحوه ولم يقل أحمد إنهما سألاه عن بئر ورواه البزار من رواية أبي سعيد عن عمر ورجال أسانيدهم ثقات (٦) حديث ابن عباس الجود من جود الله فجدوا بحمد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له في مسنده ولم أنف له على إسناد (٧) حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرج له في مسنده .

تسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضاً لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى - الصائمون - الصائمون لأنهم ساحتوا إلى الله تعالى بمجموعهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصائمون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم إفرافاً وبجازفة له مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال

وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فد بن لحيان من سيدكم يا بني لحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح^(١) » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس ، فقال بهم تسودونه؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنما على ذلك لثرى منه البخل فقال عليه السلام : وأي داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا لمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء » وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته^(٢) » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل^(٣) » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد^(٤) » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشيخ أندر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل^(٧) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفة لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لا تحرقني بنارك فو الذي بعني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألقى ألف عام ثم بكيت حتى تجرى من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لثيم لأكبك الله في النار ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون -^(٨) » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

يحيى بن معاذ إذا
ابتلى للريد بكثرة
الأكل بكت عليه
اللائكة رحمة له ومن
ابتلى بحرص الأكل
قد أحرق بنار الشهوة
وفي نفس ابن آدم
ألف عضو من الشر
كلها في كف الشيطان
متعلق بها فاذا جوع
بطنه وأخذ حلقه
وراض نفسه بيس كل
عضوا واحترق بنار
الجوع وفر الشيطان
من ظله وإذا أشبع
بطنه وترك حلقه
في لذائذ الشهوات فقد
رطب أعضائه وأمكن
الشيطان ، والشبع نهر
في النفس تزده
الشياطين والجوع
نهر في الروح تزده
اللائكة وينهزم
الشيطان من جائع نائم
فكيف إذا كان

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن (٢) حديث علي إن الله يفيض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده ولم أجده إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخى وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد النساء وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشيخ أندر من الظالم وأي ظلم أظلم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده بتامه وللترمذي من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في ذم البخل وفيه قال إليك عني لا تحرقني بنارك الحديث بطوله وهو باطل لأصل له .

جنة عدن قال لها تزيني قزينت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السليل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الحمروأنهار السبل واللين ثم قال لها أظهرى سرورك وحبالك وكراسيك وحليك وحللك وهور عينك فأظهرت فظفر إليها قال تكلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لأأسكنك بجحلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز : نف لبخيل لو كان البخل قيسا ما بسته ولو كان طريقا ما سلكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا تصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله بقوم شرًا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان عضوض بعض الموسر على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى—ولانتموا الفضل بينكم — وقال عبد الله بن عمرو الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على مافي يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يده . وقال الشعبي لأدري أيهما أهد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من ألقى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرفعة متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا ، وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النجحة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه . وقال الضحاك في قوله تعالى — إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا— قال البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم عجل لمسك تلقا وعجل لمنفق خلفا . وقال الأصمعي سمعت أعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عيني وكأنيما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لأرى أن أعدل بخيلا لأن البخل يعمل على الاستتاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يفتن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واقه ما استقصى كريم قط حقه . قال الله تعالى — عرّف بعضه وأعرض عن بعض — وقال الجاحظ ما بقي من اللذات إلا ثلاث ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب . وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل ^(١) » . « ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا قال فما خيرها إذا ^(٢) » وقال بشر : النظر إلى البخيل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : مافي القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا أو لابلخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارا . وقال ابن المعتز أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له يا إبليس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمن البخيل وأبغض الناس إلى الفاسق السخي قال له لم قال لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

(حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعا بعض جيرانه وقدم إليه طباهاجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث انك لبخيل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول العراقي إنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره راو ولم يخرج الشارح أيضا في نظرا .

قائما وبانق الشيطان شعبانا قائما فكيف إذا كان قائما قلبه للريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب دخل رجل إلى الطيالى وهو يأكل خبزا يابساقده بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال أدعه حتى أشتهيه وقيل من أسرف في مطعمه ومشربه يبخل الصغار والذل إليه في دنياه قبل آخرته وقال بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء وقال بشر إن الجوع يصفى الفؤاد ويعت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبت

وجعل يشرب الماء فاستمع بطنه ونزل به السكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك : تقياً ما أكلت فقال هاه أتقياً طباهجة بيض الموت ولا ذلك، وقيل أقبل أعرابي يطلب رجلاً وبين يديه تين فعطى التين بكسائه فجلس الأعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً قال نعم فقرأ والزيتون وطور سينين فقال وابن التين قال هو تحت كسائك . ودعا بعضهم أخاه ولم يطعمه شيئاً فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العمود وقال له بجياني أي صوت تشتهي أن أصمك قال صوت المقل . ويعني أن محمد بن يحيى ابن خالد بن برمك كان بجيلاً قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قائل صف لي مائدته فقال هي قتر في قتر وسحافة منقورة من حب الحشخاش قيل لمن يعرضها قال الكرام السكاتبون قال فما يأكل معه أحد قال بلى الذباب فقال سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك محرق قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوء الإبرائم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوت النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل . ويقال كان مروان بن أبي حفصة لياً كل اللحم بخلا حتى يقرم إليه فاذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له نراك لا تأكل إلا الرءوس في الصيف والشتاء فلم يختر ذلك قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغتني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه إذ مس عيناً أو أذناً أو خذاً وقتت على ذلك وآكل منه ألواناً عينه لونا وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ودماغه لونا وأكفي مؤنة طبخه فقد اجتمعت لي فيه مرافق وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجزيرة فقال إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستين ألفاً فأعطاهم أربعة دنانق واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان لا يزال يمرض عليه المنزل ويقول : لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فأبى عليه الأعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرّب إليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه المسئلة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب وإلا والله خرجت إليك بالعصا قال فدعاه الأعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ماريت أحداً أصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فوالله مازادني عليهما .

(بيان الإيثار وفضله)

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإيثار السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه المحتاج أو لتغير محتاج والبذل مع الحاجة أشد وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يسك المال ويعرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعها منها إلا البخل بالتمن ولو وجدها مجاناً لأكلها ، فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء ، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أيعا امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن بهن مات ميتة رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيثار، والسخاء، والوفاء، وأبو الشيخ

ولا شربت حتى رويت
الإعصيت الله وأوممت
بعمصية . وروى القاسم
ابن محمد عن عائشة
رضي الله عنها قالت :
كان يأتي علينا الشهر
ونصف شهر ما تدخل
بيتنا نار للمصباح
ولا نغيره قال قلت
سبحان الله فبأي
شيء كنتم تعيشون
قالت بالتمرو والماء، وكان
لنا جيران من الأنصار
جزاهم الله خيراً كانت
لهم منافع فربما واسونا
بشيء . وروى أن
حفصة بنت عمر رضي
الله عنها قالت لأبيها
إن الله قد أوسع الرزق
فلو أكلت طعاماً
أكثر من طعامك
ولبست ثياباً ألبين من
ثيابك فقال إني
أخاصمك إلى تفسك

حق فارق الدنيا ولوشئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) و نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم ونزلت - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) و فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى - وإني لأعلم خلقاً عظيماً - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمه فقال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منازل جليظة عظيمة فضلتها بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشفت له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف نفسه من أنوارها وقرنها من الله تعالى فقال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإيثار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبه وبوأته من جنحي حيث يشاء . وقيل خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى السلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال لما أنت صانع اليوم قال أطوى يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووجه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكا يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحبها ، فأوحى الله عز وجل اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبط إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول يخرج من مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى - ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع

لم يكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لعلني أصيب بعيشة الرخاء . وقال بعضهم ما نخلت لعمري دقيفاً إلا وأنا له عاص . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله . وقالت عائشة رضي الله عنها : أدبوا قرع باب الملكوت يفتح لكم ألوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظمأ . وقيل ظهر إليس ليحي بن زكرياء عليهما السلام وعليه ممالق قال فقال ما هذه قال

في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشئنا لشبعنا ولكننا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلفظ ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلفظ ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله وللشيخين ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

عنده نيف وثلاثون نسما وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئا إشارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فترزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعى شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا أنا به قلت أسقيك فأشار إلى أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه فجلسه فاذا هو هشام بن العاص قلت أسقيك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به إليه فجلسه فاذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فاذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين . وقال عباس بن دهقان : ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا جسر بن الحرث فانه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزرع قميصه وأعطاه إياه واستمار ثوبا ثلمات فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فبقعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة مية فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب إلى لبيته رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجاء إلى تلك البيته وقعد ناحية ووقعت الكلاب في البيته لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت البيته وبق العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلا ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الاعادة ههنا وباقة التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

(بيان حد السخاء والبخل وحققتهما)

لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا ؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حبا للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك أحد عن البخل وإذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الامساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة ونوابها فنقول : قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم مثلا إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فانه يعد بخيلا بالانفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في قطعة ازدادوها عليه أو تمررة أكلوها من ماله يعد بخيلا ومن كان بين يديه رغيف لخضر من يظن أنه يأكل معه فأخضاه عنه عد بخيلا وقال قائلون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالخبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستعرق جميع ماله أو المال العظيم فهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطلة بلا من وإسراف من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى - ومن الناس من يسرى نفسه ابتغاء مرضات الله - أحمد مختصرا من حديث ابن عباس سرى على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم تقف لهمة الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منسك .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لا غير أنك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والله كره فقال لا جرم إنى لا أشبع أبدا قال إبليس لا جرم إنى لا أنصح أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الحلوة والآنها الجوع . وقال لقمان لابنه إذا ملكت للعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لا تجتمعوا بين الأدميين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للبريد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤيه التقليل . وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤيه أن المال لله تعالى والعبء لله عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤيه الفقر وقيل من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل، وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالإمساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الإمساك تبذير وبينهما وسط وهو الحمد وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً - فالجود وسط بين الاسراف والافتقار وبين البسط والقبض وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصارها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله . فأقول: إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمرءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المرءة فان منع واحداً منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يشق عليه فانه بخيل بالطبع وإنما يتسخي بالتسكف أو الذي يتيم الحبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطى من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب المرءة فهو ترك الضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقيم واستباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استقبح منه مالا يستقبح من الفقير من الضايقة ويستقبح من الرجل الضايقة مع أهله وأقاربه ومما ليك مالا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار مالا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضايقة من الضايقة مالا يستقبح في المعاملة فيختلف ذلك عافيه من الضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به الضايقة من طعام أو ثوب إذ يستقبح في الأظمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلاً وشراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من الضايقة وكذلك بمن معه الضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي وبمن منه الضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المرءة وذلك لا يمكن التخصيص على مقداره ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال فان صيانة الدين أهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المرءة أهم من حفظ المال والضايق في الدقائق مع من لا تحسن الضايقة معه هاتك ستر المرءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المرءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس يبخل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيام فان النفس عند ذلك تركز إلى العادة وتتسع بالثبوت . وقيل الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « ماملأ آدمى وعاء شراً من بطن حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه فان كان لا محالة قلت لطعامه وثلاث لشرايه وثلاث لنفسه » وقال فتح الوصلى : صحبت ثلاثين شيخاً كل يوصيني عند مفارقتي إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

[الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار]
جمع من للشايع

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج لمنعه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس طى غيرها ويحتاج استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الرواة الاثقة به فقد تبرأ من البخل ، نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبدل زيادة طى ذلك لطلب الغضبة ونيل الدرجات فاذا اتعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجه الشرع ولا توجه إليه للامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطناع المعروف وراء ما توجه العادة والرواة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو يباع وليس بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ولكنه إذ لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهباء مثلا أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من تقعيناله من اللتم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض معجلة له عليه فهو معترض لاجواد كما روى عن بعض التعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لها سلى عماءت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهه قالت تريدون طى ذلك أجرا ؟ قالوا نعم قالت وإل فالوالأن الله تعالى وعدنا بالحسنه عشر أمثالها قالت سبحانه الله فاذا أعطيتم واحده وأخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قالوا لها فما السخاء عنكم يرحمك الله قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متممين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون طى ذلك أجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطاع طى قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئا بشئ إن هذا في الدنيا لتيسيح وقالت بعض التعبدات أعجبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط قيل فقيم قالت السخاء عندي في الهج وقال الحاسبي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تلفها لله عز وجل ويسخو قلبك يبذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه ولا ترديد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحزن أن تختار لنفسك.

(بيان علاج البخل)

اعلم أن البخل سببه حب المال وحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فان الانسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب وإن كان قصر الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فانه يقدر بقاوم كبقاوم نفسه فيمسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد مبخلة محبنة محبلة »^(١) فاذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بحجى الرزق قوى البخل لا محالة. السبب الثاني : أن محب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر طى ما جرت به عادته بنفقته ونفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بدأواة نفسه عند

(١) حديث الولد مبخلة زاد في رواية عجزنة ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محبنة رواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبراز من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح.

الصوفية كانوا يديعون الصوم في السفر والحضر طى الدوام حتى لحقوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهسد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المرید صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما وبدع للافطار جانبا فهو عون حسن له طى ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعقد تسعين » أى لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

المرض بل صار محبا للدنانير عشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرة عليه فيكترها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبار السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذيذ لذبتهم قد نسي الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقافوه جاهل بالإمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر وتعالج طول الأمل بكثر ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبه في جمع المال وضياعه بعدم وتعالج التفتت القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه وكف من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن بمن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شروان ولده إن كان تقيا صالحا فأنه كافيه وإن كان فاسقا فيستعين بماله على العصية وترجع مظلمته إليه ويعالج أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء وقررة الطبع عنهم واستباحتهم له فانه ما من بخيل إلا ويستبجح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج أيضا قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لما ذاخلق ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان عاقلا فان تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الحاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصدده عنه . حكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الحلاء فدعا تلميذاه وقال ازرع عني القميص وادفنه إلى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تغيب وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفا كما يزول المشق إلا بمفرقة المشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل فينبغي أن يفارق المال تكلفا بأن يبذله بل لورماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه أن يمدح نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ولكن يعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بملاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالمصافير وغيرها لا يخلى واللعب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة فينبغي أن يسلب بعضها على بعض كالتسليط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رغوتها به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقام من علة ويزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يتقل عليه البذل لأجل الرياء فيبذل يتبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها

في ذلك مارواه أبو قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بمن صام الدهر قال «لا صام ولا أفطر» وأول قوم أن صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذي يكره وإذا أفطر هذه الأيام فليس هو الصوم الذي كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد «أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما» واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكون بين حال الصبر وحال الشكر . ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم

ثم يأكل بعضها بضاحق ترجع إلى اثنتين قويتين عظيمتين ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداها الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لا تزال تبقى جائمة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يجمعها ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ثم تقع الضاربة بمحوها وإذا تبنا بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يصل مقتضاها فاتها تقتضي لامحالة أمحالا وإذا خولقت خدمت الصفات وماتت مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا وسقط التعب فيه فإن علاج البخل بعم وعمل فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في الريدين أن يمنهم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مريد فرحه بزأوته وما فيها نقله إلى زاوية غيرها ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإذ آراه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بفساخيها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل إليه قلبه فهذا يحتاج إلى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألت به مصيبة بقدر حبه فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد ساب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك . حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو قبرا قال كيف قال إن كسر كان مصيبة لا يجبر لها وإن سرق صبرت فقيرا إليه ولم تجدمثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقير ثم اتفق يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال صدق الحكيم لئنه لم يعمل إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار وعدوة أولياء الله إذ تمنهم بالصبر عنها وعدوة الله إذا تقطع طريقه على عباده وعدوة نفسها فأنتم تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالحزائن والحراس والحزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدرهم والدنانير فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفتى ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس يبخل ولا يحتاج إليه فلا يتمب نفسه بحفظه فيذله بل كالنساء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة.

(بيان مجموع الوظائف التي على الصبر في ماله)

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقق ويستخرج منها الترياق ويأخذها القافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود المال وأنه لما ذاخلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتب ولا يحفظ إلا قدر الحاجة ولا يبطيه من همته فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان ويحتب الجهات المكروهة الفاحشة في ناروة كالهذايا التي فيها شوائب الرشوة والسؤال الذي فيه الدالة وهتك الروءة وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدير الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى وما دام ما مثلا إلى جانب القلة ومترامن حد

يوما ويخطر يومين
ومنهم من كان يصوم
يوم الاثنين والخميس
والجمعة . وقيل : كان
سهل بن عبدالله يأكل
في كل خمسة عشر يوما
مرة وفي رمضان يأكل
أكلة واحدة وكان
يفطر بالماء القراح
للسنة . وحكى عن
الجنيدي أنه كان يصوم
على الدوام فإذا دخل
عليه إخوانه أفطروهم
ويقول ليس فضل
الساعدة مع الإخوان
بأقل من فضل الصوم
غير أن هذا الاقطار
يحتاج إلى علم فقد
يكون الداعي إلى ذلك
شره النفس لا نية
الموافقة وتحليص الية
لمحض الموافقة مع
وجود شره النفس
صعب ، وصممت شيئا

الضرورة كان حقا وبهي من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابعة : أن يراعى جهة الصرح ويقصد في الاتاق غير مبذر . ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يرضه في غير حقه فان الالم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك والاتاق والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو ميامين على العبادة فان أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقه وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قيس وإزار وفراش وآنية لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمتعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترباها واتقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتأني ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامى إذا تشبه بالعامى في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى للزعم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترباها فيقتدى به ويظن أنه أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيأخذها اقتداء به فقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قتيل :

هي دنيا كحبة تفتت السم وإن كانت الحبة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلال الجبال وأطراف البحر والطرق المشوكة لفعال أن يتشبه العامى بالعامى الكامل في تناول المال .

(بيان ذم التنى ومدح الفقر)

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل التنى الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكننا في هذا الكتاب ندل أن الفقر أفضل وأهل من التنى على الجملة من غير التفات إلى تخصيص الأحوال وتقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث الهاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والهاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم العمامة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء : بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تصلون ماتومرون وتدرسون مالا تعملون فيأسوء ما تمحكون بتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما ينسى عنكم أن تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى القلب في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للدجلين وتقيمون في محل التعبين

يقول لى سنين ما أكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى التنى فأراه من فضل الله ونعمته وفضله فأوافق الحق في قطه . وذكر أنه في ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر من عاداته تقديم الطعام إليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنسور وأخذت رمانة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لى على تصرفى فى أخذ الرمانة . ورأيت الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام فى اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى أن تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار فى ما كوله وملبوسه

كانكم تدعون أهل الدنيا ليركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا ينشئ عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحسن مظلم كذلك لا ينشئ عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة متطلعة بإعييد الدنيا لا كسيد أقباه ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تغلظكم عن أصولكم فتلقكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك الهيبان عرأة فرادى فيوقصكم على سواكم ثم يمزجكم بسوء أعمالكم . ثم قال الحرث رحمه الله إخواني فهؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وعين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يصفو الكرم فضله [وبعده] فاني رأيت المالك المؤثر للدين سروره بمزوج بالتنصيص فيتفجر عنه أنواع الموموفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برجائه فلم يبق له ديناه ولم يسلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحمران المبين - فيالها من مصيبة ما أظلمها ورزية ما أجهلها الأفراحيوا الله إخواني ولا يفرنكم الشيطان وأولياؤه الأنسين بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأقسهم الماذير والحجج ويزعمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيترين المترورون بذكر الصحابة ليعنرهم الناس على جمع المال وتقدمهم الشيطان وما يشعرون ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قهلك لأنك متى زعمت أن أخبار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والكثرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أطل وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرحلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أطل من تركه فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح للأمة إذنهاهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة ناصحا وعليهم مشققا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يسلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليهم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون تدبر بقلبك ما ذهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ودَّ عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتا ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نحاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تحافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأنفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مضطبا يريد كعبا فمرَّ بمظلم لمحي بعير فأخذ يده ثم انطلق يريد كعبا قيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث التهي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين الحديث ولأبي نعيم والحطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث الحرث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون وكلاهما ضعيف .

و جميع تصاريغه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يرمثلها حتى قل أنه كان يبق أياما لا يأكل ولا يلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلى تناول شيء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب والسلامة وكانوا يتكفون الأطعمة ويأتون به إليه وهو يرى في ذلك فضل الحق والواقعة . سمته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتي الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله . وحكى عن بعض

أبي ذرٍّ فقال له أبو ذرٍّ هيه يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً نحو أحد وأنا معه فقال « يا أبا ذرٍّ قلت لبيك يا رسول الله فقال : الأكترون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وعن يمينه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا أبا ذرٍّ قلت نعم يا رسول الله بآبي أنت وأمي ، قال ما يسرني أن لي مثل أحد أشفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا أبا ذرٍّ أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من الغنمين فضجت للدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلميين يدخلون سعيًا ولم أر أحدًا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم حبوا (٢) » فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحررا لعل أن أدخلها معهم سعيًا وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف « أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا (٣) » ويحك أيها الفتون فما احتججتك بالسال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره بالجنة (٤) أيضا يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصداً وأعطى في سبيل الله سمحا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحب في آثارهم حبوا . فساظنك بأمثالنا العرق في فنن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشهوات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة وتقلب في فنن الدنيا ثم تحتج ببعد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذرٍّ الأكترون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب بن جابر عن عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذرٍّ عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد الهامسي بلقي كاذكره للصف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا اللفظ كعب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفع أبو ذرٍّ عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي ذهب الحديث وفيه ابن لهيعة (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين والسلميين ثمنا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل حبوا دون ذكر قراء المهاجرين والسلميين وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كدت أن تدخلها إلا حبوا البراز من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالد بن أبي مالك ضعفه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأنه صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم قد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بمواقفة العلم إمضاء الصوم قال الله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيها يفعلون فلا يمارضون والصدق

أنك إن جمعت المال قد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلمهم ويعحك إن هذا من قياس
إيليس ومن قتياء لأوليائه وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف ضائعحك وفضل الصحابة
ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتخفيف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا
وأكلوا طيبا وأنفقوا قصدا وصدقوا فضلا ولم ينعوا منها حقا ولم ييغفلوا بها لكنهم جادوا الله
بأكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيرا فبأنه كذلك أنت والله
إنك لبعيد الشبه بالقوم [وبعد] فإن أخيار الصحابة كانوا للسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين
وبأنه في أرزاقهم واثقين وبقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي
الضراء صابرين وفي السراء حامدين وكانوا الله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لينالوا
من الدنيا إلا الباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارها وتجرعوا مرارتها
وزهدوا في نعيمها وزهراتها فبأنه كذلك أنت . ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم
حزنوا وقالوا ذنب عجبت عقوبته من الله وإذا رأوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشمار الصالحين وبلغنا
أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبا حزينا وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح
فرحا مسرورا قيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا وأنت
لست كذلك قال إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذا كان لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم أسوة وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذا لم يكن لي باك محمد أسوة وبلغنا أنهم كانوا إذا
سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا مالنا وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف
وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه أحوال السلف ونعمهم
وفهم من الفضل أكثر مما وصفنا . فبأنه كذلك أنت إنك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف لك
أحوالك أيها الفتون ضدا لأحوالهم وذلك أنك تطغى عند القنى وتبطر عند الرخاء وتمرح عند
السراء وتفعل عن شكر ذي النعماء وتفنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء
نعم وتبغض الفقر وتأنف من السكنة وذلك غر الرسلين وأنت تأنف من غرهم وأنت تدخر المال
وتجعله خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به إيما وعساك
تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« شرار أمي الذين غدوا بالنعيم فربت عليهم أجسامهم (١) » وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ليحيى .
يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم - أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها - وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فبأنها حسرة ومصيبة نعم وعساك
تجمع المال للتكاثر والعلو والفقر والزينة في الدنيا . وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر
أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وأنت غير مكترث بما حلّ بك من غضب ربك حين أردت
التكاثر والعلو نعم وعساك الكثرة في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله فأنت تكره
لقاء الله والله لقاتلك أكره وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا . وقد بلغنا
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أسف على دنيا فاتته اقرب من النار مسيرة شهر وقيل
سنة » وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله نعم ولعلك تخرج من دينك
أحيانا لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها . وقد بلغنا أن رسول الله

محمد لعينه كيف كان
والصادق في خفارة
صدقه كيف قلب وقال
بعضهم إذا رأيت
الصوفى يصوم صوم
التطوع فاتهمه فانه قد
اجتمع معه شيء من
الدنيا . وقيل إذا كان
جماعة متواقين
أشكالا وفيهم مرید
يحثونه على الصيام فان
لم يساعدهم يهتوا
لافطاره ويتكلفوا له
رفقابه ولا يعملوا حاله
على حالهم وإن كانوا
جماعة مع شيخ
يصومون لصومه
ويفطرون لافطاره إلا
من يأمره الشيخ بغير
ذلك . وقيل إن بعضهم
صام سنين بسبب شاب
كان يصحبه حتى ينظر
الشاب إليه فيتأذب
به ويصوم بصيامه .

(١) حديث شرار أمي الذين غدوا بالنعيم الحديث تقدم ذكره في أوائل كتاب فم البخل عند
الحديث الرابع منه من أسف على دنيا فاتته اقرب من النار مسيرة سنة .

صلى الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه»^(١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تضي بأمور دنياك أضعاف ما تضي بأمور آخرتك وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك منهم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للموت والرفعة في الدنيا وعساك ترضى المخلوقين مسأخطينه تعالى كما تكرم وتمظم ويحك فكان احتقار الله تعالى لك في القياس أهون عليك من احتقار الناس إياك وعساك تخفى من المخلوقين مساويك ولا تكثر باطلاع الله عليك فيها فكان الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس فكان العيب أظلم عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تنطق عند ذوى الأبواب وهذه الثابت فيك أف لك متلوئا بالأقذار وتحتج بحال الأبرار هيئات مابعدك عن السلف الأخيار والله لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوبات عندهم وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاما منكم لكبار لغاصي فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم وليتك أشفتك من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل ليت صومك على مثال إفتارهم وليت اجتهادك فى العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهتهم ما زوى عنهم منها إن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة فى الموت عند الله وفريق أمثالك فى السفالة أوعفوا الله الكريم بفضلهم [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل فى سبيل الله فتدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم أو تحسب أنك محتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغني أن بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن تقع فى باب من الحرام أنتطمع من تصك فى مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليؤصك بسبب البر فى اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام»^(٢) أيها القرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أظلم وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها فى سبيل الله وسبيل البر بلفنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن تدع درهما واحدا مخافة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أحل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالغا فى الورع فلا تعرض للحساب فان خيار الصحابة خافوا للسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها فى طاعة الله ولم يشفاني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمتك الله؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن
الملكى أنه كان يصوم
الدهر وكان مقيا
بالبصرة وكان لا يأكل
الحبز إلا ليلة الجمعة
وكان قوته فى كل شهر
أربع دوانق يعمل
يسده جبال الليف
ويبيعها وكان الشيخ
أبو الحسن بن سالم
يقول لا أعلم عليه
إلا أن يفرط ويأكل
وكان ابن سالم أتجه
بشهوة خفية فى ذلك
لأنه كان مشهورا
بين الناس وقال
بعضهم ما أخاص الله
عبد قط إلا أحب أن
يكون فى جب لا يعرف
ومن أكل فضلا من
الطعام أخرج فضلا
من الكلام وقيل أقام
أبو الحسن التيسى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلافا للحارث بن أسد الهاشمى كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع فى الحرام متفق عليه من حديث الزمان بن بشر نحوه وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفي أى شيء أنفقت فهو لاء التتقون كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال ويحك أين الحلال تجدهم [ووجد] فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند النفي قلبك وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتزكاه مخافة أن يفسد قلبه أتطمع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الخلق في أمرك وأحوالك لأن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمانة بالسوء ويحك إني لك ناصح أرى لك أن تقع بالباطل ولا تجمع المال لأعمال البر ولا تعرض للحساب فإنه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقش الحساب عذب »^(١) وقال عليه السلام « يؤتى رجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفق في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حلال وأنفق في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى رجل قد جمع مالا من حرام وأنفق في حلال في طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت على فيقال للملك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو توب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباه في شيء فيقال للملك منمت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوى القربى واليتامى والسالكين وابن السبيل فيقول لا يارب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئا مما فرضت على ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتى أن أعطيه قال فيجيب أولئك فيخاصمونهم فيقولون يارب أعطيتهم وأغنيته وجملته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يخل في شيء فيقال قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يستل^(٢) ويحك فمن ذا الذى يتعرض لهذه المسألة التى كانت لهذا الرجل الذى تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بمحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا العرقى في فتن الدنيا وتخالطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لأجل هذه المسائل يخاف التتقون أن يتلبسوا بالدين يافرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوءة فإن آبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع للمال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئا من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من سرارك وعلايتك ويحك فإن كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغى لك أن ترضى بالبلغة وتعزل ذوى الأموال إذا وقفوا للسؤال وتسق مع الرعيلى الأول في زمرة المصطفى لا حبس عليك لامسألة والحساب فإملاسلامة وإما عطب ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صمالك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بمخمسائة عام »^(٣) وقال عليه السلام « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا خبز بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فرآه إنسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضه بين يدي القوم فقال الشيخ من جن منكم هذه الجنابة فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنابتك ورفقك فقال أنا تائب من جنابى فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر روى أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض أسود جسده من أثر العصية فلما تاب الله عليه أمره أن

(١) حديث من نوقش الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم (٢) حديث يؤتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأنفق في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار الحديث بطوله لم أقف له على أصل (٣) حديث يدخل صمالك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بمخمسائة عام الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ فقراء مكان صمالك ولهما وللنساء في الكبرى من حديث أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة باربعين خريفا .

فياً كلون ويتمتعون والآخرون جناة على ركبهم فيقول قبلكم طلبى أتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قال ما سرتني أبني حمر النمل ولا أكون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المتقين في زمرة الرسلين عليهم السلام وكونوا وجلين من التخلف والانتطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل المتقين لقد بلغني « أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خفتته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له أكل هذا من أجل هذه الشربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وماعه أحد في البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قلت له فذاك أبى وأسى ما أرى بين يديك أحدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بمنقها ورأسها فقالت لى يا محمد خذنى قلت إليك عنى فقالت إن تتج منى يا محمد فإنه لا ينجو منى من جحك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتنى فقلنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا أن تظلمهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك أنت في أنواع من النمل والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانتطاع أف لك ما أعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للصطفى لنظرن إلى أهوال جزعت منها اللأمكة والأنبياء ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك العحاق ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل ولئن رضيت بأحوال التخلفين لتظلمن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم التتمين ولئن خالفت أحوال المتقين لتكوتن من المتبسبين في أهوال يوم الدين قد بروحك ما سمعت [وبعد] فان زعمت أنك في مثال خيار السلف فقم بالقليل زاهد في الحلال بنول المسالك مؤثر في نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً. لقدك مبغض للتكأر والنفي راض بالفقر والبلا فرح بالقلية والسكنة مسرور بالذل والضمه تكاره للعلو والرفعة قوى في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توفى في المسألة ولن يحاسب مثلك من التقيين وإنما تجمع المال الحلال للبدل في سبيل الله ويحك أيها الغرور قد تبر الأمر وأمن النظر أماغدت أن ترك الاستتغال بالمسال وفراغ القلب للتذكر والتذكر والتذكرو والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للشواب وأطى لقدرك عند الله أضغافاً بلضاعن بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلاً في حجره دنائير يعطيها والآخريه ذكر الله لكان الذا كراً أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه وأما الآخر فإنه جانبها فلم يظهرها ولم يتناولها فأيهما أفضل قال بعيد واقه ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا طى من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاستتغال بالمسال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لعمومك لما عذررك في جمع المسال وأنت بترك المسال أفضل ممن طلب المسال لأعمال البر نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المسال في سبيل الله

يصوم أيام البيض
فايض ثلث جسده
بكل يوم صامه حتى
ايض جميع جسده
بصيام أيام البيض
ويستحبون صوم
النصف الأول من
شعبان وإفطار نصفه
الأخير وإن واصل بين
شعبان ورمضان فلا
بأس به ولكن إن
لم يكن صام فلا يستقبل
رمضان ييوم أو
يومين وكان يكره
بعضهم أن يصام رجب
جميعه كراهة المضاهاة
برمضان ويستحب
صوم العشر من ذى
الحجة والشهر من
المهرم ويستحب الخميس
والجمعة والسبت أن
يصام من الأشهر الحرام
وورد في الخبر من صام
ثلاثة أيام من شهر

(١) حديث يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أر له أصلاً
(٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بشربة من ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فدعا بسراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف

فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل . [وبعد] فلو كان في جمع للمال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسى بنبيك إذ هداك الله به وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما صحت وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء الصلطي ساجدا إلى جنة لأوى فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولم يقدر على أن يكتب ما يفي به مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (١) » ألا يا أخى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فانك مبطل فيها ادعت أنك لبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمة والتمظم والتكرمة تجمعه ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال ويحك راقب الله واستحي من دعوالك أيها التورور ويحك إن كنت مفتونا بحب المال والدينا فكن مقرأ أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول ، نعم وكن عند جمع المال من رباطي نفسك معترفا بأساءتك وجلا من الحساب فذلك أنجي لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجاج لجمع المال . إخواني اعلو وأن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في الباح لهم وعن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر المورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه [وبعد] فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وأين لنا مثل ضائرهم وحسن نياتهم دهبنا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها وعن قريب يكون الورود في مساعدة المؤمنين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على النفي ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب التقوى والزهد ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أمالك في أسوة أما نرضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأخذ غنا فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتحنى عنها فقلز واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر في الجماعة ويدع ما... واهم ثم نمت وكثرت فتحنى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله أخذ غنا فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم - وأزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذوا الصدقة من السلمين وقال مرآ ثعلبة بن حاطب وبخلان رجل من بني سليم وخذنا صدقاتهما وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء الحديث عزاه صاحب مستند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة الفقراء في الجنة الحديث ولم أره في معاجم الطبراني

حرام الخيس والجمعة
والسبت بعد من النار
سبعائة عام .
[الباب الحادى
والأربعون في آداب
الصوم ومهامه]
آداب الصوفية في
الصوم ضبط الظاهر
والباطن وحكف
الجوارح عن الآثام
كنع النفس عن الطعام
ثم كف النفس عن
الاهتمام بالأقسام صحت
أن بعض الصالحين
بالدراق كان طريقه
وطريق أصحابه أنهم
كانوا يصومون وكلما
فتح عليهم قبل وقت
الافطار يخرجونه ولا
يفطرون إلا على ما فتح
لهم وقت الافطار
وليس من الأدب أن
يسك المرید عن
الباح ويفطر بحرام

غرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلاجزية ماهذه إلاجزية ماهذه إلاأخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى فانطلقا نحو السلمي فسمع بهما قام إلى خيار أسنان إليه فزلهما للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لايجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بلى خذوها نفي بهاطية وإغماهي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا ثعلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأها قال يوجب ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسلمي فأخبراه بالنبي صنع ثعلبة وبالذي صنع السلمي فأزل الله تعالى في ثعلبة - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله تجلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لاأم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله مني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان (١) فهذا طغيان اللال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة القفر وشؤم النبي آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم القفر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقتت معي حتى وقتت ياب منزل فاطمة ففرغ الباب وقال السلام عليكم أدخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله فقال عمران بن حصين فقالت والذي بئسك بالحق نياما على الإعباء فقال اصنعي بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف برأسي فألقى إليها لامة كانت عليه خلفه فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجمة وزادني وجما على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أجهدني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكبا وقال لها أبتري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين أمية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران فقال أمية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لأذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بأبن عمك فوالله لقد زوتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (٢) و

الآدم قال أبو الدرهان ياخذنا نوم الأكياس وفطرم كيف يبنون قيام الحقي وصيامهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال القترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقال الطعام عن الحد القدي كان يأكله وهو مفطر وإلا فإذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها ما فوته مقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم أن الاتساع على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها أنها إذا

(١) حديث أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا أمية قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه الحديث بطوله الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة لم أجده من حديث عمران ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل لك في فاطمة تعودها الحديث وفيه أما ترضين أن زوجتك أقدم أمي سلما وأكرهم

فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وترك المال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوقى من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال الملم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال ، وقد روى عن جرير عن ليث قال سأل رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك وأصحبك فانطلقا فاتبيا إلى شط نهر جلسا يتعذبان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدرى قال فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية ودعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فاتياه فدبجه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدرى ثم اتبها إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدرى فاتبها إلى مغارة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث لي وثلاث لك وثالث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فاتبها إليه رجلان في المغارة ومعهم المال فأراد أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابشوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنى أضع في هذا الطعام مما فأقتلها وأخذ المال وحدى قال ففعل وقال ذاك الرجل لأى شيء نجعل لهذا ثلث للمال ولكن إذا رجع قتلنا واقتنمنا للمال بيننا قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا نبق ذلك المال في المغارة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمريم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فإذا أصبحوا تمهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتنى فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتينى فأبيت فيها أنا قد جئت فقال لو كان لي إليك حاجة لأيتتكم فقال له ذو القرنين مالى أراكم على حالة لم أرا أحد من الأمم عليها قال وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا أخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم كرهناها لأن أحدنا لم يعط منها شيئا إلا نأقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالكم قد احتفرت قبورا فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنتموها وصليم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منتعنا قبورنا من الأمل . قال وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا أخذتم البهائم من الأنعام فاحتاتتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاغا وإنما كفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وإنما ما جاوز الحنك من الطعام لم نجده طعاما كأنما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال إذا القرنين أتدرى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فقتلهم وظلم عتاق فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول

علما وأعظمهم حلما وإسناده صحيح .

أفهرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحواله فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الحيز لأهل الله تعالى يجب رعايته واقتضاه ولا يخفى بعلم الضرورة وفائدتها وطبها بالإعبد إيرادها تعالى أن يقربه ويدينه ويصطفيه ويريه ويمتتع في صومه من ملاعبة الأهل واللامسة فإن ذلك أزه للصوم ويتسحر استعمالا السنة وهو أدمى إلى إفضاء الصوم لمعينين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على

جمجمة أخرى بالية فقال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لأدرى ومن هو قال هذا ملك مملكتك الله
بمنه قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من النعم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يحز به في آخرته ثم أهوى إلى جمجمة
ذى القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين
هل لك في صحبتي فأخذك أنا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هنا المال قال ما أصلح أنا وأنت في
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال
ولم قال يادونك لما في يدك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يناديني لرفضي لك ولما عدى
من الحاجة وقت الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متحجبا منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدل على
آفات التي مع ما قدمناه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم السالك والبخل بحمد الله تعالى وعونه ، ويليهِ كتاب ذم الجاه والرياء .)

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام الغيوب ، المطلع على سرائر القلوب ، المتجاوز عن كباثر القنوب ، العالم بما يحنه الضمائر
من خفايا الغيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى
وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا ، فإنه المنفرد بالملكوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه البرئين من الحيانة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .
[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة
الحنفية التي هي أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ^(١) » ولذلك عجز عن الوقوف
على غوائلها محاسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والأتقياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن
مكائدها وإنما يتلى به العلماء والعباد والشعرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة فاتهم بها قهروا
أنفسهم وجاهدوها وقطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات
عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير
وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لغة التبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار
والتعظيم فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تقع باطلاع الخلق وفرحت بحمد الناس
ولم تقع بحمد الله وحده وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات
أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظر وإليه بين التوقير والاحترام وتبركوا
بمشاهدته وتلقائه ورغبوا في بركته دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفأخبره بالخدمة والسلام وأكرموا في المحافل
فاية الإكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له
متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب
الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والمفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

(كتاب ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الحنفية ابن ماجه والحاكم من حديث شدداد
ابن أوس وقلا الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضيفه وهو عند
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بألف المصنف .

الصيام ، وروى أنس
ابن مالك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « تسجروا فإن في
السجور بركة »
ويجعل الفطر عملا
بالسنة فإن لم يرد تناول
الطعام إلا بعد العشاء
ويريد إحياء ما بين
العشاءين بفطر بالماء
أو على أعداد من
الزبيب أو التمر أو
بأكل لقيحات إن كانت
النفس تنازع ليصفوله
الوقت بين العشاءين
فإحياء ذلك له فضل
كثير وإلا فيقتصر
على الماء لأجل السنة
أخبرنا الشيخ العالم
ضياء الدين عبد الوهاب
ابن علي قال أنا أبو الفتح
المروزي قال أنا أبو نصر
الترقي قال أنا أبو محمد

في الباطن لمة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته باقة وعبادته الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة لطيفة التي تسمى عن تركها العقول النافذة القوية ويرى أنه محاصر في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزيينا للبلاد وتصنعا للخلق وفرحاً بما نالت من التزلة والوقار وأجبت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبت اسمه في جريدة للناقدين وهو يظن أنه عند الله من القريين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ومهولة لا يرقى منها إلا القربون ولعلك قيل آخر ما يخرج من رحوس الصديقين حب الرياسة وإنما كان الرياء هو الماء المذيق التي هو أدهم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق مآلته والمخبر منه ويتضح الترض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجله والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجله وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوباً أهد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكل حقيقي وبيان ما يمد من حب الجاه وما ينم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فهي اثنا عشر فصلا منها عشاً معاني الرياء فلا بد من تدعيمها والله الوفي للصواب بلطفه ومنه وكرمه .

(بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت)

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو منموم بل الممود المحمول إلا من شهره الله تعالى لتشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إلا من عصمه الله » (١) وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من سوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٢) وقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ولا بأس به إذا روي هذا الحديث فقيل له يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يسن هذا وإنما سألني به المتدع في دينه والفاسق في دينه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلموا كتم واصمت تلم تسر الأبرار وتبظ الفجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت حلقته قام عفاة الشهرة . وعن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحواً من عشرة فقال ذباب طمع وفراس نار . وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول أبي ابن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فلاه بالدرة فقال انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع فقال إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال علام تتبعوني

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه وديناه البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث مثله وزاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرًا على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني والبيهقي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلفظ كفي بالمرء إنما ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ هلاك بالرجل وفر دينه بالبدعة ودينه بالفسق وإسنادهما ضعيف .

الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قلل أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا اسحق بن موسى الأنصاري قال ثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قرعة عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قال الله عز وجل « أحب عبادي إلى أعجلهم فطرا » وقال عليه السلام « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من لبن ماء أو مذقة من لبن

فواقة لو تملون ما أغلق عليه باب ما اتبعني منكم رجلا . وقال الحسن إن خفق النعال حول الرجال فلما تلبث عليه قلوب الحق . وخرج الحسن ذات يوم فابته قوم فقال هل لكم من حاجة وإلا فلما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن . وروى أن رجلا صحب ابن عمير في سفر فافارقه قال أوصني فقال إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتثنى ولا يثنى إليك وتساءل ولا تستل فافعل . وخرج أبو بوب في سفر فشيخه ناس كثيرون فقال لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي أني لهذا كاره لحشيت للقتمن الله عز وجل . وقال مصر ثابت أبو بوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طولها وهي اليوم في تشميرها . وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار الناهق يشير به إلى طلب الشهرة . وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعا . وقال جل لشر من الحرث أوصني قال أحمل ذكرك وطيب مطمك وكان حوشب يسكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الأذهب دينه واتضح وقال أيضا لا يجد حلوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(بيان فضيلة الصوم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك (١) » . وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضئيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر متكبر جواظ (٣) » وقال أبو هريرة قال ﷺ « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا المرئصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو سمعهم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أمق من لو أتى أحدكم يسأله دينار لم يعطه إياه ولو سأله درهم لم يعطه إياه ولو سأله فلسا لم يعطه إياه ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ولو سأل الدنيا لم يعطه إياها وما منعه إياها إلا هو وأنها عليه رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره (٥) » وروى أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى ما ذن جبل يسكي عند

أو تمرات . وفي الخبر
« كم من صائم حظه
من صيامه الجوع
والعطش » قيل هو
الذي يجوع بالنهار
ويظطر على الحرام
وقيل هو الذي يصوم
عن الحلال من الطعام
ويظطر على لحوم الناس
بأفية . قال سفيان
من اغتاب فسد صومه
وعن مجاهد خصلتان
تفسدان الصوم الأفية
والكذب قال الشيخ
أبو طالب السكي قرن
الله الاستماع إلى الباطل
والقول بالاثم بأكل
الحرام فقال - سماعون
للكذب أمكثون
للحمت - . وورد في
الخبر « أن امرأتين
صامتا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فأجهدهما الجوع

(١) حديث رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك مسلم من حديث أبي هريرة رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وللحاكم رب أشعث أغبر ذي طمرين نفي عنه عين الناس لو أقسم على الله لأبره وقال صحيح الإسناد ولأبي نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك وهو عند الحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيفه (٢) حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٣) حديث ألا أدلكم على أهل الجنة كل ضئيف مستضعف الحديث منفق عليه من حديث جارية بن وهب (٤) حديث أني هريرة إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم الحديث [١] (٥) حديث إن من أمق من لو أتى أحدكم فسأله دينار لم يعطه إياه الحديث الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعه إياها هو أنه عليه .

[١] قول العراقي لم يؤذن لهم الحديث هكذا في النسخ من غير الروايات والشارح بيض له العراقي فليعلم .

قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن ظابوا لم يفتدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصايح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة (١) » وقال محمد بن سويد قحط أهل المدينة وكان بهار رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه فينباهم في مطأهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركبتين أوجز فبهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع قطاه حتى تشتت السماء بالعمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة العرق فقال يارب إن كنت تعلم أنهم قدا كنفوا فارفع عنهم وسكن وبع الرجل صاحبه الذى استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إنى أتيتك في حاجة فقال ما هى قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساألنى أن أخصك بدعوة ثم قال ما الذى بانك ما رأيت قال أطعت الله فم امرنى ونهائى فسألت الله فأعطانى . وقال ابن مسعود كونوا يتابع العلم مصايح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خاقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائى عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك قال ثم همر رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال عجبت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه (٢) » وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أحب عباد الله إلى الله الغبراء قيل ومن الغبراء ؟ قال الفارون يدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بانقضى أن الله تعالى يقول في بعض ما يعنى به على عبده ألم انعم عليك ألم أسترك ألم أحمل ذكرك . وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عند نفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك وقال الثورى وجدت قباى يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء . وقال إبراهيم بن آدم ما قررت عيني يوما في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكانى البطن بقرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فافضل وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يتنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله تعالى فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخول وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء فكيف فاتهم فضيلة الخول . فاعلم أن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من الصديقين المذموم ، نعم فيه فتنة على الضمائم دون الأقوياء وهم كالعريق الضعيف إذا كان معه جماعة من العرق فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فاتهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم وأما القوى فالأولى أن يعرفه العرق ليتلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك .

(بيان ذم حب الجاه)

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا - جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل - من كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الحديث الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبيد الرحمن وهو الزرقى متروك (٢) حديث أبى أمامة إن أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ الحديث الترمذى وابن ماجه باسنادين ضعيفين .

والمطش من آخر
التار حتى كادتا أن
تهلكا فبعثتا إلى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسأذانه
فى الإفطار فأرسل
إليهما قدحا وقال
قولوا لهما قيتا فيه
ما أكلتا قدامت إحداهما
نصفه فما عيطا ولما
غريضا وقامت الأخرى
مثل ذلك حتى ملأناه
فصحب الناس من ذلك
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هاتان
صامتتا وأفطرتا على
ما حرم الله عليهما «
وقال عليه الصلاة
والسلام « إذا كان
يوم صوم أحدكم فلا
يرفث ولا يجمل فان
امرؤ شامه فليقل
إنى صائم . وفى الخبر
« إز الصوم أمانة

الدنيا وزيتها نواف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يخشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها واطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول به مومه حب الجاه فإنه أعظم لغة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب المال والجاه يبتان النفاق في القلب كما يبت للاء البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذبان ضاريان أرسلا في زرية غم بأسرع إفسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء (٣) » نسأل الله العفو والمغفرة بتمه وكرمه .

(بيان معنى الجاه وحقته)

اعلم أن الجاه والمال هما ركنتا الدنيا ومعنى المال ملك الأعيان للنتفع بها ومعنى الجاه ملك الدلوب للطلب تعظيمها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليها ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه وكما أنه يكتب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتب قلوب الخلق بأنواع من العاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمهارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اعتدله وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالا ويدعن قلبه للموصوف به اعتقادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال للقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها ونحوياتها وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم يملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن المالك يملك العبد قهرا والعبد متأب بطبعه ولو خلى ورأيه انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويغني أن تكون له الأحرار عبيدا بالبيع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه ملك الرق بكثير فإذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنت من نعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدعن له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحب للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقته وله ثمرات كالمح والإطراء فان المتقدم للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقد فيثني عليه وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل العبد في أغراضه وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمناجحة والسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب اشتغال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بطلب أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث السالك والجاه يبتان النفاق الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجده (٢) حديث ما ذبان ضاريان أرسلا في زرية غم الحديث تقدم أيضا هناك (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب الثناء من الناس يعمى ويصم .

فاحفظ أحدكم أماته»
والصوفي الذي لا يرجع إلى معلوم ولا يدري متى يساق إليه الرزق فاذا ساق الله إليه الرزق تناوله بالأدب وهو دائم المرافقة لوقتة وهو في إبطاره أفضل من الذي له معلوم معد فإن كان مع ذلك يصوم قدأ كمل الفضل .
حكى عن رويم قال اجتزت في المهاجرة بعض سكك بغداد فخطت فتقدمت إلى باب دار فاستقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء البارد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت صوفي وشرب بالنهار وضربت بالكوز

أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كالأفان هذه الأوصاف كلها تعظم عملها في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

(بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة)

اعلم أن السبب الذي يقتضى كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوبا هو جبينه يقتضى كون الجاه محبوبا بل يقتضى أن يكون أحب من المال كما يقتضى أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساوى في القدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدنانير لا غرض في أعيانها إلا صلاح لمطعم ولا مشرب ولا منسكح ولا ملبس وإنما هي والحصاء بمثابة واحدة ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال وملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه : الأول ، أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه فالعالم والأزهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرجل الحسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كثرًا ولم يكن له جاه يحفظ ماله أراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة ووسيلة إلى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوكة والظلمة ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرق إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيقة لا يقدر عليها السراق ولا تشاؤها أيدي النهاب والغصاب وأثبتت الأموال العتار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظة أما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها والجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها ، نعم إنما تنصب القلوب بالنصر ويفوتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فطله . الثالث أن ملك القلوب يسرى وينمى ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة فإن القلوب إذا أذعن لشخص واعتقدت كاله يعلم أو عمل أو غيره أفصح الألسنة لا محالة بما فيها فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنع بذلك القلب أيضا ولهذا المعنى يحب بالطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطاف في الأقطار اقتنع القلوب ودعاها إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرد معين وأما المال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استنائه إلا بتعب ومقاساة والجاه أبدًا في السماء بنفسه ولا مرد لموقفه والمال واقف ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح . فان قلت فالإشكال قائم في المال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب اللذات ودفع المضار معلوم كالحاجة إلى اللبس والسكن والطعم أو كالمبتلى بمرض أو بقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه فحبه للمال والجاه معلوم إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكون الكونز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لا ينبغي لهما ثابًا وكذلك يحب الإنسان أن يوسع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطعًا أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها يعظموه أو ليروه بمال أو ليعنوه على غرض من أغراضه ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذبه

على الأرض وانصرفت
قال رويم فاستحييت
من ذلك ونذرت
أن لا أفسر أبدا
والجماعة الذين كرهوا
دوام الصوم كرهوه
لمكان أن النفس إذا
ألفت الصوم وتعودته
اشتد عليها الإفطار
وهكذا تعودها
الإفطار تكره الصوم
فيرون الفضل في أن
لا تركز النفس إلى
عادة ورأوا أن إفطار
يوم وصوم يوم أشد
على النفس . ومن
أدب الفقراء أن
الواحد إذا كان
بين جمع وفي محبة
جماعة لا يصوم إلا
بإذنهم وإنما كان ذلك
لأن قلوب الجمع متعلقة
بفطوره وهم على غير
معلوم فان صام بإذن

غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جهل فانه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فنقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وله سببان : أحدهما جلي تدركه الكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء فضلا عن الأغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الفواصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ومخطر ياله أن السال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره فاذا خطر ذلك ياله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرغ إليه إن أصابت هذا المال جائحة فهو أبدا لشفته على نفسه وجه للحياة يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن مثله موقفاً إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من هو مان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال (١) » ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام النزلة والجاه في قلوب الأبعاد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزججه عن الوطن أو يزجج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني بوصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والوقوع وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحديسة والإغواء وإلى صفات ربوية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها فهولما فيه من الأمر الرباني يحب الربوية بالطبع ومعنى الربوية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال بالتفرد بالوجود فان المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقاها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية والتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن المية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الأفاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستثناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى إشراق أنوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون متبعا فاذا ن معنى الربوية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه يحب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ما يرح به فرعون من قوله - أنار كيم الأعلى -

(١) حديث منهومان لا يشبعان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضعيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع وفتح عليهم حتى لا يلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بأن الجمع الفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأني للصائم برزقه إلا أن يكون الصائم محتاج إلى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنته لشيوخه أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يلبق أن يأخذ نصيبه فيدخره لأن ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذي ذكرناه لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية للقيومون في رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع في الإفطار وهذا يظهر في جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم

ولكنه ليس يجده محلا وهو كما قال فان البودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اوما إليها قوله تعالى - قل الروح من امر ربي - ولكن لما هجرت النفس عن ذلك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية له وملتدة به لذاته لا للمعنى آخر وراه الكمال وكل موجود فهو محب لذاته وللكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإنما الكمال بحد أن يسلم التفرّد بالوجود في الاستيلاء على كل الوجودات فان أكل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فان تكون مستويا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذبه إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء فأحب الانسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء للوجوده . مع إلا أن للوجودات منقسمة إلى مالا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنفلاك والكواكب وملكوت السموات وقوس للملائكة والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن حملتها قلوب الناس فانها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فاذا اتسمت للوجودات إلى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم المحاطة به كالدخل تحت العلم والعالم كالمستوى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأنفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يضاهى اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها كمن عجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي أن يعرف اللب به وأنه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبنة أو جبر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والتصوور عنه ولكنه يشتاقي إلى معرفة كيفيةته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدرهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادر اعلا عليها يفعل فيها ماشاء من الرفع والواضع والتسليم والنزع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوراته نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستخار وإن لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تمتد كاله حتى يصير محبوبا لها ويقوم القهر منزله فيها فان الحشية القهرية أيضا للدينة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : نفوس الأدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفا تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يليه الموت فيقدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فاذا من معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخر له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالتهار فأما إذا كانوا على غير معلوم قد قيل مساعدة الصوام للفطرين أحسن من استدعاء الواقة من الفطرين للصوام والقوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والواقة وترك الواقة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للمواقة وإن صام ولم يوافق فله وجه . فأما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد

كمال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومت ولا نهاية للقدورات ومدام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنعمان لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فدور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو أمروراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والشكليات لأن في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالى.

(بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقة له)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي ويانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى . الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ماهو به وكون المعلوم مكشوفاً به كشفا تاماً فإن للمعلومات مكشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ماهو عليه فلذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات العلوم كان أقرب إلى الله تعالى . الثالث : من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والاقبال كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات تسلك : متغيرات وأزليات . أما المتغيرات فتألمها العلم بكون زيد في الدار فانه علم معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فيقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلمة اعتقدت اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك قصا ويعود عليك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كملكك مثلا بارتفاع جبل ومساحة أرض وبعده البلاد وتباعدها بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يذكرك في السالك والمالك وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب .

القسم الثاني : هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجازات ووجوب الواجبات واستحالة الاستحيلات فان هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ما كوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كما للنفس بمد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت - يسمى بين أيديهم وبأبصارهم يقولون ربنا أنعم لنا نورا - أي تكون هذه المعرفة نوراً للعارفين يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه أصل السراج فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب

أبو الحسن محمد بن الحسين الملبى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال ثنا عبد الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عطاء ابن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن للشكر عن أبي سعيد الخدري قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إني سأمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعاكم أخواكم تكلف لكم ثم تقول إني سأمت أنظر وأفض يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق فقد ورد «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاسعادة إلا في معرفة الله تعالى وأماما عدا ذلك من المعارف لأنها لا فائدة له أصلا كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرها ومنها ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة مافى القرآن من كيفية المبادات والأهمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أطلع من زكاهما - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا نسكنون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وينطوى فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الوجودات كلها من أفعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكلمة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا مؤان لم يكن لها تقاضا بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال . وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بأحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربيع النجيات فكمال العلم يبقى معه بعد اللوث ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة ففلا نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للدش وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى العلم والشرب والملبس والسكن وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلاخبر فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالمية التي تنفض على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل فاتهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة وعلى أعيان الأموال بسعة النفي وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فإذ ذكرناه من معرفة الله تعالى وأما الحرية فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا تستغرم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير التأثير عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلة عند الله أعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما لم نورد في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم نقصان فان التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها أو الهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال فاذن الكمالات ثلاثة إن عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الاتياد لها كالا ككمال العلم وكمال الحرية وأغنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استخراج القلوب والأبدان تنقطع بالموت ومعرفة وحرية لا يندمان بالموت بل يبقيان كالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكساب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا انقطاع له هؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى - المال والبنون زينة

قال رسول الله تأكل
رزقنا ورزق بلال في
الجنة فاذا علم أن
هناك قلبا يتأذى أو
فضلا يرجى من موافقة
من يختم موافقة
يفطر بحسن النية
لا يحكم الطبع وتقاضيه
فان لم يجد هذا النفي
لا ينبغي أن يتأس عليه
الشراء وداعية النفس
بالنية فليتم صومه
وقد تكون الاجابة
لداعية النفس لا لقضاء
حق أخيه . ومن
أحسن آداب الفقير
الطالب أنه إذا أفطر
وتناول الطعام ربما
يجد باطنه متغيرا عن
هيئته ونفسه متذبطة
عن أداء وظائف
العبادة فيعالج مزاج
القلب التغير بأذهب
التغير عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا فالعلم والحريية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس وللحال والجاه هو الذي ينقض على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح هشيما تذروه الرياح - وكل ما تذروه ريح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما يقطعه للموت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله :
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة قصر فالتقى فصل القفر
إلا قدر البلغة منهما إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وقفته للخير وهديته بلفظك .

(بيان ما محمد من حب الجاه وما ينم)

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة اللطيم والشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة العيشة مع الخلق والانسان كمالا يستغنى عن طعام يقاوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتباع به الطعام فكذلك لا يغلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمينه وأستاذ يرشده وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المهل ما يدعو إلى الخدمة ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المهل ما يحسن به مرافقته ومعاوونته ليس بمذموم وحبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المهل ما يحسن به إرشاده وتعليقه والعناية به ليس بمذموم وحبه لأن يكون له من المهل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم فإن الجاه وسيلة إلى الأعراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفرض إلى أن لا يكون المال والجاه بأعيانها محبوبين له بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت للماء فهذا على التحقيق ليس محبا لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود للتوصل إليه وتترك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب العشق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبنا كحبا فهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه والمال وقد يجب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لأعيانها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما يتوصل به إلى اكتساب كذب وخذاع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فإن قامت : طلبه للنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ، ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام النزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة وهو متفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالمعاملة . وأما أحد الباحثين فهو أن يطلب النزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها أو بآيات يتلوها أو بأذكار واستغفاريات به قد ورد في الخبر « أذيسوا طعامكم بالذكر » ومن مهام آداب الصوم كنهانه مهما أمكن إلا أن يكون متسكنا من الاخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن .

[الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام وما فيه من المصاحبة والمفسدة]
الصوفي يحسن نيته وحمية مقصده ووفور علمه وإتيانه بأدابه تصير عاداته عبادة والصوفي موهوب رفته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لبيته أمرا له - قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عنه الرب تعالى - اجملنى على خزائن الأرض إني حفيظ علمي - فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التبائع جائز ولا يجوز هتك السر واطهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سيد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يباقي إليه أنه ورج فان قوله إني ورج تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب . ومن جملة المحظورات تحميم الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملبس إذ يخجل إليه أنه من المخلصين الحاشمين لله وهو مرء بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل مصيبة وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

(بيان السبب في حب للدح والثناء وارتياح النفس به وميل

الطبع إليه وبنضها للدم ونفرتها منه)

له رب العالمين -
تدخل على الصوفي
أمور العادة لموضع
حاجته وضرورة
بشريته ويحذف ببادته
نور يقظته وحسن
نيته فتثور العادات
وتتشكل بالعبادات
ولهذا ورد «نوم العالم
عبادة وقسمه تسبيح»
هذا مع كون النوم
عين الغفلة ولكن كل
ما يستعان به على العبادة
يكون عبادة فتناول
الطعام أصل كبير
يحتاج إلى علوم كثيرة
لاشتماله على المصالح
الدينية والدنيوية
وتلحق أثره بالقلب
والقالب وبه قوام البدن
باجراء سنة الله تعالى
بذلك والقالب مركب
القلب وبهما عمارة
الدنيا والآخرة وقد

اعلم أن حب للدح والتذاد القلب به أربعة أسباب: السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا أن الكمال محبوب وكل محبوب فادرا كهلذيذ فلهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهترت وتلذذت وللدح يشعر نفس المدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يغلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنه لا يغلو عن لذة كثنائه عليه بانه طويل القامة أبيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تفضل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه وكال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أورت ذلك طمأنينة وثقة باستشمار ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهم مصدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبيرها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلذذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والدكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وإن طدر من يجازف في الكلام أو لا يكون بصيرا بذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة ينعش الدم أيضا ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو محمقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الدم من بصير موقوف به كإذكرناه في اللدح . السبب الثاني : أن اللدح يدل على أن قلب المادح مملوك للمدوح وأنه مريد له ومعترفيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بمحصوله لذيد وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالمملوك والأكابر ويضعف مهما كان المادح ممن لا يؤثر به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل اللدح إلا على قدرة قاصرة وبهذه العلة أيضا يكره الدم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن القامت به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء اللدح ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسبا إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتدبثائه وهذا محتص بشناء يقع على الملائق لاجرم كلما كان الجمع أكثر والتمنى أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألد والدم أشد على النفس . السبب الرابع : أن اللدح يدل

على حشمة المدوح واضطرار للمدح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدوح إما عن طوع وإما عن قهر فان الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان للمدح لا يستغنى الباطن مامدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المدح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح واحد فيعظم بها الاتذاد وقد تفرق فتقص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم للمدوح أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عالم يعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم أن المدح ليس يعتقد مايقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذة لغوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاد النفس بالمدح وتألمها بسبب الدم وإعما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب الحمدة وخوف اللذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض والله الوفي بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

(بيان علاج حب الجاه)

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا لهم على مراعاة الخلق مشغوا بالتودد إليهم والبراءة لأجلهم ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتا إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر التفائق وأصل الفساد ويجر ذلك لاعماله إلى التساهل في العبادات والبراءة بها وإلى اقتحام المحظورات لتتوصل إلى اقتصاص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضارين وقال عليه السلام «إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بحميدة هو خال عنها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فأخره للموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحققر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصرى حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد ، فكأنك بأخرك من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كأننا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهو لاء كان التفاهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحققوا الجاه والمال في الدنيا وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهدة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى - وقال عز وجل - كلابل نجبون العاجلة وتذرون الآخرة - فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة
قبعان نباتها التسييح
والتمديس » والقالب
بمفرده على طبيعة
الحيوانات يستعان به
على عمارة الدنيا والروح
والقلب على طبيعة
الملائكة يستعان بهما
على عمارة الآخرة
وباجتماعهما صلحا
لعمارة الدارين والله
تعالى ركب آدمى
بلطيف حكيمه
من أخص جواهر
الجمانيات والروحانيات
وجعله مستودع خلاصة
الأرضين والسماوات
جسد عالم الشهادة
وما فيها من النبات
والحيوان لقوام بدن

التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا فان كل ذى جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحتز من أن تنير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيرا من القدر في غلبانها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه يدفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا يبنى في الدنيا مرجوها بخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة وأما من نفذت بصيرته وقوى إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالتحول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب اللامتية إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليستقوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يفعل من الباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس وهذا في جوازها نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أنفسهم بما لا يثق به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماما وليس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع التحول فان المعتزل في بيته في البلد القدي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس محبا لذلك الجاه وهو مفرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تضرير الناس عما اعتقدوه فيه فدعوه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإمطاة ذلك النبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان قننه الجاه أعظم ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطمع في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأسا أصبح الناس كلهم عنده كالأردال فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن كذلك لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالتقاعه فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالتقاعه وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في دم الجاه ومدح التحول والذل مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة أو علة وينظر في أحوال السلف ويشارم لذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

(بيان وجه العلاج لحب المدح وكرهه الدم)

اعلم أن أكبر الناس إنما هلكوا بخوف منة الناس وحب مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا من النعم وذلك من المهايكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكرهه الدم . أما السبب الأول : فهو استشعار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى
- خلق لكم ما في
الأرض جميعا - فكونون
الطبايع وهي الحرارة
والرطوبة والبرودة
واليبوسة وكونون
بواسطتها النبات وجعل
النبات قواما للحيوانات
مسخرة للآدمي يستعين
بها على أمر معاشه لقوام
بدنه فالطعام يصل إلى
المعدة وفي المعدة طباع
أربع وفي الطعام طباع
أربع فاذا أراد الله
اعتدال مزاج البدن
أخذ بكل طباع من
طباع المدة ضد من
الطعام فتأخذ الحرارة
للبرودة والرطوبة
لليبوسة فيعتدل

المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لتفك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهمي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع وإما صفة لا تستحق للمدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيا تذروه الرياح وهذا مني قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي:

أشدّ التم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الانسان بعروض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح السادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها ، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحائمة غير معلومة وهذا إنما يقضى الفرح لأنه يقرب عند الله زلفي وخطر الحائمة باق في الخوف من سوء الحائمة فعمل عن الفرح بكل مافي الدنيا بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحائمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح السادح فإن اللذة في استثمار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجذون ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يهيم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أنتوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذا المداح إن صدق فليكن فرحك بصفته التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن ينعك ذلك ولا تفرح به.

وأما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المداح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله ، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله فكيف تفرح به . وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المداح إلى المدح فهو أيضا يرجع إلى قدرة عارضة لا يثبت لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي أن ينعك مدح المداح وتكرهه وتغضب به كما نقل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان . قال بعض السلف : من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه . وقال بعضهم : إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بش الرجل أنت فأنت والله بش الرجل ، وروى في بعض الأخبار فان صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت فمات على ذلك . دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح « ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمدحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب (٣) » فلهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم أمرك بأن تزكيني ، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال

(١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضى الذي قلت ومات على ذلك دخل النار لم أجد له أصلا (٢) حديث ويحك قطعت ظهره الحديث قاله للمادح تقدم . (٣) حديث ألا لا تمدحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب تقدم دون قوله ألا لا تمدحوا .

المزاج ويأمن الاعوجاج وإذا أراد الله تعالى إفناء قلب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن فلك تقدير العزيز العليم . روى عن وهب بن منبه قال : وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام إنى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقت من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء

إني لأحسبك عزالياً ، وقال بعضهم لما مدح : اللهم إن عبدك تقرب إلى بمتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا اللذخ خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم محقون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالم عند الله يفيض إليهم مدح الخلق لأن المدوح هو للقرب عند الله والذموم بالحقيقة هو للبعد من الله لللقي في النار مع الأشرار ، فهذا المدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثمائه عليه إذ ليس أمره يد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قل الثغاة إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهجه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

(بيان علاج كراهة الدم)

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم يؤذي وبن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بأخرى منهن لئلا السوداء والمرء الصفراء والدم والبلم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض جعلت مسكن اليوسة في المرء السوداء ومسكن الرطوبة في المرء الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة

قد سبق أن العلة في كراهة الدم هو ضد العلة في حب اللذخ فإصلاحه أيضا فيهم منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصده الأيذاء والتعنت ، وإما أن يكون كاذبا فإن كان صادقا وقصده النصح فلا ينبغي أن تدمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منته فان من أهدى إليك عيوبك قد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه فينبغي أن تفرح به وتشغل بازالة الصفة الذمومة عن نفسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فانه غاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد اتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبجه في عينك لينبث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيج لك أسبابها بسبب ما صمته من اللذمة فهما قصدت الدخول على ملاك ونوبك ملوث بالعدرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لحفت أن يحز ربتك لنوئك مجلسه بالعدرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعدرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنية وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والانهيار إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تتقيه . وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول اتفقت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يفترى عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يطلع على عيوبك ودفعه عنك بذلك ما أنت بريء منه ، والثاني أن ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعبب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتابك قد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقتراعه وتعرض لعقابه الأليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تبت عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فانهم لا يلمون » (١)

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فانهم لا يلمون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

هو معاقبا بسببي وما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فإن من استغنت عنه مهمها فمك لمعظم أثر ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن المال والجماع مادام الطمع قائما كان حب الجاه وللذع في قلب من طمعت فيه طالبا وكانت همتك إلى تحصيل للزلة في قلبه مصر وفتولا ينال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب للمال والجاه ومحج اللذع وبغض التمس في سلامته وينه فان ذلك بيند جدا.

(بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والتم)

اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى اللذع والساح : الحالة الأولى أن يفرح باللذع ويشكر للمادح وينضب من التمس ويحقد على اللذع ويكافئه لو يجب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات اللصبة في هذا الباب . الحالة الثانية أن تمتنع في الباطن على اللذع ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذامه ومادحه فلا تمسه للذمة ولا تسره للذمة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم تمتنع نفسه بعلماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلا للذم عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في اللذع وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللذع فوق ما يجده في قضاء حاجة اللذع وأن لا يكون انقطاع اللذع عن مجلسه أهون عليه من انقطاع اللذع وأن لا يكون موت اللذع المطرى له أشد نكابة في قلبه من موت اللذع وأن لا يكون غم بصيبة اللذع وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بصيبة اللذع وأن لا تكون زلة اللذع أخف على قلبه وفي عينه من زلة اللذع فما خاف اللذع على قلبه كما خاف اللذع واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يتخونون أنفسهم بهذه العلامات وربما شعر العابد بميل قلبه إلى اللذع دون اللذع والشيطان يحسن له ذلك ويقول اللذع قد عصى الله بمدحك والمادح قد أطاع الله بمدحك فكيف تسوى بينهما وإنما استتالك للذم من الدين الهض وهذا محض التلبس فان العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب كبر المعاصي أكثر مما ارتكب اللذم في مذمته ثم إنه لا يستقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم أن اللذع الذي مدح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نقرة عنه بمذمة غيره كما يجد للذمة نفسه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يفضب وهو امتنع ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكاييد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا وبخسره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى - قل هل ينشك بالآخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره اللذع ويعتق اللذع إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويجب اللذم إذ يعلم أنه مهد إليه عيه ومرشده إلى مهجه ومهد إليه حسنة قد قال عليه السلام « رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى » (١) وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم للظهر أمثالنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم وويل للقاتم وويل لصاحب الصوف إلا من ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهدت نفسه عن الدنيا وأبغض اللذمة واستحب المذمة » (٢)

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده أصلا (٢) حديث وويل للصائم وويل للقاتم وويل لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس وويل لمن لبس الصوف تخالف فعله قوله ولم يخرج له ولده في مسنده .

في اللذع فأبما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاك وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأتم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وهذا شديد جدا وغاية أمثاله الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضر القرح والكراهة على الدام والمدح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللادح والدام فلنا نطمع فيها ثم إن طالبنا أنفسنا بملامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام اللادح وقضاء حاجاته وتتأقل على إكرام الدام والتناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على أن نسوى بينهما في الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللادح والدام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما يمدح من للريبتين وكل واحدة من هذه الرتب أيضا درجات أما الدرجات في اللدح فهو أن من الناس من يتحن لللدحة والتناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرأى بالعبادات ولا يبالى بمفارقة المخطورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المخطورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيها لا يهل لنيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد لللدحة ولا يسعى لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم تشكل الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالفتك في آفات الدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح مع اللدح لم يسر به ولم يغم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بتى عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره اللدح إذا مدحه ولكن لا يتهمى به إلى أن يضرب على الداح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه لا أن يظهر الغضب وقلبه يحب له فان ذلك عين النفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالصد من هذا تفاوت الأحوال في حق الدام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حنق وحق على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبساتها الخبيثة فيفضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا مدحها ويشكر الدام على ذلك ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بفتنة الناس وإذا سبقت إليه حسنات لم ينصب فيها فساد يكون خيرا للميوه التي هو عاجز عن إماتها ولو جاهد المرید نفسه طول عمره في هذه الحصلة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذامه ومدحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(الشطر الثاني : من الكتاب في طلب الجاه والتزلة بالعبادات)

وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرأى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفى وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في إظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المرید أن يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق

كسر الأمر وأتعب
طلب الحلال . ومن
أدب الصوفية رؤية
النعم على النعمة وأن
يتدى بفسل اليد
قبل الطعام قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« الوضوء قبل الطعام
ينفى الفقر » وإعساكان
موجبا لنفى الفقر لأن
غسل اليد قبل الطعام
استقبال النعمة بالأدب
وذلك من شكر
النعمة والشكر
يستوجب المزيد فصار
غسل اليد مستجلبا
للنعمة . ذهب للفقر
وقد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله

(بيان ذم الرياء)

اعلم أن الرياء حرام وللرائي عند الله محقوت وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات :
 قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم براءون وقوله عز وجل والذين
 يكرهون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما
 نطمعكم لووجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فبدح الخالصين ينفي كل إرادق سوى وجه الله والرياء
 ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل
 ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال
 يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث
 الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردناه في كتاب الاخلاص وإن
 الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال
 فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فأخبر صلى الله عليه وسلم « أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو
 الذى أحبط أعمالهم (٢) » وقال ابن عمر رضى الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رآى راءى الله
 به ومن سمع سمع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول ملائكة إن هذا لم يردنى بعمله
 فأجعلوه في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر قالوا وما الشرك الأصفر
 يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم
 تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استميدوا بالله عز وجل
 من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله
 عز وجل : من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله وأنامنه برىء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك (٧) »

عليه وسلم أنه قال
 « من أحب أن يكثر
 خير بيته فليتوضأ إذا
 حضر غداؤه ثم يسمي
 الله تعالى » وقوله تعالى
 - ولا تأكلوا مما
 لم يذكر اسم الله عليه -
 تفسيره تسمية الله تعالى
 عند ذبح الحيوان .
 واختلف الشافعي
 وأبو حنيفة رحمهما
 الله في وجوب ذلك
 وفهم الصوفى من ذلك
 بعد القيام بظاهر
 التفسير أن لا يأكل
 الطعام إلا مقرونا بالذكر
 قهره فريضة وقته
 وأدبه ويرى أن تناول
 الطعام والماء ينتج من
 إقامة النفس ومتابعة

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجوا لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الآخرة والحمد بعبادته
 وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إنى أقف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطنى
 فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية هكذا في نسختي من الاستدراك ولله سقط منه ابن عباس وأبو هريرة
 وللبزار من حديث معاذ بن شد بنديف من صام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم
 تلا هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقتول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارىء
 لكتابه فان الله يقول لكل واحد منهم كذبت رواه مسلم وسيأتى في كتاب الاخلاص (٣) حديث
 ابن عمر من رآى راءى الله به ومن سمع سمع الله به متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله وأما حديث
 ابن عمر فرواه الطبرانى في الكبير والبيهقى في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من
 سمع الناس سمع الله به سامع خلقه وحقره وضره وفي الزهد لابن المبارك ومسنده أحمد بن منيع أنه
 من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول للملائكة إن هذا لم يردنى بعمله فأجعلوه في سجين
 ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص وأبو الشيخ في كتاب العظمة من
 رواية حمزة بن حبيب مرسل ورواه ابن الجوزى في الموضوعات (٥) حديث إن أخوف ما أخاف
 عليكم الشرك الأصفر الحديث أحمد والبيهقى في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله
 تمام ورواه الطبرانى من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج (٦) حديث استميدوا بالله من
 جب الحزن قيل وما هو ؟ قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث
 أبي هريرة وصححه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فهو له كله

وقال عيسى للشيخ صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه ثلاثاً يرى الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله وإذا صلى فليرخ ستره بابه فإن الله يقسم التناء كما يقسم الرزق ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه متعال ذرة من رياء (١) » وقال عمر لما ذن بن جيل حين رآه يبكي ما يبكيك ؟ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية (٣) » وهي أيضاً ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجال تصدق يمينه فكاد يخفيها عن شماله (٤) » ولذلك ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضفاً (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن للرأى ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له (٦) » وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي قلت ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال إني تخوفت على أمتي الشرك أما إنيهم لا يعبدون صنماً ولا تمسوا ولا قرأوا ولا حبروا ولكنهم يرامون بأعمالهم (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادته بأهلها فخلق الجبال فصرها أوتادا للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا خلقاً هو أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذاب الحديد ثم أمر الله الماء بإطفاء النار وأمر الريح فكدرت الماء فاختلفت الملائكة فقالت نسأل الله تعالى قالوا يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟ قال الله تعالى لم أخلق خلقاً هو أشد على من قاب ابن آدم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلقاً خلقتة (٨) » وروى عبد الله بن المبارك بأسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكي معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكنت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي « يا معاذ قلت ليبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال

الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه بريء ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضاً وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده هكذا (٢) حديث معاذ إن أدنى الرياء شرك الطبراني هكذا والحاكم بلفظ إن اليسير من الرياء شرك وقد تقدم قبل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب (٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجال تصدق يمينه فكاد أن يخفيها عن شماله متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث سبعة يظلمهم الله في ظله (٥) حديث تفضيل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفه البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء إن الرجل يعمل العمل فيكتب له عمل صالح معقول به في السر يصف أجره سبعين ضفاً قال البيهقي هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف بفضل الله كالحق الذي لا تسمعه الحفظة على الله كالتى تسمعه الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن المرأى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرأى ضل عملك وحبط أجرك الحديث ابن أبي الدنيا من رواية جيلة اليحصبي عن صحابي لم يسم وزاد يا كافر يا خاسر ولم يقل يا مرأى وإسناده ضعيف (٧) حديث شداد بن أوس إني تخوفت على أمتي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم بنحوه وقد تقدم قريباً (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادته بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقاً هو أشد من ابن آدم يتصدق يمينه فيخفيها عن شماله الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هوها ويرى ذكر الله تعالى دوامه ورياقه . روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء أعرابي فأكله باقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إنه لو كان يسمى الله لكفناكم فإذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره » ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتم ويشرب

إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته ضعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حججتك عند الله يوم القيامة يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات فجعل لكل سبعة من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جعلها عظماً تصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته ففكرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد تشر به فزكته وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتفخر به على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد ينتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهركا زهر الكوكب الدرى له دوى من تسييح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضرر أو ضرر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه: اضربوا به جوارحه اقلوا به على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد رخصة عند الفقهاء وذكرها عند العلماء وصيتنا في الدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشييعه ملائكة السموات حتى يقطموا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم أتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري عليه لضى فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتدي وإن كان في عملك نقص يا معاذ حافظ على أسانك من الوقعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تكبر في مجلسك

للماء بثلاثة أنفاس
يقول في أول نفس
بالحمد لله إذا شرب وفي
الثانية الحمد لله رب
العالمين وفي الثالثة الحمد
له رب العالمين الرحمن
الرحيم وكان للمعدة
طباغات قد ركاز كرنانه
بمواقفة طباغ الطعام
فلا تلب أيضاً مزاج
وطباغ لأرباب التفقد
والرعايا واليقظة يعرف
انحراف مزاج القلب
من اللقمة للتناول تارة
تحدث من اللقمة
حرارة الطيبين
بالهروض إلى الفضول
وتارة تحدث في القاب
برودة الكسل بالقاعد
عن وظيفة الوقت وتارة

لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تبتاع رجلا وعندك آخر ولا تهظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا ولا تمرق في الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نشطا - أتدري من هن؟ يا معاذ! قلت ما هن؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله! قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم. قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فمن يطيق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يا معاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه (١) قال فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث، وأما الآثار: فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأطأ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الحشوع في الرقاب إنما الحشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك. وقال على كرم الله وجهه: للرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبد بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجهه الله تعالى ومحمدة الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمده ويؤجر فقال له أحب أن تمتع؟ قال لا قال فإذا عملت فعملنا فأخاه. وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك لا يقولن هذا لله وللرحم فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتصم مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا إما أن تدعها لي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده فقال ودعها لله وحده فقال فنعم إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقواما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لو نطق بها لبلغته وتقت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليرى الأذى في الطريق فسايمعه. أن ينحيه إلا مخافة الشهرة. ويقال إن الرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرأتى يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فقد أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض: كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يطغى العبد على نيته ما لا يبسطه على عمله لأن النية لا يراء فيها. وقال الحسن رضي الله عنه: المرأتى يريد أن يظلم قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأرياء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة: إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى يستهزئ بي. وقال مالك بن دينار: القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء اللوك وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل: من أراد أن ينظر إلى مرآة فلينظر إلى. وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمات بالليل فانه أشرف من سمك بالتهار لأن السمك بالتهار للمخلوقين وصمت الليل لرب العالمين. وقال أبو سليمان: التوقى عن العمل أشد من العمل. وقال ابن المبارك: إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان قبيل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم: ما صدق الله من أراد أن يشهر.

(١) حديث معاذ الطويل إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها الحديث بطوله في صعود الحفظة بعمل العبد ورد الملائكة له من كل سماء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء للصنف إلى رواية عبد الله بن المبارك بأسناده عن رجل عن معاذ وهو كما قال رواء في الزهد وفي إسناذه كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزى في الموضوعات.

تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة ييوسة المهمل والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقلب فللقالب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القلب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القلب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقى الأسواء ويذهب الداء ويحلب الشفاء. حكي

(بيان حقيقة الرياء وما يراهى به)

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرياء أصله طلب للترتلة في قلوب الناس بإرأهم خصال الخير إلا أن الجاه وللترتلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم المادة بطلب للترتلة في القلوب بالعبادات وإظهارها فحد الرياء هو زيادة العباد بطاعة الله فالرأى هو العابد وللرأى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للترتلة في قلوبهم وللرأى به هو الحصول التي قصد للرأى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللرأى به كثير ونجمه خمسة أقسام وهي مجامع ما يزين به العبد للناس وهو البدن والزى والقول والعمل والأتباع والأشياء الخارجة وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات .

[القسم الأول : الرياء في الدين بالدين] وذلك بإظهار التحول والصفار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة ولبدل بالتحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بتشميت الشعر ليدل به على استغراق الملم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدلت الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمقرتهم فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها للنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته وأضعف الجوع هو الذي ضعف من قوته وعن هذا قال للشيخ عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه . وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، ولذلك قال ابن مسعود أصبحوا صياما مدهنين فهذه مراعاة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحنن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسها .

[الثانى : الرياء بالهيئة والزى] أما الهيئة فتشميت شعر الرأس وحقاق الشارب وإطراق الرأس في الشى والهدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق وتقصير الأكم وترك تنظيف الثوب وتركه محرقا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس الرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التمتع بالازار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوم أنه من أهل العلم وللراءون بالزى على طبقات فمنهم من يطلب للترتلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المحرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرأى بخلها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترت بالدنيا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان الساف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لحوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد وراجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولو لبسوا الثياب المحرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والرقعات المصبوغة والقوطة الرقيقة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئة لون

أن الشيخ محمد الغزالي لما رجح إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح قصده زائرا فصادفه وهو في صحراء له يذر الحنطة في الأرض فلما رأى الشيخ محمد آجاء إليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال لأنى أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من

ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريشين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لسكان
عندهم كاذب خوفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديق والسكان الديق
الأبيض واللقب للعلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفا من أن يقول
أهل الصلاح قد رغبوا في زي أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيشغل عليه
الانتقال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من النعمة، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم
بالثياب النفيسة وللراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفره
الحيول وبالثياب للصبغة والطبالة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب
الحسنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالوا في الرينة .

[الثالث : الرياء بالقول] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار
والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارها لتزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين
وتحريك الشفتين بالدكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار
الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مفارقة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت
بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والديق على من روى
الحديث بيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح
لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغمام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير
وأنواعه لا تنحصر. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاسيح في العبارات
وحفظ النحو الفريب للإغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب .

[الرابع : الرياء بالعمل] كمرأة المصلي بطول القيام ومد الظاهر وطول السجود والركوع وإطراق
الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والنزوى والحج
وبالصدقة وبالطعام وبالإحبات في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في
الكلام حتى إن للرأى قد يسرع في الشيء إلى حاجته فاذا اطاع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار
وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد إلى عجمته فاذا رآه عاد إلى
خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يحدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد
فيه أنه من العباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استجيا من أن تخالف مشيته في الخلو مشيته بمراءى
من الناس فيكلف نفسه الشية الحسنة في الخلو حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير وبظن أنه
يتخاص به عن الرياء وقد تضاعف به رباؤه فانه صار في خلوته أيضا مرابيا فانه إنما يحسن مشيته في
الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا يخوف من الله وحياء منه، وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبخر والاختيال
وتحريك اليدين وتقريب الخطأ والأخذ بأطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

[الخامس : للرأى بالأصحاب والزائرين والمخالطين] كالذي يتكلف أن يستزير عالما من العلماء
ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو قابدا من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه أو
ملسكا من اللوك أو عاملا من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر
الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيأهى بشيوخه ومباهاته ومراءاته ترشح منه عند
مخاصته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت المشيوخ
وما يجرى مجراه فهذه مجامع ما يرأى به للراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم
من يقع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب أنزوى إلى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل

يتناول منه شيئا فلا
أحب أن أسلمه إلى
هذا فينذر بلسان غير
ذا كرو قلب غير حاضر
وكان بعض الفقهاء
عند الأكل يشرع
في تلاوة سورة من
القرآن يحضر الوقت
بذلك حتى تنفجر
أجزاء الطعام بأنوار
الدكر ولا يعقب الطعام
مكروه ويتغير مزاج
القلب وقد كان شيخنا
أبو النجيب السهري ويردى
يقول أنا آكل وأنا
أصلى يشير إلى حضور
القلب في الطعام وربما
كان يوقف من يمنع
عنه الشواغل وقت
أكله لئلا يتفرق همه

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جريمة في دبره أو صومته لتشوش قلبه ولم يقع بعلم الله براءة صاحته بل يشتد ذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لا يند كما ذكرناه في أسبابه فإنه نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يفتربه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرادين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والمدح ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهو لا يشترط طبقات المرادين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء. فإن قلت فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل. فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وإن كان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني حفيظ علم - وكان المال فيه سم نافع ودرياق نافع فكذلك الجاه وإن كان كثير للمال يلهمى وبطنى وينسى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد وقتنة الجاه أعظم من قننة للمال وكما أنا لا أقول تملك المال الكثير حرام فلا تقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز، نعم انصراف الملم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كما انصراف الملم إلى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها أو مأسعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جاء أو سعى من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الملم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرعاة وهو ليس بحرام لأنه ليس بعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجعل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره فقالت أو تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من المبد أن يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم» (١) نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع وأسالة قلوبهم ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصده أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولومهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمر مباحاً إذ للإنسان أن يحترز من ألم الذمة ويطلب راحة الأنس بالأخوان ومهما استقلوه واستقذروه لم يأنس بهم فاذن المرعاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة وذلك بحسب الفرض المطلوب بها ولذلك تقول الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لافي معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سعى فهذا مرعاة وليس بحرام وكذلك أمثاله. أما العبادات كالصدقة

وقت الأكل ويرى
لذكر وحضور القلب
في الأكل أترا كبراً
لا يسهه الإهمال له ومن
الله كرسد الأكل
التكرفياً الله تعالى
من الأسنان اللينة على
الأكل فيها الكاسرة
ومنها القاطعة ومنها
الطاحنة وما جعل الله
تعالى من الماء الحلوى
الفم حتى لا يتغير الذوق
كما جعل ماء العين مالحة
لما كان شعماً حتى
لا يفسد وكيف جعل
الندوة تنبع من أرجاء
اللسان والفم ليعين
ذلك على المضغ والروغ
وكيف جعل القوة
المهاضمة مسلطة على

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب الماء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدي في الكامل وقد تقدم في الطهارة .

والصلاة والصيام والنفوس والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر وهذا يظن عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. والمعنى فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس والمكر لأنه خيل إليهم أنه محاص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته ثم به لما فيه من التلبس وتملك القلوب بالخداع والمكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستهزئ بالله ولذلك قال قتادة إذا رأى العبد قال الله للملائكة انظروا إليه كيف يستهزئ به ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمانها فان هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا تقوا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته وأى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبار المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر (١) ، نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كإسباني يانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأفة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التقرب إلى الله فقد قصد غير الله ولمعنى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفر اجليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فاقضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك إلا أنه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كاجليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضربه ووقعه ورزقه وأجله ومصالح حاله وما له أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم ثمة ولا ضرا فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والدن ولد ولا مولود له ورازع عن والده شيئا بل تقول الأنبياء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة وينيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغى أن نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في صدقته أو صلواته فهو الشرك الذى يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لأجره فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات (١) حديث سمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج فجعله في مسند رافع وتقدم قريبا وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والصدمة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجذاب

فيه وأركانه ثلاثة للراى به والراى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول: نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى: وهى أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذى صلى بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلى بل رعا يصلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصدته إلى الرياء فهو المقوت عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية: أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله ومافيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه التقت والإثم . الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد منهما حالوا انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فترجوا أن يسلم رأس برأس لاله ولا عليه أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة: أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ونوكان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذى نظنه والعلم عند الله أنه لا يخبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثانى: الراى به وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغلظ الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات: الأولى الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذى يظهر كلتى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الاسلام وهو الذى ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل - إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله أعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون - أى فى دلائلهم بقولهم على ضانهم وقال تعالى - ومن الناس من يجيبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ - وقال تعالى - يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذنبين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر فى ابتداء الإسلام ممن يدخل فى ظاهر الإسلام ابتداء لفرض وذلك مما يقل فى زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجهد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول الملاحدة أو يعتقد على بساط التمرع والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو يعتقد كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافه فهو لاء من المنافقين والرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين فانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر . الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان فى يده لما أخرجها ويدخل وقت الصلاة وهو فى جمع وعادته ترك الصلاة فى الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف الدمة لكان لا يحضرها أو يصل رحمه أو يبر والديه لاعتن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتسامه إلى الدم والشمل واللبن الغذائية للولود من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر فى ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر وما يذهب داء الطعام للغير لمزاج القلب أن يدعو فى أول الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوننا على الطاعة ويكون من دعائه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عوننا لنا على

خوفا من الناس أو يفزوا أو يحجج كذلك فهذا مرآة معه أصل الإيمان بالله يستعد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لمبره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخالق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محمديهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد. الثالثة: أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يصبى ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتجهد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة أو طلبا للمحمدة ويسلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض فهذا أيضا عظيم ولكنه دون ما قبله فإن الذي قبله أثر حمد الخالق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخالق دون ذم الخالق فكان ذم الخالق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه فهذا هو الرياء بأصول العبادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات: الأولى أن يرائي بفعله ما في تركه نقصان العبادة كالتي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه آدمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان متربا أو متكئا فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقدما للعلم على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصوم صومه عن القية والرفق لأجل الخلق لا إكالا لعبادة الصوم خوفا من المذمة ، فهذا أيضا من الرياء المحظور لأن فيه تقدما للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطوعات فإن قال المرائي إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن القية فاتهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والقية وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المصيبة فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولائك أعظم من ضررك بعبية غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شغقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدى وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتقلدها فيهدى إليها وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان للملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلمانه وذلك محال بل من يراعى جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للمرائي فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك للزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرنى الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بدمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فيبغى أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراعاة بطاعة الله

ما تحب وما زويت عنا
عما تحب اجعله فراغا
لنا فيما تحب .

[الباب الثالث
والأربعون في آداب
الأكمل]

فمن ذلك أن يتندى
بالملح ويختم به روى
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لعلي
رضي الله عنه « يا علي
أبدأ طعامك بالملح
واختم بالملح فان الملح
شفاء من سبعين داء
منها الجنون والجذام
والبرص ووجع البطن
ووجع الأضراس »
وروت عائشة رضي الله
عنها قالت « لدغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى بفعل مالا تقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكلفة والتسمة لعبادته كالإطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والبادرة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده كاصف الأول وتوجهه إلى عين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أبين وقب ومضى محرم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبضه أشد من بعض والتكل مذموم . الركن الثالث : الرأى لأجله فإن للمرائى مقصودا لا محالة وإنما يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرأى بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولى القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأبناء فيأخذها أو يسلم إليه تفرقه الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يودع الودائع فيأخذها ويحدها أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها أو يتوصل بها إلى استتباع الخبيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التجنب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر عن في الرقبة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبيض الرأى إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلبا إلى معصيته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جرمية آتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذى يجحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال إنه يتصدق بحال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه . الثالثة : أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذى يمشى مستهجلا فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لامن أهل الوقار ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدمانه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة آدمى عن نفسه والله يعلم منه أنه لو كان في خلوة لمسا كان يتفعل عليه ذلك وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير وكذلك يرى جماعة يصلون التراويح ويتجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيواقفهم خيمة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إبهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذى يكون في العجين فجئنا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقية على اللدغة فسكنت عنه » ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية في الربط وغيرها . روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي » وروى أنه قيل « يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع

لا يغفل شيئا من ذلك وكالتدي يحطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفا من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خبيثين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه مخلص ليس بمراء وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرأيا فيبدأ أن يقال إنه صائر لعبادته ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عذرا تصرحاً أو ترضاً بأن يتطل بمرض يقتضى فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أفطرت تطيباً لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشربه كي لا يظن به أنه يتنذر برباء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أخطى اليوم ولم أجد بدا من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضعيفة القلب مشفقة على تظن أنني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعني أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن أما المخلص فإنه لا يراى كيف نظر الخلق إليه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملابسا وإن كان له رغبة في الصوم فتهتم بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يحظر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور وسيأتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف الرائيين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من ديب الخلد كما ورد به الخبر يزل فيه غلوج العلماء فضلا عن العباد الجاهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحفي القدي هو أخفى من ديب الخلد)

قال لكم فترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الأكل على السفر وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا الشيخ أبو زرعة عن القومى باسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزوينى قال أنا محمد ابن المثنى قال ثنا معاذ ابن هشام قال ثنا أبى عن يونس بن القرات عن قتادة عن أنس ابن مالك قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة قال

اعلم أن الرياء جلى وخفى فالجلى هو الذى يمت على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاء وأخفى منه قليلا هو مالا يحمل على العمل بمجرد إلا أنه يخفف العمل الذى يريد به وجه الله كالذى يتبادر التمجيد كل ليلة ويثقل عليه فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصلى لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر فى العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضا ولكنه مع ذلك مستبطن فى القلب ومهما لم يؤثر فى الدعاء إلى العمل لم يكن أن يعرف إلا بالعلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص فى عمله ولا يمتد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى منه يرشح السرور ولو لا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا فى القلب استكنا النار فى الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استثمر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الحفى من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا أن يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضا وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تصريحاً وتصريحاً ولكن بالشائيل كما يظهر التحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التمجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يدموه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا فى قضاء حوائجه وأن يساعوه فى البيع والشراء وأن يوسعوا له فى المسكان فان قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التى أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبدد تقصير الناس في حقه ومنها لم يكن وجود العبادة كدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن غوب خفى من الرياء أخفى من ديب النمل (١) وكل ذلك يوشك أن يجبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن طي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم القيامة: ألم يكن يرضى عليكم السر أم تكونوا تبتدئون بالسلام ألم تكونوا تفضي لكم الحوائج وفي الحديث « لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم » وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما فارقتنا الأموال والأولاد محافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تفضى له لمكان دينه وإن اشترى شيئا أحب أن يرضى عليه لمكان دينه فباع ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجميل قد امتلأ بالناس قال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد أظلك قال للغلام اتنى بطعام فاتاه يئق وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وبأكل أكلا عنيفا فقال الملك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كالناس ، وفي حديث آخر يخبر قال للملك ما عند هذا من خير فأنصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يجهدون لذلك في محادثة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة باخلاصهم على ملاء من الخلق إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وعلوا شدة حاجتهم وفاقمهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجرى والله عن ولده ويشغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد نفسى نفسى فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاتهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المرفق الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبرج والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجى إلا الخالص من النقد فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والراد الذي يزودونه له من التقوى فإذا شوايب الرياء الخفى كثيرة لا تنحصر ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرة البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا ، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا فلو كان مخلصا قائما بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب وتقصان عقاب كالأقارب قدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فغوب خفى ولكن ليس كل شوب مجبط للأجر مفسدا للعمل بل فيه تفصيل . فان قلت لما ترى أحدا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم . فنقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم ، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون تصدده إخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أعلمهم وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه وإلطافه به فانه يستر الطاعة والعصية ثم الله يستر عليه العصية ويظهر الطاعة ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل ليكون فرحه بحميد نظر الله له لا بحمد الناس

(١) حديث في الرياء شوايب أخفى من ديب النمل أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب النمل، ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق وضعفه هو والدارقطني .

فلام كانوا يأكلون؟
قال على السفر ويصفر
اللقمة ويجود الأكل
بالضغ وينظر بين
يديه ولا يطالع وجوه
الأكليين ويقعد على
رجله اليسرى وينصب
اليمين ويجلس جلسة
التواضع غير متكى
ولا متمزز نهي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أن يأكل الرجل
متكئا وروى « أنه
أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم
شاة فجثا رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه يأكل
قال أعرابي ما هذه
الجلسة يا رسول الله ؟

وقيام للزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فإسكانه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به . الثاني أن يستدل باظهار الله الجليل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنبا في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحا بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا التفات إلى المستقبل. الثالث أن يظن رغبة للطلهين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالنية بما أظهر آخره وأجر السر بما قصده أولا ومن اتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال القديين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فان ظهور محال الرجح لتبذ وموجب للسرور لا محالة . الرابع أن يحمده المطمعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبجهم للطبع ويميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الايمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحمده أو يذمه وبهزأه أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد غيره مثل فرحه بحمد إياه . وأما اللذوم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجهم ويقابلوه بالاكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم .

(بيان ما يحبط العمل من الرياء الحفي والجلبى وما لا يحبط)

فقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل إذ العمل قد تم على نعمت الاخلاص سالما عن الرياء فليطرد بدمه فيرجو أن لا يعطف عليه أثره لاسيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء، ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف . وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظهم من أروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له «ما صمت ولا أفطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمبطل للثواب العمل بل الأقبس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثة على العمل فان كان باعثة على العمل وحتم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر، ما صمت ولا أفطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لا صام ولا أفطر وللطيراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل إنى صائم قال بعض التوم إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا صام ولا أفطر من صام الأبد لم أجده بافظ الخطاب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبدا ولم يعصني جبارا عنيدا . ولا يبتدىء بالطعام حتى يبدأ للمقدم أو الشيخ روى حذيفة قال «كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأكل أحدكم يمينه وليشرب يمينه وإأخذ يمينه وليعط يمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كرشيئاً نسي من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس لقطع الصلاة فاستمها خوفاً من مذمة الناس قد حبط أجره وعليه الاعادة إن كان في فريضة وقد قال **عليه السلام** « العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ^(١) » أي النظر إلى خاتمته، وروى « أنه من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله ^(٢) » وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد لما يطرأ يفسد الباقي دون للناهي والصوم والحج من قبيل الصلاة وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لأجل الثواب كالوحدرة جماعة في أثناء الصلاة فحرق بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحمين الصلاة لأجل نظرم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضاً فهذا رياء قد أثر في العمل واتهض باعثاً على الحركات فإن غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغموراً فهذا أيضاً ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغيها ويضمها ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظراً إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه . ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الاحباط في أمره وأهون من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سروراهو كسب التزلة والجاهة قال قد اختلف الناس في هذا فاصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخالفين ولم يحتم عمله بالاخلاص وإيمانهم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقض فيه لاختلاف الناس والأغلب على قاي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى : إنهما حالتان فإذا كانت الأولى فله لم تنضره الثانية . وقد روى « أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ^(٣) » ثم تكلم على الخبر والأثر فقال أما الحسن فإنه أراد بقوله لا يضره أي لا يدع العمل ولا تنضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل إذا عقدت الرياء بمد عقد الاخلاص لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سرورا بسبب حب المهدمة والتزلة بدليل أنه جعل له به أجراً ولا ذهاب من الأمة إلى أن لسرور بالمهدمة أجراً وغايتها أن يفي عنه فكيف يكون له مخلص أجراً وللرأى أجران . والثالث : أنه قال أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه بالحكم بالمعومات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الاحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادراً عن باعث الدين وإيمانا انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

جماله ويأخذ جماله
ويعطى جماله « وإن
كان للأكل تمر أو
ماله عجم لا يجمع من
ذلك ما يرمى ولا يؤكل
على الطبق ولا في كفه
بل يضع ذلك على
ظهر كفه من فيه
ويرميه ولا يأكل من
ذروة التريد . روى
عبد الله بن عباس
عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال « إذا
وضع الطعام فخذوا من
حاشيته وذروا وسطه
فإن البركة تنزل في
وسطه » ولا يعيب الطعام
روى أبو هريرة رضي الله
عنه قال ما عاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ إذا طاب أسفله طاب أعلاه وقد تقدم (٢) حديث من رأى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله لم أجده بهذا اللفظ وللشبخين من حديث جندب من سمع الله به ومن رأى راي راي الله به ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٣) حديث إن رجلاً قال أسر العمل لأحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى فقال لك أجران الحديث البيهقي في شعب الايمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطاع عليه أعجبه قال له أجر السر والعلانية قال الترمذي غريب وقال إنه روى عن أبي صالح وهو ذكر أنه مرسل .

النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب أو أغلب منه أما إذا كان ضميفا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يفسد الصلاة ولا يعد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله الخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما وفي مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ . القسم الثالث : الذي يقارن حال العقد بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضى ولا يمتد بصلاته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فبما يلزمه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تتعد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون محرمة الصلاة لأن التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء باخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بشوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا ينال بمحمد الناس وذمهم فنصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة تفسد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حال الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثة مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا النية عبارة عن إجابة باعث الدين وههنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة في المهددة أيضا فاجتمع الباعثان فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة ورجح فان كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب فمن جعل مثقال ذرة خيرا يره ومن جعل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضا أو نفلا فان كانت نفلا فخمسها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلاف بيت وحده لما صلي لا يصح الافتداء به فان للصير إلى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بتطوعه فصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الافتداء به وإن اقترن به قصد آخر وهو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم يتنهض باعثا في حقه بمجرد استقلاله وإن كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا عمل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طعاما قط إن اشتبه
أكله وإلا تركه وإذا
سقطت اللقمة بأكلها
قد روى أنس بن
مالك رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا
سقطت لقمة أحدكم
فليعط عنها الأذى
ولياً كلها ولا يدعها
للسيطان ويلقى
أصابعه » فقد روى جابر
عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إذا
أكل أحدكم الطعام
فليمتص أصابعه فإنه
لا يدرى في أى طعامه
تكون البركة » وهكذا
أمر عليه السلام
بإسالات القصة وهو

الأمر يباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار منضوبة فانه وإن كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار للنضوبة فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن القدرح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة فهذا ما تراه لانتهاج قانون الفقه والمسألة غامضة من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه ، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد العبادات بأن الحواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما تراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم النيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم .

(بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه)

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه لجدير بالتشمير عن ساق الجرد في إزائه ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفاء إلا في شرب الأدوية للمرة الشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ الصبي يخاف ضعيف العقل والتمييز تمتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإنما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغمس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تشق أولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتفابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . المقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب المنة والجاه وإذا فضل رجع إلى ثلاثة أصول وهي : لذة المحمدة والفرار من ألم التهم والطمع فيما في أيدي الناس ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية (١) ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والتقدير في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملاء دفع راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا يبغي إلا عقلا فله مانوى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم التهم كالبخيل بين الأسيخاء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا يبغي إلا عقلا فله مانوى النسائي وقد تقدم .

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسكات القصعة ولا ينفخ في الطعام فقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « النفخ في الطعام يذهب بالبركة » وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فائس من الأدب ذلك والحل والبقل على السفرة من السنة . قيل إن الملائكة تنحصر للمائدة إذا كان

من الحمد كره الدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويغني بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حلما من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأى إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يغني أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في المال فإن علم أنه لذيق في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيق ولكن إذا بان له أن فيهما أضرار فتركه كذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرر ومهما عرف البعد مضرّة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من الترتة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والوقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على رهوس الخلائق يا فاجر يا غادر يا مرأى أما استحيت إذا شربت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتجهيت إلى العباد بالتبغض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقرّبت إليهم بالبعد من الله وتحمّدت إليهم بالنذم عند الله وطلبت رضام بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهما تفكر البعد في هذا الحزى وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن العمل الواحد بما كان يرجح به ميزان حسنة لو خلس فاذا فسد بالرياء حول إلى كفة السيئات فترجع به وبهوى إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضام في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثم أى عرض له في مدحهم وإشادهم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم قمره وفاقه وهو يوم القيامة وأما الطمع فيما في أيديهم فإن يعلم أن الله تعالى هو للسخر للقلوب بالتمنع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الدل والحية وإن وصل إلى اللراد لم يخل من اللنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله براء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تقى لذته بألم منته ومذلتة وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجه ولا يؤخر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يفضله إلى الله إن كان محمودا عند الله ولا يزيد مقتا إن كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم محزة لا يمكنون لأقسام ضرا ولا تقا ولا يمكنون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها قرت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكتر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يفضله إلى الناس ويرفهم أنه مرء وممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم «إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقل روت أم سعد
رضى الله عنها قالت
«دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عائشة
رضى الله عنها وأنا
عندها فقال هل من
غداء؟ قالت عندنا
خبز وعمر وخل فقال
عليه السلام: نعم الا دام
الحل اللهم بارك في الحل
فانه كان إدام الأنبياء
قبلي ولم يقفر بيت فيه
خل» ولا يصمت على
الطعام فهو من سيرة
الأحاجم ولا يقطع
اللحم والحزب بالسكين
فيه نهى ولا يكف يده
عن الطعام حتى يفرغ
الجمع فقد ورد عن ابن
عمر رضي الله عنهما

كذبت ذلك الله الذي لا إله إلا هو (١) إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأى خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأى شر لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقرّبين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها التّوْبُد والنّازل الرفيعة عند الله استحقّق ما يتعلّق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من السكّورات والنّصّات واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخاص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانصطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره ويفتح بها له من لطائف الكاشفات ما يزيد به أنه باق ووحشته من الخلق واستحقّاره للدنيا واستنظامه للآخرة وسقط عمل الخلق من قلبه وأخجل عنه داعية الرياء وتدلّ له منهج الإخلاص فهذا وما قدّمناه في الشطر الأوّل هي الأدوية العلية القائمة مغارس الرياء . وأما الدواء العملي : فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تلتق الأبواب دون الفواحش حتى يقع قلبه بلم الله وإطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به . وقد روى أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال : أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بهذا فلم يرخس في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل لطف الله وما يعده عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما يعدهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . - القام الثاني : في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أضافاً من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين الخلق واستحقار مدح الخلق وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات بل يمارضه بمخاطر الرياء ولا تنقطع عنه زغاته وهوى النفس وميلها إلى ينمحي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يمرض من خاطر الرياء وخاطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد ترادف على التدرج فالأول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قل مالك وللخلق علواً أولم يعلموا والله عالم بحالك فأى فائدة في علم غيره فإن حاجت الرغبة إلى لذة الحمد يذكر مارسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه لدعت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء لمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لعنت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه إلى القبول والكراهة تدعوه إلى الإباء والنفس تطوع لأعماله أقواها وأغلبها فاذن لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور : المعرفة والكراهة والإباء وقد شرع الصديق العبادة على عزم الإخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تخضره للمعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منظوياً عليها وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الدم وحسب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بأفات الرياء وشؤم عاقبتها إذ لم يبق موضع في القلب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفسرغ القوم وليتمل فان الرجل يجبل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له في الطعام حاجة وإذا وضع الحبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الحبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم . ومن أحسن الأدب وأهمه

(١) حديث قال شاعر من بني تميم إن مدحى زين وإن ذمى شين فقال كذبت ذلك الله ، حم من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله تغات إلا أنى لأعرف لأن سلمة ابن عبد الرحمن سباعاً من الأقرع ورواه الترمذى من حديث البراء وحسنه بلفظ قال الرجل إن حمدى .

خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجرى من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلئ قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل حرارة الغضب وإليه أشار جابر بقوله : بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نباهمه على الموت فأنسيناها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالحروف فنسيت للعهد السابق حتى ذكرناه ، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان ومهما نسي للمعرفة لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الحاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكيف من عالم بحضرة كلام لا يدعوه إلى ضله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحججة عليه أو كذا إذ قبل داعي الرياء مع علمه بفائلته وكونه مذموما عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر للمعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به ليكون الكراهة ضميعة بالاضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتفجع بكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل فاذن لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي المعرفة والكراهة والإيابة ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحسب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكير فيها عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإيابة ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجه له ومنازعة إيابه إلا أنه كاره لحبه ووليله إليه وغير محب إليه فهل يكون في زمرة المرائين ، فأعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا يزعج إليها وإنما ظاهته أن يقابل شهوته بكراهة استئثارها من معرفة المواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن تسلكم بها فقال عليه السلام أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجحدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا حملته على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن

(١) حديث جابر بإيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا نفر الحديث مسلم مختصرا دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس (٢) حديث شكوى الصحابة ما يعرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود مختصرا مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان ، والنسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماملا آدمى وعاء شرا من بطنه » ومن عادة الصوفية أن يلتمس الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فإنه ولي حره ودخانه » وإذا فرغ من الطعام يحمد الله تعالى روى أبو سعيد

يندفع بها ضرر الأصغر أولى وكذلك يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فأتبها عليه فأذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة والحواطر التي هي العلوم والتذكريات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بتلك الحواطر من النفس والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن للشيطان هنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاشتغال بمجادة الشيطان ومدافعتة انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله . والتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب : الأولى أن يردعه على الشيطان فيكذبه ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته ويطلب الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريب على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك . الثانية : أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادته . الثالثة : أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقفة وإن قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالخاصة . الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء فيكون قد عزم على أنه مهازغ الشيطان زاد فيها هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمه ويوجب بأسه وقنوطه حتى لا يرجع . يروى عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له إن فلانا يذكرك فقال والله لأغيطان من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له أي لأغيطنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كلف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو العبد إلى الباب من الأثم فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه . وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهنه الأربعة مثالا أحسن فيه فقال : مثلهم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً لحسد على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق فتقدم إلى واحد فنعه وصرفه عن ذلك ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان غياب منه رجاءه بالسكينة لمر الرابع فلم يتوقف له وأراد أن يغيظه فزاد في محبته وترك الثاني في الشيء فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يماوده خيفة من أن يزداد فائدة باستعماله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن بزغاته فهل يجب التردد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له أو يجب الاشتغال بالعبادة والنفلة عنه . قلنا اختاف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فذهب فرقة من أهل البصرة

(١) حديث ابن عباس الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والنسائي في اليوم واليلة بلفظ كيد .

قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً قال الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي أطعنى هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه » ويتخلل قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة » وفضل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بجه فاعتز لهم الشيطان وأيس منهم وخس عنهم كما أيس من ضفراء العباد في الدعوة إلى الخير والشر وانصارت ملاذ الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخزير فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تديره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراه الله فهو انصار والنافع والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يضيء عن الحذر وقالت فرقة من أهل السلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وحث قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخاص بهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ولا ينبو أحد من الحظر فيه ولذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته - وقال النبي ﷺ «إني ليقان على قلبي» (١) مع أن شيطانه قد أسلم ولا يامر به إلا بخير (٢) فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما - إن هذا عدوكم ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى إن لكان أن لا نجوع فيها ولا نحرى وأنك لا تنظما فيها ولا تضحى - ومع أنه لم يمتد إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فاذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المهن والنقن ومعدن اللذات والشهوات التي انتهى عنها وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى - هذا من عمل الشيطان - ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال تعالى - يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبويك من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقيله من حيث لا تحرونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع الأمن منه وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم - وقال تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فإذا لمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراه فإن بلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه أولى ولذلك قال ابن عمير يز صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا لئلا هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم فليس من الاشتغال بآفة الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قاذح في التوكل فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به الحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكلية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا ينافي امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن الضار والنافع والمهي والميت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والضال هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

(١) حديث إنه ليقان على قلبي تقدم (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بات وفي يده غم لم يخل فأصابه شيء » فلا يلومن إلا نفسه » ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد روى عن ابن عمر رضی الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آرعوا الطموس وخالفوا الميوس » ويستحب مسح العين بيك اليد . وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا توضأتم فأنشروا أعينكم للماء ولا تنفضوا أيديكم فأنها

في التوكل وهذا ما اختاره الحرث الهاسي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم ينزر عليهم ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستسراق بالله يستمر على الدوام وهو بيد ثم اختلفت هذه القرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالسيطان وذلك مراد الشيطان منابله نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فجمع بين الأمرين فانا إن نسيناها ربما عرض من حيث لا نحتمس وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجمع أولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا ينبغي غلظه وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر بمولا يقوى على دفعه فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإيمان ذكره وأما القرقة الثانية فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فلتلق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على هسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكف عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبهه وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يهوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم قافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وأزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدو ومثال القلب بر أر يد تطهيرها من الماء القدر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزع الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا إليها من جانب آخر فيطول تبعه ولا نجف البر من الماء القدر والبصير هو الذي جعل لجرى الماء القدر سدا وملاها بالماء الصافي فإذا جاء للماء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

(بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاكتماء ومرفيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم السلون أن السر أجز العملين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أتى الله تعالى على السر والعلانية قال - إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاظهار قسمان أحدهما في نفس العمل والآخرة بالتحديث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس العمل كالصدقة في اللأ لترغيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين «
قبل لأبي هريرة في
الوضوء وغيره قال
نعم في الوضوء وغيره.
وفي غسل اليد يأخذ
الأشنان باليمين وفي
الحلال لا يزرد
ما يخرج بالحلال من
الأشنان وأما ما يلوكه
باللسان فلا بأس به
ويجتنب التصنع في
أكل الطعام ويكون
أكله بين الجمع
كأكله منفردا فان
الرياء يدخل على العبد
في كل شيء . وصف
لبعض العلماء بعض
العباد فلم يثن عليه
قبل له تعلم به بأسا
قال نعم رأيت يتصنع

الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالمطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه (١) » ونجى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والتزود وغيرها ولكن الاقتداء في الصدقة على الطبايع أغلب، نعم الغازي إذا قام بالخروج فاستمد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزود في أصله من أعمال العالانية لا يمكن إسراره فالمبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة باليسل لئيبه جيرانه وأهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل للمبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدي للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة، وقال قوم السر أفضل من علانية لاقدوة فيها أما العلانية للقدوة فأفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين ويدل عليه قوله عليه السلام « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن بسامه على عمل السر سبعين ضعفا (٢) » وهذا الوجه للخلاف فيه فإنه مهما اتك القلوب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين لما يقتدى به أفضل لامحالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيقتان: إحداهما أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم للمعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فخير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموم ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار بغير الاقتداء وإنما شهرته تتجمل بالعمل وبكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل مام فلا ينبغي أن يخذع الضعيف نفسه بذلك فهلك وهو لا يشعر فإن الضعيف مثاله مثال الفريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الفرق فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والفرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه دائم مدة مديدة وهذه مزلة أقدام العباد والطاء فانهم يشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على الاخلاص فتجرب أجورم بالرياء والتفتن لذلك فامض وعك ذلك أن يرض على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فصل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية إذا استن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد بقية عن شيوخه المجهولين وقد تقدم قبل هذا بنحو ورقين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء وقال محمد بن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة بفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفا وقال تفرده معاوية بن يحيى الصدقي وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع
في الأكل لا يؤمن
عليه التصنع في العمل
وإن كان الطعام حلالا
فليقل الحمد لله الذي
بنعمته تم الصالحات
وتنزل البركات اللهم
صل على محمد وعلى آل
محمد اللهم أطمعنا طيبا
واستعملنا صالحا وإن
كان شبهة يقول الحمد لله
على كل حال اللهم
صل على محمد ولا تجسه
عونا على مصيبتك
وليكثر الاستخار
والحزن ويكفي على
أكل الشبهة ولا
يضحك فليس من
يأكل وهو يبكي كمن
يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرئك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد تفرغ عليه مع إسراره لما بال قلبه يميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا فالحذر من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافعله بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن قوة النطق خفيفة على اللسان وقد تجرى في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوى عظيمة إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقياء . قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت حدثت نفسي بغيرها ولا تمت جنازة حدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط إلا علنت أنه حق ، وقال عمر بن عبد الله عنه : ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأنى لا أدري أيهما خير لى ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فتعنتت أن أكون على غيرها . وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه : ماتتيت ولا عميت ولا مستت ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال شداد بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها غير هذه وكان قد قال لعنانه اثنتا بالفترة لبثت بها حتى ندرت الغداء ، وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرتني أن يكون قضى لى بغيره وما أصبح لى هوى إلا فى مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال الشريفة وفيها غاية المראה إذا صدرت بمن يرانى بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز الاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال والطباع بحجوة على حب التشبه والاقتداء بل إظهار الرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائى ، فكم من غلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله ، وقد روى أنه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات الصلبيين بالقرآن من البيوت فنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف فإظهار الرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم (٢) كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلاف قرش ويحتمل الدخول على قوم في وقت أكلهم وقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقا وأكل حراماً وصعنا انظا آخر دخل سارقاً وخرج مغيراً إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل للضيف التكاف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإغراق ولا يعل

(١) حديث عثمان قوله ماتتيت ولا عميت ولا مستت ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى الموصلى في معجمه باسناد ضعيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال يا رسول الله فذكره بالفظ منذ بايعتك قال هو ذاك يا عثمان (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وتقدم أيضاً .

(بيان الرخصة في كتابان الذنوب وكرهه اطلاع الناس عليها وكرهه ذمهم له)

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو مسلم الحولاني ما عملت عملا أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إيتاني أهلي والبول والمناط إلا أن هذه درجة عظيمة لا يخالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الشهوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك بارادة الصبر لاختفائها عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظوز وليس كذلك بل المحظوز أنه يستتر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرأى. وأما الصادق الذي لا يرأى فله ستر للمعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتماه باطلاع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يفرح بستر الله عليه وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر « أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنبا ستره الله عليه في الآخرة »^(١) وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان. الثاني أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويجب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله »^(٢) فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله ، وهذا ينشأ من قوة الإيمان بكرهه الله لظهور المعاصي وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنوب من غيره أيضا ويفتم بسببه . الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يفضله ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة وبهذه العلة أيضا يذم أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ، وهذا أيضا من قوة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان. الرابع أن يكون ستره ورغبته فيه لكرهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بمحرم ولا الانسان به عاص وإعاصيه إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعت إلى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان أن لا يفتم بضم الخلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذامه ومادحه لعله أن الضر والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا وأكثر الطباع تتألم بالذم لاسيما من الشهور والنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان القدام من أهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يفتم به ، نعم الغم المذموم هو أن يفتم لقوات الحمد بالورع كأنه يجب أن يحمد بالورع ولا يجوز أن يحمى بغيره بل يحمى بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكرهه والرد . وأما كراهه الذم بالمصيبة من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور أن يكون العبد بحيث لا يجب الحمد ولكن يكره الذم وإعاصماده أن يتركه الناس حمدا وذمافهم . من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم إذ الحمد يطلب اللذة وغم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لغب الحذر على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال وأما كراهه الذم على المصيبة فلا محذور فيه إلا أمر واحد هو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر . الخامس أن يكره الذم من حيث إن الذم قد عصى الله تعالى ، وهذا من الإيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضا

(١) حديث أن من ستر الله عليه في الدنيا يستر الله عليه في الآخرة تقدم قبل هذا بورقة (٢) حديث من ارتكب من هذه القاذورات شيئا فليستر بستر الله الحاكم في الاستدراك وقد تقدم .

ذلك حياء وتكلفا
وإذا أكل عند قوم
طعاما قليلا عند فراغة
إن كان بعد للغرب
أفطر عندكم الصائمون
وأكل طعامكم الأبرار
وصلت عليكم لللائكة
وروى أيضا عليكم
صلاة قوم أبرار ليسوا
بآئمين ولا تجار يصلون
بالليل ويصومون
بالتهار . كان بعض
الصحابه يقول ذلك .
ومن الأدب أن
لا يستحقر ما يقدم له
من طعام وكان بعض
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
ماندرى أيهم أعظم
وزرا الذي يحتقر

فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع . السادس : أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم القم فإن ألم مؤلم من حيث يشعر القلب بتقصائه وخسته وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذرا منه . السابع : مجرد الحياء فانه نوع ألم وراء ألم القم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذا قال رسول الله صلى عليه وسلم « الحياء خير كله ^(١) » وقال عليه السلام « الحياء شعبة من الإيمان ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتي إلا بخير ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحي الحليم ^(٤) » فالذي يسبق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق والتهاك والوقاحة فقد الحياء فهو أشد حالا ممن يستر ويستحي إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباها عظيمًا قل من يتفطن له ويدعى كل مرء أنه مستحي وأن سبب تحمسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خاق ينبعث من الطبع الكريم وتبيح عقبيه داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصور أن يخلص معه ويتصور أن يرأى معه ويبانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضًا ونفسه لا تسخو باقرضه إلا أنه يستحي من رده وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال : أحدها أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لحياء له فان المستحي إما أن يتعلم أو يقرض فان أعطى فيتصور له ثلاثة أحوال : أحدها أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقتبح عنده الرد فهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي أن تعطى حق يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء أو ينبغي أن تعطى حق لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء . الثاني أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيمتنر الاعطاء فهيج داعي الاخلاص ويقول له إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسوخو النفس بالاعطاء لذلك فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه . الثالث أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من ألم الحياء ولولا الحياء لردده ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب أو الأراذل لكان يردده وإن كثر الحد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في التبايح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرأى يستحي من اللباحات أيضا حتى إنه يرى مستجلا في الشيء فيعود إلى الهدى وأوصاح كما فيرجع إلى الاقتباس ويؤمن أن ذلك حياء وهو عين الرياء وقد قيل إن بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس ببيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشهد مصيبة من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة السلم وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن يستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف فالقوى يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه ، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبايح والذنوب . الثامن : أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجري

ما يقدم إليه أو الذي يحقر ما عنده أن يقدمه . ويكره أكل طعام للباهاة وما تكلف به للأعراس والتعازي لما عمل للنسوانح لا يؤكل وما عمل لأهل الغزاة لأبأس به وما يجري مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط إليه في التصرف في شيء من طعامه فلا يخرج أن يأكل من طعامه بغير إذنه قال الله تعالى - أو صديقكم - قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يحدوه ففتحوا الباب وأزولوا السفرة

(١) حديث الحياء خير كله مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٢) حديث الحياء شعبة من الإيمان متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث الحياء لا يأتي إلا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (٤) حديث إن الله يحب الحي الحليم الطبراني من حديث فاطمة وللبراز من حديث أبي هريرة إن الله يحب الغنى الحليم للتعفف وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه .

عليه غيره ويقتدى به وهذه العلة الراحة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغي أيضا أن يخفى العاصي أيا مصيبته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه ففي ستر التوب هذه الأعداء الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المصيبة أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرايا كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصالح وحبهم إياه بسببه وقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم لا دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابذ إليهم هذا الخطام بمحبوك (١) فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعبادتها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله واللباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات الحمودة للمينة فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

(بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات)

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرأيا به وذلك غلط وموافق للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك لحروف الآفات مانذ كره وهو أن الطاعات تنقسم إلى ثلاثة في عينه كالصلاة والصوم والحج والزكاة مقاساة ومجاهدات إنما تصير لذينة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس وحمد الناس لذينة وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو لذينة وهو أكثر مالا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالحلقة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإتفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصوم والصلاة والحج فخطرات الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيمت على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدرج بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة فان قدر الانسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده حتى يدفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لانه عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبغي لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الاخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يقصد على الاخلاص ثم يطأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل فاذا لم يحب واشتغلت فبدعوك إلى الرياء فاذا لم تحب ودفعت بقي يقول لك هذا العمل ليس بخامس وأنت مرءا وتمك ضائع فأبى فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا من أن يكون مرأيا كمن سلم إليه مولاة حنطة فيها زوان وقال خلصها من الزوان ونمها منه تنقية بالثة فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا تقيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل

(١) حديث قال رجل دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ وازهد فيما في أبدى الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان
فصرح وقال ذكروني
أخلاق السلف هكذا
كانوا ومن دعى إلى
طعام فالاجابة من
السنة وأوكذ ذلك
الوليمة وقد يتخلف
بعض الناس عن
الدعوة تكبرا وذلك
خطأ وإن عمل ذلك
تذمعا ورياء فهو أقل
من التكبر . روى
أن الحسن بن علي
مرّ بقوم من الساكنين
الدين يسألون الناس
على الطرق وقد ثروا
كسرا على الأرض
وهو على بخلته قسا
مرّ بهم سلم عليهم
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفا على الناس أن يقولوا إنه مرآه فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولا أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم ويخوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم إنه مرآه هو عين الرياء فلولا جبه لهدمتهم وخوفهم من ذمهم لماله ولقولهم قتلوا إنه مرآه أو قتلوا إنه مخلص وأي فرق بين أن يترك العمل خوفا من أن يقال إنه مرآه وبين أن يحسن العمل خوفا من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل أشد من ذلك فهذه كلها مكاييد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه مخلص لا يشتبه الشهرة فيضطرك بذلك إلى أن تهرب فان هربت ودخلت سرىا تحت الأرض ألقي في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهديك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا تقع فيه في الدنيا تلزم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وإن نزع العدو نازغ الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الحيرات لما دمت تجرد باعنا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت تصك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لتقول بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافل فان قال لك الشيطان أنت مرآه فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى وإن لم تجرد في قلبك له كراهية ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فان ترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب . فان قلت فقد قل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأطبق للصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا تقرأ أكل ساعة . وقال إبراهيم التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا جارضه ماورد من إظهار الطاعات بمن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم ليرك . وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف فالافتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء وأما إطباق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستنائه بعد خروجه للاشتغال بمكائده فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك بمن يخوف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا مجرد خوف الرياء وأما قول التيمي إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذرا من العجب فأما الكلام الحق للندوب إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة يدن العبد بما

وقالوا هم الغداه ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب التكبرين ثم نهي ورکه نزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال . وروى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتماق بالباس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لحوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإنما ذكره تحويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إتيان المال . أما الخلافة والإمارة فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليوم من إمام تأدل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما»^(١) فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم «أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط»^(٢) أحدهم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل»^(٣) أحدهم وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل»^(٤) رواه أبو سعيد الخدري فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات ولم يزل للفقهاء يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تحملها وذلك لما فيه من عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمور وهو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وإن كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكاتبه وإن كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرًا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضى الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه ما طاقه عدله أو أوبقه جوره»^(٥) رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يأمر المؤمنين أشرفى قال اجلس واكنم على وروى الحسن «أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي خرنى قال اجلس»^(٦) وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم «يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو ملطان مقسط الحديث ولم أرفقه في ذكر الأولية (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفى وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحاق بن إبراهيم الدياجى ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة إلا جاء يوم القيامة يده مغلوله إلى عنقه لايفكها إلا عدله أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيما يزيد بن أبي زياد متكلم فيه ورواه أحمد والبراز وأوسلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي الدرداء مامن والى ثلاثة إلا لاقى الله مغلوله يمينه الحديث وقد عزي للصف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار والمعروف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعه الله رعية لم يحطها بنصيحة إلا لم يرح راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم خرنى قال اجلس الطبراني موصولا من حديث عصمة هوا بن مالك وفيه الفضل بن المختار وأحاديثه منسكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم ورواه أيضا من حديث ابن عمر بلفظ أرم يتك وفيه الغراب بن ابى الغراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

يأمر المؤمنين إماما
أكرمت العلم وأجلته
فأجلك الله تعالى
وأكرمك كما أكرمت
العلم .

[الباب الرابع
والأربعون في ذكر
أدبهم في اللباس ونياتهم
ومقاصدهم فيه]

اللباس من حاجات
النفس وضرورتها لدفع
الحر والبرد كما أن
الطعام من حاجات
النفس لدفع الجوع وكما
أن النفس غير قانئة
بقدر الحاجة من الطعام
بل تطلب الزيادات
والشهوات فهكذا في
اللباس تتفنن فيه ولها
فيه أهوية متنوعة

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها^(١)» وقال أبو بكر رضى الله عنه لرافع بن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولى هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لى لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك فمن لم يجد فيها فليبه بهلة الله ينى لعنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التهى عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء فى الدين لا يبنى أن يعتنوا من تقلد الولايات وأن الضعفاء لا يبنى أن يدوروا بها فيهلكوا وأعنى بالقوى القدى لا يميله الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه فى الله لومة لأم وهم القدين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقهروا الشيطان فأيس منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل فى الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض فى الولايات ومن جرب نفسه فراها صابرة على الحق كافة عن الشهوات فى غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذقت لذنة الولاية وأن تستحل الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فتكره العزل فيدهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء فى أنه هل يلزمه الحرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لأن هذا خوف أمر فى المستقبل وهو فى الحال لم يهد نفسه لإقوية فى ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع فالعزل مؤلم وهو كإقيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل ويميل نفسه إلى المداينة وإهمال الحق وتهوى به فى قصر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى اللوت إلا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل عجب للولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولتلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا^(٢)» فاذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبى بكر رافعا عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو فى معناها فان كل ذى ولاية أمير أى له أمر نافذ والامارة محبوبة بالطبع والثواب فى القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه أيضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة^(٣)» وقال عليه السلام «من استقضى فقد ذبح بغير سكين^(٤)» فحكاه حكم الامارة يبنى أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن فى عينه ولتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم فى الله لومة لأم ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضى على القضاء إلا بعداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل التماقنين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أولم يطيعوه فليس له أن يتقلد القضاء وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عدرا مرخصا له فى الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فيبنى أن يفرح بالعزل إن كان يقضى لله فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة فى الدرك الأسفل من النار . وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية

ومآرب مختلفة فالصوفى يرد النفس فى اللباس إلى متابعة صريح العلم . قيل لبعض الصوفية توبك بمزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق فى ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من اشترى ثوبا بمشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» أى لأفريضة ولا نافذة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط فى صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لا تسبل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبى موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم فى العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استقضى فقد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبى هريرة بلفظ من جعل قاضيا وفى رواية من ولى القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فأفته أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا فطر من الحديث وقال بمعنى من الحديث أني أشتبهت أن أحدث ولو اشتبهت أن لا أحدث لحدثت والواعظ يهد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لثة لا توازيها لثة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويغر عن كل كلام يستقله العوام وإن كان حقا وبصير مصروف المهمة بالسكينة إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان يبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أو لا يعمد القول إذا أنعم الله على هذه النعمة وتغنى بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نعمها إخواني للسلمين فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والبرزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثف فيبني أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن تتراض نفسه وتقوى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم محرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها (٢) » وقال « نعمت للرضعة وبئست الفاطمة (٣) » ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعاش فلم نهى عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضى الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد للسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فنع من أن يتبعوه وقال ذلك فتنة على التبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه . واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أمتنعى من نصح الناس فقال أخشى أن تنتفع حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه محاميل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منهما فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤدي إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرياسة وحبا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في التهي عن إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لثة الرياسة فان لم يكن

(١) حديث التهي عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن حمزة لائسلة الإمارة وقد تقدم قبله بثلاثة أحاديث (٢) حديث إنكم محرمون على الإمارة وإنها حسرة وندامة إلا من أخذها بحقها البخارى من حديث أبي هريرة دون قوله إلا من أخذها بحقها وزاد في آخره نعمت الرضعة وبئست الفاطمة ودون قوله حسرة وهي في صحيح ابن حبان (٣) حديث نعمت الرضعة وبئست الفاطمة البخارى من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله ورواه ابن حبان بلفظ فبئست للرضعة وبئست الفاطمة (٤) حديث التهي عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤصرون على اثنين ولا تلبين مال يتيم

الصلاة وما عدا هذين
التنظيرين فنظره في
كونه يدفع الحر والبرد
لأن ذلك مصلحة
النفس وبعد ذلك
ما تدعو النفس إليه
فكله فضول وزيادة
ونظر إلى الخلق
والصادق لا يبغي أن
يلبس الثوب إلا لله
وهو ستر العورة
أو لنفسه لدفع الحر
والبرد . وحكى أن
سفيان الثوري رضى
الله عنه خرج ذات يوم
وعليه ثوب قد لبسه
مقلوبا فقيل له ولم يعلم
بذلك فهم أن يحلمه
ويضيره ثم تركه وقال
حيث لبست نويت أني

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييه إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا تمنعه منه وهولبه اشتغل وجاهد نفسك ، فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ^(١) » ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويؤيد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجبة القرونة بالأشمار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتغوييف للمسلمين بل فيه الترجية والتجربة على المعاصي بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم فاتهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامه في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يظن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردها في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما بين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تأمرون وتدرسون ما لا تعملون فيأسوه ما تحمكون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى وما يرضى عنكم أن تتفواجلوكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه الخبث كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكى من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أفدتم أنفسكم بصلح دنياكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس أحسن منكم لو تعلمون وبلسكم حتى متى تصفون الطريق للمدجلين وتقيمون في محلة التعجبين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوا هالكهم مهالما وليسكم ماذا يرضى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يرضى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كهيد أقباه ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تفلعكم عن أصولكم فلتقيكم على وجوهكم ثم تنكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يذفكم العلم من خلفكم ثم يسلّمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقسكم على سوا أنفسكم ثم يحجزكم بسوء أعمالكم وقد روى الحارث المحاسبى هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وقتة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل طار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ^(٣) » إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغى أن يقال للعالم اشتغل بالعلم وأترك مرآة الخلق كما يقال لمن خالجه لرياء في الصلاة لاترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بنسبته (٣) حديث أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك في أوله ولمسلم من حديث أبي هريرة من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه الحديث .

ألبسه لله والآن فما غيره إلا لنظر الخلق فلا أتقض النية الأولى بهذه. والصوفية خصوصا بطهارة الأخلاق وما رزقوا طهارة الأخلاق إلا بالصلاح والأهلية والاستعداد الذي هياه الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الأخلاق وتمازدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار إليه بقوله تعالى - فاذا صوته ونفخت فيه من روحي - فالناسب هو التسوية فمن للناسب أن يصكون لباسهم مشا كلالطعامهم

كفضل الخلافة وإمارة ولا تقول لأحد من عباده أترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإعسا الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا تقول له أيضا أتركه مادام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا يباعث الرياء أما إذ لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للنصاب الكبيرة في العلم . وبالجملة فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وضغناؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لحوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على تفويتها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الرتبين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوى ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأسا دون الأقوياء ومن نصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولادة أشبه وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم . وهنارتبة رابعة وهي : جمع المال وأخذة للفرقة على المستحقين فإن في الاتفاق وإظهار السخاء استجابا للشاء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب انقوت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وأن من ازهد تركها قربة إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسرنى أني أقت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تطلبهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السبيح عليه السلام ياطالب الدنيا ليتركها لها أبر ، وقال أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركها لأبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل . وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو آثار والأحب أن يعمل ويدفع الآفات فإن هجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر ليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجملة ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا بالشر ولما تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفصيلها بنق وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه وبدع ما يريه إلى ما يريه ثم قديع مما ذكرناه ضرور للجاهل فيمسك للمال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن تفرقة المال في اللباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاتفاق أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فأما للمال الحاصل من الحلال ففرته أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت فبأي علامة تعرف العالم والواعظ أنه صادق محاسن في وعظه غير مرید رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظا أو أغزمته علما والناس له أشد قبولاً فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يثنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن الأكارب إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والشيء خلقه في الأسواق

وطعامهم مشا كلا
لكلامهم وكلامهم
مشا كلا لمناهم لأن
التناسب الواقع في
النفس مقيد بالعلم
والتشابه والتماثل في
الأحوال يحكم به العلم
ومتصفوة الزمان
ملتزمون بشيء من
التناسب مع مزج
الهوى وما عندهم من
التطلع إلى التناسب
رشح حال سلفهم في
وجود التناسب . قال
أبو سليمان الداراني :
يلبس أحدهم عباءة
بثلاثة دراهم وشهوته
في بطنه بخمسة دراهم
أنكر ذلك لعدم
التناسب فمن خشن

ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرص وهو على بردون أصغر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم يرحلقة أحدا من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم نفي وركه فزل ومشي نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها إليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجايفت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة وجلس للحجاج بجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم لما قطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جالس الحجاج إليه أن يزيدني كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هية الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرت فليكن بهذه المجالس وأشبابها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مجالس الذكر رياض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرفتنا بفضلها قال ثم اترا الحجاج فتكلم حتى هجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق قائما فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله السليدين ألا تعجبون آني رجل شيخ كبير وآني أغزوا فأكلف فرسا وبغلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثمائة درهم من العطاء وأن لي سبع بنات من العيال فشكنا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباداته خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزاعد وآه غزاه في القساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة وإذا أغزى أخاه أغزاه طاويا وراجلا لما اترا الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأعداه قائم رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحنى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قائم الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيت فاعزاه فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا إلى الدينار والدرهم إن الحياة أشد الحياة أن مجالسنا الرجل فطمئن إلى جانبه ثم نطلق فيسمى بنا إلى شرارة من نار إني أتيت هذا الرجل قال أقصر عليك من لسانك وقلك إذا غزاعد وآه كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لأبالك تعرض علينا الناس أما إننا نطلي ذلك لاتهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد للنزل فيينا هو يسير إذ التفت فرأى قوما يتيمونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو إفا رجوا لما يبقى هذا من قلب العبد فيه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتقاربون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

(بيان ما يصح من نشاط العبد لعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح)

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بضعه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قرية فاذا زأهم انبت نشاطه للمواقة حتى يزيد على ما كان يتأده أو صلى مع أنه كان لا يتأد الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل للموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولا هم لما انبت هذا النشاط فهذا ما يبظن أن يراه وأن الواجب

(١) حديث أن مجالس الذكر رياض الجنة تقدم في الأذكار والدعوات .

ثوبه ينبغي أن يكون ما كوله من جنسه وإذا اختلف التوب والمأكول يدل على وجود اعتراف لوجود هوى كامن في أحد الطرفين إما في طرف التوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف للأكل لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى للداواة ليعود إلى حد الاعتدال . ليس أبو سليمان الداراني ثوبا غسلا فقال له أحمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل ليمس في الثياب

ترك للمواقفة وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد عمقه العوائق وعينه الاشتغال وبغلبه التمسك من الشهوات وأتستويه الفضلة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة أو تدفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجيد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقاربه أو الاشتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معامليه فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفر رغبتة عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته أيام وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فانه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره للوضع أو سبب آخر فيغتم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائماً وتسمح بالتهجد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يصير عليه الصوم في منزله ومعه أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثلة من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه مهم والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرثياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة وقد تكون رغبتة في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك محامس ولست تصل لأجلهم بل لله وإعساك لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإعساك داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركة واحدة لأنه يصحى الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله وإن كان ابتعائه لدفع العوائق وتحريك القبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك أن يمرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه فان سخت نفسه فليصل فان باعته الحق وإن كان ذلك ينقل على نفسه لو طاب عن أعينهم فليترك فان باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه تزوع النفس إلى حب الحمد فهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يمهده من حب الحمد بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشغل بالعبادة وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لمساكبي ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيبكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه مساواة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيبكي تكلفاً وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يمرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه المساواة فيبكي أم لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فأنما خوفه من أن يقال إنه قاسى القلب فينبغي أن يترك التباكي . قال لقمان عليه السلام لابنه : لا ترى الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقبلك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال

فكان الفقراء يلبسون الرقع وربما كانوا يأخذون المحرق من الزابل ويرقصون بها نوبهم وقد فصل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون إليه فكما كانت رقاعهم من الزابل كانت لهم من الأبواب . وكان أبو عبد الله الرفاعي مثابراً على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا أكل بحق للسكنة ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والحرف والندم والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك عمود وقد تقرر به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمدد ويرد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد منه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تعزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت خشية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الحرف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحالته شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى أنه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفتق سريعا فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة وإنما هي كبريى خاطف فيستديم الزغطة والرقص ليرى دوام حاله وكذلك قد يفتق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سرعا فيجزع أن يقال لم تكن غشيتة صريحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكلم على غيره يرى أنه يضمن عن القيام ويتمايل في الشئ ويقرب الخطأ ليظهر أنه ضعيف عن سرعة الشئ فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطررت فصلاحها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا ثقافته في الباطن واطلموا على ضميره لمتنوه وإن الله مطلع على ضميره وهو له أشد ممتنا كما روى عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق قمام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذي راكحين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين وقد جاء في الخبر «تمودوا بالله من خشوع النفاق»^(١) وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لحاظر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمرء أنه فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يحطرك وانظر ما هو ومن أين هو فإن كان لله فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كديب الخذل وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتجدد ذلك خاطر الركون إلى حمد بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكير في اطلاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال يا أيوب أما علمت أن العبد تفضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس آني أخشاك وانت لي بماقت . وكان من دعاء على بن الحسين رضي الله عنهما: اللهم إني أعوذ بك أن تهسن لي لامة الميون علانيتي وتبصيح لك فيما أخلو سررتي محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيا لما أنت مطلع عليه مني أبدى للناس أحسن أسرى وأفضى إليك بأسوأ عمل تقربا إلى الناس بحسناتي وفرارا منهم إليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب على غضبك أعذني من ذلك يارب العالمين وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سر أزم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جعل آفات الرياء ، فليراقب العبد قلبه ليوقف عليها ففي الخبر « إن للرياء سبعين بابا »^(٢) وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى إن بعضه

يخرج بين المشايخ يطلب الكسر من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حتى أن جماعة من أصحاب الرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم به والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت يا غلام مثلك من يلبس للرقة فكان أحدم

(١) حديث تمودوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضعفه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا ههكذا ذكر

مثل ديب الخمل وبعضه أخفى من ديب الخمل وكيف يدرك ما هو أخفى من ديب الخمل إلا بشدة التفقد وللرابة وليته أدرك بعد بذل الجهود فكيف يطعم في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفطيش عن خدعها ، نسال الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

(بيان ما ينبغي للمرء أن يلزم نفسه قبل العمل وبهذه وفيه)

اعلم أن أولى ما يلزم المرء قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخف إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجأه اشتبهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة قليل لم يلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للفتك وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تسكاد تغلى حرصا على الانشاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لجدوا لك ثناني الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيجهل الناس بحملك وينكرون قدرتك وعزمون الاقتداء بك ففى مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبدأ الأبد وعظم غضب الله ومقته على من طاب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لتيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بمحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزق ولا أجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن يأس عنه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقوياء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من التتمى لأن للتتمى إن فسدت نوافله بقيت فرائضة كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل فإن لم تسلم صار مأخوذا بالفرائض وهلك به فالمخلط إلى الاخلاص أحوج . وقد روى تميم الهامري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحاسب العبد يوم القيامة فان تمس فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطرفه فألقى في النار (١) » فيأتى المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بمخلوض النوافل وأما التتمى فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة، فاذن ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخله من الرياء الخفى ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قوله ورده مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبهذه إلا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقنا في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله فاذا

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمشاء وإنما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابته بالواو والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أيسرها أن ينسكح الرجل أمه وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيب مختلف فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثون وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى البراز حديث ابن مسعود بانظ الرياء بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمشاء لا اقترانه مع الشرك والله أعلم (١) حديث تميم الهامري في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتقدم في الصلاة .

يقتى زمانه لا يطوى له
ثوب ولا يملك غير
ثوبه الذي عليه .
وروى أن أمير
المؤمنين عليا رضى الله
عنه لبس قميصا اشتراه
بثلاثة دراهم ثم قطع
كفه من رموس أصابعه
وروى عنه أنه قال
لعمر بن الخطاب إن
أردت أن تلقى صاحبك
فرقع قميصك واخفف
نملك وتصر أملك
وكل دون الشبع .
وحكى عن الجريري
قال كان في جامع بغداد
رجل لا تنكاد تجده
إلا في ثوب واحد في
الشتاء والصيف فمثل
عن ذلك فقال قد

شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشك في أنه هل أفسده رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تمظم لذته في النجاة والطاعات، بالإخلاص يقين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جديراً أن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، ولقدى يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغى أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعلم بعله فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من التعلم والنعم عليه فان ذلك يحبط الأجر فهما توقع من التعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة في الشئ في الطريق ليستكثر باستتباعه أو تردداً منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليكون له مثل أجره ولكن خدمة التليذ بنفسه قبل خدمته فرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستعده منه لو قطعته ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى إن بعضهم وقع في برغفاه قوم فادلوا بحبل ليرفعوه خلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثاً خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسفيان الثوري ثوباً فردته على قلتي له يا أبا عبد الله لست أنا من يضع الحديث حتى ترده على قال علمت ذلك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره . وجاء رجل إلى سفيان يدره أو يدريته وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيراً فقال له يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شئ فقال رحمه الله أباك كان وكان وأثنى عليه فقال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا المسال إليّ فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عمالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فردته على فخرج فقال أحب أن تأخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فسكروه أن يأخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت ويلك أي شئ قلبك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أم أترحمي أم أترحم إخوتك أم أترحم عيالنا فأكرت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مرثياً وأسأل عنها أنا ، فإذا ن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط ويوجب على التعلم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند العلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملاً نقداً على توم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم العلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة فان العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمهما لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث إن رضا الله منه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضاً وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بماحله ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله فان ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم محله وهو لا يدري أنه الخفيف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من

كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرأيت ليلة فما يرى النائم كأنى دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقهاء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا يدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قبيصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله تعالى . وقيل مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تكفيك هذه الحصة قال ترى الدير الذي بمعدانك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما تناقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيني جهد ساعة لعز الأبد فوفر في قلبى للرفة فقال حسبك أو أزيدك؟ قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى لى ركوة فيها عشرون حصة فقال لى ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمع على النصارى فقالوا يا حنيني ما الذى أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما تصنع به ونحن أحق بهم قالوا ساوم قلت عشرون دينارا فأعطوني عشرين دينارا فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنيني ما الذى صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بشرين دينارا قال أخطأت لو ساومتهم بشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ، يا حنيني أقبل على ربك ودع الذهب والحيثة. والقصد أن استعمار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخاوة وقد لا يشعر العبد به فينبغى أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الحلق عنده والبهايم بمثابة واحدة فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعا إلا كراهة ضعيفة إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وإيمانه فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا ينجب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانتباض كي لا ينسطوا إليه بذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتمتل بطلب الانتباض فيطالبها في دعواها قصد الانتباض بموثق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن انتباضهم عنه إنما حصل بأن جدوا كثيرا أو يضحك كثيرا أو يأكل كثيرا فسمح نفسه بذلك فإذا لم تسمح وصححت بالعبادة فيشبهه أن يكون مرادها للثزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمل فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغنى زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في الغنى زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويعجب إلى القلب للسكنة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما استروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثورى كان مجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يثمنون أنهم فقراء في مجلسه ، نعم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في قعر لكنت لا تقدم الغنى عليه في إكرام وتوقير ألبتة فإن الفقير أكرم على الله من الغنى فلشارك له لا يكون إلا طمعا في غناه ورياء له ثم إذا سوت بينهما في المجالسة فيخنى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغنى أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفى أو طمع خفى كما قال ابن السالك لجارية له مالى إذا أتيت بفدا فتحت لى الحكمة قالت الطمع يشهد لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطق عند الغنى بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكابد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينبغى منها إلا أن تخرج ماسوى الله من قلبك وتجرد بالشفقة على نفسك بنية عمرك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زمانا لا يلبس الثوب إلا مستأجرا حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئا وقال أبو حفص الحداد إذا رأيت وضاعة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدي وعليه مرقته قيل كان وزن فردكم له وتغاريصه ثلاثة عشر رطلا قد يكون جمع من الصالحين على هذا الزى والتخشن وقد يصكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير للرقع وزى

ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منفضة في أيام متقاربة وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بذنه سقم وهو يخاف الملاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسب وجاهد شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولاً لقله أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصاً لشدته احتمايته لهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى اللوت للفرق بينه وبين مملكته للوجب لثماتة الأعداء به ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيها يستبده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء ويدن صحيح وقلب رخي وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصايرة للكروهات فكذلك المؤمن المرید بملك الآخرة احتسب عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة والحزن والخوف وترك اللؤامة بالخلق خوفاً من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه يخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بماقبة أمره وبما أعد له من النعيم للقيم في رضوان الله أبد الآباده ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المریدين لمراضته عوناً وهم رءوفاً وعليهم عطوفاً ولوشاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وحجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة الناجاة ما يلهمه عن سائر اللذات ويقويه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمدته بموته فان الكريم لا يضيع سعى الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول : من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقاءهم أشد شوقاً . فيظهر العبد في البداية جده وصدقته وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على التقرب ما هو اللائق بمجوده وكرمه ورافته ورحمته . ثم كانت ذم الجاه والرياء والمجد لله وحده .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

(وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار التكبر العلى الذى لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدفمه عن مراده دافع النفي الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الأنبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكة وأنبياؤه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وفصر أيدي القياصرة عظمتة وكبرياؤه فالعظمة إزاره والسكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدس أسماؤه، والصلاة على محمد الذى أنزل عليه النور للنتشر ضياؤه حتى أشرفت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه وخيرته وأصفياءه وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

القرءاء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم التروض أو واجب حق الرقعة وقيل كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرس فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلاوطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجملوا بينهم وبين التراب عائلاً ويكون لبس أبي حفص الناعم بلم ونية يلقي الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الحشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يتعرض

[أما بعد] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما فصمته ^(١) » وقال عليه السلام « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرء بنفسه ^(٢) » فالكبر والعجب داءان مهلكان والتكبر والعجب مقبان مريضان وهما عند الله مقفوتان بغيضان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح للهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فاتهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي ياتهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشرط في العجب : الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان مابه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الم محمود من خلق التواضع وللذموم منه .

(بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى - ما صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - وقال عز وجل - كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار - وقال تعالى - واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد - وقال تعالى - إنه لا يحب المستكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي ^(٣) » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على الصفا فتواقفا فضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يسبح فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا بنى عبد الله بن عمرو زعم أنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أ كبه الله في النار على وجهه ^(٤) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيه ما أصابهم من العذاب ^(٥) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائة ألف من الانس ومائة ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أ بعد مما رفعتة وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما فصمته الحاكم في المستدرک دون ذکر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف وتقدم فيه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له وقال أبو داود قدفته في النار وقال مسلم عذبه وقال برداؤه وإزاره بالنسبة وزاد مع أبي هريرة ابا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كبه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه بإسناد صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس
الحشن وللرقع يصلح
لسائر الفقراء بنية
التقلل من الدنيا
وزهرتها وبهجتها وقد
ورد « من ترك ثوب
جمال وهو قادر على
لبسه ألبسه الله تعالى
من حلل الجنة » وأما
لبس الناعم فلا يصلح
إلا لعالم بحاله بسير
بصفات نفسه متفقد
خفي شهوات النفس
يلتقى الله تعالى بحسن
النية في ذلك فلحسن
النية في ذلك وجوه
متعددة بطول شرحها
ومن الناس من لا يقصد
لبس ثوب بيمينه
لأخشوته ولا نعومته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكنت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالصورين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وهجرتهم فقال الله للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ماؤها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « بشئ العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى بشئ العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير للتعال بشئ العبد عبد غفل وسها ونسى القابرو والي بشئ عبد عتا وبني ونسى للبدأ وللتهي (٤) » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت (٥) » وقال عبد الله بن عمرو: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني آمركما بالثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة لليزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلة فوضعت لا إله إلا الله عليها لتصمنا وأمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء (٦) » قال للسيح عليه السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يتجبرا. وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء للقون (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم أخلاقا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون التفيقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فالنفيقون قال التكبرون (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم « يحشر للتكبرون يوم القيامة في مثل صور القدر تطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلم نار الأنبار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار (٩) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل يلبس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب الذي أدخله الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فنسد ذلك لا يسمعه إلا أن يلبس الثوب الذي ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيئة من اللبوس بل كان يلبس ما يتفق من غير تعدد تكلف

(١) حديث يخرج من النار عنق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة تندم في أسباب الكسب والعاش والمروف خائن مكان جبار (٣) حديث تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بشئ العبد عبد تجبر واعتدى الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت ميمس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوى ورواه الحاكم في المستدرک ومعه ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حمار وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت البيهقي في الشعب هكذا مر سلا بلاه فظن بجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو: إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني آمركما بالثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتله جواظ مستكبر (٨) حديث إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الحنفي بلفظ إلى ومنى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أن ثعلبة وقد تقدم في رياضة للنفس أول الحديث (٩) حديث يحشر للتكبرون يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وكان حسن غريب .

« يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدرّ تطوّم الناس لهوانهم على الله تعالى (١) » وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء (٤) » وقال « من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول (٥) » الآثار: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير ، وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب مادم رجله فلهقبه ببعضها وقد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين ، وقال الحسن العجبي من ابن آدم يفصل الحمره بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - هوسبيل الغائط والبول ، وقد قال محمد بن الحسين ابن علي ما دخل قلب امرئ شئ من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر. وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ، وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالي وغلوجا وإن من مصالي الشيطان وظلوه البطر بأنتم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

(بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجبر الثياب)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجرم إزاره بطرا (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « بينا رجل يتبختر في برديه إذ أهبطته نفسه غسفت الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جرم ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحشر الجبارون والتكبرون يوم القيامة في صور الدر الحديث البزار هكذا مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له هيب حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث إن في النار قصرا يجعل فيه للتكبرون ويطبق عليهم البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال توابيت مكان قصر او قال فيقتل مكان يطبق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث أعوذ بالله من الشيطان من نفخة ونفثه وهمزته قال نفثه الشعر ونفخة الكبر وهمزته الموتة ولأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة : الكبر والدين والغلول الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر للسنن لهذا الحديث هنا موافق للمشهور في الرواية أنه الكبر بالوحدة والراء لكن ذكر ابن الجوزي في جامع السانيد عن الدارقطني قال إنما هو الكثر بالنون والثراي وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في تفسير - والذين يكفرون الذهب والنفضة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جرم إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٧) حديث بينا رجل يتبختر في برديه قد أهبطته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان يلبس العمامة بشرة دنائير ويابس العمامة بدائق. وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويشطط بلبس وكان الشيخ علي بن الهيثي يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكل في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الأقدام في ذلك يطول ، وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بن أرفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء »^(۱) وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : ابن آدم أمتجزي وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا صوتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وميد جمعت ومنعت حتى إذا بلنت الترابي قلت أتصدق وآتي أو ان الصدقة »^(۲) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مضت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض »^(۳) قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان »^(۴) الآثار : عن أبي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهم يريد للقصورة وعليه جياب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفج عنها قباه وهو يمشى يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنته ثاني عطفه ، صمرخده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نم غير مشكورة ولا مذكورة غير للأخذ بأمر الله فيها ولا الأؤدى حق الله منها والله أن يمشى أحد طبيعته يتخلج تخلج الجنون في كل عضو من أعضائه فهو نعمة وللشيطان به لفة فسمع ابن الأهم فرجع يتنذر إليه فقال لا تنذر إليّ وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى - ولا تمس في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - ومرّ بالحسن شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابه محبّ لكما لله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عمك ويحك داو قلبك فان حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فمزجبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خرم قد ل عمر كالمعتد يا عمّ لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تطمئنأ ، ورأى عمر بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدري من أنت أمامك فأشترها بما تاتي درهم وأمامك بوك فلا أكر الله في المسلمين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يمرّ إزاره فقال إن للشيطان إخوانا كره امرأتين أو ثلاثا ، ويرى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى الملب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له الملب أما ترفني فقال بل أعراك أولك نظفة مذرة وآخر كجيفة قدرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فضى الملب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتمطى - أي يتبختر ، وإذ قد ذكرنا ذلك الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

(بيان فضيلة التواضع)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزوا ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »^(۵) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمساكانه بها فان هورفع نفسه

(۱) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء رواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبد الله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن المار رجل من بني ليث غير مسمى (۲) حديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أمتجزي وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم ومصحح إسناده من حديث بشر بن جعاش (۳) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر للطيطاء بضم اليم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مشاة من تحت مضرا ولم يستعمل مكبرا (۴) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم ومصحح والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (۵) حديث ما زاد الله عبدا بغفو إلا عزوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى مواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لائلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا عقابا فيقول من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الحشن ولكن يحب

جيدها ثم قال اللهم ضعه وإن وضع نفسه قال اللهم ارفعه (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير مصيبة ورحم أهل الدار والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة (٢) » وعن أبي سلمة اللديني عن أبيه عن جده قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صاعماً فأتيناه عند إفطاره بقدم من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا ؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه وقال أما إنى لأأحرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكرذ كر الله أحبه الله (٣) » وروى « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلاً من قريش اشماز منه وتكره فمات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « خيرنى ربى بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أختار وكان صفى من اللائكة جبريل فرفعت رأسى إليه فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً (٥) » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إنما أقبل صلاة من تواضع لمظمتى ولم يتعاطم على خلقى وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى وقال ﷺ « الكرم التوى والشرف التواضع واليقين الغنى (٦) » وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب النابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا هدى الله للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « أربع لا يجيبهم الله إلا من أحب الصمت وهو أوّل العبادة

أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى في زى بعينه فله تعالى يفتح عليه ويعرفه زياً مخصوصاً فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله . ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكنانه بها الحديث العقيلي في الضعفاء والبيهقى في الشعب من حديث أبي هريرة والبيهقى أيضاً من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث البغوى وابن قانع والطبرانى من حديث ركب الصرى والبرار من حديث أنس وقد تقدم بعضه في العلم وبعضه في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة اللديني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صاعماً الحديث وفيه من تواضع رفعه الله الحديث رواه البرار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقباء وقال الذهبي في البرار إنه خبر منكر وقد تقدم ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إنى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكثر كر الموت أحبه الله وروى الرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله وذكر فيه قوله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذى كان به زمانة منكرة وأنه صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اطعم الحديث لم أجده أصلاً والوجود حديثاً كله مع مجذور رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذى غريب (٥) حديث خيرنى ربى بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبرانى من حديث ابن عباس وكلاهما حديثين ضعيف (٦) حديث الكرم التوى والشرف التواضع واليقين الغنى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأسنده الحاكم أوله من رواية الحسن عن سمرة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبرانى موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه السعوى مختلف فيه

والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا (١) « وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد رضعه الله إلى السماء السابعة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله (٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطمم نجاء رجل أسود به جذري قد تشمر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه (٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً « مالي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة؟ قال التواضع (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصفار (٧) ». الآثار : قال عمر رضى الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكته وقال اتمش رفعك الله وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله في الأرض وقال اخساً خسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حثير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد تجاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فدكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت لا قال إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا . وقالت عائشة رضى الله عنها إنكم لتغفلون عن أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو؟ قال أن تخضع للحق وتتقاده ولو ممتهن من صبي قبلته ولو ممتهن من أجهل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدنياك عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو علماً لم يتواضع فيه كان عليه وبالايوم القيامة . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا نعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكالة أتمه عليك .

(١) حديث أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا الطبراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بالعبادة وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله وقلة الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت فيه العوام بن جويرية قال ابن حبان يروى الموضوعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد رفع الله رأسه إلى السماء السابعة البيهقي في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضعفه الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة الحديث الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياصي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطمم فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب (٦) حديث مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم التواضعين من أمي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم التكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصفار، غريب أيضا.

وإيقان ولا يزال بما
لبسه ناعما لبس أو خشنا
وربما لبس ناعما
ولنفسه فيه اختيار
وحظ وذلك الحظ فيه
يكون مكفرا له مردودا
عليه موهوبا له بواقته
الله تعالى في إرادة نفسه
ويكون هذا الشخص
تام التزكية تام الطهارة
محبوبا مراديا راع الله
تعالى إلى مراده ومحابه
غير أن ههنا منزلة قدم
لكثير من المدعين .
حكى عن يحيى بن معاذ
الرازي أنه كان يلبس
الصوف والحلقان في
ابتداء أمره ثم صار في
آخر عمره يلبس الناعم
فقيل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمة في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نعمة في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لعبد الملك ابن مروان أرى الرجال أفضل؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصره عن قوة. ودخل ابن السماك على هرون فقال يا أمير المؤمنين إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك فقال ما أحسن ما قلت فقال يا أمير المؤمنين إن امرأ آتاه الله جمالا في خلقه وموضعا في حبه وبسط له في ذات يده نفع في جماله ورواسي من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى الساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع ساكين . وقال بعضهم كما تكبره أن براك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره أن براك الفقراء في الثياب للرفعة . وروى أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلتقي مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام فمخت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرغمه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم إلى أخشى أنهم حرموا بسبي ويقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد النمري : الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب المسجد ليخرج شر كم رجلا والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلا بفضل قوة أوسعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرياسة لم يباح أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل قتلت يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا فبكي ثم قال ليتني لم أكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته فقال أنا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك أو تجعل نفسك موضعا . وقال الشبلي في بعض كلامه : ذلي عطل ذل اليهود . ويقال من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن شخرف قال رأيت على بن أبي طالب رضى الله عنه في المنام ققلت له يا أبا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له لثقي يكون متواضعا؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتعاعى عند نفسي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشريف إذا تنسك تواضع والسفيه إذا تنسك تماظم . وقال يحيى بن ماز : التكبر على ذوى التكبر عليك بماله تواضع ، ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

قال مسكين يحيى لم يصبر على الدهن فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق إليه علم ما خوف يدخل عليه من اللبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - ولبس الحشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات . قال مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن

وفي الفقراء أقيح ، ويقال لأعزّ إلا لمن تذلّ له عز وجلّ ولا رفة إلا لمن تواضع لله عز وجلّ ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجلّ ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجلّ. وقال أبو طي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة وإذا أراد الله تعالى به خيرا لطف به في ذلك فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجلّ وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجلّ. وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويكون في آخر الزمان زعيم القوم أردظهم (١) ماتكلمت عليكم. وقال الجنيد أيضا: التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضعها وللوح لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها أو يرفهها وعن عمرو ابن شيبه قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بظلة وبين يديه غلمان وإدا هم ينفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي مالك تنظر إلى قفلك له شهبك رجل رأته بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذلك الرجل قفلك ما نمل الله بك ؟ فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعت الله حيث يرفع الناس. وقال المغيرة: كنا نهاب إبراهيم النخعي هيبه الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلى يصيكم ، لومات عطاء لاستراح الناس. وكان بشر الحافي يقول سلوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال أعطاك الله ما ترجوه فقال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة. وثاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نطفة قدرة ثم أعود جيفة مفتنة ثم آتى الميزان فان ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا كئيم. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع. نسأل الله الكريم حسن التوفيق.

(بيان حقيقة الكبر وآفته)

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق للتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يفضل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لولم يخلق الانسان إلا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أردظهم الترمذي من حديث أبي هريرة إذا أخذ النبي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أردظهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أردظهم ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكرها منها وفيها فرج بن فضالة ضعيف

عبد العزيز أعوده في مرضه فرأيت قيصره وسخا قفلت لامراته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت تعمل إن شاء الله قال ثم هدته فاذا القميص على حاله قفلت يا فاطمة ألم أمركم أن تغسلوه؟ قالت والله ماله قميص غير هذا. وقال سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبته وبكى ثم دعا بأطهاره رثة فلبسها. وقيل لما مات أبو الدرداء وجد في ثوبه أربعون

لم يتكبر بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولنيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فمقد هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خاق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فذلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوزك من نعمة الكبرياء (١)» وكذلك قال عمر أخشى أن تنفخ حتى تبلغ الثريا الذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتمزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى أيضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبرا فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مائلا بين يديه إن اشتد كبره فإن كان أشد من ذلك استشكف عن استخدامه ولم يجعله أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبه فإن كان دون ذلك فيأنتف من مساواته وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأ بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتمجب منه وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استكف من القبول وإن وعظ عنف في النصح وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستنظهم واتهرم وامتحن عليهم واستخدمهم وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الخمر استجهالها لهم واستحقارها والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلة هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق ولما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (٢)» وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعزة النفس يفاق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق التقيين وفيه العز ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فإما من خلق ذمير الإوصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه وما من خاق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والأخلاق الدميعة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لاحتالة وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والاعتقاد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والتكبرين قال الله تعالى - واللائكة باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنتم عن آياته تستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مشوى التكبرين - ثم أخبر أن أشد أهل النار عذابا أشد هم عتيا على الله تعالى فقال - ثم لنزغن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا - وقال تعالى - فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم لسكناء مؤمنين -

(١) حديث أعوذ بك من نعمة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف . وقال زيد بن وهب : لبس على بن أبي طالب قميصا رازيا وكان إذا مد كفه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتبيوني على لباس هو أجد من الكبر وأجد أن يقتدى بي السلم وقيل : كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال المسيح عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب التواضع ولا تعمل في قلب التكبر ألا ترون أن من فجع برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكثه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من سفه الحق وغمض الناس (١) » .

(بيان للتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه)

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه وقد خلق الإنسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخالق فاذن التكبر باعتبار للتكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغشى أنواع التكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والظيان مثل ما كان من عمروذ فإنه كان يحدث نفسه بأن يقابل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا - . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة بصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاتقياد وهو ظان أنه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للاتقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم - أنؤمن لبشرين مثلنا - وقولهم - إن أنتم إلا بشر مثلنا - ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جاء معه الملائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعا . قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينا أنت رب تعبد إذ صرت عبدا متعبا فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال تنادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف به الله إلينا فقال تعالى - أم يقسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا سألوا استحقاقهم واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراء المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقروهم وتكبروا عن مجالستهم فأزل الله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله :- ما عليك من حسابهم - وقال تعالى - واصر

فانه مذلة في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تصدوا دينكم محمد الناس وثانهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتذى نظرين فلما نظر إليهما أحجبه حسنها فسجد لله تعالى فقيل له في ذلك فقال خشيت أن يعرض عني ربي فتواضعت له لاجرم لا يبتان في منزلي لما تخوفت للقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاعترى له ثملان مخصوفتان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث التكبر من سفه الحق وغمض الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغمض الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ربحانة هكذا .

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا - (١) ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين أزدروهم فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والقناد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والعرفه فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى عجبنا عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا - وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحققر غيره فتأبى نفسه عن الاتياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدرهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والعز والمظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر فهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله أن يأخذ الغلام قلندوة الملك فيضها على رأسه ويجلس على سريرها فأعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال وما أشد استجراره على مولاه وما أقبح ما تعاطاه ، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى «العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته » أى أنه خاص صفى ولا يليق إلا بى والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتى وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذى يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بماحق للملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ درجته من أراءد الجلوس على سريرته والاستبداد بملكه فالخاق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه ، نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثانى الذى تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن التكبر إذا جمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجادون تجاحد التكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبس وذلك من أخلاق الكافرين والمناقين إذ وصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - فكل من يناظر للغلبة والإغمام لا يفتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخاق وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى - وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم - وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الدين يأمرون بالهط من الناس فقتل التكبر الذى خالفه والذى أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل إغما إذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال عليه السلام لرجل « كل يمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه إلا كبره قال فما رفعها بعد ذلك (٢) »

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال فقال للتبركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا أستطيع فقال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

الصوف واحتذى
المخوف وأكل مع
المبيد وإذا كانت
النفس على الآفات
فالوقوف على دسائسها
وخفى شهواتها وكن
هواها عسر جدا
فالأليق والأجدر
والأولى الأخذ بالأحوط
وترك ما يريب إلى ما
لا يريب ولا يجوز للعبد
الدخول في السعة إلا
بعد إتقان علم السعة
وكال تزكية النفس
وذلك إذا غابت النفس
بنيية هواها للتبع
وتخلصت النية وتسد
التصرف به لم صريح
واضح وللعزيمة أقوام
يركبوها وبراعونها

أى اعتلت يده ، فاذن تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإعاضبه إبليس مثله لهذا وما حكاه من أحواله إلا ليحتر به فانه قال : أنا خير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه خاقتني من نار وخلقته من طين . فعمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه التكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً الآيات فهذه آفة من آفات التكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبرهاتين الآتين إذ سأله ثابت بن قيس بن جهماس فقال يا رسول الله « إني امرؤ قد حجب إلى من الجمال ما ترى أفمن التكبر هو ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن التكبر من بطر الحق وغمض الناس ^(١) » وفي حديث آخر « من سفه الحق ^(٢) » وقوله وغمض الناس أى ازدراهم واستحقروهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هورده وهى الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بين الاستصغار أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته وإتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورحله .

(بيان ما به التكبر)

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا هوو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع إلى كمال دينى أو دنيوى فالدينى هو العلم والعمل والدينى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب الأول : العلم وما أسرع التكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « آفة العلم الخيلاء ^(٣) » فلا يلبث العالم أن يتعزز بجزرة العلم يستشعر في نفسه جمال العلم وكاله ويستعظم نفسه ويستحققر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجدهم ويتوقع أن يبدوهه بالسلام فان بدأه واحد منهم بالسلام أورد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنعة عنده ويداعبه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه يذمى أن يقول له ويخدمه وشكره على صنيعه بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويبرونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعيدوهم ويستخدم من خالطه منهم ويستشخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو أجرأوه وكان تعاميه العلم صنعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا ، أما فى أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أسمى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيق هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الحانعة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه ككسبائى فى طريق معالجة التكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتحشعاً ، ويقضى أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقديره فى القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجماً وهو كما قال . فان قلت لما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وأماً . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن جهماس إني امرؤ قد حجب إلى من الجمال ما ترى الحديث وفيه التكبر من بطر الحق وغمض الناس مسلم والترمذى وقد تقدم قبله بحديثين (٢) حديث التكبر من سفه الحق وغمض الناس تقدم معه (٣) حديث آفة العلم الخيلاء . قلت هكذا ذكره المصنف والمرفوف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء هكذا رواه القضاعى فى مسند الشام من حديث على بسند ضعيف . وروى عنه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس آفة الجمال الخيلاء وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفى لا يدرى من هو حدث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب البرهان .

لا يرون التزول إلى الرخص خوفاً من فوت فضيلة الزهد فى الدنيا واللباس الناعم من الدنيا وقد قيل من رقى ثوبه رقى دينه وقد يرخس من ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع . وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة كل من كان فى قلبه مثقال ذرة من التكبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه

وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه خطر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الحشية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا وثقاقا وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوما بل العلم هو معرفة الصودية والربوبية وطريق العبادة وهذه تورث التواضع غالبا . السبب الثاني أن يمحوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردى النفس سيء الأخلاق فإنه لم يشتغل أولا بتهديب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخبر أثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار بمروقها فتحول على قدر طومها فيزداد للمرارة والحلو حلوة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحو له على قدر همها وأهوائها فيزيد التكبر كبرا والتواضع تواضعا وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا وإذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحججة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام - واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضى الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن لمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم انفضت إلي أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا تكونوا أجابرة العلماء فلا يبنى عليكم بجهلكم، ولذلك استأذن نعيم الدارى عمر رضى الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الذبح واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكروهم فقال إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال لتلتسن إماما غيرى أو لتصلن وحدانا فأبى رأيت في نفسى أنه ليس في القوم أفضل منى فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة فأسأعز على بسيط الأرض علما يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يجره عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلا عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسرى إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأبى يسمح آخر الزمان بثلمهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد اقرضوا في القرن الأول ومن يلهم بل يهز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على قوات هذه الخصلة فذلك أيضا إما معدوم وإما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتى على الناس زمان من تمسك فيه بشر ما أتم عليه نجا (٢) » لكان جدرا بنا أن نتحنم والبياذ بالله تعالى وورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن لنا أيضا بالتمسك بشعر ما كانوا عليه ولينا تمسكنا بشعر عشره . ففسأل الله تعالى أن يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أحوالنا كما يقتضيه كرمه وفضله . الثاني : العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس

السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة في حق من يلبسه لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكبر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أزره المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه يوم القيامة فيينا رجل ممن كان قبلكم يتبختر في

(١) حديث العباس يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن لمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق (٢) حديث سيأتى على الناس زمان من تمسك بشعر ما أتم عليه نجا أحمد من رواية رجل عن أبي ذر .

الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم يزارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم ويتوقمون قيلم الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذو كرم بالبرع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم (١) » وإنما قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدور بخلق الله مقتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لتبذره قال صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للمسلم (٢) » وكمن الفرق بينه وبين من يحبه الله ويظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوه له مالا يرجوه لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنونه وهو يتمقت إلى الله بالتزهد والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم لما أجدرهم إذا حووه لصلاحه أن ينظفهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الالهال كما روى أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليج بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن إسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليج به فقال الخليج في نفسه أنا خليج بن إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن إسرائيل وهذا خليج بن إسرائيل فكيف يجلس إلى فأنف منه وقال له قم عنى فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان مرها فليستأثقا العمل قد غفرت للخليج وأجبت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتحوالت الغمامة إلى رأس الخليج وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبه لله وذل خوفا منه فقد أطاع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم التكبر والعابد العجيب، وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطيء على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يضر الله لك فأوحى الله إليه أيها المتألى على بل أنت لا يضر الله لك (٣) وكذلك قال الحسن وحتى إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطرز الخزأي أن صاحب الخزيدل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضا قد لا ينفك عنها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبمد أن يضر الله ولا يشك في أنه صار محفوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب واغترار بالله وقد ينتهى الحق والعبادة يعضهم إلى أن يتحدى ويقول سترون ما يجرى عليه وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل الغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في ممت الله بأهجه وبكبره وهو غافل عن هلاك

(١) حديث إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للمسلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الشر (٣) حديث الرجل من بني إسرائيل الذي وطيء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد فقال ارفع فو الله لا يضر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصي والله لا يضر الله لك أبدا وهو بغير هذه السياقة وإسناده حسن .

ردائه إذ أجهه رداؤه
غخف الله به الأرض
فهو يتجامل بها إلى
يوم القيامة والأحوال
تختلف ومن صح حاله
بصحة علمه سمحت نيته
في ما كوله وملبوسه
وسائر تصاريفه وفي
كل الأحوال يستقيم
ويتسد باستقامة
الباطن مع الله تعالى
وبقدر ذلك تستقيم
تصاريف العبد كلها
بحسن توفيق الله
تعالى .

[الباب الخامس
والأربعون في ذكر
فضل قيام الليل]
قال الله تعالى - إذ
يشيكم الناس أمنة

نفسه فهذه عقيدة المتقين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح أوتقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا ومقاله الآخر بعد انصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتق الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدرد لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من الرياء والتكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به ثم إنه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله فان الجهل أغشى العاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكرائه ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ولذلك روى أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سألك بالله حدثتكَ نفسك أن ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم (١) « فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نور النبوة ما استمكن في قلبه سفة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون التكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سخ في قلبه شجرة التكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية. الثانية: أن يظهر ذلك على أفضاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في العالم أن يصمرخده للناس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستغذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم السكبن أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الحد حتى يصمر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم وإنما الورع في القلوب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأشار إلى صدره (٢) « فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقا وأكثرهم بشرا وتبسا وانبساطا (٣) « ولذلك قال الحرث ابن جزء الزيدي صاحب رسول الله ﷺ يجيبني من القراء كل طابق ضحاك فأما الذي تلقاه بيشر وبلقك ببوس عين عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» وهؤلاء الذين يظهر أثر التكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالا ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والفاخرة والباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشعر لقلبة الغير في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن أين زهده فيطول اللسان فيهم بالتقص ثم يثنى على نفسه ويقول إني لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدي فلان بسوء فهل لك ولده وأخذ ماله أو مرض أو ما يجري مجراه يدعى الكرامة لنفسه وأما ما بهاته فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلى وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليقبلهم ويظهر له قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يقال غيره

(١) حديث أن رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سفة من الشيطان الحديث أحمد والبراز والدار قطن من حديث أنس (٢) حديث التقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث كان أكرم الخلق وأتقاهم الحديث تقدم في كتاب أخلاق النبوة .

منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان - نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كتيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظما فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على النساء وأنتم تصلون محدثين ومجنبيين فكيف

أعبد منه أو أقوى منه في دين الله وأما العالم فإنه يتفاخر ويقول أنا متفني في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث كل ذلك ليضفه ويعظم نفسه وأما ما باهاته فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يثلب ولا يثلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيل الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويعظم عليهم ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه ويفرح مهما أخطأ واحدمنهم ليرد عليه ويسوء إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يشرها التعزز بالعلم والعمل وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (١) كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له إنك عندنا قدرا مالم تر لنفسك قدرا فان رأيت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو التكبر بالعلم والعمل. الثالث: التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطهم ومجالستهم وممرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يابنطى ويأهندي ويأمرني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لك أن يكلمني أو ينظر إلى ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلبه غضب أطمأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا بأذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» (٢) وقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نهى رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن يضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقيمه إلا الذل ومن ذلك ما روى أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عدتعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم الفخر بأبائهم وقد صاروا غما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجمelan التي تدرف بأنافها القدر» (٤) . الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر

ترجون الظفر عليهم
فأنزل الله تعالى مطرا
من السماء سال منه
الوادى فنسب السلمون
منه واغتسلوا وتوضوا
ونسوا الدواب وملثوا
الأسقية ولبد الأرض
حتى ثبت به الأقدام قال
الله تعالى - وثبت به
الأقدام. إذ يوحى ربك
إلى الملائكة أني معكم -
أمدم الله تعالى
بالملائكة حتى غلبوا
للكركين ولكل آية
من القرآن ظهر
ويطن وحد ومطلع
والله تعالى كما جعل
النحاس رحمة وأمنة
للمصحابة خاصة في تلك
الواقعة والحادثة فهو

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تقدم (٢) حديث أبي ذر
قالت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء الحديث ابن المبارك في البر والصلة
مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بغير من أحمر ولا
أسود إلا أن تفضله بتقوى (٣) حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما
للآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد في زوائد السنن من حديث أبي بن
كعب باسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى ققط (٤) حديث ليدعن قوم الفخر
بأبائهم وقد صاروا غما في جهنم أوليكون أهون على الله من الجمelan الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

مايجرى بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والشب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أى أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالتقصير فكأنها أعجبت بامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت . الخامس : الكبر بالمسال وذلك يجرى بين الملوك في خزائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيوطهم ومرابكهم فيستحقر النقي الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوى أكثر من جميع مالك وأنا أفقر في اليوم مالا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للنقي واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة النقي وإليه الإشارة بقوله تعالى - فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجابه فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فصى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليهما حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤهما غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد ثم بين الله عاقبة أمره بقوله - يا ليتني لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبره - فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لندو حظ عظيم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والعلمان والعشيرة والأقارب والبنين ويجرى ذلك بين الملوك في المكثرة بالجنود وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالجملة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به حتى إن الخنثى ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة الخنثين لأنه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والعلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان عظما فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذى يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعم والحسن اعتقاده في نفسه . نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

(بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له)

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبئ أن تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذى هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذى يتعلق بالتكبر كما سيأتى بمعناه فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسيابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتعلق بغيرها . أما السبب الذى في للتكبر فهو العجب والذى يتعلق بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذى يتعلق بغيرها هو الرياء وتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة العجب والحقد والحسد والرياء . أما العجب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال . وأما الحقد فإنه يعمل على التكبر من غير عجب كالذى يتكبر

وإن جان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يدي هكذا أى أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

رحمة هم المؤمنيين
والنحاس قسم صالح
من الأتسام العاجلة
للمريدين وهو أمانة
لتلويهم عن منازعات
النفس لأن النفس
بالتنوم تستريح ولا
تشكو الكلال والتعب
إذ في شكائتها وتعبها
تقدير القلب
وباحترامها بالنوم
بشرط العلم والاعتدال
راحة القلب لما بين
القلب والنفس من
المواطأة عند طمأنينتها
للمريدين السالكين
فقد قيل ينبغي أن يكون
ثلث الليل والنهار نوما
حتى لا يضطرب الجسد
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكمن رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكارب لحقده عليه أو بغضه له وعمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الأتفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يحتدر إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فإنه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضى الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضا إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكمن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يمرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يعضه على أن يعامله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو أيضا يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسبة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون باعته على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذى يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضا عند الخلو به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد ينتمى إلى نسب شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويرفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بأنه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الرياء على أفعال التكبرين وكأن اسم التكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بين الاحتقار وهو إن سمى متكبرا فلاجل التشبه بأفعال الكبر . نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

(بيان أخلاق التواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر)

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل كعمر في وجهه ونظيره شزرا وإطرافه رأسه وجلسه مترجا ومثكنا وفي أقواله حتى في صوته وتعمته وصيغته في الإبراد ويظهر في مشيته وتبخيره وقيامه وجلسه وحركاته وسكناته . وتعاطيه لأمة . وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله فمن التكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه وقد قال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك (١) . ومنها أن لا يمشى إلا ومعه غيره يمشى خلفه . قال أبو الدرداء لا يزال العبد يزاد من الله جدا ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يميز عنهم في صورة ظاهرة ، وسمى قوم خلف الحسن البصرى فمنهم وقال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأوقات يمشى مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشى في غمارهم (٢) « إما لتطليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب الصحبة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بعض الأوقات يمشى مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشى إلى البقيع فبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

للنوم ساعتين من ذلك
بجملتها للمريد بالتهار
وست ساعات بالليل
ويزيد في أحدها
وينقص من الآخر
على قدر طول الليل
وقصره في الشتاء
والصيف وقد يكون
بحسن الإرادة وصدق
الطلب ينقص النوم
عن قدر الثلث ولا
يضر ذلك إذا صار
بالتدريج عادة وقد
يحمل ثقل السهر وقلة
النوم وجود الروح
والأنس فإن النوم
طبعه بارد رطب ينفع
الجسد والدماع ويسكن
من الحرارة واليبس
الحادث في الزواج فإن

كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين العيين^(١). ومنها أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روى أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن آدم أن تعال فحدثنا سفيان فقيل له بأبا إسحق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه ومنها أن يستكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن وهب جلست إلى عبدالعزیز بن أبي رواد فسألت عن غفلة فتجبت فسي عنه فأخذ ثيابي فجرتني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجارية وإني لأعرف رجال منكم شرامى. وقال أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت^(٢). ومنها أن يتوقى من مجالسة للرضي والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وعنده ناس من أصحابه يأكلون فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه^(٣) وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا أبرص ولا مبتلى إلا أقدم على مائدته. ومنها أن لا يتعاطى يده شغلا في بيته والتواضع خلافه روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال أفأنبه الغلام فقال هي أول نومة ناهما أقام وأخذ البطة وملا المصباح زيتا فقال الضيف قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما تقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعا. ومنها أن لا يأخذ متاعه ويعمله إلى بيته وهو خلاف عادة للتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك^(٤) وقال على كرم الله وجهه لا يتقص الرجل الكامل من كاله ما حمل من شيء إلى عياله وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام وقال ثابت بن أبي مالك رأيت أبا هريرة أبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال أوسع الطريق للأمر يا ابن أبي مالك. وعن الأصمغ بن نباتة قال كآني أنظر إلى عمر رضى الله عنه مطلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدررة يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم رأيت عليا رضى الله عنه قد اشتري لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له أحمل عنك يا أمير المؤمنين فقال لاء أبو العيال أحق أن يحمل. ومنها اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «البذاعة من الإيمان»^(٥) فقال هريرة سألت معاوية عن البذاعة فقال هو الدون من اللباس وقاله زيد بن وهب رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى السوق ويده الدررة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من آدم وعبوب على كرم الله وجهه في إزار مرقوق فقال يقتدى به المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى

ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال إني سمعت خفي نعالكم فأشفت أن يقع في نفسي شيء من الكبر وهو منكر فيه جماعة ضعفاء^(١) حديث إخراج الثوب الجديد في الصلاة وإبداله بالخليع. قلت المعروف نزع الشرك الجديد ورد الشرك الحاقق أو نزع الحمصة وليس الأبنجانية وكلاهما تقدم في الصلاة^(٢) حديث أنس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث تقدم في آداب المعيشة^(٣) حديث الرجل الذي به جدري وإجلاسه إلى جنبه تقدم قريبا^(٤) حديث حملة متاعه إلى بيته أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وتقدم^(٥) حديث البذاعة من الإيمان أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

نقص عن التلث يضر الدماغ ويغشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنه لا يضر تقصانه لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد قصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالتقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح. نقل عن على بن بكر أنه قال: منذ أربعين سنة ما أحزنتني إلا طلوع الفجر. وقيل لمضهم

عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس إنى لأغسل ثوبي هذين فأذكر قلبي ماداما
تعيين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الحلة بألف
دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها لما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول
ما أجوده لولا إنه قيل له أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين فقال إن لي ثوبا ذو أقدواها
لم تلق من الدنيا طبقة إلا تافت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذاعت الحلاقة وهى أرفع الطباق تافت
إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه
قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست
فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل الضوء عند القدرة . وقال
صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لمرضاته كان حقا على الله
أن يدخله عبقرى الجنة (١) » فان قلت قد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .
« وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من صفه
الحق وغمص الناس (٢) » فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته
أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذى عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إنى امرؤ حجب إلى من الجمال ما ترى (٣)
فصرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا يتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من
الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة للتكبر
أن يطلب التجميل إذا رآه الناس ولا يالى إذا انفرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجمال أن يحب
الجمال في كل شئ ولو في خلوته وحتى في سنور داره فذلك ليس من التكبر فاذا اتسمت الأحوال
تزل قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعنى قد تورث خيلاء في
القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعنى أن الكبر لا يوجب ويحوز أن لا يوجب
الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر ، وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحجوب الوسط من
اللباس الذى لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا عجيبة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال
بكر بن عبد الله اللزنى البسوا ثياب اللوك وأمتوا قلوبكم بالحشية وإنما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب أهل الصلاح . وقد قال عيسى عليه السلام : مالكم تأتونى وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الدناب الضواري البسوا ثياب اللوك وأمتوا قلوبكم بالحشية . ومنها أن يتواضع
بالاحتمال إذا سب وأذى وأخذ حقه فذلك هو الأصل ، وقد أوردنا ما هل عن السلف من احتمال
الأذى في كتاب الغضب والحسد . وبالجملة فبجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه
وسلم فيه فينبغى أن يقتدى به . ومنه ينبغى أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الخدرى

كيف أنت والليل قال
ماراعيته قط يرى
وجهه ثم ينصرف
وما تأملته . وقال
أبو سليمان الداراني
أهل الليل في ليهم
أشد لذة من أهل اللهو
في لهوهم . وقال بعضهم
ليس في الدنيا شئ
يشبه نعيم أهل الجنة
إلا ما يجده أهل التلحق
في قلوبهم الليل من
حلاوة للناجاة فحلاوة
للناجاة ثواب عاجل
لأهل الليل . وقال
بعض الدارفين إن
الله تعالى يطلع على
قلوب المستيقظين في
الأسحار فيملؤها نورا
فقد الفوائد على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو عميد الماليني في مسند الصوفية
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ، الحديث تقدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس
قال لنبى صلى الله عليه وسلم إنى امرؤ حجب إلى الجمال الحديث هو الذى قبله منى فيه السائل وقد تقدم
(٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا عجيبة للنسائي وابن ماجه من رواية
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذى
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلهما للصف حديثا واحدا .

ما ترى فيها أحدث الناس من اللبس والشرب وللركب والمطعم فقال يا ابن أخي: كل لله واشرب لله واللبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباحة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف وطالج في بيتك من الخدمة ما كان يجالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخسف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطنن عنه إذا أعيأ ويشترى الشيء من السوق ولا يمنه من الحياء أن يلقه يده أو يجمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الثني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغيراً كبيراً سوداً وأحمر حراً وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحي من أن يجيب إذا دعى وإن كان أشعث أغبر ولا يحقر مادعى إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل للعاشرة طليق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير منة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الإطراق لم يشم قط من شبع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلمة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتني بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شبعاً ولم يبيت إلى أحد شكوى وإن كانت الفاقة لأحب إليهم من اليسار والثني وإن كان ليظل جائعاً يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول نفسي لك الغداء لو تبلت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمتلك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حالمهم وتقدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي أستحي إن ترفعت في ميسقي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياماً يسيرة أحب إلى من أن ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إلى من الحقوق إخواني وأخلائى قالت عائشة رضي الله عنها فو أقمنا استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . لما نقل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق التواضع فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق عمله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به لما أشد جهله فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير ملسا عوتب في بذاذة هيته عند دخوله الشام . وقال أبو الدرداء : اعلم أن الله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكمرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تبجح وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعمون صديقاً أو ثلاثون رجلاً فلو بهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه . واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالج في بيته كان يلف الناضح الحديث وفيه قال أبو سلمة فدخلت على عائشة فحدثتني بذلك عن أبي سعيد فقالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يمتلئ قط شبعاً الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد .

فتستشير ثم تنتشر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عباداً يحبوني وأحبهم ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكروني وينظرون إليّ وأنظروني إليهم فان حدثت طريقهم أحببتك وان عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كإيراعي الراعي غنمه ويعنون إلي غروب الشمس كأعن الطير إلى أوكارها فاذا

ولا يحقرونه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرمون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة وأسخام نفسا علامتهم السخاء وسجبتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركم الرياح العواصف ولا الحيل المجرأة قلوبهم تصعد ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه وقدماء في استباق الخيرات وأولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون - . قال الراوى : قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها فقال ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة زهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتف به بالعمه . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل - إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون - . قال يحيى ابن كثير فنظرنا في ذلك فما تلدذ التلدذون بمثل حب الله وطلب مرضاته . اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيتَه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له)

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقى بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مفرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . اللقاه الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعملى ولا يتم الشفاء إلا بمجموعهما أما العلمى فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه بطول وهو منتهى علم المكاشفة وأما معرفته نفسه فهو أيضا بطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والذلة ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فحمت بصيرته وقد قال تعالى - قتل الإنسان ما أكره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره - . فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعدمه أول وأى شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أذرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغه ثم جعله عظاما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنوع إذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا ييطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكفه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله - من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره - . ومعنى قوله - هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - . كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السبيل يسره - وهذا إشارة إلى ما يتيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه صميا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط
الظلام وخال كل حبيب
بجيبه نصبوا لي
أقدامهم واقترشوا لي
وجوههم وناجسوني
بكلامى وعلقوا إلى
يأنامى فبين صارخ
وباك وبين متأوه
وشاك يعنى ما يتحملون
من أجلى وبسمى
ما يشكون من حوى
أول ما أعطيهم أن
أقذف من نورى في
قلوبهم فيخبرون عنى
كما أخبر عنهم والثانى
لو كانت السموات
السبع والأرضون
وما فيها في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالث
أقبل بوجهى عليهم

السبيل إما شاكرا وإما كفورا - ومعناه أنه أحياء بعد أن كان جمادا ميتا ترابا أو لا ونطفة ثانيا وأسمه بعدما كان أصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من المعجائب والآيات بعد الفقد لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العرى وهدهد بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره وإلى السبيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما كلفه وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال - أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا ه وخيم ميين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حمر تنتشرون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك اللذة والقلة والحسة والقدارة إلى هذه الرضا والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحياء بعد الموت وناظقا بعد البكم وبصيرا بعد العمى وقويا بعد الضعف وطالما بعد الجهل وهديا بعد الضلال وقادرا بعد المعجز وغنيا بعد الفقر فكان في ذاته لاشئ وأى شئ أحسن من لاشئ وأى قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وإنما خلقه من التراب الدليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضا ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإعسا أكل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يطبق الكبرياء إلا به جلّ وعلا ولذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهدينا النجدين - وعرف خسته أو لا فقال - ألم يك نطفة من منى ثم كان علقة - ثم ذكر مته عليه فقال - غلّق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أو لا بالاختراع فمن كان هذابذوه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أحسن الأخصاء وأضنف الضغفاء ولكن هذه عادة الحسيس إذا رفع من خسته فمخج بأفنه وتمظم وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نعم لو أكله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطفى وينسى للبدأ وللتنهى ولكنه سلب عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة من اللذة والغم والريح والدم يهدم البعض من أجزاءه البعض شاء أم أن رضى أم سخط فيجوع كرها ويمطش كرها ويعرض كرها ويموت كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شررا يريد أن يعلم الشئ فيجهله ويريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينسى الشئ ويفعل عنه فلا يفتل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهجه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه ولا نفسه ولا نفسه ويشتهي الشئ وربما يكون هلاكا فيه ويكره الشئ وربما تكون حياته فيه يستلذ الأطلعة وتهلكه وتزديه ويستبشع الأدوية وهي تنفخه وتحميه ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمه وبصره وتلفح أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل إن ترك بقى وإن اختطف في عبد مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا شئ من غيره فأى شئ أذل منه لو عرف نفسه وأنى يلقى الكبر به لولا جهله فهذا أوسط أحواله فليأمله. وأما آخره ومورده فهو الموت للشار إليه بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنصره - ومعناه أنه يسلب روحه وسمه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادا كما كان أول مرة لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حسي فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قدره كما كان في الأول نطفة مذرة ثم تلبى أعضاؤه وتفتت أجزاءه وتتخر عظامه ويصير زميا رفاتا ويأكل الدود أجزاءه فينتدى بحدثه فيقلعها ويغديه فيقلعها ويسار أجزاءه فيصير روتا في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستفد منه كل إنسان ويهرب منه لشدة الإمتان وأحسن أحواله أن يموت إلى ما كان فيصير ترابا يصل منه الكبريان ويصير منه البنيان فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كأن لم يكن بالأمس حصيدا

أفستري من أقبلت
بوجهي عليه أعلم أحد
ما أريد أن أعطيه
فالصادق للرب إذا خلا
في ليله بتناجاة ربه
انتشرت أنوار ليله على
جميع أجزاء نهاره
ويصير نهاره في حماية
ليله وذلك لا متلا قلبه
بالأنوار فتكون حركاته
وتصاريفه بالانوار
تصدر من منبع
الأنوار المجتمعة من
الليل ويصير قلبه في
قبة من قباب الحق
مسددا حركاته موفرة
سكناته. وقد ورد من
صلى بالليل - من وجهه
بالنهار ويجوز أن
يكون لمضين: أحدهما

كما كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك ترابا ، لابل يحيه بدطول البلى ليقاسي شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للتفرقة ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسما مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدره وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملالكة غلاظ شداد وجهم تفرز وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيان يكتبان عليك ما كنت تتفق به أو تعمله من قليل وكثير وشير وقطيمير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحساء الله عليك فعمله إلى الحساب واستعد للجواب أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من محازبه فاذا شاهده قال سيأولتنا ما لهذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحاسها - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أنشره - فمالن هذا حاله والتكبر والتعظم بل ماله والفرح في لحظة واحدة فضلا عن البطر والأشر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعباد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع الهائم ترابا ولا يكون إنسانا يسمع خطايا أو يلقى عذابا وإن كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمزول عن الحساب والعذاب والسكب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولورأى أهل الدنيا العبد للذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ربحه لماتوا من تقته ولو وقت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنثى من الجيفة فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو كيف يفرح وييطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يستفده فضلا وأى عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويمحى السكسر عنه والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به ولا قوة إلا بالله رأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط فحبس إلى السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق وليس يدري أي عني عنه أم لا كيف يكون ذله في السجن أقترى أنه يتكبر على من في السجن وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإشفاقا ومهانة وذلك أنه ذاهو العلاج العلمى التامع لأصل الكبر وأما العلاج العملى فهو التواضع لله بالفعل وللسأ الخلق بالمواظبة على أخلاق للتواضعين كما وصفناه وحكيئنا من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه «كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد»^(١) وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا فقال إنما أنا عبد فاذا أعتقت يوما لبست جديدا أشار به إلى العتق في الآخرة ولا يتم التواضع بعد للعرفة إلا بالعمل ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعا وقيل الصلاة عماد الدين وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يأنفون من الانحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يحنى لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايست النبي صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما فبايمه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قهه وكل إيمانه بعد ذلك^(٢)

- (١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد تقدم في آداب للعيشة
 (٢) حديث حكيم بن حزام بايست رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا قائما الحديث رواه أحمد مقتصر على هذا وفيه إرسال حفي .

أن الشكاة تستبر بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب زهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقا وتعتق مشكاة القلب نورا وضياء . كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والإقرار قبيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى - سهام في وجوههم من أثر السجود - وقال تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح - فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل حتى زجاجة

فلما كان السجود عندهم هو منزهة التذلة والضعفة أمروا به لتتكسر بذلك خيالاتهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق فان الركوع والسجود والثول قائما هو العمل الذي بتفضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتفاضه الكبر من الأفعال فليواظب على تقيضه حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعا وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . للقيام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عداه مما يفتنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يتربه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جهل من حيث إنه تميز بكمال غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خسيما في صفات ذاته فمن أين يعجز خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حيا لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولى أقرى أن الدودة التي خلقت من بولى إنسان أشرف من الدودة التي من بولى فرس هيات بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحقيقي فيعرف أباه وجده فان أباه القريب نقطة قدرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين - فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم صخر طينة حتى صار حمما مسنونا كيف يتكبر وأحسن الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال بأذله من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقدن من اللبنة فان كان كونه من أيه أقرب من كونه من التراب . فقول : افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة واللينة أقرب إليه من الأب فيحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رفة فمن أين جاءت الرفة لولده فاذا من أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فصل وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تفصل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بنى هاشم وقد أخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نحوه الشرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يبقى شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الحزنى لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة واللينة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحمامة أو غيره هال كان يعلم به خسة نفسه لماسة أعضاء أيه للتراب والدم فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القفرة التي يتزده عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكدر عليه تميزه بالجمال فانه وكل به الأقدار في جميع أجزائه الرجيع في أمعائه والبول في مثائنه والمخاط في أنفه والبراق في فيه والوسخ في أذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصان تحت إبطه يغسل الفائط يديه كل يوم دفعة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لورآه بينه

القلب كالكوكب
الدرى وتمكس آوار
الرجاجة على مشكاة
القلب وأيضا يلين
القلب بنار النور
ويسرى لينة إلى القلب
فيلين القلب للين القلب
فيقشاهان لوجود اللين
الذي عمهما . قال الله
تعالى - ثم تلين جلودهم
وقلوبهم إلى ذكر الله -
وصف الجلود باللين كما
وصف القلوب باللين
فاذا امتلأ القلب بالنور
ولان القلب بما يسرى
فيه من الأنس
والسرور يندرج
الزمان والسكان في نور
القلب ويندرج فيه
الكلم والآيات والنور

لاستفدته فضلا عن أن يسه أو يشمه كل ذلك يعرف قذارته وذلّه هذا في حال توسطه وفي أول أمره خلق من الأقدار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من اللد كرجى البول ثم من الرحم مفيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القدر . قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخطبنا فيقتر إلينا أنفسنا ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خره إذ رآه يتبختر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتهددها بالتنظيف والتسل ثارت منه الأتان والأقدار وصار أتقن وأقدر من الدواب اللهمم التي لا تمهد نفسها قط فإذا نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وسيموت فيصير جيفة أقدر من سائر الأقدار لم يفخر بحاله الذي هو تكفراه الممن وكلون الأزهار في البوادي فبينما هو كذلك إذ صار هشيا تذروه الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه التبايح خاليا لكان يجب أن لا يتكبر به على التبيح إذ لم يكن قبح التبيح إليه فينفيه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصور أن يزول بمرض أو جدرى أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأمها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى ويعنه من ذلك أن يعلم ماسلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أهجن من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه الدباب شيئا لم يستغفه منه وأن بقية لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته وأن حمى يوم تحلل من قوته مالا ينجر في مدة فمن لا يطبق شوكة ولا يقاوم بقية لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفخر بقوته ثم إن قوى الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل وأي اختار في صفة يسبقك فيها البهائم . السبب الرابع والخامس : النفي وكثرة اللال وفي معناه كثرة الاتباع والأنصار والتكبر بولاية السلاطين والتمسك من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعلم ، وهذا أقبح أنواع الكبر فإن التكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لمادذليل والتكبر بتمسكك السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى أمره على قلب هو أشد غليانا من القدر فإن تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل ، كيف والتكبر بالنفى لو تأمل لرأى في اليهود من زيد عليه في النفي والثروة والتجمل فأف لشرف يسبقك به اليهودى وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل مالميس إليك فليس لك وشى من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أجهلك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفخر العاقل بقوته وجماله وماله وحرته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم مصنف بأنه رقيق لفلان وأن أبويه كانا مملوكين له فلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكة فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكة ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد أهدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أقرى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وبروته وقوته وكاله أم تذل نفسه ويخضع ؟ وهذا حال كل

وتشرق الأرض أرض
القالب بنور ربها إذ
يصير القلب سماه
والقالب أرضا ولذة
تلاوة كلام الله في عمل
للمناجاة تستر كون
الكائنات والكلام
المجيد بكونه ينوب
عن سائر الوجود في
مزامحة صفو الشهود
فلا يبقى حينئذ للنفس
حديث ولا يسمع
للهاجس حسيس وفي
مثل هذه الحالة يتصور
تلاوة القرآن من
فانحته إلى خاتمة من
غير وسوسة وحديث
تس وذلك هو الفضل
العظيم . الوجه الثاني
قوله عليه السلام

عقل بصيرفانه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضائه وماله وهو مع ذلك بين آفات وشبهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فهدا الطريق علاج التكبر بالأسباب الحارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كالان في النفس جديران بأن يفرح بهما ولكن التكبر بما أيضاً نوع من الجهل خفي كما سنده كره.

السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدوية وأبدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرها بل لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان معهما علم وعمل، ولذلك قال كعب الأجار: إن للعلم طغيانا كطغيان الليل، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم إذا زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بعرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكد وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم فان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أغشى إذ لم يقص حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أتابه فيدورها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتبه وأنسى عن الشر وآتبه^(١)» وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود، وقال في بلم بن باعوراء - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها - حتى بلغ - فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي بلم كتاباً فأخذ إلى شهوات الأرض أي سكن حبه إليها فله بالكلب - إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوتيه لا يبدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فأى عالم لم يتبع شهوته وآى عالم لم يأمر بالخير الذي لا آتبه فهما خطر للعالم عظيم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالمالك الحاضر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر انتهى أن يكون قد كان قبيراً فكم من عالم يشتهى في الآخرة سلامة الجاهل والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : باليتنى لم تلدنى أمى وبأخذ الآخر تبنه من الأرض ويقول باليتنى كنت هذه التبنه ويقول الآخر ليتنى كنت طيراً أو كل ويقول الآخر ليتنى لم أك شيئاً مذكوراً كل ذلك خوفاً من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكيفية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمره سيده بأمر فصرخ فيها فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما رضيه سيده أم لا فأخبره مخبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج به من كل ما هو فيه عريانا ذليلاً ويلقيه على بابه في الحر والشمس زمانا طويلاً حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وقش عن جميع أعماله قليلاً وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعباد دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أى الفريقين يكون فاذا تذكر

(١) حديث يؤتى بالهالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلفظ يؤتى بالرجل وتقدم في العلم

« من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار » معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتدارك للمعونة من الله الكريم في تضاريفه ويكون معاناً في مصدره ومورده فيحسن وجهه مقاصده وأفعاله وينتظم في سلك السداد مسدداً أفعاله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للعينة على قيام الليل وأدب النوم] فمن ذلك أن العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقدم مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذلك وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفاعة عند نزول العذاب فكذلك العالم إذا تكبر فباضعه من أوامر ربه بمغنايات على جوارحه وذبذبوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم مما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لامحالة. الأمر الثاني: أن العالم يصرّف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجلّ وحده وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد أحب الله منه أن يتواضع وقاله إن لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلا أو تصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علوا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله عليهم فهذا أيضا مما يبعث على التواضع لامحالة. فان قلت فكيف يتواضع للفاسق للتظاهر بالنسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يخفيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق وللمبتدع أكثر. فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتكبر في خطر الحاتمة بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ تصور أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والحزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك فكف من مسلم نظر إلى عمر رضى الله عنه قبل إسلامه فاستحققه وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإحلام وفاق جميع المسلمين إلا أبكر وحده فالعواقب مطوية بين البعاد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تتراد للماقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا عصي الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعز مني وإن نظر إلى عالم قال هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري الله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلى كالم يكن ابتداءها إلى فملاحظة الحاتمة يقدر على أن ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فنيا يظهر في الدنيا مما لا جاء له ولم يدرى هذا الخطر مشترك بين للتكبر وللتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لما يقته لأن يشغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وشدة كل إنسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جنايتهم وعدوا بأن تضرب رقابهم لم يفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر إذ يغفل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات إلى من غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيئته وخطره. فان قلت فكيف أبض للمبتدع في الله وأبض الفاسق وقد أمرت بغيضا ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض. فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمزج غضبك لله في إنكار البدعة والنسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكف من عاب جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقا جلس بجنبه أزهجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لعابد بن إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على للطبع ظاهر كونه شررا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق وللمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الضبان أيضا يتكبر على من غضب عليه وللتكبر يغضب وأحدهما شر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا اللوحون والذى يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيها عن المنكر ثلاثة أمور:

القبلة منتظرا محي
الليل وصلاة للفرب
مقبا في ذلك على أنواع
الأذكار ومن أولها
التسبيح والاستغفار
قال الله تعالى لنيه -
واستغفر لذنوبك وسبح
بحمد ربك بالخشى
والابكار ومن ذلك أن
يواصل بين العشاءين
بالصلاة أو بالتلاوة
أو بالذكر وأفضل ذلك
الصلاة فانه إذا واصل
بين العشاءين ينفل
عن باطنه آثار
السكورة الحادثة في
أوقات النهار من رؤية
الخلق ومخالطهم وسماع
كلامهم فان ذلك كله
له أثر وخدش في القلوب

أحدها التفاتك إلى ماسبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فله النة فيه لالك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إبهام عاقبتك ، وعاقبته أنه ربما يغتم لك بالسوء ويغتم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه . فإن قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : تغضب لمولاك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لالفسك وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحاقمة، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره .

فأقول : إذا كان للملك غلام وولد هو قرعة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما يليق به ويغضب عليه فإن كان الغلام محبا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامثال أمره إليه ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأمه من الغلام ، فاذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى اللبثدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرها في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه ، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فهكذا يكون بعض العلماء الأكياس فيغضب إليه الخوف والتواضع . وأما الضرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الضرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا قننة عظيمة على العباد وسيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ^(١) » إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فإن قال العابد : ذلك العالم عامل بمله وهذا عالم فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات ، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن ، وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك ، وإذا كان هذا الأمر ثابتا عنه لم يجوز له أن يحتقر عالما بل يجب عليه التواضع له . فإن قلت : فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنوب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفا على نفسه وقد كلف أمر نفسه لأمر غيره فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى النظر إليهم يعقب كدرا في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخالق للبصيرة كالنذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر . ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ويقيد عن قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب ، ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما يزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تمل السكرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالورايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغف والاعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخييل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محموتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق تمسك بدرجات فهذا يمكن والإمكان البعيد فبا عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على تمسك فلا تمسك فيها هو يمكن لتبرك بل فيها هو مخوف في حقله فانه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى تمسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده فرقتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتعي أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلأتراه إلا خاتما من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عابه ويحتم له بأحسن الأعمال ويرى ظاهر فذلك شر لي فلا يأم من فبا أظهره من الطاعة أن يكون دخاها الآفات فأحبطها ثم قال فيئند كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالجملة فمن جوز أن يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روى أن عابدا آوى إلى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطمع عياله ببعضه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كالنفرخ لطاعة الله فأتى في النوم ثانيا فقيل له ائت فلانا الاسكاف فقل له ما هذا الصغار الذي بوجهك فأتاه فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الحصلة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون - وقال تعالى - إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدوام بالاشفاق فقال تعالى عبر انهم - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - وهم من خشية مشفقون - فحق رال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد ، فاذن ما يفعله العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .
حكى لي بعض الفقهاء
عن شيخ له بخراسان
أنه كان ينتقل في الليل
ثلاث مرات مرة بعد
العشاء الآخرة ومرة
في أثناء الليل بعد
الانتباه من النوم
ومرة قبل الصبح
فلقوضه والنسل بعد
العشاء الآخرة أثر
ظاهر في تيسير قيام
الليل ومن ذلك التعود
على الذكر أو القيام
بالصلاة حتى ينل
النوم فان التعود على
ذلك يعين على سرعة
الانتباه إلا أن يكون
واتقا من نفسه وعادته
فيتعمل للنوم

لاغير إلا أن النفس جد هذه المعرفة قد تضررت التواضع وتدعى البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعدّها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال التواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس ، ويبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن يتناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فتقل عليه بقوله والاعتقاد والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتمريفه وإخراجه الحق فذلك يدل على أن فيه كبراً دفيناً فليثق الله فيه ويشغل بصلاحه ، أما من حيث العلم فإن يذكر نفسه خمسة نفسه وخطراً تهوأن الكبر لا يلبق إلا بالله تعالى وأما العمل فإن يكلف نفسه ما تمل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه جزاك الله خيراً كما نهيتي له فالحكمة صالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له بقوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم فقيه كبر فإن كان ذلك لا يشغل عليه في الخلوّة ويشغل عليه في اللأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منفعة في كاله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوّة واللأ جميعاً فقيه الكبر والرياء جميعاً ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعاً مهلكان . الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه وبشيء خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزيله الكبر وهم بالاشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجمل بينه وبين الأقران بعض الأردال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس التكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن . الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرقاه والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن فليشتهل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر . الامتحان الرابع أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعاله الهلكة له إن لم تدارك وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى - إلامن أتى الله بقلب سليم - ويروى عن عبدالله بن سلام أنه حمل حزمة حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبتك ما يكفيك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة وفي الخبر من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برى من الكبر (١) . الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بدلة فإن ثور النفس عن ذلك في اللأ رياء وفي الخلوّة كبر . وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الشيء والفاكهة فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضمفه بألفظ من حمل بضاعته .

ويستجلبه ليقوم في وقته المبرود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للريدين والطالين وبهذا وصف الهبون قبل نومهم نوم العرق وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وإنما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزهمت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة

عنه له مسح يلبسه بالليل وقد قل صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير وألق أصابعي وأجيب دعوة للملوك، فمن رغب عن سني فليس مني» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري قيل له إن أوثاما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلو فهو الكبر، فاعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك المرض لا يداويه.

(بيان غاية الرياضة في خلق التواضع)

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلق له طرفان وواسطة: فطرفه الذي يعيل إلى الزيادة يسمى تكبراً وطرفه الذي يعيل إلى النقصان يسمى تخاسماً ومثله، والوسط يسمى تواضعاً. والمحمود أن تواضع في غير مثله ومن غير تخاسس فان كلا طرفي الأمور ذميم. وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه والله إذادخل عليه إسكاف فتحنى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نمله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل، وهذا أيضاً غير محمود بل الممود عند الله المدل، وهو أن يحطى كل ذي حق حقه فيذهب أن يتواضع مثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوق في القيام والبشرى في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسمي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره، فاذن سيده في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يتقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يتقل عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان، فليرفع نفسه إذ ليس لهؤ من أن تذلل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلق والليل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الزيادة بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل، قتهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش وأحدهما أخش، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أفحش من الآخرة والمحمود المطلق هو المدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع.

الشرط الثاني: من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه.

(بيان ذم العجب وآفاته)

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم فلم تعن عنكم شيئاً - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا - فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم اليممرى ضعيف جداً.

(٢) «إنما أنا عبد آكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

هو التجافي الذي قال الله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - لأن المهم بقيام الليل وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع نبواً أو تجافياً وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية. فأرباب العزيمه تجافى جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الرحمانية فأعطوا النفوس حقه من النوم ومنعوا حظها فالنفس

يجب الانسان بعمل هو مخطيء فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد صلى الله عليه وسلم
 « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (١) » وقال لأبي ثعلبة حيث ذكر آخر
 هذه الأمة ، قال « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نفسك (٢) » .
 وقال ابن مسعود : الهلاك في اثنتين القنوط والعجب وإنما جمع بينهما لأن السعادة لاتنال إلا بالمشي
 والطلب والجد والتشمر والقنوط لا يسعى ولا يطلب والعجب يعتد أنه قد سعد وقد ظفر بمراحه فلا يسعى
 فالموجود لا يطلب والحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد العجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت
 خيرا فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تمتدوا أنها بارة وهو معنى العجب وروى طلحة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكأنه أعجبه فضله
 العظيم إذ فداء بروحه حتى جرح ففارس ذلك عمر فيه فقال ما زال يرف في طلحة نأو منذ أصيبت أصبعه
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والنأو هو العجب في اللثة إلا أنه لم ينقل فيه أنه أظهره واحترق مسلما
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فاذا كان
 لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . وقال مطرف لأن أبيت
 نأما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب (٤) » جعل العجب أكبر الذنوب . وكان بشر بن منصور
 من القدين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلو اظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما ورجل خلفه ينظر
 فظن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يعجبناك ما رأيت منى فان إبليس لمنه الله قد عبد الله
 تعالى مع لللائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لما نشأ رضى الله عنها متى يكون الرجل
 مسينا قالت إذا ظن أنه محسن وقد قال تعالى - لا يبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى والآن نتيجة استعظام
 الصدقة واستعظام العمل هو العجب ، فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا .

(بيان آفة العجب)

اعلم أن آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع العباد . وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى
 نسيان الذنوب وإهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينكها وما
 يتذكر منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات
 والأعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويعين على الله بخلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتحكيم منها ثم
 إذا أعجب بها عسى عن آفات ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعا فان الأعمال الظاهرة
 إذا لم تكن خالصة تبة عن الشوائب فلما تنفع وإنما يتفقد من يخلب عليه الإشفاق والحرف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث أبي ثعلبة إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
 وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن نفسك أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث
 وقي طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخاري من رواية قيس
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقي بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذنبوا لحشيت
 عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهيا قال البخاري منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه
 أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جدا .

بما فيها مركز من
 الترابية والجمادية ترسب
 وتستحلى وتستلذ
 النوم . قال الله تعالى
 - هو الذي خلقكم من
 تراب - ولأدى بكل
 أصل من أصول خلقه
 طبيعة لازمة له .
 والرسوب صفة التراب
 والسكر والتقاعد
 والتناوم بسبب ذلك
 طبيعة في الانسان ،
 فأرباب الهمة أهل العلم
 الذين حكم الله تعالى لهم
 بالعلم في قوله تعالى - من
 هو قانت آتاه الأيل
 ساجدا وقائما - حتى
 قال - قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين
 لا يعلمون - حكم هؤلاء
 الذين قاموا بالليل بالعلم

دون العجب والعجب يختار نفسه ورأيه ويؤمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله يمكن وأن له عند الله منة وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويذكرها وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستكف من سؤال من هو أعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لاسيا فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بلاء الدين وواظب على مدرسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من الهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استثنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسال الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

(بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما)

اعلم أن العجب إما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالَم كمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان: أحدهما أن يكون خائفا على زواله ومشفقا على نكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب والأخرى أن لا يكون خائفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فذن العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان انضاف إلى ذلك أن غاب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه يمكن حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجرى على الفاسق سمى هذا إدلالا بالعمل فسكانه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد يعطى غيره شيئا فيستعظمه ويعن عليه فيكون معجبا فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي لا تدل بمملك وفي الخبر « إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه ولأن تضحك وأنت معترف بذنك خير من أن تبكي وأنت مدل بمملك (١) » والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إجابة دعوته واستكرورها يباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من رد دعاه الفاسق ويتعجب من رد دعاه نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات التكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

(بيان علاج العجب على الجملة)

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلّة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والعبادة والعمل الذي به يجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه (١) حديث إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه الحديث لم أجده له أصلا .

فهم لموضع علمهم
أزعجوا النفوس عن
مقار طبيعتها ورفوها
بالنظر إلى اللذات
الروحانية إلى ذرا
حقيقتها فتجافت
جنوبهم عن الضامع
وخرجوا من صفة
الغافل الهاجع . ومن
ذلك أن يضرب العادة
فان كان ذا وسادة
يترك الوسادة وإن
كان ذا وطاء يترك
الوطاء وقد كان بعضهم
يقول لأن أرى في بيتي
شيطانا أحب إلى من
أن أرى وسادة فانها
تدعونني إلى النوم
وتتيسر العادة في
الوسادة والغطاء

فهو محله ومجراه أو من حيث إنه منه وبسببه وبقدرته وقوته فإن كان يعجب به من حيث إنه فيه وهو محله ومجراه يمر في فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن المحل مسخر ومرجو لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه وإن كان يعجب به من حيث إنه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله أنها من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يبدل بها فينبغي أن يكون إعجاب به بجدود الله وكرمه وفضله إذ أفاض عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فهما برز الملك لعلانه ونظر إليهم وخلع من جماتهم على واحد منهم لالصفة فيه ولا الوسيلة ولا الجمال ولا الخدمة فينبغي أن يعجب للنم عليه من فضل الملك وحكمه وإثاره من غير استحقاق وإعجاب به نفسه من أين وما سببه ولا ينبغي أن يعجب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يعجب العبد بقول الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب فلولا أنه تفتن في صفة من الصفات الحمودة الباطنة لم اقتضى الايثار بالجملة ولما آثرني بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية الملك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأن صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معا أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لانه نفسك وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة فانك إن أعجبت بعبادتك وقلت ورفقتي للعبادة لحيي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداءك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الإعجاب بجوده إذ أنم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامعني لعجب العابد بعبادته وهب العالم بعله وهب الجليل بجماله وهب الغني بفضله لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده والمهل أيضا من فضله وجوده . فان قلت لا يمكن أن أجهل أعمالى وأنى أنا عملتها فأنى أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها عملت لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها . فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخريه مسامحة . أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إحصاء العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل واللم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في أعضاءك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة مالم يخلق في الضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة مالم يخلق علما بالمراد ولم يخلق علما مالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سبحانه وتعالى في كتاب الشكر فانه أليق به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو أن تعجب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوظائف تأثير في ذلك
ومن ترك شيئا من
ذلك والله عالم بنيه
وعزيمته يشبه على ذلك
بتيسير مرام ومن ذلك
خفة للعدة من الطعام
ثم تناول ما يأكل من
الطعام إذا اقترن بذكر
الله ويقظة الباطن
أعان على قيام الليل
لأن بالذكر يذهب
داؤه فان وجد للطعام
تقلا على للعدة ينبغي
أن يعلم أن ثقله على
القلب أكثر فلا ينام
حتى يذهب الطعام
بالذكر والتسلاوة
والاستغفار قال بعضهم
لأن أقمص من عشائى
لقمة أحب لى من

ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لامنك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا للفتاح يد الله ومهما لم يعطك للفتاح فلا يمكنك العمل فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي يد الله لامحالة أرايت لورايت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها أقب سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك للفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فأخذه فقط فاذا أعطاك الخازن للفتاح وسلطك عليها ومكنك منها فمدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن الفاتح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله في تسليم الفاتح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك اللوانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بمجوده وفضله وكرمه في إشارته إليك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريئة سابقة من الفاسق العاصي بل آتراك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشفاه بدمه لا أحب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فاذا لاتصرف قدرتك إلى اللقدور إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا إلى مخالفتها فكأنه الذي اضطررك إلى الفعل إن كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والثناء لا لك وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسيئات مائتين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره بمن أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتي قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الناقل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظلما ولا يدرى القورور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والنعى وحرمتني منها فهاجمتهم إلى أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قفرا فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل النعى أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤزر جهله وغناه عوضا عن عقلك وقورك لامتنع عنه فاذا ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلى والجواهر على الدميعة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك التبسح ولا تدرى القورورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين التبسح مع النعى لآثرت الجمال فاذا نعمة الله عليها أكبر وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه يارب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجاهل كقول من أعطاه الملك فرسا فيقول أيها الملك لم لاتعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لاتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب آتى ما أعطيتك فرسا أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أو هام لاتخلو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم الحق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فإنه لا يدرى ماذا يحدث ويصطوره وسواكه عنده ولا يدخل النوم إلا وهو على الطهارة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق « والمريد للتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتفض وضوءه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة

بعله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب ما تأنى ليله إلا وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم . وفي رواية ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يصدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلا به حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بنى إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحق ويعقوب فقال إنى ابتليتهم فصبوا فقال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذنب بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخبرهم بأى شيء ابتليهم ولا فى أى شهر ولا فى أى يوم وأنا مخبرك فى سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامرأة فاحذر نفسك فوقع فىها وقع فيه وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نطلب اليوم من قلة (١) وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئا وضقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال لى إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواى فتودى من غمامة بشرية آلاف صوت بأيوب أتى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضع على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكأمنكم من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته (٢) » ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يعجب بعمله أوبدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج التامع لمسادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يجرم من غير جنابة ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يعود ويسترجع ما وهب فكف من ومن قد ارتد ومطيع قد فسق وخطم له بسوء وهذا لا يبق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

(بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه)

اعلم أن العجب بالأسباب التى بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كمعجبه بالرأى الخاطأ الذى يزين له بعمله فإبه العجب بمسانية أقسام : الأول أن يعجب ببدنه فى جماله وهيبته ومجته وقوته وتنامب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرضة الزوال فى كل حال وعلاجه ما ذكرناه فى السكبر بالجمال وهو التفكير فى أقدار باطنه وفى أول أمره وفى آخره وفى الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة أنها كيف تمزقت فى التراب وأنت فى القبور حتى استقدرتها الطباع . الثانى : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

(١) حديث قولهم يوم حنين لا تطلب اليوم من قلة البيهقى فى دلائل النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسلأ أن رجلا قال يوم حنين لن تطلب اليوم من قلة فسق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله عز وجل - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم - ولاين مردويه فى تفسيره من حديث أنس لما اتقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم فقالوا اليوم تقائل قفروا ، فيه الفرح بن فضالة ضغه الجمهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينجيه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة .

النوم على الطهارة مالم
يترسصل فى التسذاذ
النفس باللس ولا يندم
يقظة القلب فأما إذا
استرسل فى الالتذاذ
وغفل فتعجب الروح
أىضا لمكان صلافته
ومن الطهارة التى تشر
صدق الرؤيا طهارة
الباطن عن خدش
الهوى وكدورة حجة
البدنيا والتززه عن
أنجاس الغل والحقد
والحسد وقد ورد « من
أوى إلى فراشه لا ينوى
ظلم أحد ولا يعقد على
أحد غفرله ما اجترم »
وإذا طهرت النفس
عن الرذائل انجلت
مرآة القلب وقابل

حين قولوا فيما أخبر الله عنهم - من أشدّ منا قوة - وكما اتكل عوج على قوته وأعجب بها فاتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فتعب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بتفرد هذضعيف للنقار حتى صارت في عنقه وقد يتكل المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سلمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى لحرم ما أراد من الولد (١) وكذلك قول داود عليه السلام إن ابتليتني صبرت وكان إعجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حصى يوم تضعف قوته وأنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة بسلطها عليه . الثالث : العجب بالعقل والكياسة والنفطن له قائق الأمور من مصالح الدين والدنيا وعمرته الاستبداد بالرأى وترك الشورى واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه ومخرج إلى قلة الإصفاء إلى أهل العلم إعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويمن بحيث يضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليست قصر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا وإن اتسع علمه وأن ما جهله بما عرفه الناس أكثر مما عرفه فكيف يعلم بما عرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتيم عقله وينظر إلى الحق كيف يعجبون بقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يدهانه يقف عليه فيزيده عجا و هو لا يظن بنفسه إلا الحير ولا يظن لجمل نفسه فيزداد به عجا . الرابع : العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آباءه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أخلاقهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزرار على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب وأخس من الخنازير ولذلك قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا نثى - أي لانفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ثم بين أن الشرف بالقوى لا بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس من أكرس الناس لم يقل من ينتمى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم للموت ذكر أو أشدهم له استعدادا (٢) وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرت بن هشام وسيل بن عمرو وخالد بن أسيد هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية أي كبرها كلكم بنو آدم وآدم من تراب (٣)»

الروح المحفوظ في النوم وانتقشت فيه محائب الغيب وغرائب الأبناء ففي الصديقين من يكون في منامه مكاملة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويسرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والهي كالأمر والنهي الظاهر يوصي الله تعالى إن أدخل بهما بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقمالات المخالفات الظاهرة تمحوها النسوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تعلق بحاله

- (١) حديث قال سلمان لأطوفن الليلة بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
(٢) حديث لما قيل له من أكرم الناس من أكرس الناس قال أكثرهم للموت ذكرنا الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في ذكر الموت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية الحديث أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم (١) » فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا لأتسكفا فإني لأغنى عنكما من الله شيئا (٢) » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آباءه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله. وهما اتسما إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق. فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفية « إني لأغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأ بلها ييلاها (٣) » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب (٤) » فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة. فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب أيضا جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقى الله أن يغضب عليه فإنه إن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب للقت فلا يؤذن في الشفاعة له وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذى مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب مالا تجب منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وبقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وبقوله - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - وبقوله - فما تنفعهم شفاعة الشافعين - وإذا اتسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لامحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن اللصية وكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكفل لقاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكفل لقاتها في الآخرة فالإنهاك في الذنوب وترك التقوى استكالا على رجاء الشفاعة يضاهي إتهامك للريض في شهواته اعتادا على طيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لافي كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال اللزاج فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفاء من الأتبياء والصلحاء للأقارب والأجانب فإنه كذلك قطعا وذلك لايزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام بالجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم ،

فما بينه وبين الله تعالى
فاذا أخل بها يغنى
أن يتقطع عليه طريق
الإرادة ويكون في
ذلك الرجوع عن الله
واستيجاب مقام القت
فان ابتلى العبد في بعض
الأحيان بكسل وتخور
عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد
الحدث يمسح أعضاءه
بالماء مسحا حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة
العافلين حيث تقاعد
عن فصل التيقظين
وهكذا إذا كسل عن
القيام عقب الأتبياء
يجتهد أن يستاك
ويمسح أعضاءه بالماء
مسحا حتى يخرج في

(١) حديث يامعشر قريش لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يامعشر بنى هاشم وسنده ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأنذر عشيرتَك الأقرين - ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله للتقدم لفاطمة وصفية ألا إن لكما رحما سأ بلها ييلاها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأ بلها ييلاها (٤) حديث أرجو سليم شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصيرم من حوشب عن إسحاق ابن واصل وكلامها ضعيف جدا .

فكيف يعجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهول وعلاجه أن يتفكر في محازيرهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والناسد في دين الله وأنهم المقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقدارهم لاستكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبة إليهم استقدارا واستحقارا لهم ولو انكشف له ذمهم في القيامة وقد تعلق الحصاء بهم والملائكة آخذون بنواصيرهم يجرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والحزير أحب إليه من الانتساب إليهم فحق أولاد الظلمة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسب جهل محض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحتم والفلان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال المؤمنون يوم حين لا قلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد محجزة لا يمكنون لأنفسهم ضرا ولا قضا . و - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشر فيسلمونه إلى البلى والحيات والقاربان والديدان ولا يفنون عنه شيئا وهو في أحوج أوقاته إليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - الآية ، فأى خير فيمن يفارقتك في أشد أحوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكلم على من لا ينفك ، وتنسى نعم من يملك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذ قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاتبعض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أحسيت أن يبدو إليك فقره (١) » وذلك للعجب بالغي وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة وإلى أن للمال غاد ورأع ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يتبختر في حلته قد أهجته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أشار به إلى عقوبة إعجاب به بماله وتفقهه ، وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياذ ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقة فقال لي يا أباذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور من المؤمن أن يعجب بثروته بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فقصيره إلى الحزى والبوار فكيف يجب بماله . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أقم زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

تقلباته وانتباهاته عن زمرة المنافين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على نوعين فأما على جنبه الأيمن كاللحدود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالبيت المسجى ويقول بأمك اللهم وضعت جنسي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما

(١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجانبه فقير فاتبعض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلته قد أهجته نفسه الحديث متفق عليه من حديث أن هريرة وقد تقدم (٣) حديث أني در كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أباذر ارفع رأسك فرفعت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا ابن جبان في صحيحه .

يعنون صنعا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة (١) وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افرقت فرقا فتكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لجهيم بأرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا ، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخاطئ جاهل بخطئه ولوعرفه لتركة ولا يبالغ الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا كان معجبا برأيه وجهله فإن لا يصفى إلى العارف وينجيه قد سلب الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يفتقر به إلا أن يسهل له قاطع من كتاب أوسنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن اللطف فيها إلا بتريخه تامه وعقل ثابت وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجانسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه اللطفي ببعض الأمور والصواب لمن لم يتفرغ لاسترقاق عمره في العلم أن لا يفرغ في اللذاهب ولا يصنى إليها ولا يسمعها ولكن يستند أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتقرير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال فإن خاض في اللذاهب والبدع والتصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء للؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، ففسأل الله تعالى الصمة من الضلال ونموذبه من الاعتزاز بخيالات الجهال .

ثم كتبت ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

(وهو الكتاب العاشر من ربيع للهالكات من كتب إحياء علوم الدين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور ، وقدرته مفاتيح الخيرات والشرور ، وخرج أوليائهم من الظلمات إلى النور ، ومورد أعدائهم ورطبات الغرور ، والصلاة على محمد وخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم تعرم الحياة الدنيا ولم يفرم بالله الغرور ، صلاة تتوالى على بحر الدهور ومكر الساعات والشهور . [أما بعد] لفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلانعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والعرفة ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نعمة أعظم من الكفر والعمى ، ولاداعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالأكياس وأرباب البصائر

(١) حديث أنه يغلب على آخر هذه الأمة الاحجاب بالرأى هو حديث أبي ثعلبة التميمي فاذا رأيت شحا مطاها وهو متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بحفاة فسك وهو عند أبي داود والترمذي .

﴿ كتاب ذم الغرور ﴾

محفظ به عبادك الصالحين
اللهم إنى أسلمت نفسي
إليك ووجهت وجهي
إليك وفوضت أمري
إليك وألجأت ظمري
إليك رهبة منك ورغبة
إليك لا ملجأ ولا منجى
منك إلا إليك آمنت
بكتابك الذي أنزلت
ونبيك الذي أرسلت
اللهم تقى عذابك يوم
تبث عبادك الحمد لله
الذي حكم قهر الحمد
الله الذي بطن فخير
الحمد لله الذي ملك
قدر الحمد لله الذي
هو يحيى الموتى وهو
على كل شيء قدير اللهم
إني أعوذ بك من
غضبك وسوء عقابك

فلوهم كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وانفترون قلوبهم كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدى وانفترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء والغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فأتخذ الهوى قائداً والشيطان دليلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المرید بمد معرفته فيتقيه فالوقوف من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخدمها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره ونهى عن شرح أجناس مجاري الغرور وأصناف الغرور من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادئ الأمور، الجلية ظواهرها القبيحة سرورها ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تعنى عن الاستقصاء وفرق الغرورين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف. الصنف الأول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث من المتصوفة. الصنف الرابع من أرباب الأمه والوالد والغرور من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذى يتخذ للمسجد ويخرقها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشغل بالقتل الذى يكون همه فى الصلاة مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة ولنبدأ أولاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده .

(بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور - وقوله تعالى - ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتمكم الأماني - الآية. كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبذا نوم الأكياس وفطرم كيف يخبون سهر الحق واجتهادهم ولثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من الغرورين (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٢) » وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذاً الجهل هو أن يعتقد الشيء وبراء على خلاف ما هو به والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغروراً فيه مخصوصاً ومغروراً به وهو الذى يخره فهما كان الجهول للتعدي شيئاً يوافق الهوى وكان السبب للوجوب للجهل شبهة ومغيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلاً يسمى الجهل الحاصل به غروراً فالغرور هو سكن النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى العاجل أو فى الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث حبذا نوم الأكياس وفطرم الحديث ابن أبي الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بحوة وفيه انقطاع وفى بعض الروايات أبي الورد موضع أبي الدرداء ولم أجده مرفوعاً (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث شداد بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن فى خلق السموات والأرض - وآية الكرسي، وآمن الرسول . وإن ربكم الله . وقل ادعوا الله ، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين، وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن اضم إلى ما قرأ عشرًا من أول الكهف وعشرا من آخرها غسن ويقول اللهم

الحير وم عطفون فيه فأكثر الناس إذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور العصاة والفاسق فنورد لهما أمثلة لحقيقة الفرور . المثال الأول : غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غرته بالله الفرور أما الذين غرته الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا قد والأخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إشارتها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا بين ولذات الآخرة شك فلا ترك اليقين بالشك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وعلاج هذا الفرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم يتفد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا لمتاع الفرور - وقوله - فلا تفرنكم الحياة الدنيا - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أبشك الله رسولاً ؟ فكان يقول نعم فيصدق (٢) وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الفرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور للكتب خير من حضور للملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان : أحدهما أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر قوله إن النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والقصور فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكافر الفرور يذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا تركه وإذا حذر الطبيب الفواكه ولذات الأظعمة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويعتجون في الأسفار نقداً لأجل الراحة والريح نسيئة فان كان عشرة في ثانی الحال خيراً من واحد في الحال فأنسب للذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشر من جزء من ألف جزء من الآخرة فكأنه ترك واحداً ليأخذ ألفاً بل ليأخذ مائة لاهية له ولاحد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدره مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكدره فاذن قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة فهذا غرور ومشوه قبول لفظ عام مشهور أطلق

أيقظني في أحب الساعات
إليك واستعملني
بأحب الأعمال إليك
التي تقريني إليك زلفي
وتبعدني من سخطك
بعدا أصالك فخطي
وأستغفرك فخطلي
وأدعوك فتسجيب لي
اللهم لا تؤمنني مكرك
ولا تولني غيرك ولا
ترفع عني شرك ولا
تنسني ذكرك ولا تجعني
من العاقلين . ورد
أن من قال هذه
الكلمات بث الله
تعالى إليه ثلاثة
أملاك يوقظونه للصلاة
فان صلى ودعا منوا على
دعائه وإن لم يتم تعبدت
الأملاك في الهواء وكتب

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطالبة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويعتهم وهي عند أحمد من حديث جابر وفيه حتى بثنا الله إليه من يرب فأويناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد باسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أبشك رسولاً فيقول نعم فيصدق متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله لبي صلى الله عليه وسلم آفة أرسلك للناس كلهم فقال اللهم نعم وفي آخرة فقال الرجل آمنت بما جئت به وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن ننع اللات والعزى قال نعم الحديث .

وأريد به خاص ففضل به الغرور عن خصوص معناه فان من قال التقدير خير من النسبة أراد به خير من نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعند هذا يفرغ الشيطان إلى القياس الآخرو هو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصليه باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والافالناجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شك والصيد في ترده في المقتص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أبحر بقيت جائعا وعظم ضرري وإن أبحرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع السكرية وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من المرض وللوت فيكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالاضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فيه فيؤتى إلا التمس أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن لا أتم فأحسب أنني بقيت في العدم وإن كان ما قيل صدقا فأبقى في النار أبدا والآباد وهذا لا يطاق . ولهذا قال على كرم الله وجهه لبعض اللحدين إن كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وإن كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكنا وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلف للحد على قدر عقله وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو مغرور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان : أحدهما الإيمان والتصديق تقليدا للأنبياء والطماء وذلك أيضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علقته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه التبت القلاني فانه مطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يشق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادى أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يستقد كذبهم بقوله ولا يفتخر في علمه بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدتم خير خلق الله وأعلام رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبهم عليه الخلق على أصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار فحسدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء فكما أن قول العبي وقول السوادى لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الغنى الذى استرقتة الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والطماء وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به . وأما المدرك الثانى لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والالهام للأولياء ولا نطقن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمر الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماح منه كما أن معرفتك تقليد للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقلد فقط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأهياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونهم من أمر الله الأمر الذى يقابل النهى ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم
ويسبح ويحمد ويكبر
كل واحد ثلاثا وثلاثين
ويتعم المائة بلا إله إلا
الله والله أكبر ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلى
المعظم .

[الباب السابع
والأربعون في أدب
الانتباه من النوم
والعمل بالليل]

إذا فرغ المؤذن من أذان
المغرب يصلى ركعتين
خفيفتين بين الأذان
والاقامة وكان العلماء
يصلون هاتين الركعتين
في البيت يجعلونهما
قبل الخروج إلى الجماعة
كيلا يظن الناس أنهما

الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالمان عالم الأمر وعالم الخلق والله الخلق والأمر فالأجسام ذوات الكمية والقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والقادر فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماحه كسر القدر الذي منع من إفشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحينئذ إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له - ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كاسها إذا خرجت عن معدنها العطري وهذه إشارة إلى أسرارهم التي لا تستشاق رواحمها العارفون وتشتمز من سماع ألفاظها القاصرون فانها تضربهم كما تضرب رياح الورد بالجمل وتبر أعينهم الضعيفة كما تبر الشمس أبصار الحفايش وانفتح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الكسوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأنبياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء. ولترجع إلى الغرض المطلوب فالقصد أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إمامي مقين تقليدي وإما يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والؤمنون بالسنتهم وبفقاءهم إذا ضيعوا أو امرأته تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولا بسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكم أيضا من الغرورين فأنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنكم مالوا إلى الدنيا وآثروها وبجرد الإيمان لا يكفي للفوز قال تعالى - وإنى لغار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» (١) وقال تعالى - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى بمنوط بالاحسان والعمل الصالح جميعا لا بالإيمان وحده فهو لاء أيضا مغرورون أعنى اللطمشين إلى الدنيا الفرحين به الترفين بنعيمها المهيين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعدهم فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا. ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين، فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبالسنتهم إنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظا فيه وأسعد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال - وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي - وجملة أمرها كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصرا بألف دينار واشترى بستانا بألف دينار وخرما بألف دينار وتزوج امرأة على ألف دينار وفي ذلك كله يعظه للؤمن ويقول اشترت قصرا يفتى ويحرب ألا اشترت قصرا في الجنة لا يفتى واشترت بستانا يحرب ويغنى ألا اشترت بستانا في الجنة لا يفتى وخرما لا يفتى ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم.

سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنانهم أنهما سنة وإذا صلى المغرب صلى ركعتي السنة بعد المغرب يجعل بهما فانها رمضان مع الفريضة يقرأ فيها بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين الكاتبين اكتبوا في صحيفتي أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق

فليكوننّ لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لأوتينّ مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا - وروى عن خباب ابن الأرت أنه قال وكان لي طي العاص بن وائل دين جئت أتفاضه فلم يقض لي ققلت لي ققلت لي آخذه في الآخرة ، فقال لي إذا صرت إلى الآخرة فان لي هناك مالا وولدا أقضيك منه فأترى الله تعالى قوله - أفرايت الذي كفر بآتنا وقال لأوتينّ مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذقناهم رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنّ هذا لي وما أظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إنّي لى عنده للحسن - وهذا كله من الفرور بالله . وسببه قياس من أتيسة إبليس نعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير - ومرة ينظرون إلى المؤمنين ، وهم قراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظمته في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا بنعم الدنيا وكل عمن فهو عجب وكل عجب فانه يحسن أيضا للمستقبل كما قال الشاعر :

لقد أحسن الله فيما مضى هكذا يحسن فيما بقي

وإنما يقيس للمستقبل طي للماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولا أنّي كريم عند الله وهبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل عمن عجب لابل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوى البصائر يدل على الهوان . ومثاله أن يكون للرجل عبدان صغيران يفيض أحدهما ويحب الآخر ، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه للكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطمعة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يفضيه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل للكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الفرور وهكذا انعم الله بنا ولذاتنا فانها مهلكات ومبعدات من الله فان الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضة من الطعام والشراب وهو يحبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجبت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين . والفرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرقت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال - فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمته ونعمه فيقول ربي أكرم من وأما إذا ما ابتلاه فقد رزته فيقول ربي أهانني - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء ونسأل الله التثبيت فبين أن ذلك غرور . قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من أكرمه بطاعى غنيا كان أو فقيرا . والمهان من أهنته بمصيبى غنيا كان أو فقيرا وهذا الفرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فبأن يعرف وجه كون الالتفات

(١) حديث خباب بن الأرت قال كان لي طي العاص بن وائل دين جئت أتفاضه الحديث في نزول قوله تعالى - أفرايت الذي كفر بآياتنا - الآية البخارى ومسلم (٣) حديث إن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه الحديث الترمذى وحسه والحاكم ومصححه من حديث قتادة بن النعمان .

والشفاعة حسق
والصراط وللبران
حق ، وأشهد أن
الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يعث من
في القبور اللهم أودعك
هذه الشهادة ليوم
حاجتي إليها . اللهم
احطط بها وزري
واغفرها ذنبي ونقل
بها مزيان وأوجب لي
بها أمانى وتجاوز عني
يا أرحم الراحمين فان
واصل بين المشاهير
في مسجد جماعته
يكون جامعا بين
الاعتكاف ومواصلة
العشائير وإن رأى
انصرافه إلى منزله وأن
للمواصلة بين المشاهير

إلى شهوات الدنيا مبعدا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك بالإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جملة علوم الكاشفة ولا يليق بعلم العامة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى - يحسبون أن ما تقدم به من مال وبنين ناسر لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وقال تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما نلهم ليزدادوا إثما - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به تخلص من هذا التورر فان منشأ هذا التورر الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يقتر بأمثال هذه الخيالات القاسدة وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمروا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرونا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين - وقال تعالى - إنهم يكيدون كيدا وكيد الله لجهنم الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرا منه وكيدا مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه فإن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى فاذن من آمن مكر الله فهو مغتر ومنشأ هذا التورر أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك النعم واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يعيل بالقاب إلى ما يوافق الله وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد التورر . المثال الثاني : غرور العصاة من المؤمنين بقولهم إن الله كريم وإنما نرجو عفوہ واتكالمهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تخفيفهم واغترارهم رجاء وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنما موحدون ومؤمنون فرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى قياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة وينسى التورر أن نوحا عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من الفرقين - فقال رب إن ابني من أهلي - فقال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله (١) فهذا أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويغض العاصي فكما أنه لا يغض الأب المطيع يخضه لاولد العاصي فكذلك لا يجب الولد العاصي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الاخلاص وأجمع لهم فليفعل . وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع - فقال هي الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام « عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بلاغة النهار وتهدب آخره » ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ في الأولى عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهكم إله

عجه للآب للطبيع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البغض أيضا بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بتقوى أيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أيه ويروي بشرب أيه ويصير طالما يتعلم أيه ويصل إلى السكبة ويراهم بمشى أيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن ولده شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب . فان قلت فأين التلطف في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإن ارجو رحمة ومغفرته وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يخوى الانسان إلا بكلام مقبول الظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما اغدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك فقال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (١) » وهذا هو النبي صلى الله عليه وآله غير الشيطان اسمه فجاه رجاء حق خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعنى أن الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استؤجر على إصلاح أو ان وشرط له أجره عليها وكان الشارط كريما يبنى بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاه الأجر وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن للستاجر كريم أقرء العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا أو راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والقره قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضعون العمل فقال هيهات هيهات تلك أمانهم يترجعون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل إن النرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما أن الذى رجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معنوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك المعاصى فهو مغرور فكما أنه إذا نكح ووطى وأزله بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يشتهه بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويعرس قلبه عن الليل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصى فهو كيس ومن عدا هؤلاء فهم الفرورون بالله - وسوف يعطون حين يرون العذاب من أضل سبيلا - . ولتلمن نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا ومعمنا فارجمنا نعمل صالحا إنا موقنون - أى علمنا أنه كما لا يولد إلا بوقوع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بمحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجمنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - . كما أتى فيها فوج سألمهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بل قد جاءنا نذير - أى ألم نسئكم سنة الله في عباده وأنه - توفي كل نفس ما كسبت - . وأن - كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذى عرکم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنوبهم فسحقا لأصحاب السعير - .

(١) حديث الكيس من دان نفسه تقدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين
وخمس عشرة مرة قل
هو الله أحد وفي الثانية
آية الكرسي وآمن
الرسول وخمس عشرة
مرة قل هو الله أحد
ويقرأ في الركعتين
الأخيرتين من سورة
الزمر والواقعة ويصلى
بعد ذلك ماشاء فان
أراد أن يقرأ شيئا من
حزبه في هذا الوقت
في الصلاة أو غيرها
وإن شاء صلى عشرين
ركعة خفيفة بسورة
الاحلاس والفاحة
ولو اصل بين المشاهير
بركعتين يطيلهما
حسن وفي هاتين
الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضعه الم محمود . فاعلم أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق المعاصي اللهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا أن يجمع القنوط بالرجاء ويتذكر - إن الله يفر الذنوب جميعا - وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم - أمرهم بالإنبابة وقال تعالى - وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق يظن أنه لا يبقى إلا الجمعة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرا يبدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت ولأجل غيره أولسبب من الأسباب التي لا يفرها فهو مغرور . الثاني أن تغتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعده الصالحين حتى يبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون - فالرجاء الأول يجمع القنوط للسائق من التوبة والرجاء الثاني يجمع القنوط المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حدث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتورا في العبادة وركونا إلى البطالة فهو غرّة كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك ولإيذاء نفسك وتمذيها ولك رب كريم غفور رحيم فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرّة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبداً أبداً مع أنه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها فمن هذمتته في عباده وقد خوّف عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغترّ به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يعثان الناس على العمل فلا يبعث على العمل فهو عن غرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للأخرة فذلك غرور فقد أخبر عليه السلام وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة (١) وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخلوات وأما الآن ترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وانها كهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقون بكرم الله تعالى وفضلها راجون لعفو ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان هذا الأمر يدرك بالحق وينال بالهوى فيفلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبارواه معقل بن يسار ويأتى على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون

(١) حديث إن الغرور يظلب على آخر هذه الأمة تقدم في آخر فم الكبر والعجب وهو حديث أبي ثعلبة في إيجاب كل ذي رأى برأيه .

تاليا للقرآن حزبه
أومكرا آية فيها الدعاء
والتلاوة مثل أن يقرأ
مكررا - ربنا عليك
توكلنا وإليك أتينا
وإليك للصبير - آية
أخرى في معناها
فيكون جامعا بين
التلاوة والصلاة والدعاء
ففي ذلك جمع اللهم
وظفر بالفضل ثم صلى
قبل العشاء أربعا
وبعدها ركعتين ثم
ينصرف إلى منزله
أو موضع خلوته فيصل
أربعا أخرى وقد كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي في بيته أول
ما يدخل قبل أن يجلس
أربعا ويقرأ في هذه

طمعاً لا خوف معه إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني وإن أساء قال يغفر لي (١) فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويات القرآن وما فيه وبمثل أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - خلف من بدم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأذى ويقولون سيخفر لنا - ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأذى أي شهواتهم من الدنيا حراماً كان أو حلالاً وقد قال تعالى - ولن خاف مقام ربه جنتان - ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها كأنهم بقراءتها شعرا من أشعار العرب لا يهتمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر ذم يتوقعون للغفرة ويظنون أنهم ترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل قري الواحد يتصدق بدرهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضغاث لغول ما تصدق به من أموال المسلمين وهو يتكلم عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله، نعم . ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب للمسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عدد سيئته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدياته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسيبته مائة مرة وألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعد الله بالعقاب على كل كلمة قال - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - فهذا أبداً يتأمل في فضائل التسيبجات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة الغتابين والسكذابين والتماسين والمتناقضين يظهر من الكلام ما لا يضره إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه من هدياته الذي زاد على تسيبته لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في قراته كان يده ويحسبه ويوازنه بتسيبجاته حتى لا يفضل عليه أجره نسخها فيا همباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفاً على قيراط يفوته في الأجره على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوت الفردوس الأهل ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها لقد دفننا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحقى المبرورين فهاهنا أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنما نبأ إلى الله أن نسكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يفتربه استكلاً على أهطيل الله وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم .

(بيان أصناف المقرئين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف)

الصنف الأول : أهل العلم والمقرئين منهم فرق . ففرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهلوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإزامها الطاعات واغتروا بملهم وظنوا

(١) حديث معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة ولم أره من حديث معقل.

الأربع سورة لقمان
ويس - وح - الدخان
وتبارك الملك وان أراد
أن يخفف فيقرأ فيها
آية الكرسي وآمن
الرسول وأول سورة
الحديد وآخر سورة
الحشر ووصلى بعد
الأربع إحدى عشرة
ركعة يقرأ فيها ثلاثمائة
آية من القرآن من
- والسماء والطارق - إلى
آخر القرآن ثلاثمائة آية
هكذا ذكر الشيخ
أبو طالب المكي رحمه
الله وإن أراد قراءتها
القدر في أقل من هذا
العدد من الركعات
وإن قرأ من سورة

أنهم عند الله بكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الحاق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فأما العلم بالمعاملة كعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس الذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمرضى به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فيسمى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يتقلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فعمل ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشرها واستعمالها أقرى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيئات هيئات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يفته ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشترى الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق اللذمومة ومازكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق الحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى - قد أفلح من زكاه - ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية زكائها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يعرفك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله ونوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم فان كان السكين معتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهواه فاطمان إليه وأهم العمل وإن كان كسيفا قول للشيطان أن ذكرني فضائل العلم وتنسيفي ماورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى - فثله كمثل الكلب - وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - فأى خزي أعظم من الخيل بالكلب والحمار وقد قال ﷺ « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (١) وقال أيضا « يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى » (٢) وكقوله عليه الصلاة والسلام « شر الناس العلماء السوء » (٣) وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أى أن العلم حجة عليه إذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » (٤) فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافقه فيجبل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين القرور فانه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وإن نظر بعين الايمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بدم العلماء السوء وإن حالهم عند الله أشد من حال الجهال فيبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية القرور وأما الذي يدعى علوم المكاشفة كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يعمل العمل ويضيع أمر الله وحدوده فقروره أشد ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولو أنه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجملته

الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حيث أنه أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتشهد يصلى ركعة يشفع بها وزه ثم يتنفل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

(١) حديث من ازداد علما ولم يزد هدى الحديث تقدم في العلم (٢) حديث يلقى العالم في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كمثل الكلب والحمار وقد قال ﷺ « من ازداد علما ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعدا » (٣) حديث شر الناس العلماء السوء تقدم في العلم (٤) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه تقدم فيه

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يفض عليه وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يفض به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلظخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا إليه بعمرته له ولنسبه واسمه وبلبه وصورته وشكله وعادته في سياحة غلمانة ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بعمرته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسمى دون العاني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه واتقاه فلا يتصور أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد فن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافا مؤلفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثرا ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستنقى الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له إن فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيرا قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه لا يدارى ولا يعارى ينشر حكمة الله فان قبلت منه حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فاذن الفقيه من قبه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو الصالح ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين. وفرقة أخرى: أحكوا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليحوجها الصفات للتمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وإرادة السوء للأقران والنظر والطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متعزز عنها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ « أدنى الرياء شرك (١) » وإلى قوله عليه السلام « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر (٢) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « الحسديأكل الحسنات كأنها كل النار الحطب (٣) » وإلى قوله عليه الصلاة والسلام « حب الشرف والمال يبتنان النفاق كما يثبت الماء البقل (٤) » إلى غير ذلك من الأخبار التي أو ردها في جميع ربيع المهلكات في الأخلاق للذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٥) » فتمهدوا الأعمال وما تمهدوا القلوب والقاب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من آتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحش ظاهرها جص وباطنها نتن أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فحصى باب داره وترك الزابل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زراعا فثبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتقنية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجر رءوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فثبت لأن مفارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب فن

الليل يصل بعد الور
ركعتين جالسا يقرأ
فيهما بإدا زلزلة
وألهاكم وتيل فعل
الركعتين قاعدا بمنزلة
الركعة قائما يشفع له
الوتر حتى إذا أراد
التهجد يأتي به ويوتر
في آخر تهجده ونية
هاتين الركعتين نية
النفل لا غير ذلك
وكثيرا ما رأيت الناس
يتفاوضون في كيفية
نيتها وإن قرأ في كل
ليلة السجعات وأصاف
إليها سورة الأمل
تصير سنا فقد كان
العلماء يقرءون هذه
السور ويتربون
بركتها فإذا استيقظ

(١) حديث أدنى الرياء شرك تقدم في ذم الجاه والرياء (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم غير مرة (٣) حديث الحسديأكل الحسنات كأنها كل النار الحطب وغيره (٤) حديث حب الشرف والمال يبتنان النفاق في القلب الحديث تقدم (٥) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم الحديث تقدم .

لا يطهر القلب منها لاتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء فالطلاء ليزيل ما طى ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقتع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في السادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتفجر من الباطن في الباطن. وفرقة أخرى : علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم ثم إذ ظهر عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب الثلو والشرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المتبدعين وإنى لولبت البدون من الثياب وجلست في البدون من المجالس لسمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلا طي الإسلام ونسى الغرور أن عدوه الذي حذر منه مولاة هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين ونسى ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضى الله عنه في بذاعة زيه عند قدمه إلى الشام فقال : إن أقوم أعز الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا الغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والحبول والمراكب ويزعم أنه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك هما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على البطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لوطن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رياسة وزوجم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله أم لا ينضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يرأى بأعماله وعلومه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيات إن ما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل الغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضا ويقول إنما ذلك لأنهم إذا هتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فأنما فرحى بشواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الحمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالاسل لاحتال في هدم السجن وحل الاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رياسته من تدريس أو وعظ أو غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيات إن ما غرضي من إظهار العلم فأنما أنت فترضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين نقل ذلك عليه ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالظن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يتهى غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين ومعلمهم وبك قوام الدين أفلا تعلم أنك أن تأخذ قدر حاجتك فيقترب بهذا التلبيس في ثلاثة أمور : أحدها في أنه مال لا مالك له فانه يعرف أنه يأخذ الحراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وغاية الأمر وقوع الخلط

من النوم فن أحسن
الأدب عند الاتقاء
أن يذهب يباطنه إلى
الله ويصرف فكره
إلى أمر الله قبل أن
يجول الفكر في شيء
سوى الله ويشغل
اللسان بالذكر فالصديق
كالطفل الكلف بالشيء
إذا نام ينام على جهة
الشيء وإذا اتبسه
يطلب ذلك الشيء
الذي كان كلف به وطى
حسب هذا الكلف
والشغل يكون اللوت
والقيام إلى الحشر
فليظن ويعتبر عند
اتباهه من النوم ما هو
فانه هكذا يكون عند
القيام من القبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لأمالك له ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح للسليين وبك قوام الدين ، ولعلّ الدين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف . والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والاقبال على الدنيا فلمل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام للعالم السوء إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب للماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير ، وفرقة أخرى أحكوا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر للماصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلوّ وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجليلة القوية ولكم بعد مغرورون إذ قبضت في زوايا القلب من خفايا مكاييد الشيطان وخبايا خداع النفس مادي وغمض مدركه فلم يفظنوا لها وأهلها وإعما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظنّ أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد ثبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظنّ أنه قد اقتلعها فإذا هو بها في غفلته وقد بنيت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن قتره يسر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعته الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته ولعلّ باعته الحق هو طلب الذكر وانتشار النصيحة في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإشارة في الأغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ واليراد والتمتع بتحريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع وللمستفيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتسكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة للقبليين على الدنيا لا عن تنجيع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص ولعلّ هذا للسكينة المبرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعزّ واقية وتوقير وحسن ثناء فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساء يتشوّش عليه قلبه وتختلط أوراذه ووظائفه وعساه يتنذر بكلّ حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة وللرعاية من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه ممن عرف حدّ فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأبجع لمراذه وأكثر ثناء عليه وأشدّ إعفاء إليه وأحرص على خدمته ولطمهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظنّ أن قبولهم له لا خلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسرّ على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وجد مثل ذلك الثواب في إشارته المحول

كان همه الله فهمه هو وإلا فهمه غير الله والعبد إذا اتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي اتبه عليه ويكون قائرا إلى ربه يباطنه خوفا من ذكر الأغيار ومهما وفي الباطن بهذا للبار قد اتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبايا ويصير جناب القرب له موقلا ومآبا ويقول

والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة ولا إخفاء لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بنى آدم أنه بعلمه امتنع من فبجهله وقع في حباله وعساه يصنف ويجهتد فيه ظانا أنه يجمع علم الله لينتفع به وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو من التناهي على نفسه إما صريحا بالدعوى الطويلة العريضة وإما ضمنا بالظن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما ولقد كان في غيبة عن الطعن فيه ، ولعله يحكى من الكلام اللزيف ما يزيد تزييفه فيعزبه إلى قائله وما يستحسنه فله لا يعزبه إليه ليعظ أنه من كلامه فينقله بينه كالسارق له أو يفيره أدنى تغيير كالذي يسرق ليعصا فيتخذنه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق ، ولعله يجهتد في تزيين ألفاظه وتسجيعة وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الزكافة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس وعساه فافلا عماروى أن بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض ثقافا وإني لأقبل من ثقافتك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افرقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعا أو غيره فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه ثم إذا افرقوا واشتغلوا بالافادة تبايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه بعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجها كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على التناهي عليه كما أثنى مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أضع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيتمثل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لا لنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره بعية المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يظن له إلا الأكياس ولا يتزده عنه إلا الأقوياء ولا مطلع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه فإذا أراد الله بعيد خيرا بصره بميوب نفسه ومن سرته حسنته وساءت سيئته فهو مرجو الحال وأمره أقرب من الغرور الزكى لنفسه للمتن على الله بعمله وعلمه الظان أنه من خيار خلقه فنعمود باقه من الغفلة والاعتزاز ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال ، هذا غرور الدين حصول العلوم المهمة ولكن قصرها في العمل بالعلم ، ولندكر الآن غرور الدين فنعموا من العلوم بحالهم مهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لانتصارهم عليه ، فمنهم فرقة اقتصرنا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد وخصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم اللذهب وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرصوا اللسان عن التبية ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرصوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فنؤلا مغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم. أما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالمهم

باللسان الحمد لله الذي
أحيانا بعد ما أماتنا
وإليه النشور ونقرأ
العشر الأواخر من
سورة آل عمران ثم
يقصد الماء الطهور
قال الله تعالى - وينزل
عليكم من السماء ماء
ليطهركم به - وقال
عز وجل - أنزل من
السماء ماء فسالت
أودية بقدرها - قال
عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما الماء
القرآن والأودية
القلوب فسالت
بقدرها واحتملت
ماوسعت والماء مطهر
والقرآن مطهر والقرآن
بالتطهير أجدر فالماء

مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لابل مثالمه مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة بتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بأنه رجل لا يجيئ ولا يستحاض ولكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتساألني عن ذلك وذلك غاية الغرور فكذلك التفقه للسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما يخطئه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان والجراحات والديبات والدعاوى والبيئات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة والسال وقد دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن للفرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقهاء وجه الله تعالى فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل ، وأما غروره من حيث العلم بحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم قلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بأدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبه والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا من الله معتبرا به متكلما على أنه لا بد وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام وقد ترك العلوم التي هي أمم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدرك ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته الخوفا والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلزم التقوى إذ قال تعالى - فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون - والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشرط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمسال في طريق الله وآله والبدن من كبرياء الله تعالى معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الصديق وبين الله تعالى وإذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافات ولم يهجم إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإلغام الخصوم ودفع الحق لأجل القلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفقيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقه لسيب الأقران والتلقف لأنواع التسيبات المؤذية وهؤلاء هم سباع الإنس طبعهم الابداء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم إلا لضرورة مما يلزمهم لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونونه الزويق وكلام الوعاظ وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجرى بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشمئذ عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيهما وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتمدية فأنما أبدعت لإظهار القلبة والإلغام وإقامة سوق الجدل بها فمرور هؤلاء أشد

يقوم غيره مقامه
والقرآن والعلم لا يقوم
غيرهما مقامهما ولا يسد
مسدهما فالمداء الطهور
يطهر الظاهر والعلم
والقرآن يطهران
الباطن ويذهبان
رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار
الطبع وجدير أن
يكون من رجز
الشيطان لما فيه من
التفلة عن الله تعالى
وذلك أن الله تعالى أمر
ببيض القبضة من
التراب من وجه
الأرض فكانت القبضة
جبهة الأرض والجلبة
ظاهرها بشرة وباطنها
أدمة قال الله تعالى

كثيرا وأتبع من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرذيل الخالفين وتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإخامهم واقترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا أنه لا يكون لمبدع عمل إلا بإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يعلم جدلهم وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يمتدق منهم ولم يتعلم عنهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم هم فرقتان ضالّة ومحققة فالضالّة هي التي تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم . أما الضالّة فلنظمتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرقى كثيرة يكفر بعضهم بمضا وإنما أتيت من حيث إنها لم تنهم رأيها ولم تحكم أولا بشروط الأدلة ومنهاجها فرأى أحدهم الشبهة دليلا والدليل شبهة . وأما الفرقة المحقة فأما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا ينهم لأحد دينه مالم يفحص ويبحث وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذه الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن القالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى صميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لا تذاهه بالطلب والإخام وقدة الرياسة وعز الاتمء إلى الدب عن دين الله تعالى صميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأول فان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والهوى لما جعلوا أعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يتكلموا فيه إلا حين حيث رأوا حاجة أو موصوا بما يحيل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يبدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبضوه في الله ولم يلزموا للملاحاة معه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (١) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان (٢) حمرة من الغضب فقال: «الهدا بضم أ هذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فاتهوا» فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم إنهم رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث إلى كافة أهل اللل فلم يقدم معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن للزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على معوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأبيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يفتروا بهذا وقالوا لونها أهل الأرض وهلكنا لم تنفنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضيقوا العمر بتحرير مجادلاتهم فإنا ناضح العمر ولا نصره إلى ما ينفضنا في يوم ققرنا وفاقنا ولم نخوض فيها لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ثم ترى أن للبتدع ليس يترك بدعته بمجذاله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت له أن عن الجدل

(١) حديث ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل تقدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويختصمون فغضب حتى كأنه فقي في وجهه حب الرمان الحديث تقدم.

- إن خالق بشر من طين - فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والأدمة عبارة عن باطنه وآدميته والأدمية مجمع الأخلاق الحميدة وكان التراب موطىء أقدم إبليس ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة في طينة الآدمي . ومنها الصفات للذمومة والأخلاق الرديئة . ومنها الفضلة والسوء فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن آتى بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته ويعمك له بالعلم والخروج من

والحصومة فكيف وقد نهيت عنه وكيف أدعو إلى السنة بترك السنة فالأولى أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يفضله الله تعالى وما يحبه لأتزره عما يفضله وآتسك بما يحبه . وفرقة أخرى: اشتلوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائر موم مفرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يجنون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبجروا في علم الهبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص إلا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها مزهون ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالساكنين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من الغترين الضمير ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلمين على العز والجاه والمال والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من المرابين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليعتقديه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر النطاء إلى الله وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقرب إلى الله وهو منه متباعد ويعت على الاخلاص وهو غير مخلص وينم الصفات للذمومة وهو بها متصف وبصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو أتمى أحد من المتردين إليه على بعض أقرانه لكان أنقض خلق الله إليه فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن اللزغ في الأخلاق المحمودة والمنفر عن الذمومة هو العلم بنوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغلته دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وإنما الخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف نعم إن ظن نفسه أنه موصوف بهلته الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعى مثلا حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعى الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعى الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يتلذذ بالخلوة إذا أحرق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموتق من الله غليظ والمفترون يحسبون بأنفسهم الظنون وإذا كشف النطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدور بها أحدم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم بأسرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا ضعيفا من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفضله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ماقدورا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لا تصافهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة

حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للآثم والإثم رجز من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من القية والسكذب وعند الضرب لظهور

فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحبّ والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمره وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف في قلبه حبّ الله تعالى ، وإنما مثاله مثال مريض يصف للرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يفارقهم في صفة الرضى والاتصاف به وإنما يفارقه في الوصف والعلم بالطبّ فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه مهيّج غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحبّ والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بمخافتها ، ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل مناج وعظم مناج وعظ القرآن والأخبار ووعظ الحسن البصرى وأمّثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى منهم عدلوا عن المناجى الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض أطراف البلاد إن كان ولنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للإغراب ، وطائفة شغفوا بطيارات النسك وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر همهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق وغرضهم أن تكثروا في مجالسهم الزعقات والتواجِدولو على أغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فإن الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصحّحوا كلامهم ووعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصدّون عن سبيل الله ويمجرون الخلق إلى الفرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدم كلامهم جرأة على العاصي ورغبة في الدنيا، لاسيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب والحيل والمراكب فانه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسد هذا الفرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلاً ويضل خلقاً كثيراً ولا يخفى وجه كونه مغروراً . وفرقة أخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذمّ الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر ، وبعضهم في المحاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلوس وكل منهم يظنّ أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوق والجنديّة إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الرضى وصار مغفوراً له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظنّ أن حفظه لكلام أهل الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعنى في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهمة أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاسناد ما ليس مع غيري ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كملّة الأسفار فانهم لا يعرفون العناية إلى فهم معاني السنة فلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ولا يعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشغفون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك . ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقيمون بشرط السماع فان السماع بمجرد وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم فالأول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى لسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما ينفل ولا يسمع ولا يصفى ولا يضبط وربما يشتغل بمحدث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف
الشیطان في هذه
الواطن ، ولو أن
التحفظ السراعى
المراقب المحاسب كلما
انطلقت النفس في مباح
من كلام أو مسأ كنة
إلى مخالطة الناس أو
غير ذلك مما هو بعرضة
تحليل عقد العزيمة
كالجوض فيها لا يخفى
قولا وفضلا عقب ذلك
بتجديد الوضوء ثبتت
القلب على طهارته
ونزاهته ولصكان
الوضوء لصفاء البصيرة
بمثابة الجفن الذى
لا يزال بخفة حركته
يجلو البصر - وما يحقلها
إلا العالمون - فتفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ورويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فإن هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماعك من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تضي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غير غيرك منه حرفاً أو خطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالذكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وتصحح للكتب وتحفظه حتى لا يصل إليه يد من غيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره فإذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمين فيه من التغيير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون مافيه مغيراً أو يغير حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع مافيه بل سمعت شيئاً يخالف مافيه ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوتقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان إنا سمعنا مافي هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجرى الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتصريح ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والنافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في اللمد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازهم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فإن كان لا يكتب سماع الصبي في اللمد لأنه لا يسمع ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والنافل والشغول بالنسخ عن السماع ليس فيهم ولا يحفظ وإن استجراً جاهل فقال يكتب سماع الصبي في اللمد فليكتب سماع الجنين في البطن فإن فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما يسمع هذا وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخاً على أن يقول سمعت بعد بلوغى آتى في صباى حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولا أدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يسمع العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في اللمد وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدأها كما سمعها» (١) وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أفسح أنواع الفرور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخاً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهاً وقبولاً غافلاً للساكنين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموها ذلك واقتضوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه مدممة وإن كان لا يدري ما يجرى ، وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

فما نبتك عليه تبه
بركته وآره ، ولو
اغتسل عند هسنة
للتجددات والموارض
والاتباه من النوم
لكان أزيد في توير
قلبه ولكان الأجدد
أن العبد يتسل لكل
فريضة بأذلا مجهوده
في الاستعداد لمناجاة
الله ويحسد غسل
الباطن بصدق الإنابة
وقد قال الله تعالى
- منيبين إليه واتقوه
وأقيموا الصلاة -
قدم الإنابة للدخول
في الصلاة ولكن من
رحمة الله تعالى وحكم
الحنيفية السهلة السمحة
أن رفع الحرج وعوض

(١) حديث نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها الحديث أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس .

علماء الأصول بالغة وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه فهذا غرور هؤلاء ولو سمو على الشرط لكانوا أيضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي إفتاء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الأئمة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما لا يعنيه ^(١) » فقام وقال يكفيني هنا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور . وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترتوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فأنتى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يفنى جميع العمر في تعلم الحط وتصحيح الحروف وتحسينها بزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الحط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الفريين في الأحاديث والكتابات ومن النحو ما يتعاق بالحديث والكتابات فأما التعمق فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف العاني وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يشرب السكجيين لبزول ما به من الصفراء وضيع أوقاته في تحسين التدرج الذي يشرب فيه السكجيين فهو من الجهال المغرورين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها ونجدوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فالأقصى هو العمل والذي فوقة هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل كالألب بالإضافة إلى ما فوقة وما فوقة هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الإضافة إلى المعرفة ولب بالإضافة إلى ما فوقة وما فوقة هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأظى العلم بمخارج الحروف والقانون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من أخذ هذه الدرجات منازل فلم يرجع عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها عن الشوائب والآفات فهذا هو المقصود المخدم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث إنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن الممدود منه لعينه هو المنتهى والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى فمن أخذ القشر مقصودا وعرج عليه فقد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية على بن الحسين مرسلًا وقد تقدم .

بالوضوء عن الغسل
وجوز أداء مفترضات
بوضوء واحد دفعا
للحرج عن عامة الأمة
وللخواص وأهل
العزبة مطالبات من
بواطنهم تحكم عليهم
بالأولى وتلجئهم إلى
سلوك طريق الأظى
فاذا قام إلى الصلاة وأراد
استفتاح التهجد يقول
الله أكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا ويقول
سبحان الله والحمد لله
الكلمات عشر مرات
ويقول الله أكبر
ذو الملك والملوك
والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال

في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا وتأويل الألفاظ للبهمة واغتروا بالظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والترور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم السكافة إلا الأكياس منهم فتشير إلى أمثلة : فمن ذلك فتوهم بأن للزوجة متى أبرأت من الصداق برىء الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسوء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطى طيبة نفس وقد قال تعالى - فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب قد يريد الانسان بقلبه مالا تطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها فهذه مصادر على التحقيق باكره الباطن نعم القاضى في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والا كره الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى القاضى الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الإبراء ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الانسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف أن يندم الناس وخاف أن يسلم للمال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الأيمن وهو أن التسليم فسلمه فلأفرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلاء البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من أم القلب يبدل للمال فيختار أهون الأيمن والسؤال في مظنة الحياء والرأى ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هذا الذى يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخصمى فأمر بالاستجلال منه وكان ميتا فأمر ببدائه في صخرة بيت للقدس فنادى يا أوربا فأجابه ليك يابى الله أخرجه من الجنة لماذا تريد ؟ فقال إنى أسأت إليك في أمر فبه لي قال قد قلت ذلك يابى الله فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال ليك يابى الله فقال إنى أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبه لك قلل آلئسانى ما ذلك الذنب قال ما هو يابى الله ؟ قال كذا وكذا وذكر شأن للزوجة فاطمعة الجواب ، قال يا أوربا ألا تهيبين قال يابى الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى أتى بك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوبه منه في الآخرة ، فهذا ينبهك أن الهبة من خير طيبة قلب لا تقيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرها إلا إذا خلى الانسان واختياره حتى تمتث الدواهي من ذات نفسه لأن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وأنها بمالها لاسقاط الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والمبايع سقطت عنه قد صدق فان مطمع نظرم ظاهر الملك وقد زال وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لاطى لهذا القصد فما أعظم جهله بفقهاء الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد
أنت نور السموات
والأرض ولك الحمد
أنت بهاء السموات
والأرض ولك الحمد
أنت قيوم السموات
والأرض ولك الحمد
أنت رب السموات
والأرض ومن فيهن
ومن عليهن أنت الحق
ومنك المحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار
حق والنيون حق
ومحمد عليه السلام حق
اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت
وبك خاصمت وإليك
حاكمت فاخفني ما قدمت
وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت أنت للقدم

«ثلاث مهلكات شح مطاع» (١) وإتصاص شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه المال وحرصه عليه وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهد والغرور ومن ذلك إباحة الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للغرور لا يميزون بين الأمانى والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لاتهم رعونتهم إلا به يروونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد الاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصفه غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول . الصنف الثانى : أرباب العبادة والعمل والغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره فى الصلاة ومنهم من غروره فى تلاوة القرآن ومنهم فى الحج ومنهم فى الغزو ومنهم فى الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم . فمنهم فرقة : أهموا الفرائض واشتغلوا بالفرائض والنوافل وربما تعمقوا فى الفضائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضحنا عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع فى الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف فى صب الماء وذلك منهى عنه (٢) وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاتته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه فى الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذى هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الحائق عن الله بطريق سنى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبهدم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة فى نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون فى قلبه بعد تردد فى صحة نيته وقد يوسوسون فى التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك فى أول الصلاة ثم يفعلون فى جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويفترون بذلك ويظنون أنهم إذا اتعبوا أنفسهم فى تصحيح النية فى أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة فى إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من محارجها فلا يزال يحناط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح محارج الحروف فى جميع صلاته لا يهجمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق محارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم فى الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث النهى عن الاسراف فى الوضوء الترمذى وضعفه وابن ماجه من حديث أبى بن كعب إن للوضوء شيطانا يقال له اللسان الحديث وتقدم فى عجائب القلب .

وأنت لاؤخر لا إله إلا
أنت اللهم آت تقى
تقواها وزكها أنت خير
من زكها أنت وليها
ومولاها اللهم اهدنى
لأحسن الأخلاق
لا يهدى لأحسنا إلا
أنت واصرف عنى سيئها
لا يصرف عنى سيئها إلا
أنت أسألك مسألة
البائس المسكين
وأدعوك دعاء الفقير
الذليل فلا تجعلنى
بدعائك رب شقيا
وكن بى رءوفا رحما
يا خير المسئولين
ويا أكرم المعطين ثم
يصلى ركعتين تحية
الطهارة يقرأ فى
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثل من حمل رسالة إلى مجلس سلطن وأمر أن يؤدبها على وجهها فأخذ يؤدى الرسالة ويتأق في محارج الحروف ويكررها ويبيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس لما أحراه بأن تمام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بقدر العقل. وفرقة أخرى : اغتروا بقراءة القرآن فيبدونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأمانى إذ لا يتفكر في معانى القرآن لينجز بزواجه ويتعظ ويعاظة ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصود من إنزال القرآن المهمة به مع الفلذة عنه. ومثاله : مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتابا وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته وتتمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للمعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بعد لحفظه وحفظه يراد ليعتاد به والعمل به والاتصاف بعمانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذبه ويعتد به واستلذازه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته ولوردد ألقانه بشعر أو كلام آخر لا لذ به ذلك إلا لذاذ فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته. وفرقة أخرى : اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيم لا يحفظون ألبتة عن القية وخواطرم عن الرياء وبطنهم عن الحرام عند الإلتظار وألستهم عن الهديان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيحمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور . وفرقة أخرى : اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن اللظام وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضعون في الطريق الصلاة والفرائض ويمجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحدرون في الطريق من الرفث والحصام وربما جمع بعضهم الحرام وأتقوه على الرققاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيحصى الله تعالى في كسب الحرام أولا وفي إنفاقه بالرياء ثانيا فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بزائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور . وفرقة أخرى : أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعزة وإذا بشر منكر ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لجرده عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجاه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لم آخذ حتى وزوحت على مرتبتي وكذلك قد يتفقد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو تقدم غيره وإن كان أروع وأعلم منه ثقل عليه . وفرقة أخرى : جاورا بمكة أو المدينة واغتروا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقة بيلادهم ملتزمة إلى قول من يعرفه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك فيسبح ترك صريح التحدى وأحب أن يعرفه الناس بذلك ثم إنه قد يجاور ويمدعين طمعه إلى أوساخ أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئا شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل

- ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم - الآية - وفي الثانية - ومن حمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يمد الله غفورا رحيا - ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد يقرأ فهما بآية الكرسي وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتمجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الأوليين وهكذا يتدرج إلى أن

والطعم وجملة من المهلكات كان عنها بمنزل لو ترك المجاورة ولكن حب الحمدة وأن يقال إنه من المجاورين أئمه المجاورة مع الضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج من كتاب الحج والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما الغرض الآن الإشارة إلى جماع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وقتعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمسجد وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياضة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرك أن منتهى لذاتها الرياضة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون مناعة قوا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خباث الأخلاق نعم وقد يترك الرياضة ويؤثر الخلوقة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطول بذلك على الأغنياء ويغشخش معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجول نفسه أكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خباث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غفده في الظاهر وردة في الخيفة لم تسمح به نفسه خوفا من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فرمسا لا يخلو من توفير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والويل إلى المرادين له والثنين عليه والنفرة عن المسائلين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان تعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلى في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويحتم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتقدمه وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجحها كفة حسناته وهيات وذرة من ذى تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الخبيال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا الغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح الغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخباث باطنه . وفرقة أخرى حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه « ماتقرب والتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم (١) » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان : أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كالم على النوافل وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لاقائم به على ما قاربه غيره وتقديم الأهم (١) حديث ماتقرب والتقربون إلى بئس أداء ما اقترضت عليهم ، البخارى من حديث أبي هريرة بانظ ماتقرب إلى عبدى .

يصلى اثنتي عشرة ركعة
أو ثمان ركعات أو يزيد
على ذلك فان في ذلك
فضلا كثيرا والله أعلم .
[الباب الثامن
والأربعون في تقسيم
قيام الليل]
قال الله تعالى - والذين
يبيتون لربهم سجدا
وقياما - وقيل في تفسير
قوله تعالى - فلا تعلم نفس
ما أخفى لهم من قرة
أعين جزاء بما كانوا
يعملون - كان عملهم
قيام الليل وقيل في
تفسير قوله تعالى
- استعينوا بالصبر
والصلاة - استعينوا
بصلاة الليل على مجاهدة
النفس ومصاربة العدو

من فروض الأعيان على مادونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلاً له : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قل أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال أدناك فأدناك (١) » فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب ، فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالألتقى والأورع وكذلك من لا يبقى ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مفرور بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة نفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيلظ القول على أبيه وأهله بسبب ذلك فالنجاسة محذورة وإبداؤها محذور . والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة . وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مفرور ، وهذا غرور في غاية الغموض لأن المفرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفتن لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها ومن جعلته الاشتغال بالذهب والحلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والتمسك بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرياسة والجاه ولذة الباهة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعنى عليه حتى يفتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث التصوفة وما أغلب الغرور عليهم وللعقرون منهم فرقى كثيرة . ففرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والهيئة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالتمسك وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الثمائل والهيئات فلما تسكفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا من أجل تكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيير والقطمير ويترقب بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من القاتلين ثبتت أساؤهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتاقت نفسها إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها مغفرا وتعلمت من رجز الأبطال أيانا وتعودت إيراد تلك الآيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع شمائلهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى العسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ماتحته وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنائها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي هجوزة ضيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر ؟ قيل لها أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والحاكم وصححه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصحبة .

وفي الخبر « عليكم بهيام الليل فإنه مرضة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الأثم وملقاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطرودة للداء عن الجسد . وقد كان جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى تقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الفداة بوضوء العشاء . منهم سعيد بن المسيب وفضيل بن عياض . وهيب بن الورد . وأبو سليمان الداراني . وطى بن بكار . وحبيب العجمي . وكهمس ابن الهيثم . وأبو حازم . ومحمد بن المنكدر . وأبو حنيفة رحمه الله

خدوها فآلقتها قدام الفيل لسخفها فألقت إلى الفيل فهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرقع بل إلى سر القلب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في العزور إذ شق عليها الانتداء بهم في بذاة الثياب والرضاء بالدون فأرادت أن تظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزين بزيمهم فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا الرقعات النفيسة والقوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قبة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرعفا ونسى أنهم إنما لو نوا الثياب لكلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ ، وإنما لبسوا الرقعات إذ كانت ثيابهم محرقة فكانوا يرتعونها ولا يلبسون الجديد . فأما تقطيع القوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المعرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولتليذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الحبر وشرف هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من شؤم التشبهين وشرم . وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامى والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام ، حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكنه ويلزمهم أياما معدودة ويلتقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ، فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من القربين ، وهو عند الله من العجارج المناقنين ، وعند أبواب القلوب من الحق الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه . وفرقة أخرى: وقمت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي . وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن ، وإنما يفتربه من لم يجرب . وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ، ولا يعلم الأحق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلهما بل إنما كلفوا قلع مادتهما بحيث يتقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع . وبعضهم يقول بالأعمال بالجوارح لا وزن لها ، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا سيكون عليها وينوحون سنين متواليه وأصناف غرور أهل الإباحة من التشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان به الاشتغال بالمجاهدة قبل إحكام العلم ومن غير إقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم بطول.

تعالى وغيرهم عدم
وسماهم بأنسابهم
الشيخ أبو طالب النكي
في كتابه قوت القلوب
فمن عجز عن ذلك
يستحب له قيام ثلثه أو
ثلثه . وأقل الاستحباب
سدس الليل فيما أن
ينام ثلث الليل الأول
ويقوم نصفه وينام
سدسه الآخر أو ينام
النصف الأول ويقوم
ثلثه أو ينام السدس .
روى أن داود عليه
السلام قال يارب إنى
أحب أن أعبدك فأنى
وقت أقوم فأوحى الله
تعالى إليه : يا داود
لا تقم أول الليل ولا
آخره فإنه من قام أوله
نام آخره ومن قام آخره
نام أوله ولكن قم
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتذبت الأعمال وطلقت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعى القمامات من الزهد والتوكل والرياء والحب من غير وقوف على حقيقة هذه القمامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها ، فمنهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله وله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يغلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إظهار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى وليس يدرى أن كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدرى أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فمافهموا أن التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ومامن مقام من القمامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربيع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهلوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدرى المسكين أن الله تعالى لم يرص من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرصى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرصيه إلا لتفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والسباحة قصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكافوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وإعماغرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم الارتفاع وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثير أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والافتقار وباعث جميعهم الرياء والسمة آية ذلك إهالمهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والافتقار منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة . وفرقة أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرقة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات إلى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسائلة تضيع الأوقات في تليفها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يفنيه . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه الرتبة وأبدؤوا بأسلوب الطريق وانفتح لهم أبواب العرفة فكلموا تشمحوها من مبادئ العرفة راحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكير فيها وفي كيفية اقتناع بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد وكان مثاله مثال من قصد ملسكفراى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتمجب حتى فاتته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم ياتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في

تخلو به وأخلو بك وارفع إلى حوائجك ويكون القيام بين نومتين وإلا فيغالب النفس من أول الليل ويتنفل فإذا غلبه النوم ينام فإذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل ما يفعله ولا يصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول ، وقد ورد « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلى من الليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل قهبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال « ليصل أحدكم من الليل ما تيسر

الطريق ولا إلى ماتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يرجوا على الفرح بها والالفتات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقوا وغطوا فان لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إخباراً عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي - وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويحلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً والجهال يظنون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يخره الكوكب الذي لا يخر السواكية ، ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال - قال لأحب الآفلين - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد يفتقر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يفتقر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تنجلي فيه حقيقة الحق كله حتى إنه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتنجلي فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فإذا تجلّى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس إذ التجلى يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترأى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة وكما يلتبس ماني الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقّ الزجاج ورقّت الحمر فتشابهت فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلاؤف فيه فعاطوا فيه كمن يرى كوكباً في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمديده إليه لياً خذوه وهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع مالا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجهم من الغرور الذي هو فيه بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجده الزخرف ويصدق أيضاً بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله ومن عظم غروره ربما أمر مكذباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمغترور منهم فرق

فإذا غلبه النوم فليتم
وقال عليه السلام :
« لا تشادوا هذا الدين
فانه متين فمن يشاهه
يغلبه » ولا تبغضن إلى
تفسيك عبادة الله
ولا يلبق بالطالب ولا
ينبغي له أن يطلع الفجر
وهو نائم إلا أن يكون
قد سبق له في الليل
قيام طويل فيعذر في
ذلك على أنه إذا استيقظ
قبل الفجر بساعة مع
قيام قليل سبق في
الليل يكون أفضل
من قيام طويل ثم
النوم إلى بعد طلوع
الفجر فإذا استيقظ
قبل الفجر يحكّر
الاستغفار والتسبيح
ويتم تلك الساعة وكما
يصل بالليل يجلس
قليلاً بعد كل ركعتين

ففرقة منهم : يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقطاير وما يظهر للناس كافة ويكتبون أساميهم بالأجر عليها ليتخذوا ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما ببرد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة فان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على الساكنين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وطلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسماهم المكتوبة فيها لالبقاء الخير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما يكون في جواره أو بلده قراء وصرف المال إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومحبطونابهم بذلك وبال المقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ومحبطونابهم بذلك وبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يفتخر به ويرى أنه من الخبرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه وبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع والحضور القلب مع الله تعالى . قال مالك ابن دينار : أتى رجلان مسجدا فوقف أحدهما على الباب وقال مثل لا يدخل بيت الله فكتبه الملاك عند الله صديقا فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جنابة على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمق أمق بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرا قائما على حجر إلا أهلسته بذنوب أهله إن الله لا يعاب بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تهجكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يجر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم (٢) » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخره ولا تنقشه (٣) » فقرر هذا من حيث

ويسبح ويستغفر
ويصلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فانه يجد بذلك ترويحاً
وقوة على القيام وقد
كان بعض الصالحين
يقول هي أول نومة فان
انقبت ثم عدت إلى
نومة أخرى فلا أنام
الله عني . وحسب
لي بعض الفقراء عن
شيخ له أنه كان يأمر
الأصحاب بنومة واحدة
بالليل وأكلة واحدة
ليوم والليل . وقد
جاء في الخبر « قم من
الليل ولو قدر حلب
شاة » وقيل يكون
ذلك قدر أربع ركعات
وقدر ركعتين . وقيل
في تفسير قوله تعالى
- تؤتي الملك من تشاء
وتنزح الملك من تشاء -

(١) حديث النهي عن زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم ابن المبارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفا على أبي الدرداء (٣) حديث الحسن مرسل لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ولا تزخره ولا تنقشه لم أجده .

إنه رأى المنكر واتكل عليه . وفرقة أخرى : ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والسالكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جنابة عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إيفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا حيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه وقال أبو نصر التمار إن رجلا جاء يودع بشر ابن الحرث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة فقال ألتى درهم قال بشر فأبى شيء تبتنى بحجك زهدا أو اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتتفق ألتى درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أنفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضى دينه وبقير يرم شعثه ومعييل يخي عياله ومربي يقيم يفرحه وإن قوى قلبك تمطيها واحدا فأفعل فان إدخالك السرور على قلب السلم وإغاثة اللهمان وكشف الضر وإغاثة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات انتضت النفس أن تقضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه لن لا يقبل إلا عمل الثقلين . وفرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمع باخراج المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجين ليسكن به الصغراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجين ، ولذلك قيل لبشر إن فلانا الذي كثير الصوم والصلاة فقال للمسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إطعام الظمام للججاج والاتفاق على المسكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لارنيا ومنه للفقراء . وفرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمع نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستئجار في خدمة أو من لهم فيه على اللجنة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحدا من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا أمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يحصى وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور . وفرقة أخرى : من عوام الحاق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبت على العمل فان ضعفت عن العمل فلا خير فيها وما يراذل غيره فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك التفسير فلا قيمة له وربما يتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخله رقة كرامة النساء فيسكن ولا عزم وربما يسمع كلاما معوقا فلا يزيد على أن يصفق يديه ويقول يا سلام سلم أو نعوذ بالله أو سبحان الله ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وتورا في المزينة أو تهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أو اغترارا بحاله فليكن عليه فقد قطع عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتقر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام وقوف في مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خاق من المدعين والذي له ذلك ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر والانسان متعرض للقصور والخلف والشبهة ولا حالة أجل

وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يفي عنه من مرضه وجوعه شيئاً فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يفي من الله شيئاً فكل وعظ لم يغير منك صفة تعبيراً غير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالاً قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فلذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا . فان قلت لما ذكرته من مداخل السرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات . فأقول الانسان إذا قرت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى الغرض حتى إن الانسان إذا أراد أن يستزل الطير الملق في جو السماء مع بعده منه استزله وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن يقتنص الوحوش الملقة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والقبيلة وعظم الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويثبت بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها وإذا أراد أن يتخذ الديباج للون النقش من ورق التوت أخذها وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات فسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا المهم الواحد بل هو كما يقال * لو صح منك الهوى أرشدت للحيل * فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه أيضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها . فان قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثر في ذكر مداخل السرور فبم ينجو العبد من السرور . فأعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور : بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة أمور لا بد منها . أما العقل فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الأشياء فالفطنة والسكيس فطرة الحق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن السرور فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة فهذا إن لم يفطر عليه الانسان فاكتسابه غير ممكن ، نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشناتا (١) » إن الرجلين ليستوى عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله خلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل « يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويمين الضعيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عقله (٢) » وقال

من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماء وقد يقول بعض من يحتاج في ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريحا فنقول ما بالنا لا نتبع تشريحه وهذه دقيقة فتعلم أن رؤية الفضيلة في ترك القيام وادعاء الايواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم

(١) حديث تبارك الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلا وفي أوله قصة وإسناده ضعيف ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث أبي الدرداء أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويحتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويمين الضعيف ولا يعلم منزله عند الله يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عقله (٣) وقال

أنس « أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عقله؟ قالوا يا رسول الله تقول من عبادته وفضله وحقه فقال كيف عقله فان الأحقق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عتوهم^(١) » وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال ارجموه وإن قالوا غير ذلك قال لن يبلغ^(٢) وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكاء صحيح وغريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فان قامت بيلادة وحمافة فلا تدارك لها . الثاني : المعرفة وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريباً في هذا العالم وأجيباً من هذه السموات البهيمية وإنما الموافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح محراب القلب وكتاب التفكير وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله ويعصم به التنبيه على الجملة وكال المعرفة وراه فان هذا من علوم المكاشفة ولم ينطب في هذا الكتاب إلا في علوم العاملة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليهما بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لانبية للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الآخرة وركلها فان أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والجماء والمسأل فان ذلك هو الفساد للنية وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبمنه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى للمنى الثالث وهو العلم أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والعلم بما يقرب به من الله وما يباعد عنه والعلم بأفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع العبادات شروطها فبراعها وآفاتنا فيتقها ومن ربيع العادات أسرار العايش وما هو مضطر إليه فيأخذ بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله فان المانع من الله الصفات الذمومة في الخلق فيعلم الذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد وأن توضع خلفا عن الذمومة بعد محوها فاذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحد من الأنواع التي أشرفنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يخلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخذله الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله فان المرید المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط للمستقيم وصرفت الدنيا في عينه تركها واتقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت إليهم ولم يبق إلا هم

فليعلم ذلك فإننا رأينا
من الأصحاب من كان
في ذلك ثم انكشف لنا
بتأييد الله تعالى أن
ذلك وقوف وقشور .
قيل للحسن بأبا سعيد
إني أبيت معافي وأحب
قيام الليل وأعدت
طهورى لما بالى لأقوم
قال ذنوبك قبديك
فليحذر العبد في نهارة
ذنوباً تقيد في ليله
وقال النووي رحمه
الله حرمت قيام الليل
سبعة أشهر بذنوب
أذنبته قليل له ما كان
الذنب قال رأيت رجلاً
بكاء فقلت في نفسي
هذا مرء . وقال
بعضهم : دخلت على
كرز بن وبرة وهو
يسكى فقلت ما بالك أنك
نسى بعض أهلك؟ فقال

(١) حديث أنس على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عقله الحديث داود بن المهر
في كتاب العقل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة
سأل عن عقله الحديث الترمذى الحكيم في النوادر وابن عدى ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه .

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه وقد هجز الشيطان عن إغوائه إديأته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد رحمته إلى العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صما عميا قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وقد دوا الطيب وأشرف فواض العطب فقلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهداه عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر ليله وبقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية السكدر وأصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتدقتهم وارتفع إلى السماء أنينهم فنذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه وقد رطب على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرفقة ولم يجد فسخة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد الخالص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرصه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالا للفتنة فدعاه إلى الرياسة دعاء خفيا أخفى من ديب الخلق لا يشعر به المرء فيزل ذلك الديب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق بتحسين الألفاظ والنعمات والحركات والتصنع في الزي والهَيْئَة فأقبل الناس إليه يعظمونه ويجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافيا لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم فأزروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولا كالعبيد والخدم فقدموه وقدموه في المحافل وحكوه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يالها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الحاق غضب فاذا أنكر على نفسه ما وجد من الغضب بادر الشيطان بخيل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المرء فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقوع فيمن رد عليه فوقع في التوبة المظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في السكر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك إذا سبق الضحك أوفر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه إنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وإنما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يفتن ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بر وتغطي رأس البئر بحجر كبير فجزوا عن الرقى من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه لاهالة

أشدت وجمع يؤلك
قال أشد فقلت وما ذاك
قال بابي معاق وسترى
مسبل ولم أقرأ حزبي
البارحة وما ذاك إلا
بذنب أحدثه . وقال
بعضهم : الاحتلام
عقوبة وهذا صحيح
لأن المراعى التحفظ
بحسن تحفظه وعلمه
بحاله يقدر ويتمكن
من سد باب الاحتلام
ولا يتطرق الاحتلام
إلا على جاهل بحاله أو
مهمل حكم وقته وأدب
حاله ومن كل تحفظه
ورعايته وقيامه بأدب
حاله قد يكون من ذنبه
للموجب للاحتلام ووضع
الرأس على الوسادة إذا
كان ذاعزيمة في ترك
الوسادة وقد يتمهل للنوم
ووضع الرأس على

إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فان كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من أمانه أو كفاء ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهدتوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يتقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فاذا اهدتوا بغيره فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه فعوذ باقه من زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء . فان قلت فحق يصح له أن يشتغل بنصح الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يبينه أو لو اهدتوا بأنفسهم وانقطع بالسكينة طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيرا منه لجهله بالحقمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعى المشاية إنما غرضه رعاية المشاية ودفع الثئب عنها دون نظر المشاية إليه فلما يرسل الناس كالمشاية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم، نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه . فان قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة (١) » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت العايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر مافي حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فسكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقه والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فان الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد وأشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فأنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فان قلت فان علم المرید هذه السكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار . فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت منى بذكائك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد تقدم في كتاب فم الدنيا .

تم الجزء الثالث من تخریج أحاديث الإحياء لحافظ العراقي
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع المهلكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسماء
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧ يان خاصية قلب الانسان
٦٢	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثله
عيوب نفسه	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٣	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدينيوية والأخروية
٦٣	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار
٦٧	١٩ يان الفرق بين المقامين بمثال محسوس
٦٩	٢٢ يان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم ولا من الطريق الصاد
٧٢	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها
٧٧	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
(كتاب كسر الشهوتين)	٣٩ يان ما يؤاخذ به البعد من وساوس القلوب ومهما وخواطرها وقصودها وما يعنى عنه ولا يؤاخذ به
وهو الكتاب الثالث من ربيع المهلكات	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا
٧٨	٤٤ يان سرعة قلب القلب واتسام القلوب في التخير والنبات
٧٨	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات
٨١	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق
٨٦	
البطن	
٩٣	
٩٥	
٩٦	
٩٨	
١٠١	
والعين	

صفحة	صفحة
١٥٤ الآفة السابعة عشرة كلام ذي اللسانين	١٠٤ (كتاب آفات اللسان)
١٥٦ الآفة الثامنة عشرة للدح	وهو الكتاب الرابع من ربيع المهلكات
١٥٧ بيان ما على المدوح	١٠٥ بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٥٨ الآفة التاسعة عشرة النفلة عن دقائق الخطأ في حقوى الكلام	١٠٨ الآفة الأولى من آفات اللسان الكلام فيما لا يهنيك
١٥٩ الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ	١١١ الآفة الثانية فضول الكلام
١٦٠ (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)	١١٢ الآفة الثالثة الخوض في الباطل
وهو الكتاب الخامس من ربيع المهلكات	١١٣ الآفة الرابعة الرأء والجدال
١٦١ بيان ذم الغضب	١١٥ الآفة الخامسة المحصومة
١٦٣ بيان حقيقة الغضب	١١٦ الآفة السادسة التعرف في الكلام بالتشديق وتكلف السجع والفصاحة الخ
١٦٥ بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا	١١٧ الآفة السابعة الفحش والسب وبداءة اللسان
٢٦٨ بيان الأسباب المهيجة للغضب	١١٩ الآفة الثامنة اللعن
١٦٩ بيان علاج الغضب بعد هيجانه	١٢٣ الآفة التاسعة الفناء والشعر
١٧١ بيان فضيلة كظم الغيظ	١٢٤ الآفة العاشرة للزاح
١٧٢ بيان فضيلة الحلم	١٢٨ الآفة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
١٧٥ بيان القدر الذي يجوز الاتصاار والتشفي به من الكلام	الآفة الثانية عشرة إفشاء السر
١٧٧ القول في معنى الحقد وتأججه وفضيلة العفو والرفق	١٢٩ الآفة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٧٧ فضيلة العفو والاحسان	١٣٠ الآفة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين
١٨١ فضيلة الرفق	١٣٤ بيان ما رخص فيه من الكذب
١٨٣ القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته	١٣٦ بيان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٨٥ بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه	١٣٨ الآفة الخامسة عشرة النية
١٨٨ بيان أسباب الحسد والنافسة	١٤٠ بيان معنى النية وحدودها
١٩٠ بيان السبب في كثرة الحسدين الأمثال والأقران والإخوة وبنى العم والأقارب وتأكد كده وقتله في غيرم وضفه	١٤٢ بيان أن النية لا تقتصر على اللسان
١٩٢ بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد من القلب	١٤٣ بيان الأسباب الباعثة على النية
	١٤٥ بيان العلاج الذي يمنع اللسان عن النية
	١٤٧ بيان تحريم النية بالقلب
	١٤٨ بيان الأعداد للرخصة في النية
	١٥٠ بيان كفارة النية
	١٥١ الآفة السادسة عشرة النجيمة
	١٥٢ بيان حد النجيمة وما يجب في ردها

صفحة	صفحة
٢٦٨ (كتاب ذم الجاه والرياء)	١٩٥ يان القدر الواجب في نفى الحسد عن القلب
وهو الكتاب الثامن من ربع للهلكات وفيه شطران	١٩٦ (كتاب ذم الدنيا)
٢٦٩ الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه يان ذم الشهرة ويان فضيلة الحقول الخ	وهو الكتاب السادس من ربع للهلكات
٢٧٠ يان ذم الشهرة وانتشار الصيت يان فضيلة الحقول	١٩٧ يان ذم الدنيا
٢٧١ يان ذم حب الجاه	٢٠٦ يان المواعظ في ذم الدنيا وصفها
٢٧٢ يان معنى الجاه وحقيقته	٢٠٩ يان صفة الدنيا بالأمثلة
٢٧٣ يان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حق لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة	٢١٤ يان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد
٢٧٦ يان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لاحقيقته له	٢١٩ يان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استفرقت هم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالفهم ومصدرهم وموردتهم
٢٧٨ يان ما يحمى من حب الجاه وما يندم	٢٢٥ (كتاب ذم البخل وذم حب المال)
٢٧٩ يان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبعضها للذم وشرتها منه	وهو الكتاب السابع من ربع للهلكات
٢٨٠ يان علاج حب الجاه	٢٢٦ يان ذم المال وكراهة حبه
٢٨١ يان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم	٢٢٨ يان مدح المال والجمع بينه وبين الذم
٢٨٣ يان علاج كراهة الذم	٢٣٠ يان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٨٤ يان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم	٢٣٢ يان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس لها في أيدي الناس
٢٨٥ الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالمبادات وهو الرياء وفيه يان ذم الرياء إلى آخره	٢٣٥ يان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتب به صفة القناعة
٢٨٦ يان ذم الرياء	٢٣٧ يان فضيلة السخاء
٢٩٠ يان حقيقة الرياء وما يراى به	٢٤٢ حكايات الأسخياء
٢٩٣ يان درجات الرياء	٢٤٧ يان ذم البخل
٢٩٧ يان الرياء الخفي الذي هو أخفى من ديب الخمل	٢٥٠ حكايات البخل
٢٩٩ يان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي ، وما لا يحبط	٢٥١ يان الإيثار وفضله
٣٠٢ يان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	٢٥٣ يان حد السخاء والبخل وحققتهما
	٢٥٥ يان علاج البخل
	٢٥٧ يان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله
	٢٥٨ يان ذم النفي ومدح الفقر

صفحة	صفحة
٣٤٤	٣٠٨
بيان أخلاق للتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر	بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات
٣٤٨	٣١١
بيان الطريق في معالجة التكبر واكتساب التواضع له	بيان الرخصة في كتاب الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له
٣٥٨	٣١٣
بيان غاية الرياضة في خلق التواضع الشطر الثاني من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته الخ	بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات
٣٥٩	٣٢٠
بيان آفة العجب	بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح
٣٦٠	٣٢٣
بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما بيان علاج العجب على الجملة	بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه
٣٦٣	٣٢٦
بيان أقسام مابه العجب وتفصيل علاجه	(كتاب ذم الكبر والمعجب)
٣٦٧	٣٢٦
(كتاب ذم الغرور)	وهو الكتاب التاسع من ربيع المهلكات وفيه شطران
وهو الكتاب العاشر من ربيع المهلكات	٣٢٧
٣٦٨	٣٢٧
بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثله	الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر الخ
٣٧٦	٣٢٩
بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف	بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في الشئ وجرت الثياب
أصناف الأول أهل العلم والمفترون منهم فرق	٣٣٠
٣٨٩	٣٣٤
الصنف الثاني أرباب العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة الخ	بيان فضيلة التواضع
٣٩٢	٣٣٤
الصنف الثالث التصوفة والمفترون منهم فرق كثيرة الخ	بيان حقيقة الكبر وآفته
٣٩٥	٣٣٦
الصنف الرابع أرباب الأموال والمفترون منهم فرق الخ	بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه ونمات الكبر فيه
	٣٣٨
	٣٤٣
	بيان مابه التكبر
	٣٤٣
	بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيبة له

[تمت]

فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالهامش

صفحة	صفحة
٢٤٧	٢
الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره	الباب الثلاثون في تفاصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤	١١٠
الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإنظار	الباب الحادي والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥	١٢٣
الباب الحادي والأربعون في آداب الصوم ومهامه	الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨	١٣٩
الباب الثاني والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصلحة والفسدة	الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥	١٥١
الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسراره
٣١٥	١٦١
الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد فيهم	سنة الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠	١٦٢
الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣	١٧٣
الباب السادس في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم	الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبر شأنها
٣٧٠	١٨٩
الباب السابع في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل	الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١	٢٢٥
الباب الثامن والأربعون في تهسيم قيام الليل	الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها